

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان^١

^٢ مقصودها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم^٣
الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركه، وعلى
ذلك دل اسمها "الدخان" إذا توملت آياته وإفصاح ما فيها وإشارات^٤
(بسم الله) الملك الجبار الواحد القهار (الرحمن) الذي عم بنعمة^٥
الندارة (الرحيم) الذي [خص - ٧] أهل وداده برحمة البشارة.
/ (حتم ج) تقدمت الإشارة إلى شيء من أمرار أخواتها.

٣٦/

^٤ ختمت الزخرف ببشارة باطنة وندارة ظاهرة، وكان ما بشر
به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعدا، ١٠
افتتح هذا بمثل ذلك مقسما عليه فقال: (والكتب) [أى - ٧] الجامع
(١) الرابعة والأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها تسع
وخمسون عند الكوفيين وسبع عند البصريين، وست عند المدنيين والمكي
والشامي (٢) زيد في الأصل: قال رحمه الله تعالى، ولم تكن الزيادة، ظ
ومد لحذفها (٣) ليس في ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: اسمه.
(٥-هـ) من ظ ومد، وفي الأصل: راته (٦) من مد، وفي الأصل: وظ.
بنعمته (٧) زيد من مد (٨) في الأصول: ولا، وما أثبتناه فيسجم مع ما
دأب عليه المؤلف في أوائل السور.

لكل خير (المبين هـ) أى البين فى نفسه، الموضح لما تقدم من دقيق
 البشارة^١ لاهل الصفاء والبصارة، واضح^٢ النذارة بصرح العبارة، وغير
 ذلك من كل ما يراد منه، ولأجل ما ذكر من الاستبعاد أكد جواب
 القسم وأتى به فى مظهر العظمة فقال^٣: (أنا) أى بما لنا من العظمة
 هـ (أنزلته) أى الكتاب إما^٤ جميعا إلى بيت العزة فى سماء الدنيا
 أو ابتدأنا إزاله إلى الارض (فى ليلة مبركة) أى ليلة القدر - قاله
 ابن عباس رضى الله عنهما^٥ أو النصف من شعبان، فذلك يتأثر^٦ عنه
 من التأثيرات^٧ ما لم تحط به الأفهام فى الدين والدنيا، قال الاستاذ
 أبو القاسم القشيرى: ينزل إلى سماء الدنيا كل سنة بمقدار ما كان جبريل
 ١٠ عليه السلام ينزله على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة،
 وسمّاها "مبركة" لأنها ليلة افتتاح الوصلة وأشد الليالى بركة ليلة يكون
 العبد فيها^٨ حاضرا بقلبه مشاهدا لربه، يتنعم فيها بأنوار الوصلة
 "ويجدها فيها" نسيم القرية، وقال الرازى فى اللوامع: وأعظم الليالى
 بركة ما كُشف فيها بحقائق الأشياء.

- (١) من مد، وفى الأصل: البصارة (٢) من مد، وفى الأصل: اوضح.
 (٣) العبارة من هـ والكتاب هـ إلى هنا ساقطة من ظ (٤) فى مد: إلى - خطأ.
 (٥) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش الباب ١١٩/٦ من مد، وفى الأصل وظ:
 تبشر (٧) من مد، وفى الأصل وظ: التأثيرات (٨) فى مد: السه (٩-١٠) من
 ظ و مد، وفى الأصل: فيها العبد (١٠-١١) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بجذنها (١١) من مد، وفى الأصل وظ: كشف.

ولما كان هذا موضعها لما لوح به آخر تلك من البشارة في ظاهر
التذارة، علل الإنزال أو استأقت ما فيه من واضح التذارة الموصل إلى
المعاني المقضية للبشارة، فقال مؤكداً لاجل تكذيبهم: (انا) أى
على ما نحن عليه من الجلال (كنا) بما لنا من العظمة دائماً لعبادنا
(منبرين) لا نؤاخذهم من غير إنذار، فلاجل رحمتنا لمؤلاء القوم ه
وهم أرق الناس طبعاً وأصفاهم قلوباً وأوعاهم [سيما - °] فوصلهم
بما هيأناهم به من ذلك إلى ما لم يصل غيرهم إليه ولم يقاربه من المعالي
في الأخلاق والشئال والاكساب بجميع الفضائل .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت [سورة - °] حم
السجدة و سورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه بما ١٠
لم تنطوي سورة غافر على شيء منه ، وحصل من مجموع ذلك الإعلام
بتزيله من عند الله و تفصيله و كونه قرآنا عربيا إلى ما ذكر تعالى من
خصائصه إلى قوله ” وانه لذكر لك و لقومك / و سوف تسئلون “
و تعلق الكلام بعد هذا بعضه ببعض إلى آخر السورة ، افتتح تعالى
سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض ، و هو التعريف بوقت إنزاله إلى ١٥

- (١) من مد ، وفي الأصل و ظ و و (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
لنا (٣) في مد : لا نأخذهم (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : اطفاهم (٥) زيد
من مد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : لم تنطوي (٧) من ظ و مد ، وفي
الأصل : حاصل (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : مزينة (٩) في الأصل و ظ
يباص ملأناه من مد (١٠) في مد : استفتح .

سما الدنيا قال تعالى " انا انزلته في ليلة مبركة " ثم ذكر من فضلها
 فقال " فيها يفرق كل امر حكيم " فحصل وصف / الكتاب بخصائصه
 والتعريف بوقت إنزاله إلى سما [الدنيا - ٢] وتقدم الأهم من ذلك
 في السورتين قبل ، و تأخر التعريف بوقت إنزاله ٢ إلى سما الدنيا إذ
 ليس في التأكيد كالمقدم ، ثم وقع إثر هذا تفصيل وعيد قد أجل
 في قوله تعالى " فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون " و ما تقدمه
 من قوله " ام ابرموا امرا فانا مبرمون " وقوله سبحانه " ام يحسبون اننا
 لانسمع سرهم ونجواهم " و تنزيهه سبحانه وتعالى نفسه عن عظيم اقترائهم
 في جعلهم الشريك والولد - إلى آخر السورة ، ففصل بعض ما أجملته
 ١٠ هذه الآي في ١ قوله تعالى في صدر سورة الدخان " فارتقب يوم تأتي
 السماء بدخان مبين " وقوله تعالى " يوم نبطش البطشة الكبرى " ،
 و الإشارة إلى يوم بدر ، ثم ذكر شأن غيرهم في هذا و هلاكهم بسوء
 ما ارتكبوا ليشعروا ١ أن لا فارق ١ إن هم ١ عقلوا واعتبروا ، ثم عرض
 بقرنهم ١ في مقالته ما بين لابتها أعز مني ولا أكرم ، ثم " ذكر تعالى

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما (٢) زيد من مد (٣) في مد : نوله .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : السماء ، وهذه الكلمة مع ما قبلها وما بعدها ساقطة
 من مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : التفصيل (٦) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : بعد (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : من (٨) من مد ، وفي الأصل :
 و ظ : حتى يشعروا (٩-٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : انهم (١٠) من مد ،
 وفي الأصل و ظ : فبرعون هم (١١) في مد « و »

شجرة الزقوم“ إلى قوله ” ذق انتك انت العزيز المكرم“ و التحم هذا كله التحاما يهر العقول ، ثم اتبع بذكر حال المتقين جريا على المطرد من شفع التريغيب و الترهيب ليين حال الفريقين و ينتج علم الواضح من الطريقين ، ثم قال لئيه صلى الله عليه و سلم ” فانما بستره بلسانك لعلهم يتذكرون“ و قد أخبره مع يان الامر و وضوحه أنه ” انما يتذكر ه من يخشى“ ثم قال ” فارتقب“ و عدك و وعيدهم ” انهم مرتقبون“ . و لما وصف ليلة إزال هذا القرآن بالبركة ، و أعلم أن من أعظم بركتها النذارة ، و كانت النذارة مع أنها آفرت من البشارة أمرا عظيما موجبا لفرقان ما بين المحاسن و المساوئ من الاعمال قائدة إلى كل خير بدليل أن اتباع ذوى البركة من العلماء ، و إذا تعارض عندهم أمر العالم ١٠ و الظالم ، قدموا أمر الظالم لما يخافون من نذارته ، و أهملوا أمر العالم و إن عظم الرجاء لبشارته ، قال معللا ببركتها بعد تعليل الإنزال فيها ، و معما لما يحصل فيها من بركات التفضيل : (فيها) أى الليلة المباركة سواء قلنا : إنها ليلة القدر أو ليلة النصف أصالة أو مآلا (يفرق) أى ينشر و بين و يفصل و يوضح مرة بعد مرة (كل امر حكيم) أى ١٥ يحكم الامر لا يستطيع أن يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب و غيرها و الارزاق و الآجال و النصر و الهزيمة و الخصب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينتهج (٢-٢) - سقط ما بين الرقنين من مد .
(٢-٣) من مد ، و فى الأصل : فرقة مع ، و فى ظ : فرقة من (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التفصيل .

والقحط وغيرها من جميع أقسام الحوادث وجزئيا في أوقاتها وأماكنها .
ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل
فيجدونه سواء فزدادون بذلك إيمانا . قال البغوي رحمه الله : قال ابن
عباس رضي الله عنهما : يكتب من أم الكتاب [في ليلة القدر - °]
ما هو كائن في السنة من الخير والشر ، والأرزاق والآجال ، قال :
وروى أبو الضحى عنه أن الله تعالى يقضى الأفضية في ليلة النصف من
شعبان فيسلها إلى أربابها^١ في ليلة القدر . وقال الكرماني : فيسلها
إلى أربابها^٢ وعملها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان .
ولما كان هذا مفهما لأمر لا حصر لها ، بين أنه لا كلمة عليه سبحانه

١٠ فيه ، ولا يتحدد عنده في وقت من الأوقات لشيء لم يكن قبل إلا تعليق
القدرة بالمقدّر على وفق الإرادة ، فقال مؤكداً لفخامة ما تضمنه وصفه
بأنه حكيم : (امرا) أي حال كون هذا كله مع انتشاره وعدم
انحصاره أمرا عظيما جدا واحدا لا تعدد فيه درناه في الأزل وقرناه
وأتقناه واختارناه لوجود في أوقاته بتقدير ، وبرز على ما له من

-
- (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : الأشياء (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : جريتها .
(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : قبلها (٤) راجع العالم بهامش الباب ١٢٠/٦ .
(٥) زيد من مد والعالم (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧ - ٧) من مد ،
وفي الأصل وظ : لما (٨) زيد في الأصل : ونحن قد ، ولم تكن الزيادة في
ظ ومد فحدها (٩ - ٩) من مد ، وفي الأصل وظ : اوقات بتقدير
امرا وبرز .

الإحكام في إحيائه في ' أقل من ٢ ' [ملح البصر ، ودل على أنه ليس مستغرقا لما تحت قدرته سبحانه بآيات الجار فقال : (من عندنا ٣) أى من العاديات و الخوارق و ما وراءها . و لما بين [حال - ٢] الفرقان الذى من جملة الإنذار ، علله بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار : (انا ٤) أى بما لنا من أوصاف الكمال و كمال العظمة (كنا ٥) أى أزلا وأبدا . (مرسلين ٦) أى لنا صفة الإرسال بالقدرة عليها في [كل - ٢] حين و الإرسال لمصالح العباد ، لا بد فيه من الفرقان بالبشارة و النذارة و غيرهما حتى لا يكون لبس ، فلا يكون لأحد على الله حجة ' بعد الرسل ' ، و هذا الكلام المنتظم و القول الملتحم بعضه ببعض ، المتراصف ' أجمل رصف في وصف ليلة الإنزال دال على أنه لم تنزل صحيفه ولا كتاب ' إلا ١٠ في هذه الليلة ، فبدل على أنها ليلة القدر للأحاديث الواردة في أن الكتب كلها نزلت فيها كما بينته في كتابي " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " و كذا قوله في سورة القدر " تنزل الملائكة و الروح فيها بأذن ربهم من كل امر " فان الوحي الذى [هو - ٢] يجمع ذلك هو روح الأمور الحكيمة ، و بين سبحانه حال الرسالات ١٥

- (١) من مد ، و في الأصل وظ : من (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من مد (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : بعض .
 (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : المراصف (٧) من مد ، و في الأصل و ظ :
 لم ينزل (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : كتابا (٩) في الأصل و ظ :
 الحكيمة ، و في مد : الحكيم .

بقوله : ﴿رحمة﴾ و عدل لأجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من أسلوب التكلم بالمعظمة 'من قوله' "منا" إلى قوله : ﴿من ربك﴾ أى المحسن 'إليك بارسالك و إرسال كل نبى مضى' من قبلك ، فان رسالاتهم كانت لبث الأنوار فى العباد ، و تمهيد الشرائع فى العباد ، حتى استنارت القلوب ، و اطمأنت النفوس ، بما صارت تعهد من شرع الشرائع و توطئة الأديان ، فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملأت أنوارك الآفاق ، فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق .

و لما كانت الرسالة لا بد فيها من السمع و العلم . قال : ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿السميع﴾ أى فهو الحى المريد ﴿العليم لا﴾ فهو القدير ١٠ البصير المتكلم ، يسمع ما يقوله رسله و ما يقال لهم ، و كل ما يمكن أن يسمع و إن كان بحيث لا يسمعه غيره من الكلام النفسى و غيره الذى هو بالنسبة إلى سمعنا كنسبة ما تسمعه من الكلام إلى سماع الأصم و سمعه ليس كأسماعتنا ، بل هو متعلق / بالمسموعات على ما هى عليه قبل وجودها كما أن عليه متعلق بالمعلومات كما هى قبل كونها .

١٥ و لما ذكر إزال الكتاب على تلك الحال العظيمة البركة لأجل الإرسال ، و بين أن معظم ثمرة الإرسال^١ الإنذار لما للرسول إليهم من أنفسهم

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقوله (٢) فى مد : المرسل (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسالته (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفريد (٦) زيد فى الأصل : الإزال و ثمرة الإزال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

من التوار^١، دل على ذلك من التدبير المحكم الذى اقتضته حكمة التربية فقال: ﴿ رب أى مالك^٢ ومنشئ^٣ ومدير^٤ (السنوات) أى جميع الأجرام العلوية^٥ (والارض) وما فيها^٦ (وما بينهما^٧) عما تشاهدون من هذا الفضاء، وما فيه من الهواء وغيره، مما تعلمون من اكتساب العباد، وغيرهما مما لا تعلمون، ومن المعلوم أنه ذو العرش والكرسى فلم ه بهذا أنه مالك الملك كله .

ولما كانوا مقرين بهذه الربوبية و ياتقون^٨ من وصفهم بانهم غير محققين لشيء يعترفون^٩ به، أشار إلى ما يلزمهم^{١٠} بهذا الإقرار إن كانوا [كما -^{١١}] يزعمون من التحقيق [فقال -^{١٢}]: (إن كنتم موقنين^{١٣}) أى إن كان لكم إيقان^{١٤} بأنه الخالق لما ركز^{١٥} في غرايزكم و جيلاتكم^{١٦} رسوخ العلم الصافي السالم عن شوائب الأكدار من حظوظ النفوس وعوائق^{١٧} العلائق، فأنتم تعلمون أنه لا بد لهذه الأجرام الكشيفة جدا المتعالى بعضها عن بعض بلا ممسك تشاهدونه مع تغير كل منها^{١٨} بأنواع الغير من رب، وأنه لا يكون وهى على [هذا -^{١٩}] النظام إلا وهو

- (١) كذا من مد، وفي الأصل وظ: التوارد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: مبدئى (٣) في ظ و مد: العالمة (٤ - ٥) سقط ما بين الرتين من ظ و مد (٥) من مد، وفي الأصل وظ: تابعون (٦) من مد، وفي الأصل وظ: يعرفونه (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: يكرمهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد من مد (١٠) سقط من مد (١١) في مد: ذكر (١٢) من مد، وفي الأصل وظ: عرائق (١٣) من مد، وفي الأصل وظ: منها .

كامل العلم شامل القدرة، مختار في تديره، حكيم في شأنه كله وجميع تقديره، وأنه لا يجوز في الحكمة أن يدع من فيها من العلماء العقلاء الذين هم خلاصة ما فيها هملاً ينفى بعضهم على بعض من غير رسول معلم بأمره. وأحكامه وزواجره. منه لهم على أنه ما خلق هذا الخلق هـ كله إلا لأجلهم، ليحذروا سطواته ويقيدوا بالشكر على "ما حاتم" به من أنواع هباته .

ولما ثبت بهذا النظر الصافي روبيته، وبدم^١ اختلال التدير على طول الزمان وحدانيته، وبدم الجرى على نظام واحد من كل وجه فعله بالاختيار وقدرته، صرح بذلك منبها لهم على أن النظر ١٠ الصحيح أنتج ذلك ولا بد فقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [أي - °] وإلا لتنازع في أمرهما أو بعضه منازع، أو أمكن أن ينازع فيكون محتاجا لاحالة، وإلا لدفع عنه من يمكن نزاعه له وخلافه إياه، فلا يكون صالحا للتدير والقهر لكل من يخالف رسله. والإجماع لكل من يوافقهم على مر الزمان وتناول الدهر ومد^٢ الحدثان على نظام مستمر، ١٥ وحال ثابت مستقر^٣ .

(١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد. وفي الأصل: يصدوا.
(٣-٣) من مد، وفي الأصل: من حياهم، وفي ظ: من حياهم - كذا.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: نزاعه (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: الإجماع (٨) في ظ ومد: مر (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: مستمر .

ولما ثبت أنه لا مدبر للوجود غيره، ثبت قوله تعالى: ﴿يحيي ويميت﴾^١
لأن ذلك من أجل ما فيهما من التدبير، وهو تنبيه على تمام دليل
الوحدانية لأنه لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير إليه، ويحال شيء
من الأمور عليه، فيها جملتان: الأولى نافية لما أئتموه من الشرك، والثانية
مثبتة لما نفوه من البعث.

٥

ولما ثبت أنه المختص بالإفاضة^٢ والسلب، وكان السلب / أدل على
القهر، ذكرهم ما له من ذلك في أنفسهم فقال سبحانه: ﴿ربكم﴾ أى
الذى أفاض عليكم ما تشاهدون من النعم فى الأرواح وغيرها
﴿ ورب آبائكم ﴾ ولما كانوا يشاهدون من ربوبيته لأقرب آبائهم ما
يشاهدون لأنفسهم، رقى^٣ نظرم إلى النهاية فقال: ﴿الاولين﴾ أى الذين^{١٢}
أفاض عليهم ما أفاض عليكم ثم سلهم ذلك كما تعلمون، فلم يقدر أحد
منهم على مناعة ولا طمع فى منازعة بنوع مدافعة.

ولما كان أكثرهم منكرا لما لزمه القطع به بهذا البرهان الزاهر^٤
والسلطان الظاهر^٥ القاهر عنادا ولدا وإن كان باطنه على غير ذلك،

(١) من مد، وفى الأصل وظ: التربة (٢) من مد، وفى الأصل وظ:
بالإضافة (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٤-٥) فى الأصل بياض ملاقاته
من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: يشاؤون (٦) من ظ ومد،
وفى الأصل: لا يرى (٧) من مد، وفى الأصل وظ: وفى (٨) من مد،
وفى الأصل وظ: الذى (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: الظاهر (١٠) من
ظ ومد، وفى الأصل: الباهر.

فكان^١ فعله فعل^٢ الشاك اللاعب ، كان التقدير لأجل ما يظهر
 [من حالهم - ٢] : لكنكم غير موقنين بعلم من العلوم ، بنى عليه قوله مع
 الصرف إلى الغيبة إعراضا عنهم^٣ إيدانا بالغضب ، و^٤ أنهم أهل^٥ للمعالجة
 بالعطب : (بل هم) أى بضارهم (فى شك) لأنهم لا يجرّدون أنفسهم
 من شوائب المكدرات لصفاء العلم ، ثم أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم
 أن الشاغل لهم عن هذا المهم حال الصبيان مع ادعائهم الكمال بأخلاق
 الاجلاء من^٦ الرجال [فقال - ٢] : (يلعبون) أى يفعلون دائما فعل
 التارك^٧ لما هو فيه من أجد الجذ الذى لامرية فيه إلى اللعب الذى
 لا فائدة فيه ولا ثمرة [له - ٢] بوجه بعد فعل الشاك بالإعراض وعدم
 الإسراع إلى التصديق والايقاض^٨ .

ولما كان هذا موضع أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم المفهوم
 من^٩ السياق : فماذا صنع فيهم بعد هذا البيان^{١٠} ، الذى لم يدع لبسا
 لإنسان^{١١} ؟ سبب عن ذلك قوله تسليّة له وتهديدا لهم : (فارتقب)
 أى انتظر^{١٢} بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لأحوالهم نظر من هو حارس
 (١) زيد فى الأصل و ظ : اصه ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢) فى
 الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى
 الأصل ولم تكن فى ظ و مد لحذفها (هـ - هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 ان هم اهلا (٦) زيد فى الأصل و ظ : اخلاق ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .
 (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : المشارك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 الا - كذا مع بياض بعده (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) من مد ،
 وفى الأصل و ظ : لالشان (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : انتظر .

لها، متحفظاً من مثلها بهمة كهمة الأسد الأرقب، والفعل متعد ولكنه
 قصر تهويلاً لذهاب الهم في مفعوله كل مذهب، ولعل المراد في
 الأصل ما يحصل من أسباب نصرك و موجبات خذلانهم
 ﴿يوم تاتي السماء﴾ أى فيما يخيل للمين لما يغشى البصر من شدة الجهد
 بالجوع إن كان المراد ما حصل [لهم - ١] من المجاعة الناشئة عن القحط ه
 الذى سببه قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم أغنى عليهم بسبع كسب
 يوسف " وروى فى الصحيح أن الرجل منهم كان يرى ما بين السماء
 و الأرض كهمة الدخان، و فى الواقع^٢ أن المراد-عند قرب الساعة
 وعقب قيامها، فانه ورد أنه يأتى إذ ذاك فيغشى الناس و يحصل
 للؤمن منه كهمة الزكام، و يجوز أن [يكون - ١] المراد 'عم' من ذلك ١٠
 كله و أوله وقت القحط [و كان آية على ما بعده، أو منه ما يأتى
 عند خروج الدخان من القحط - ١] الذى يحصل قبله^٣ أو غيره كما قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد: إني قد خبأت لك خبأ^٤ فاهو؟
 قال^٥: الدخ، ففسر بالدخان، فلذلك قال تعالى: ﴿بدخان مبين لا﴾
 أى واضح^٦ لا لبس^٧ فيه عند رائي^٨ ومبين^٩ لما سواه من الآيات للفظن ١٥

- (١) زيد من مد (٢) راجع ٧١٤/٢ (٣) من مد، وفى الأصل و ظ : المراقم.
 (٤) من مد، وفى الأصل و ظ : اعلم (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : ادله .
 (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، وفى الأصل و ظ : قوله (٨-٨) من
 مد، وفى الأصل و ظ : قال فاهو (٩-٩) من مد، وفى الأصل و ظ :
 ليس (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ : رايه (١١) من ظ و مد، وفى
 الأصل : يبين .

(يغشى الناس) أى المهديين بهذا . وهم الذين رضوا بحضيض

النوس / و الاضطراب عن أوج الثبات فى رتبة الصواب ، روى مسلم / ٧٣١

فى صحيحه^٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم

قال : بادروا بالأعمال ستا : الدجال و الدخان و دابة الأرض و طلوع

الشمس من مغربها و أمر العامة و خويصة أحدكم .

ولما كان من المعلوم أنهم يقولون عند إتيانه جريا على عادة جهلهم :

ما هذا ؟ أجيبوا بقوله تعالى حكاية 'عن لسان' الحل ، أو قول بعضهم

أو بعض أولياء الله : (هذا عذاب اليم^٥) يخلص وجعه إلى القلب فيبلغ

فى ألمه بما كنتم تؤلمون دعائكم إلى الله يرد مقولهم و الاستخفاف^٦ باغتراركم^٧

١٠ بكثرة العدد [و القوة -] و المدد .

ولما كان كأنه قيل : فما قالوا حين تحققوا ذلك ؟ قيل^٨ : قالوا^٩ و قد

احللت عرى تلك العزائم . و هت تلك القوى من كل [عازم -]^{١٠} ،

و سفلت^{١١} بعد العلو تلك الشوامخ من الهمم^{١٢} مدعين أنهم لغاية الإذعان

من أهل القرب و الرضوان : (ربنا) أى أيها المبدع لنا و المحسن

(١) زبدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحدثاها (٢) راجع

صحيحه ٤٠٦/٢ (٣) سقط من مد (٤ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لبيان .

(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاستحقاق (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :

باغتراركم (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : قال (٩) العبارة من

« حين تحققوا » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ :

شغلت (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهم .

إلينا ﴿ اكشف عنا العذاب ﴾ ثم عللوا^١ ذلك بما علموا أنه الموجب كشفه ، فقالوا مؤكدين لما لحاهم من المنافة لخبيرهم : ﴿ انا مؤمنون ٥ ﴾ أى عريقون فى وصف الإيمان واصلون إلى رتبة الإيقان ، وهذا يصح أن يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها ، روى الشيخان^٢ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة ٥ حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ، ثم قرأ الآية ، وإن [كان - ٢] المراد بالعذاب ما حصل 'من القحط' كان هذا الإيمان على سبيل الوعد .

ولما كان كشف الآيات وإظهار العذاب لا يفيد فى الدلالة على الحق أكثر مما أفاده الرسول صلى الله عليه وسلم بما أقامه من المعجزات ١٠ بل لإفادة الرسول أعظم ، أجيب من^٣ كأنه سأل عن حالهم عند ذلك بقوله معرضا عن خطابهم ، إني إذا بدوام مصابهم . لتلا يظن ظان أنه ما كشف عنهم العذاب إلا لظن أنهم صادقون : ﴿ انى ﴾ أى كيف ومن أين ﴿ لهم الذكرى ﴾ أى هذا التذكير العظيم الذى وصفوا به^٤ أنفسهم ﴿ وقد ﴾ أى والحال أنه^٥ قد ﴿ جاءهم ﴾ ما هو أعظم من ذلك بما ١٥

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : علل (٢) راجع صحيح البخارى تفسير سورة الأنعام وصحيح مسلم - أبواب الإيمان (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : بانقحط (٥) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لتذكر . (٧) من مد ، وفى الأصل : فيه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انهم .

لا يقايس ﴿رسول مبین لا﴾ أى ظاهر غايه الظهور أنه رسولنا ، و موضح
غايه الإيضاح لما جاء به عنا بما أظهر من الآيات ، و غير ذلك
من الدلالات .

و لما كان الإعراض عنه مع ما له من العظمة بالبيان استخفافا به
و بمن جاء من بعده ، أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال : ﴿ثم﴾ أى
بعد ما له من على الرتبة فى نفسه و بالإضافة إلى من أرسله . و لما كانت
الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على الحق ، نازعة إلى الانقطاع إلى الله
و العكوف بيباه ، و اللجوء إلى جنبه . إلا بجهد من النفس^٢ فى النفور^٣
و علاج دواعى الشور ، أشار^٤ إلى ذلك / بالتعبير بصيغة التفعّل فقال :
١٠ ﴿تولوا عنه﴾ أى أطاعوا ما دعاهم إلى الإدبار^٥ عنه من دواعى الهوى
و نوازع الشهوات و الحظوظ ﴿وقالوا﴾ أى زيادة على إساءتهم^٦
بالتولى : ﴿معلم﴾ أى علمه غيره من البشر ﴿مجنون﴾ فلم^٧ يبالوا
بالتناقض بين الأمر ، و هذا يدل على أن من لا يبال بعرضه و لحياته
له لا طيب لدائه لأنه لا وجود لدوائه ، و أنه إذا مس بما يلبينه و يرده
١٥ و يهينه لا يؤمن [من -^٨] رجوعه إلى الحال^٩ السئى عند^{١٠} كشف ذلك

/ ٧٣٢

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : على (٢) زيد فى الأصل و ظ : الحق ،
و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها (م-م) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالنفور -
كذا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : إشارة (هـ) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الإباء (٦) زيد فى الأصل و ظ : بالقول ، و لم تكن الزيادة فى مد
لحذفها (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : و لم (٨) زيد من مد (٩-٩) من
مد ، وفى الأصل و ظ : السئى عنه .

الضرر عنه .

ولما لفت سبحانه الخطاب عنهم إهانة لهم، بين أن سببه أن دامم
عضال، فليس له أبدا زوال، فقال مؤكدا لاستبعاد زوال إمام فيه :
(انا) أى على ما لنا من العقلة 'بالعلم المحيط' وغيره (كاشفوا العذاب)
[أى - ٢] عنكم بدعاء رسولكم صلى الله عليه وسلم فى القول بأن ه
الدخان ما كانوا يرونه بسبب الجوع من القحط (قليلًا) إقامة للحجة
عليكم لاختفاء ما فى ضمائرهم علينا . ولما كانوا قد أكدوا الإخبار
بأيمانهم ، وهو باطل ، أكد سبحانه الإخبار بكذبهم ، ومن أصدق
منه سبحانه قليلًا، فقال تحقيقا لقوله تعالى " ولوردوا لعادوا لما نهوا
عنه " و "انهم لكاذبون" : (انكم عائدون^٢) أى ثابت عودكم بعد ١٠
كشفنا عنكم فى ذلك الزمن القصير إلى الكفران وإن أكدت حصول
الإيمان [بأكيد الإيمان - ٢] لما فى جبلانكم من العوج ولطباعكم من
المبادرة إلى الزلل ، فأيمانكم هذا الذى أخبرتم برسوخه عرض زائل وخيال
باطل ، وإن كان هذا فى آخر الزمان فلا بدع أن يكون الخطاب لهم
على حقيقته بملك أو غيره ممن يرده الله تعالى لأن ذلك زمان خرق ١٥
العادات ونقض المطردات إقامة للحجة عليهم وله الحجة البالغة ، وتأديا

(١-١) من مد ، وفى الأصل ؛ وظ : بالمحيط (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
وفى الأصل وظ : سبب (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان وا - كذا .
(٥) فى مد : بكذبهم بأيمانهم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : قليلًا (٧) من
ظ و مد والقرآن ، وفى الأصل : لعائدون .

لنا وتعلما .

ولما كان اليوم قد يراد به الزمن المجتمع في حكم من الأحكام ،
 وكان زمان الدخان [إن - ١] كان المراد به القحط الذي كان قبل
 يوم بدر أو^١ ما يقرب من الساعة يسمى^٢ يوما واحدا لاتحاد ذلك الحكم ،
 ه أدل من " يوم الدخان " قوله تهديدا بشق الأكباد : (يوم نطش)
 أى بما لنا من العظمة ، و البطش : الأخذ بقوة^٣ (البطشة الكبرى : ج)
 [أى - ٥] التي يتجمل لها عراهم^٤ وتختل بها^٥ عزائمهم و قوامهم ، ولا يتجملها
 حقائقهم ولا منامهم ، سواء كانت البطشة يوم بدر أو غيره فيخسر^٦ هنالك
 من كشف حال الابتلاء عن طغيانه ، وتمرده على ربه و عصيانه ، ويجوز
 ١٠ أن يكون هذا ظرفا لعائدون . ولما كان ماله سبحانه من الحلم وطول
 الإمهال موجبا لأهل البلادة والغلظة الشك في وعيده ، قال مؤكدا :
 (أنا منتقمون ه) أى ذلك صفة ثابتة لم نزل نفعلها بأعدائنا لنسر أضدادهم
 من أولياتنا .

ولما كان التقدير : فلقد فتناهم بارسائك إليهم ليكشف ذلك لمن

١٥ / ٧٣٣ لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه عما / نعلمه في الأزل ، وفيما لا يزال^٧ ولم يزل ،

- (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ و « و » (٣) من ظ و مد ،
 وفي لأصل : سيجي - كذا (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : بالقوة .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس في ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 فيسر (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : فعله (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 لا نزل .

من بواطن أمورهم ، فتقوم الحجة على من خالفنا على مقتضى عادائكم ،
عطف عليه عذرا لقريش ومسلما للنبي صلى الله عليه وسلم قوله :
(ولقد فتنا) أى فعلنا على ما لنا من العظمة فعل القاتن وهو المختبر^١
الذى يريد أن يعلم حقيقة الشيء بالإملاء والتمكين ثم الإرسال^٢ .

ولما كان من المعلوم أن قوم فرعون لم يستغرقوا الزمان ولا كانوا
أقرب الناس زمانا إلى قريش ، نزع الجار قبل الظرف لعدم الإلباس
أو أنه عظم فتنتهم لما كان لهم من العظمة والمكنة ، فجعلها لذلك كأياها
مستغرة لجميع الزمان فقال : (قبلهم) أى قبل هؤلاء العرب ليكون
ما مضى من خبرهم عبرة لهم وعظه .

ولما كان فرعون من أقوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من
الجنود والأموال والمكنة ، "وكان" الرسول الذى أتاه قد جمع له -
صلى الله عليه وسلم - " الآيات التى اشتملت على التصرف فى العناصر
الأربعة . فكان " فيها الماء والتراب والنار والهواء ، وكانوا إذا أتتهم
الآية قالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون .

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : عوايدكم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
المخبر (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالارسال (٤) من مد ، وفى الأصل
و ظ : نظرا الى (هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ : فكان (٦) زيد فى الأصل
و ظ : علم ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ :
فكانوا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا .

فاذا^١ كشف عنهم ذلك عادوا^٢ إلى ما كانوا عليه كما أحبر تعالى
 عن هؤلاء عند مجيء الدخان - إلى [غير -^٣] ذلك مما شابههم فيه
 من الأسرار^٤ التي كشفها هذا المضمار ، و كان آخر ذلك أن^٥ أملكهم
 أجمعين ، فكانوا أجلى مثل لقوله تعالى في التي قلبها " فاهلكنا اشد
 منهم بطشا " خصهم بالذكر من [بين -^٦] المفتونين قبل فقال :
 ﴿ قوم فرعون ﴾ أى مع فرعون لأن ما كان فتنة لقومه كان فتنة له^٧
 لأن الكبير أرسخ في الفتنة بما أحاط^٨ به من الدنيا . و سيأتى التصريح
 به في آخر القصة ﴿ و جاءهم ﴾ أى المضافين و انضاف إليه^٩ في
 [زيادة -^{١٠}] فتنهم ﴿ رسول كريم ﴾ أى يعلنون شرفه سببا و أحلاقا
 ١٠ و أفعالا ، ثم زاد بيان كرمه بما " يظهر الله " به من العناية بما أيده به
 من المعجزات .

ولما أخرج بمجيئه إليهم بالرسالة التي لا تكون إلا بالقول ، فسر ما
 بلعهم منها بقوله : ﴿ ان ادوآ ﴾ أى أوصلوا مع البشر . طيب النفس ،
 و أبرز ذلك في صيغة الأمر الذى لا يسوغ مخالفته و لما كان بين
 ١٥ موسى عليه الصلاة والسلام وبين تصرفه في قومه حائل كثيف من

(١) من مد ، و فى الأصل وظ : فلما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عادوا .
 (٣) زيد من مد (٤) فى مد : الاشرار (٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ
 و مد (٧) فى مد : لهم (٨) فى مد : احاطه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 الدين (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليهم (١١-١٢) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : أظهر الله .

ظلم فرعون وقومه ، أشار [إليه - '] بحرف الغاية ^٢ فقال : ﴿ الى ﴾
ونبهه على أنه لا حكم له عليهم بقوله . ﴿ عباد الله ^٣ ﴾ أى بنى إسرائيل
الذين استعبدتموم ظلما وليست ^٤ عليهم عبودية ^٥ إلا للذى أظهر في
أمرهم صفات جلاله وجماله بما صنع مع آبائهم إبراهيم عليه الصلاة
والسلام ومن بعده وما سيظهر عمارونه وما ^٦ يكون بعدكم .

ولما كان لهم به من النفع إن تبعوا ما جاءهم به والضر إن رددوه
ما ليس لغيرهم . وكان لا يقتدر على تأدية بنى إسرائيل إليه من أهل
الأرض غيرهم لاحتوائهم ^٧ عليهم . كان تقديم الجار في أحكم مواضعه
فلذلك ^٨ قال مؤكدا لإنكارهم لرسالة عليه الصلاة والسلام : ﴿ رأى لكم ﴾
أى خاصة بسبب ذلك ﴿ رسول ﴾ أى [من - '] عند من لا تكون ^٩
الرسالة الكاملة إلا منه . ولما كان الإنسان لا يأتمن على السياسة إلا ثقة
كافيا ، قال واصفا لعمه [بما - '] يزيل عذرهم ويقيم الحجة عليهم :
﴿ امين لا ﴾ أى بالغ الأمانة لأن الملك الديان لا يرسل إلا من
كان كذلك .

ولما كان استعباده ^{١٠} عبد الغير بغير حق في صورة العلو على مالك ^{١١}

العبد قال : ﴿ وان لا تعولوا ﴾ أى تفعلوا باستعبادكم لبنى إسرائيل بنى الله

(١) زيد من مد (٢) فى الأصول بياض (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ :
ليس (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عبودته (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : لا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : تاويه (٧) من مد ، وفى الأصل
و ظ : فكذلك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسعار .

ابن خليل الله فعل العالى ﴿ على الله ع ﴾ الذى له مجامع العظمة و معاهد العزة بنفوذ الكلمة و جميع أوصاف الكمال فانكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته و دمركم بعظمته .

و لما كان علو من يتصرف ^٢ فى العبد ^٢ على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت ^٢ أنه ملكه و أنه لا يجب التصرف فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل [أن - ^٤] ما أتى به بصدده أن ينكروه * لأن النزوع عما استقر فى النفس و مضى عليه الإلف ^١ بعيد : ﴿ ائى اتيكم ﴾ و هو يصح أن يكون اسم فاعل و- أن يكون فعلا مضارعا . و لما كان فعلهم فعل العالى على السلطان ، قال : ﴿ بسلطن ﴾ أى أمر باهر قاهر من ١٠ عند مالكلهم ، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من

هو بأمره ^٥ ﴿ مين ع ﴾ أى واضح فى نفسه سلطنته و مظهر لغيره ذلك . و لما كان من العجائب أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج قارا ^٦ منهم ثم يأتى إليهم لاسيما إتيانا يقاهرهم فيه فى أمر عظيم من غير أن يقع بينهم و بينه ما يحو ما تقدم منه ، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال ١٥ آية أخرى دالة على السلطان ، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه فى قبضتهم : ﴿ و ائى عذت ﴾ أى اعتصمت و امتنعت ﴿ ربى ﴾ الذى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقاعد (٢-٣) من مد و و فى الأصل و ظ : بالبعد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبوته (٥) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينكروه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاتف (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يامر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قارا .

رباني على ما اقتضاء لطفه بي' وإحسانه إليّ ﴿ وروبكم ﴾ الذي أعادني
من قتلكم' لي بكم علي' ما دعت إليه حكمته من جبروتكم وتكبركم
وقوة مكنتكم ﴿ ان ترجون ذى ﴾ أى أن' يتجدد' في وقت من الاوقات
قتل منكم لي . ما أتيتكم حتى توقفت من ربي في ذلك ، فاني قلت' "إني
اخاف ان يقتلون" فقال "سنشد عضدك باخيك ونجعل لك سلطانا ه
فلا يصلون اليك بايننا" فهو من أعظم آياتي أن لاتصلوا' على قوتكم'
و كثرتم إلى قتل مع أنه لا قوة لي بغير الله الذي أرسلني .

ولما كان التقدير : فان آمنتم بذلك وسلمتم لي أفلحتم ، عطف
عليه قوله : ﴿ وان لم تؤمنوا لي ﴾ أى تصدقوا لاجلي ما أخبرتم به
﴿ فاعتزلونه ﴾ أى : إن لم تعزلوني هلكتم ، ولا تقدرون' على قتل ١٠
بوجه و أنا واحد من تسومونهم' سوء العذاب . وما قتلتم أبناءهم
إلا من أجل ، فرباني على كف من ضاقت عليه الارض بسبي وسفك
الدماء في' شأنى ، ومنعه الله / من أن يصل "إلى" منه" سوء قبل أن
٧٣٥ /

- (١) من مد ، وفي الأصل و ظ : به (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : قبلكم .
(٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد في الأصل : منكم ، ولم تكن
الزيادة في ظ ومد لحذفها (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : علمت .
(٧) زيد في الأصل : اتبوا من اتبعكم ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها .
(٨-٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : بقوتكم (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل :
لاتقدروا (١٠) من مد ، وفي الأصل : ظ : تسومونه (١١) من ظ ومد ،
وفي الأصل : من (١٢-١٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : منه إلى .

أعوذ به ، فكيف به بعد أن أرسلني و عدت به فأعاذني ، واستجرت
به فأجاري .

ولما كان التقدير : لم يؤمنوا به ولا لأجله ولم يعزلوه ، بل بغوا
له الغوائل و راموا أن يواقعوا به الدواهي والقواصم ، فلم يقدروا
ه على ذلك و آذوا قومه و طال البلاء . سبب عنه قوله : (فدعاه به)
الذي أحسن إليه و ضمن له سياسته و سياسته قومه . ثم فر ما دعا به
بقوله : (إن أهولاء) [أي - ٢] الحفيرون الأراذل الذليلون (قوم)
أي لهم قوة على القيام بما يحاولونه (مجرمون) أي عريقون في قطع
ما أمرت به أن يوصل ، و ذلك متضمن وصل ما أمرت به أن يقطع ،
فكان المعنى : فدعا بهذا المعنى ، و لذلك أتى "إن" الدالة على المصدرية .
ولما كان ممن يستجيب دعاءه و يكرم نداءه ، سبب عن ذلك قوله :

(فامر) أي فقلنا له : سر عامة الليل - هذا على قراءة المدنيين و ابن
كثير بوصل الحمزة . و على قراءة غيرهم بالقطع المعنى : أوقع السرى " وهو
السير عامة الليل (بعبادى) الذين هم أهل لإصلافتهم إلى جنابي ، قومك
١٥ الذين أرسلناك لإسعادهم باستنقاذهم من يظلمهم و تفرغهم لعبادتي

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : نقوا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من
ظ و مد (٤) في مد : فيا (٥) في مد : موصوفون بالعراقة (٦) من مد ، و في
الأصل و ظ : امر (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٨) من مد ، و في
الأصل و ظ : قلنا (٩) راجع نثر المرجان ٤٧٦/١٠ (١٠) من ظ و مد ، و في
الأصل : المنع (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : في السير .

'لا لعبادة غيري' .

ولما كان سبحانه قد تقدم إلى بني إسرائيل في أن يكونوا
متهيئين في الليلة التي أمر بالسرى فيها بحيث لا يكون لأحد منهم عاقبة
أصلاً كما تقدم بيانه في الاعراف عن التوراة، بين تأكيد ذلك بقوله :
(ليلاً) فصار تأكيداً بغير اللفظ، وإنما أمره بالسير في الليل لأنه
أوقع بالقبض موت الأبرار ليلاً، فأمر فرعون موسى عليه الصلاة
والسلام أن يخرج بقومه في ذلك خوفاً من أن يموت القبط .

ولما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى أن يطلع الفجر يرتفع
عنه الموت، منعهم الخروج، وإن تأخروا إلى آخر الليل أدركهم
قبل الوصول إلى البحر فيقتلهم، علل هذا الأمر [بقوله - ١٠] مؤكداً
له لأن حال القبط عندما أمرهم بالخروج كان حال من لا يصدق
له ترجع في قوله : (انكم متبعون لا) أي مطلوبون بغاية الشهوة
والجهد من عدوكم، فلا يفرنكم ما هم فيه عند أسرهم بالخروج من الجزع
من إقامتهم بين أظهرهم وسؤالهم لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع
الموت الفاشي فيهم، فإن القلوب بيد الله، فهو يقسى قلب فرعون ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ :
يقدم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : كذلك (٤ - ٤) في مد : مطم .
(٥) من مد، وفي الأصل و ظ : ففهم (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ
و مد . وفي الأصل : لهم لا (٨) زيد في الأصل و ظ : حالم، ولم تكن الزيادة
في مد لحذفها (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : مرجع (١٠ - ١٠) من مد،
وفي الأصل و ظ : باقمتكم (١١) من مد، وفي الأصل و ظ : النامى .

بعد رؤية هذه الآيات حين يرتفع عنهم الموت و يفرغون من دفن مواعم فيطلبكم لما دبرته في القدم من سياستكم باغراقهم أجمعين ليظهر مجدى بذلك و أدفع 'عنكم روع' مدافعتهم فاني أعلم أنه لا قوة لكم ولا طاقه بهم، فلم أكلفكم لمباشرة شيء من أمرهم .

٥ ولما أمره بالإسراء وعلله ، أمره بما يفعل فيه وعلله فقال :
 ﴿واترك البحر﴾ / أى إذا أسريت بهم و تبعك العدو ووصلت إليه
 و أمرناك بضربه لينفتح لتدخلوا [فيه -] فدخلتم و نجوتم ﴿ رهوا ﴾
 بعد خروجكم منه بأجمعكم أى متفرجا واسعا ساكنا بحيث يكون المرتفع
 من مائه مرتفعا و المنخفض منخفضا كالجدار ، و طريقه الذى سرتم به
 ١٠ يابسا ذاسير سبل على الحالة التى دخلتم فيها ليدخل فيه عدوكم فيمجد
 باغراقهم كما وعدناكم ، وقال البغوى : راهيا أى 'ذا رهوا' فسمى
 بالصدر - وعزاه إلى مقاتل - انتهى . ولما كانت هذه أسبابا لدخول
 آل فرعون فيه ، علل بما يكون عنها تسكينا لقلوبهم في ترك البحر طريقا
 مفتوحا يدخله العدو . فقال مؤكدا لاجل استبعاد بنى إسرائيل مضمون
 ١٥ الخبر لأنه ' من خوارق العادات مع ما لفرعون وآله في قلوبهم من

(١) في مد : ارتفع (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : ردع (٣) زيد في الأصل
 لكم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) من مد ، وفي الأصل وظ :
 سريت (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفي الأصل وظ : نجيتم (٧-٧) من
 مد ، وفي الأصل وظ : بالليل - كذا (٨) راجع معالم التنزيل بهامش
 القباب ١٢٢/٩ (٩-٩) من مد ، وفي الأصل وظ : اذا رهوا (١٠) في مد ولان .

الهيئة الموجبة لأن يستبعدوا معها عمومهم بالإهلاك : ﴿ انهم جند معرقون ه ﴾
 أى متمكنون فى [هذا - '] الوصف وإن كان لهم وصف القوة
 و التجمع الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الأمور .

ولما أرشد السياق ولا بد إلى تقدير : فأمرى موسى بعباد الله كما
 أمره ' الله فتبعهم آل فرعون كما أخبر سبحانه ، ففتح الله البحر يابره ه
 قدرته وأمسك مائه كالجدران ' بقاهر عظمتهم وتركه بعد طلوعهم منه
 على حاله فتبعهم عباد الشيطان ' بما فاض عليهم من شقاوته فأغرقهم
 الله بعزته لم يفلت منهم أحد . غير سبحانه عن هذا كله بقوله على
 طريق الاستئناف : ﴿ كم تركوا ﴾ أى الذين سبق الحكم باغراقهم ففرقوا
 ﴿ من جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الأرض ١٠
 وكثرة الأشجار وزكاه ' الثمار والنبات وحسنها الذى يسر المهموم ولا يستر
 المهموم ، ودل على كرم الأرض [بقوله - '] : ﴿ و عيون لا وزروع ﴾
 أى بما هو دون الأشجار . ولما كان ذلك لا يكمل إلا بمنازل ومناظر
 فى الجنان ' وغيرها فقال : ﴿ ومقام كريم لا ﴾ أى مجلس شريف هو
 أهل لأن يقيم ' الإنسان فيه ، لأن النهاية فيما برضيه . ١٥

- (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : امر (٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : كالجددان (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : السلطان (هـ) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : ذكاه (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .
 (٧) فى مد : الجنات (٨) فى مد : يقوم .

و لما كان ذلك قد يكون بتعب صاحبه^١ فيه، دل على أنه كان
بكدر غيرهم وهم في غاية الترف، وهذا هو الذي حملهم على اتباع
من كان يكفيهم^٢ ذلك حتى أدام إلى الغرق قال: ﴿ و نعمة ﴾ هي
بفتح النون اسم للتنعم بمعنى الترفه والعيش اللين الرغد. وأما التي بالكسر
فهى الإنعام ﴿ كانوا فيها ﴾ أى دائماً ﴿ فكهي لا ﴾ أى فعلهم في عيشهم
فعل المتره لا فعل من يضطر إلى إقامة نفسه .

و لما كان هذا أمراً عظيماً لا يكاد يصدق أن يكون لأحد، دل
على عظمته^٣ وحصوله لهم بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما أخبرنا به
من نعيمهم^٤ وإخراجهم وإغراقهم وأنهم تركوا جميع ما كانوا فيه
لم يعن^٥ عنهم شيء منه، فلا يقرن^٦ أحد^٧ بما ابتليناه به من النعم لئلا
يصنع به من الإهلاك ما صنعنا بهم . ولما أنهم سوق الكلام هكذا
إغراقهم كلهم، زاده إيضاحاً بالتعبير بالإرث الذى^٨ حقيقة الأخذ عن
الميت^٩ أخذاً لا منازع فيه فقال عاطفاً على ما تقدم تقديره بعد اسم
الإشارة: ﴿ وارثها ﴾ أى تلك الأمور العظيمة ﴿ قوما ﴾ أى ناساً

- (١) من مد، وفى الأصل وظ: انسان (٢) من مد، وفى الأصل وظ:
يكمهم (٣) زيد فى الأصل بعده: فيه، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها .
(٤) من مد، وفى الأصل وظ: نعيمهم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل:
لن ينفى (٦) من مد، وفى الأصل وظ: فلا يقر (٧) زيد فى الأصل: منهم،
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٨) زيد فى الأصل وظ: هو، ولم تكن
الزيادة فى مد لحذفها (٩) من مد، وفى الأصل وظ: ميت .

ذوى قوة فى القيام على ما يحاولونه . و حقق أنهم غيرهم تحقبا
 لإغراقهم بقوله : ('آخرين هـ) قال ابن برجان : و قال فى سورة الظلة :
 "وعيون وكنوز" مكان "و زروع" لما كان الممهود من الزرع الحصد
 فى أرب المدة أورث زروعها و جنتها و ما فيها من مقام كريم قوما
 ليسوا بآل فرعون فانهم أهلكوا و لا بنى إسرائيل فانهم قد عبروا البحر ، هـ
 و لما توطد^١ ملكهم فى الأرض المقدسة اتصل بمصر ، فورثوا الأرض
 بكنوزها و أموالها و نعمتها و مقامها الكريم - انتهى .

و لما كان الإهلاك يوجب أسفا على المهلكين و لو من بعض
 الناس و لاسيما إذا كانوا جمعا^٢ فكيف إذا كانوا أهل عدا^٣ و لاسيما
 إذا كانوا فى نهاية الرئاسة . أخبر بأنهم^٤ كانوا لهوانهم عنده^٥ سبحانه ١٠
 و تعالى على خلاف ذلك ، فسبب عما مضى قوله : (فما بكيت عليهم)
 استعارة لعدم الاكتراث^٦ بهم لهوانهم^٧ (فى السماء و الأرض) و إذا
 لم يك السكن فما ظلك بالسكن الذى هو بعضه ، روى أبو يعلى فى مسنده
 و الترمذى^٨ فى جامعه - و قال : عريب و الربذى^٩ و الرقاشى^{١٠} يضعفان

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 توطن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميعا (٤) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ،
 و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد : انهم (٦) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : عندهم (٧-٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهوانهم (٨) راجع جامعه
 ١٥٨ / ٢ (٩) من التهذيب ، و فى الأصل : الزيدى ، و هو موسى بن عبيدة
 (١٠) هو يزيد بن أبان .

في الحديث - عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ما من مسلم إلا وله في السماء بابان ، باب يصعد منه عمله و باب
ينزل منه رزقه فإذا مات بنكيا عليه ، تلا هذه الآية ، وقال على^١
رضى الله عنه : إن المؤمن إذا مات بكى^٢ مصلاه من الأرض و مصعد
ه عمله من السماء .

ولما جرت العادة بأن العذر قد يستعمله عدوه في بعض الأوقات
لمثل وصية و قضاء حاجة فيمهل^٣ ، أخبر تلميذا لعدم الاكتراث بهم أنهم
كانوا دون ذلك فقال : (و ما كانوا) و لما كان هذا لكونه^٤ خيرا
عنهم بعد مضيهم المقصود منه تحذير^٥ من بعدهم فقط ، لم يذكر التقييد
١٠ . بذلك الوقت بإذن^٦ و نحوها دلالة على أن ما كانوا فيه من طويل
الإمهال^٧ كان كأنه^٨ لم يكن لعظم^٩ هذا الأخذ بخلاف ما مر في الحجر
من التخويف من إزال الملائكة عليهم ، فان [تقييد -^{١٠}] عدم الإنظار
بذلك الوقت لرد^{١١} السامعين عن طلب إزاهم فقال تعالى : (. نظرين ع)
أى بمهلين عما أنزلنا بهم من المصيبة^{١٢} من مهمل [ما -^{١٣}] لحظه فا

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٣١ (٢) ليس في ظ و مد (٣) من
ظ و مد ، وفي الأصل : الكون (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : يحذر .
(٥-هـ) من ظ و مد ، وفي الأصل : لوقت بإذن (٦-٦) من ظ و مد ، وفي
الأصل : كأنه كان (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : لعظيم (٨) زيد من ظ
و مد (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : كرر (١٠) من ظ و مد ، وفي
الأصل : العصية .

فوقها ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه و ينظروا في شيء مما يهمهم بل
كان أخذهم لسهولته علينا في أسرع من اللح ، لم يقدروا على 'دفاع ،
فناهم^١ عذاب الدنيا و صاروا^٢ إلى عذاب^٣ الآخرة فحسروا الدارين
و ما ضروا غير أنفسهم^٤ .

و لما / كان إنقاذ بني إسرائيل من القبط أمرا^٥ باهرا لا يسكاد ه / ٧٣٨
يصدق فضلا عن أن يكون باهلا ك أعدائهم ، أكد^٦ سبحانه الإخبار
بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيها على أنه قادر أن يفعل بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم^٧ وأتباعه كذلك وإن^٨ كانت قريش^٩ يرون
ذلك محالا وأنهم في قبضتهم^{١٠} فقال : ﴿ ولقد نجينا ﴾ [أمي -] عما
لنا من العظمة " تنجية عظيمة " مع كونها بسبب الآيات المتفرقات كانت ١٠
على التدرج ﴿ نبي إسرائيل ﴾ عبدنا المخلص لنا ﴿ من العذاب المهين ﴾ لا
بسبب أنهم كانوا عندهم في عداد العبيد يستخدمون الرجال و النساء بل
أذل للزيادة على التصرف في العبيد بالتذريح^{١١} للأبناء .

(١-١) من مد ، و في الأصل و ظ : دفاعه ما لهم (٢-٢) من مد ، و في الأصل
و ظ : في عتاب (٣) زيد في الأصل : فقط ، ولم تمكن الزيادة في ظ و مد
لحذفها (٤) زيد في الأصل : ظاهرا . ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .
(٥) في الأصل بياض ملائمة من ظ و مد (٦) زيد في الأصل : هو ، ولم تكن
الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : فان (٨) من
مد ، و في الأصل و ظ : قريشا (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : قبضته .
(١٠) زيد من مد (١١-١١) سقط ما بين الرتين من مد (١٢) من مد ، و في
الأصل و ظ : بالتدرج .

ولما تشوف السامع إلى صاحب ذلك العذاب قال مبدلاً عما قبله
 إنيهما لأن فرعون نفسه كان عذاباً لإفراطه في أذامه^١ : (من فرعون^٢)
 ثم علل ذلك بما يعرف منه صحة الوصف للعذاب فقال مؤكداً لأن
 حال قريش في استدلال المؤمنين حال من يكذب^٣ بأن الله أنجى به
 إسرائيل على ضعفهم فهو ينجي غيرهم من الضعفاء أو يكذب بأن فرعون
 كان قوياً (انه كان عالياً) في جبلته العراقة في العلو (من المسرفين^٤)
 أي العريقين في مجاوزة الحدود^٥ .

ولما كانت قريش تفتخر بطواهر^٦ الأمور من الزينة والغرور
 ويعدونه تعظيماً من الله ويعدون ضعف الحال في الدنيا شقاء^٧ وبعداً
 ١٠ من الله، رد عليهم قولهم بما آتى نبي إسرائيل على ما كانوا فيه من
 الضعف و"سوء الحال" بعد إهلاك آل فرعون بعذاب الاستئصال،
 فقال مؤكداً لاستبعاد قريش أن يختار من قل^٨ حظله من الدنيا:
 (ولقد اخترتهم) أي فعلنا بما لنا من العظمة في جعلنا لهم "خياراً"
 فعل من اجتهد في ذلك، وعظم أمرهم بقوله بأننا على ما تقديره: اختياراً

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : انهم (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 تكذيب (٣-٤) من مد ، وفي الأصل : المجاوزين في الحدود حد التجاوز ،
 وفي ظ : المجاوزين في الحدود (٤) ومن هنا استأنفت نسخة م (٥) من م
 ومد ، وفي الأصل و ظ : بظاهر (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : مقتا .
 (٧-٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ما سوء (٨) من ظ و م ومد ، وفي
 الأصل : اهلاكم اي (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : قلة (١٠) من
 م ومد ، وفي الأصل و ظ : في (١٠) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : هم .

مستعلياً

(٨)

مستعليا (على علم) أى منا بما يكون منهم من خير و شر ، وقد
ظهر من آثاره أنكم صرتم تسألونهم و أنتم صريح ولد إسماعيل عليه
الصلاة و السلام عما ينوبكم و تجعلونهم قدوتكم فيما يصيكم و تضرّبون
إليهم أكباد الإبل ، و هكذا يصير عن قليل كل من اتبع رسولكم
صلى الله عليه و سلم منكم و من غيركم . و لما بين ' المفضل ، بين المفضل ٥
عليه فقال : (على العلمين ع) أى الموجودين فى زمانهم بما أنزلنا عليهم
من الكتب و أرسلنا إليهم من الرسل .

و لما أعلم باختيارهم ، بين آثار الاختيار فقال : (و انيّنهم) أى
على ما لنا من العظمة (من الآيت) أى العلامات الدالة على عظمتنا
و اختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه الصلاة و السلام فرعون ١٠
إلى أن فارقه بالوفاة و بعد وفاته على أيدي الانبياء المقرين لشرعه
عليهم الصلاة و السلام (ما فيه بلّوا) / أى اختبار مثله يميل من ينظره
أو يسمعه أو يحمله إلى غير ما كان عليه ، و ذلك بفرق البحر و تظليل
الغمام و إزال المن و السلوى و غير ذلك بما رآه من الآيات التسع ،
و فى هذا ما هو رادع^١ للعرب عن بعض أقوالهم من خوف التخطف ١٥

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٢) زيد فى الأصل : حال ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٣) زيد فى الأصل : لعنه الله ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : كانوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طلبوه (٦) من م و مد ،
و فى الأصل و ظ : ردع .

من العرب^١ والفقير لقطع الجلب عنهم وغير ذلك (مبين ه) أى بين نفسه موضع لغيره، و^٢ ما أنسب هذا الحتم لقوله أول قصتهم "ولقد قتنا قبلهم قوم فرعون".

ولما ثبت بما مضى أنه سبحانه متصف بالإحياء والإماتة، وكان
 ٥ إنكار ذلك عنادا لا يستطيع أحد^٣ يثبت الإله أن ينكره، وكان الإقرار بذلك فى بعض وإنكاره^٤ فى بعض^٥ تحكما ومغالفا لحاكم العقل و صارم النقل، وكان من الآيات التى أوتوها إحيائهم بعد إماتتهم حين طلبوا الرؤية فأخذتهم الصاعقة، وحين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكان ذلك هو البعث بعينه، وكان العرب ينكرونه ويبالغون
 ١٠ فى إنكارهم [له - °] ولا يسألونهم عنه، قال موجها لهم مشيرا بالتأكيد إلى أنه لا يكاد يصدق أن أحدا ينكر ذلك لما له من الأدلة: (ان) وحقرم بقوله: (هؤلاء) أى الآدنياء الأقلاء الأذلاء (ليقولون لا) أى بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالفين فى الإنكار فى نظير تأكيد الإثبات: (ان) أى ما. ولما كان قد تقدم قوله تعالى "يحيى ويميت"
 ١٥ وهم يعلمون أن المراد به أنه يتكرر منه الإحياء للشخص الواحد،
 (١) من م ومد، وفى الأصل وظ: القرب (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٣) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لخدفاها (٤ - ٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: لبعض (ه) من م ومد، وفى الأصل وظ ومخالف (ه) زيد من م ومد.

وكان تعالى قد قال ولا يخاطبهم إلا بما يعرفونه " وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " أى بالانتشار^١ بعد الحياة [و-^٢]
قال " امتنا اثنتان واحيتنا اثنتين " قالوا: ما (هى الاموتنا) على
حذف مضاف أى ما الحياة إلا حياة موتنا (الاولى) أى التى كانت
قبل فسخ الروح - كما سيأتى فى الجائنة " [ان هى -^٣] إلا 'حياتنا الدنيا' هـ
و'عبروا عنها بالموت' إشارة إلى أن الحياة فى جنب الموت المؤبد على
زعمهم أمر متلاش لانسبه لها منه، وساق سبحانه كلامهم على هذا
الوجه^٤ إشارة إلى أن الأمور [إذا قيس-^٥] غائبها على شاهدها،
كان الإحياء بعد الموت [الثانية أولى لكونه بعد حياة من الإحياء بعد
الموت -^٦] الأولى، فخط^٧ الأمر على^٨ أن الابتداء^٩ كان من موت ١٠
لم يتقدمه حياة، والقرار^{١١} يكون على حياة لا يعقبها موت .

ولما كان المعنى: وليس وراءها حياة، أكدوه بما يفهمه

^{١٢} تصرّحاً فقالوا^{١٣} رد ما أثبتته^{١٤} الله على [لسان-^{١٥}] رسوله صلى الله عليه

- (١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: الانتشار (٢) زيد من مد (م) زيد من
ظ و م ومد (٤) زيد فى الأصل: هى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد
لحذفناها (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اثم (٦) فى مد: بالموت .
(٧-٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ: هذه (٨) من ظ و م ومد، وفى
الأصل: محط (٩) من مد، وفى الأصل و ظ و م: إلى (١٠) من هنا سقطت
نسخة مد إلى ما سنبه عليه (١١) من ظ و م، وفى الأصل: القرار .
(١٢-١٢) من م، وفى الأصل و ظ: تصرّحاً فقالوا (١٣) من ظ و م، وفى
الأصل: انزله (١٤) زيد من م .

وسلم : ﴿ وما نحن ﴾ و أكدوا النفي فقالوا : ﴿ بمششرين ٥ ﴾ أى من
منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوى حركة اختيارية تنتشر بها بعد الموت ،
يقال : نشره وأنشره - إذا أحياه .

و لما كانوا يزعمون أن دعوى الإحياء لا يصح إلا إذا شاهدوا
٥ أحداً من الأموات الذين يعرفونه حياً بعد أن تمزق جلده وعظامه ،
سيروا عن إنكارهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه : ﴿ فاتوا ﴾
أى أيها الزاعمون أنا نبعث بعد الموت إيثانا بأنهم لا يصدقون بذلك
وإن كثر معتقدوه ، من جنس بشرهم وتبعهم ﴿ بأبائنا ﴾ أى لكوننا
نعرفهم ونعرف وفور عقولهم فلا نشك [فى - ٧] أن ذلك إحياء
١٠ لمن مات ليكون ذلك آية لنا على البعث ، وأكدوا تكذيبهم بقولهم :
﴿ ان كنتم صدقين ٥ ﴾ أى ثابتا صدقكم .

و لما أخبروا على هذه العظمة تطعماً لأنها لو وقعت لم يكن
بأدل على ثبوت النبوة المستلزمة لتصديق كل ما يقول لهم الرسول
صلى الله عليه وسلم وما يأتيهم به من الآيات ، غير خائفين من الله
١٥ وهم يعلمون قدرته وإملاكه للماضين لاجل تكذيب الرسل عليهم
الصلاة والسلام ، وكأنهم يدعون خصوصيته فى مكنته من عين أو معنى

(١) فى م : ان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من هو (٣) فى م : فى .
(٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الانبياء
و الرسلين الزاعمين (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عقلهم (٧) زيد من م .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : سقفا - كذا (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : على .

يجون بها من مساواة من قبلهم في ذلك . فقال تعالى منكرا عليهم :
 ﴿ ام خير ﴾ أى فى الدين والدنيا ﴿ ام قوم تبع لا ﴾ أى الذين ملك
 بهم تبع الأرض بطولها والعرض و حير الحيرة و بنى قصر سمرقند
 و كان مؤمنا ، و قومه حمير و من تبعهم اقرب المهلكين^١ إلى قرش زمانا
 و مكانا . و كان له بمكة المشرفة ما ليس لغيرد من الآثار ، و قال الرازى ه
 فى اللوامع : هو أول من كسى البيت و نحر بالشعب ستة آلاف بدنة
 و أقام به ستة أيام^٢ و طاف به و حلق . و قال البغوى بعد أن ذكر
 قصته مع الأنصار لما قتل ابنه غيلة بالمدينة^٣ الشريفة و ما وعظته به
 اليهود فى الكف عن إخراج المدينة لأنها مهاجر نبي [من -^٤] قرش :
 فصدقهم و تبع دينهم ، و ذلك قبل نسخه . و قال عن الرقاشي : أمر ١٠
 تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة عام . و عن عائشة
 رضى الله عنها أنها قالت : لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً .
 و لما كان ذلك^٥ فى سياق التهديد بالإهلاك^٦ لأجل مخالفتهم ،
 و كان الإهلاك لذلك إما كان لبعض من تقدم زمانهم لاجميع الخلق ،
 أدخل الجار فقال : ﴿ و الذين من قبلهم^٧ ﴾ أى [من -^٨] مشاهير ١٥
 الأمر كمدن و أصحاب الأيكة و الرس : تمدد و عاد .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المهلين (٢) من م و معالم : تنزيل ، و فى الأصل
 وظ : آلاف (٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٢٢/٦ (٤) فم : فى المدينة (هـ) زيد
 من م (٦) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : سبعة مئة (٧) سقط من ظ و م .
 (٨) من م ، و فى الأصل وظ : و الإهلاك .

ولما كان كآته قيل : ما لهؤلاء الآمة ؟ قيل : ﴿ اهلكنهم ﴾ أى
بعظمتا^١ وإن كانوا عظاما لا يعسرهم^٢ هؤلاء فيما لهم من المكنة لقطعهم
من أمر الله به أن يوصل من الرسل و أتباعهم ، و تكذيبهم بما أتوا
به ، و لذلك علل الإهلاك تحذيرا للعرب بقوله مؤكدا لظنهم أن هلاكهم^٣
هـ إما هو على عادة الدهر : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جلة و طبعا ﴿ مجرمين هـ ﴾
أى عريقين فى الإجرام ، فليحذر هؤلاء إذا ارتكبوا مثل أفعالهم^٤
من مثل حالهم^٥ و أن يحل بهم ما حل بهم^٦ .

ولما كان التقدير للاستدلال على الجزاء الذى جامعته التكفل
بجميع أبحاثه^٧ يوم القيامة : فانا ما خلقنا الناس عبثا ينفى بعضهم على
١٠ / ٧٤١ بعض ثم لا يؤاخذون^٨ ، / عطف عليه ما هو أكبر فى الظاهر منه فقال :
﴿ وما خلقنا السموات ﴾ أى على عظمها^٩ و اتساع كل واحدة منها
و احتوائها لما تحتها . و جمعها^{١٠} لأن العمل كلما زاد كان أبعد من العبث^{١١}
مع أن إدراك تعددها عما يقتضى^{١٢} المشاهدة بما فيها من الكواكب ،

(١-١) من م . وفى الأصل و ظ : لعظمتا (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :
لا يعسرهم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : فما (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :
اهلاكهم (هـ) فى م : ان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فعالمهم (٧-٧) سقط
ما بين الرقيق من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : انحاله - كذا .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يؤاخذ - كذا (١٠) من م ، وفى الأصل
و ظ : عظمتها (١١) من م ، وفى الأصل و ظ : جميعها (١٢) من م ، وفى
الأصل و ظ : البعث (١٣) زيد فى م : هـ .

و وحده في سورة الأنبياء تخصيصاً بما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته لما ذكر هناك^١ من اختصاص "لن" بما بطن .

و لما كان الدليل على تطابق الاراضى دقيقاً^٢ وحدها فقال :

(و الارض) أى على ما فيها من المنافع (و ما بينهما) أى النوعين
و بين كل واحدة منهما [و ما -^٣] يليها (للعين هـ) أى على ما لنا هـ
من العظمة^٤ التى يدرك من^٥ له أدنى عقل تعاليها عن اللعب لانه
لا يفعله إلا ناقص ، ولو^٦ ركنا الناس يبنى بعضهم على بعض كما تشاهدون
ثم لا نأخذ لضعيفهم بحقه من قويمهم لكان خلقنا لهم لعباً ، بل اللعب أخف
[منه -^٢] ، ولم تكن على ذلك التقدير مستحقين لصفة القوسية ، فانه
" لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها بالحق من قويمها غير متنع"^٧ - رواه ابن ١٥
ماجه عن أبى سعيد و ابن جميع فى معجمه عن جابر ، و صاحب الفردوس
عن أبى موسى رضى الله عنهم رفعوه ، و هو شئ لا يرضى به لنفسه أقل
حكام^٨ الدنيا ، فكان هذا رهانا قاطعاً على صحة الخبر ليظهر هناك الفصل
بالعدل و الفضل .

ولما نرى أن يكون خلق ذلك اللعب الذى هو باطل ، أثبت ما ١٥

خلقه له و لم يصرح بما فى البين لانه تابع ، و قد نبه عليه ما مضى ،

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حد

هناك (٣) زيد من م (٤ - ٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى ز - كدا .

(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٦) من م و سقن ابن ماجه ص : ١٧٧ ،

و فى الأصل و ظ : متنع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : احكام .

فقال مستأفان: ﴿ ما خلقتهما ﴾ أى ' السماوات و الاراضى مع [ما - '] بينهما ﴿ الا بالحق ﴾ من الحكم بين من فيها ، [فمن - '] عمل الباطل عاقبناه ومن عمل الحق أنشأه ، وبذلك يظهر غاية الظهور إحاطتنا بجميع أوصاف الكمال كما نبهنا عليه أهل الكمال فى هذه الدار بخلقهما الذى واقعه مطابق للحق ، و هو ما لا من تلك الصفات المقتضية للبعث لإحقاق الحق و إبطال الباطل بما لاخفاء فيه عند أحد .

و لما كان أكثر الخلق لا يعلم ذلك لعظمته عن النظر فى دليله وإن كان قطعيا بديها قال : ﴿ ولكن أكثرهم ﴾ أى أكثر هؤلاء الذين أنت بين اظهرهم وهم يقولون " ان هى الا موتنا الاولى " وكذا ١٠ من انما يحوم ﴿ لا يعلمون ﴾ [أى - '] أنا خلقنا الخلق بسبب إقامة الحق فهم لأجل ذلك يمحرون على المعاصى و يفسدون فى الأرض لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا ، ولو تذكروا ما ركزناه فى جبلاتهم لعلوا علما ظاهرا أنه الحق الذى لا معدل عنه^١ كما يتولى^٢ حكمهم الماصب لأجل إظهار^٣ الحكم بين رعاياهم ، و يشرطون الحكم بالحق ، ١٥ و يؤكدون على أنفسهم أنهم لا يتجاوزونه . ولما كان^٤ كأنه قيل : إنا

(١) من ظ و م . وفى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من م ، وفى الأصل و ظ : يخاموهم وهم (٤) زيد من م (٥) فى الأصول : ذكرناه . (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : معه (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : يتوالى . (٨) من ظ و م . وفى الأصل : اظهارهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : كأنه .

رى أكثر المظلومين يموتون بميرير غصصهم مقهورين ، واكثر / الظالمين
 يذهبون ظافرين بمطالبهم مسرودين ، فتى يكون هذا الحق ؟ قال جوابا
 لذلك ' مؤكدا لاجل تكذيبهم : (ان يوم الفصل) ' عند جمع ' الاولين
 و الآخرين من جميع المكلفين الذين ينتظره كل أحد للفرق ' بين كل
 ملابس ، فلا يدع نوعا منه ' حتى أنه يميز بين المكاره والمحاب و دار ه
 النعيم و غار الجحيم ، و بين أهل ' كل منهما بتمييز الحق من المبطل بالثواب
 و العقاب و هو بعد البعث من الموت (ميقاتهم) أى وقت جمع
 الخلائق للحكم بينهم الذى ضرب لهم فى الأزل و أنزل ' به الكتب ' ^{١٠}
 على السنة الرسل (اجمعين لا) لا يتخلف عنه أحد ممن مات من الجن
 و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات .

و لما ذكر هذا اليوم الذى دل على عظمته بهذه العبارة لإفراد
 و تركيها ، ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف و الرجاء ، فقال مبدلا
 منه : (يوم لا ينفع) بوجه من الوجوه (مولى) بقرابة أو غيرها
 بحلف أوردق من أعلى أو أسفل (عن مولى) أريد أخذه بما وقع
 منه (شيئا) ^٨ من الإغناء . و لما كان الإغناء تارة يكون بالرفق و أخرى ^{١٥}

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٢) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد فى الأصل و ظ : الخلق ، و لم تكن
 الزيادة فى م لحذفها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعرف (هـ) من م ، و فى
 الأصل و ظ : منهم (٦) سقط من م (٧-٧) من م ، و فى الأصل و ظ :
 الكتب به (٨) زيد فى م : أى .

بالنصف، صرح بالثاني^١ لأنه أعظمهما^٢ والسياق للاهلاك والقهر فقال :
 ﴿ولا م﴾ أى القسان ﴿ينصرون لا﴾ أى من^٣ ناصر ما لو أراد بعضهم
 نصرة بعض ، أو أراد غيرهم لو فرض أن ينصرهم ، وعبر بالجمع الذى
 أفاده الإبهام للولى ليتناول^٤ القليل والكثير^٥ منه لأن النفي عنه نفي عن
 هـ الأفراد من باب الأولى .

ولما نفي الإغناء استثنى منه فقال : ﴿الا من رحم الله﴾ أى أراد
 إكرامه الملك الأعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض بأذن الله فى
 الشفاعة لاحدم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته ويكرمه بقبول الشفاعة
 فيه . ولما كان ما تقدم دالا على تمام القدرة فى الإكرام والانتقام ،
 ١٠ وكان الإكرام قد يكون عن ضعف ، قال نافيا لذلك ومقررا لتمام القدرة
 اللازم منه الاختصاص بذلك مؤكدا له تنفيها على أنه ما ينبغي أن يجعل
 نصب العين^٦ وتعتقد عليه الخناصر ، ولأن إشرأفهم^٧ وتكذيبهم بالبعث
 يتضمن التكذيب بذلك : ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿العزیز﴾ أى المنيع
 الذى لا يقدر^٨ فى عزته عفو ولا عقاب ، بل ذلك دليل على عزته فانه
 ١٥ يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة بأحد . ولما كان العزيز
 [قد -^٩] لا يرحم قال : ﴿الرحيم﴾ أى الذى لا تمنع عزته أن يكرم

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) فى
 الأصول : أعظمها (٣) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٤ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الكثير والقليل (٥) من م ،
 وفى الأصل و ظ : لعين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اشركهم (٧) من
 م ، وفى الأصل و ظ : لا يقدر (٨) زيد من م .

من ' يشا .

ولما كان السياق للانتقام ، أخبر عن حال الفجار على سبيل
الاستئناف ، فقال مؤكدا لما ' يكذبون به ' : (ان شجرت الزقوم لا) التي
تقدم من وصفها ما يقطع القلوب من أنها تخرج من اصل الجحيم ،
و أن طلوعها كأنه رؤس الشياطين ، وغيره مما لا يعلمه حق علمه إلا الله
تعالى والذي تعرفونه من ذلك في الدنيا أنها شجرة / صغيرة الورق
ذفرة^٢ أى شديدة التن - مرة ، من الزقم ، أى اللقم الشديد و الشوب
المقرط ، و قال عبد الحق في كتابه الواعى : الزقوم شجرة غبراء صغيرة
الورق لاشوك لها ذفرة^٣ لها كمار في سوقها أى عقد كالأنابيب ولها ورد
تجرسه النحل ، و راس ورقها فيح جدا ، وهى مرعى ، و منابتها السهل^٤ ،
قال ابن برجان : وهى فى النار فى مقابلة شجرة طوبى فى الجنة ، يضطرون
إلى أكلها و إلى شرب الغسلين كما يضطر أهل الدنيا لإدخال الطعام
و الشراب (طعام الاثيم ط) أى المبالغ فى اكتساب الآثام^٥ حتى مرن
عليها فصارت به إلى الكمر (كالمهل ط) أى القطران الرقيق و ما
ذاب من صفر أر حديد أردردية ، روى أحمد^٦ و الترمذى^٧ - و قال : ١٥

- (١) من م ، و فى الأصل وظ : ما (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل وظ :
يكذبونه (٣) من م ، و فى الأصل وظ : ذفرة (٤) من م ، و فى الأصل :
المسهل ، و فى ظ : المسهل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اللانبا - كذا .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : طعام الطامع (٧) من م ، و فى الأصل
وظ : الاثم (٨) راجع المسند ٣/١٧٠ - ٧١ (٩) راجع الجامع ٢ / ٨٢ .

لأنعرفه إلا من حديث رشد^(١) - وابن حبان في صحيحه والحاكم من وجه آخر - وقال الحاكم: صحيح الإسناد - عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "كالهمل" قال: ككمر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه . (تغلي) أى الشجرة - على قراءة الجماعة بالتأنيث، والطعام على قراءة ابن كثير و حفص عن حاصم و رويس^(٢) عن يعقوب بالتذكير ولا يعود الضمير على المهمل لأنه "مشبه به" (في البطون لا) أى من شدة الحر^(٣) .

ولما كان للتذكير بما يعرف شأن عظيم في الإقبال أو التغير وإن كان دون ما شبه^(٤) [به -^(٥)] قال: (كغلي) أى مثل غلي (الحميم) أى الماء الذى تنهى حره بما يوقد تحته، فهو يثبت كأنه يريد أن يتخلص مما هو فيه من الحر، روى الترمذى - وقال حسن صحيح - والنسائى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم - وقال صحيح^(٦) على شرطها - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لو -^(٧)] أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا

(١) من م والجامع، وفي الأصل و ظ: رشد (٢) في م: لعكر (٣) راجع ثر المرجان ٤٨٦/٦ (٤) من ظ و ثر المرجان، وفي الأصل و م: دوش . (٥ - ٥) من م، وفي الأصل و ظ: مشبهه (٦) من م، وفي الأصل و ظ: حره (٧) من ظ و م، وفي الأصل: «و» (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) زيد من م و جامع الترمذى ٨٢/٢ .

معاشهم فكيف بمن يكون هذا طعامه^{١٠} . ولما كان كأنه قيل : ما للأنيم
 يأكل هذا الطعام ، وما الحامل له عليه وعلى مقاربة مكانه ، أجيب بأنه
 مقهور عليه ، أي يقتضيه صفة العزة^{١١} فيه الرخمة^{١٢} لاعادته بأثر^{١٣} يقال
 للزبانية : (خذوه) أي أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره شيئا
 (فاعتلوه) أي جروه بقهر بفظلة وعنف وسرعة إلى العذاب والإهانة^{١٤}
 بحيث يكون كأنه محمول ، وقال الرازي في اللوامع : والعنل أن يأخذ
 بمجامع ثوبه عند صدره يحمره ، وقراءة الضم^{١٥} أدل على تنهاى الغلظة
 والشدة من قراءة الكسر (إلى سواء) أي وسط (الجحيم قلمه) أي
 النار التي هي في غاية الاضطرام والتوقد ، وهي موضع خروج الشجرة
 التي هي طعامه .

١٠

ولما أفهم هذا أنه صار في موضع يحيط به العذاب فيه من جميع
 الجوانب ، بين أن له نوعا آخر من النكد رتبته في العظمة بما يستحق
 العطف بأداة التراخي فقال : (ثم صبوا) أي في جميع الجهة التي هي
 (فوق رأسه) ليكون المصبوب محيطا بجميع جسمه (من عذاب الجحيم)
 أي العذاب الذي يغلى به [الجحيم - ١] أو الذي هو الجحيم نفسه ، والتعبير ١٥
 عنه بالعذاب أهول^{١٦} ، وهذا في مقابلة ما كان لهم من البركة بما ينزل

٧٤٤ /

- (١) سقط من ظ و م (٢) زيد بعده في الأصل : وشرابه ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفناها (٣) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م
 لحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) راجع نثر المرجان ٤٨٧/٦ .
 (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : اهل .

من السماء من المطر ليجمع^١ لهم حر الظاهر بالحميم و الباطن بالزقوم .
 و [لما -^٢] علم بهذا أنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، بل وصل
 إلى غاية الهوان ، دل عليه بالتهكم^٣ بما^٤ 'كان يظن في' نفسه من العظمة
 التي كانت يترفع بها في الدنيا على أوامر الله ، فقيل بناء على ما تقديره :
 ٥ يفعل به ذلك مقولاً له : (ذق لا) أى من هذا أرسلك إليه تفررك
 على أولياء الله . ولما كان أولياء الله من الرسل و أتباعهم يخبرون في
 الدنيا أنه - لإبائه^٥ أمر الله - هو الذليل ، و كان [هذا -^٦] الأئيم و أتباعه
 يكذبون بذلك و يؤكدون قولهم المقتضى لعظمته لإحراق أكباد
 الأولياء حتى له^٧ قولهم عنى ما كانوا يلفظون به زيادة في تعذيه بالتوبيخ
 ١٠ و التبريع^٨ معللاً للأمر بالذوق : (انك) و أكد بقوله : (انت)
 وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك (العزيز) [أى -^٩]
 الذى يغلب و لا يغلب (الكريم) أى الجامع إلى الجود شرف النفس
 و عظم الإباء ، فلا تنفعك عن ستر مساوئى الأخلاق باظهار معاليها^{١٠}
 فلست بلثيم أى بخيل مهين النفس خسيس الإباء ، فهو كناية عن مخاطبته
 ١٥ بالحقبة^{١١} مع إقامة الدليل على ذلك بما هو فيه من المهالك ، وقراءة

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : ليجمع (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التهكم (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يكون من (٥) من م ، وفى
 الأصل و ظ : يرتفع (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لإبائه (٧) من م ، وفى
 الأصل و ظ : لهم (٨) زيد فى الأصل و ظ : موبخاً ، ولم تكن الزيادة فى
 م لحدفائها (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : معاليه (١٠) من م ، وفى الأصل
 و ظ : نقصة .

الكسائي^١ بفتح "ان" دالة على هذا المذاب قولاً و فعلاً على ما كان
يقال له من هذا [في الدنيا -^٢] و يعتقد [هو -^٣] أنه حق .
ولما دل على أنه يقال هذا لكل من الأئمة و يفعل^٤ به على حدته ،
دل على ما يعمون به ، فقال مؤكداً رداً لتكذيبهم سائفاً لهم على وجه
مفهم أنه علة ما ذكر من عذابهم : (ان هذا) أى العذاب قولاً ه
و فعلاً و حالاً (ما كنتم) أى جبلة و طبعا طبعناكم عليه لتظهر قدرتنا
في أمركم دنيا و أخرى (به تمترون ه) أى تعالجون أنفسكم و تحملونها
على الشك فيه و ردونها عما لها من الفطرة الأولى من التصديق بالممكن
لا سيما لمن جرب صدقه و ظهرت خوارق العادات على يده^٥ بحيث كنتم
لشدة ردكم له كأنكم تخصونه بالشك .

١٠

ولما وصف سبحانه ما للبالغ في المساوى و أفردّه أولاً إشارة
إلى قليل في قوم هذا النبي الكريم الذين تداركهم [الله -^١] بدعوته
تشریفاً له و إعلاءً لمقداره ، و جمع آخرها ذاكراً من آثار ما استحق
به ذلك من مشاركة في أوزاره ، فهم أن وصفه انقضى ، و مر و مضى ،
فتاقت^٢ النفس إلى تعرف ما لا ضداده الذين خالفوه في مبدأه ه
و معاده ، قال مؤكداً لما لهم من التكذيب^٣ : (ان المتقين) أى

(١) راجع نثر المرجان ٤٨٧/٦ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :
يعقل (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : صبرونها (ه) من م ، وفي الأصل
و ظ : يديه (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : فعات (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : التأكيدي الكذب .

العريقين في هذا الوصف (في مقام) أى موضع إقامة لا يريد
الحال فيه تحولا عنه (أمين لا) أى يأمن صاحبه فيه من كل
ما لا يعجبه .

ولما كان الوصف بعد الوصف شديد الترغيب / في الشيء، قال مبدلا من / ٧٤٥

٥ "مقام": (في جنت) أى بساكنين تقصر العقول عن إدراك وصفها كل
وصفها (وعيون لا) كذلك بحيث تقر بها العيون، ولما كان قد أشار
إلى وصف ما للباطن من لذة النظر ولباس الأكل والشرب، أتبعه
كسوة الظاهر وما لكل من القرب فقال: (يلبسون) .

ولما وصف ما أعد لهم من اللبس في الجنة^٢، دل على الكثرة
١٠ جدا بقوله: (من سندس) وهو ما رق من الحرير يعمل وجوها،
وزاد صنفا آخر فقال: (واستبرق) وهو ما غلظ منه يعمل بطائن،
وسمى بذلك لشدة بريقه . ولما كان وصف الأئماء بما لهم من القبض^٣
الشغال لكل منهم عن نفسه وغيره بعد ما تقدم في الزخرف في آية
الأخلاء ما أعلم بكونهم مدارين وصف أضدادهم بما لهم من البسط مع
١٥ الاجتماع فقال: (متقبلين لا^٤) أى ليس منهم أحد يدابر الآخر لاحسا
ولا معنى، وود [أن -^٥] كلا منهم يقابل الآخر ناظرا إليه، فاذا

- (١-١) سقط ما بين الرقمن من ظ و م (٢-٢) من م، وفي الأصل و ظ :
بالوصف (٣) زيد في الأصل : الشامل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لغزبتها .
(٤) من ظ و م، وفي الأصل : فيهم (٥) من م، وفي الأصل و ظ : مدابر .
(٦) زيد من م .

أرادوا النساء^١ حالت السور بينهم .

ولما كان هذا أمراً يهر العقل ، فلا يكاد يتصوره ، قال مؤكداً له :
 (كذلك) أى الأمر كما ذكرنا سواء لا مرية [فيه] . ولما كان ذلك
 لا يتم السرور به إلا بالأزواج^٢ قال : (وزوجهم) أى قرانهم كما تقرن
 الأزواج ، وليس المراد به العقد لأنه فعل متعد بنفسه وهو لا يكون
 فى الجنة لأن^٣ قائمته الحل ، والجنة ليست بدار كلفة من تحليل أو تحریم ،
 وذكر مظهر العظمة تنديها على كمال الشرف (بحور) أى [على -]
 حسب التوزيع بحوارى يرض حسان نقيات الثياب (عين) أى
 واسعات^٤ العين .

ولما كان الإنسان فى الدنيا يخشى كلفة النفقات ، وصف ما هنالك ١٠
 من سعة الخيرات فقال : (يدعون) أى يطلبون طلباً هو بقاية المسرة
 (فيها بكل) لا يمتنع عليهم صنف من الأصناف يعد مكان ولا فقد
 أوان ، ولا غير ذلك من الشأن ، وقال : (فأكهة) أى إذانا بأن ذلك
 مع سعة ليس فيها شيء لإقامة البيئة وإنما هو للتفكه ومجرد التلذذ .
 ولما كان التوسع فى التلذذ يخشى منه غوائل جهه قال : (أمنين) أى ١٥
 وهم فى غاية الأمن من كل مخوف .

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : للنساء (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :
 بالزواج (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه فاته (٤) زيد من م (٥) من م ،
 وفى الأصل و ظ : واسعة (٦) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لخذلتهما (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولما ذكر الأمان، وكان أخوف ما يخاف أهل الدنيا الموت،
قال: ﴿ لا يذوقون فيها ﴾ أى الجنة^٢ (الموت) أى لا يتجدد لهم
أوائل استطعامه فكيف بما وراء ذلك. ولما كان المراد نفي ذلك على
وجه يحصل معه القطع بالأمن؛ على أعلى الوجوه، وكان الاستثناء
معيار العموم، وكان من المعلوم أن ما كان فى الدنيا من ذوق الموت
الذى هو معنى من المعانى قد استحال عوده، قال معللا مطلقا على هذا
المحال^٥: ﴿ الا الموتة ﴾ ولما كان المعنى مع إسناده الذوق إليهم لا يلبس
لأن ما قبل نفخ الروح ليس مذوقا، عبر بقوله: ﴿ الاولى^٣ ﴾ وقد أفهم
التقييد بالظرف أن / النار يذاق فيها الموت، و الوصف بالاولى أن المذوق
موتة ثانية، فكان كأنه قيل: لكن غير المتقين ممن كان عاصيا فدخل
النار فيذوق فيها موتة أخرى - كما جاء فى الأحاديث الصحيحة، ويجوز
أن يجعل وصف المتقين أعم من الراضين وغيرهم، فيكون الحكم على
المجموع، أى أن الكل لا يذوقون، وبعضهم - وهم من أراد الله من
العصاة - يذوقونه فى غيرها وهو النار، ويجوز أن تكون الموتة الاولى
كانت فى الجنة المجازية فلا يكون تعليقا بمحال، وذلك أن المتقى لم يزل

/ ٧٤٦

(١) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٢) زيد فى الأصل: دار النعيم وهى،
ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٣) زيد فى الأصل: لا يعود إليهم.
ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
بالامل (٥) زيد فى الأصل: انه لا يعود، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد
لحذفها (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: إستناد.

فيها في الدنيا مجازاً بما له من التسبب وبما سبق من^١ حكم الله له بها، قال صلى الله عليه وسلم^٢ : «المؤمن إذا عاد أخاه لم يزل في خرقه الجنة حتى يرجع، قيل^٣ : وما خرقه الجنة، قال : جناها، وإذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، وكذا المحكوم له بما هو فيها عند الموت وبعده بما له من التمتع بالنظر ونحوه من الأكل للشهداء وغير ذلك مما ورد في الأخبار الصحيحة، ومن ذلك ما رواه^٤ البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمه النضر رضي الله عنه قال يوم أخذ : يأسعد^٥ بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأجد^٦ ريحها من دون أحد، ثم قاتل حتى قتل . ثم يكون تمام ذلك النعيم بالجنة بعد البعث، قال ابن برجان : الدنيا إذا تحققت في حق المؤمن المتقي وتبع النظر فيها فأنها جنة صغرى لتوليه^٧ سبحانه ١٠ إياهم^٨ فيها وقربه منهم ونظره إليهم وذكرهم له وعبادتهم إياه وشغلهم به وهو معهم أينما كانوا .

ولما كان السياق للمتقين قال : ﴿ ووقفهم ﴾ أي جملة^٩ المتقين^{١٠} في جزاء ما اتقوه^{١١} ﴿ عذاب الجحيم لا ﴾ أي التي تقدم إصلا^{١٢} الاثم لها، وأما غير المتقين من العصاة فيدخل الله من أراد منهم النار فيعذر كلا منهم ١٥

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ : له في (٢) راجع مسند أحمد ٢٧٧/٥ (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : فسيل (٤) من م م ومد، وفي الأصل وظ : سعيد (٥) في م م ومد : اجد . (٦-٧) من م م مد، وفي الأصل وظ : إياهم سبحانه (٨) سقط من م م ومد (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من م م ومد (١١) من م م ومد، وفي الأصل : اصل و - كذا .

على قدر ذنوبه ثم يميتهم [فيها - '] ويستمرون إلى أن يأذن الله في
الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم أهل الجنة من ماء الحياة،
روى الإمام أحمد في مسنده^١ ومسلم في الإيمان^٢ من صحيحه وابن
حبان في الشفاعة من سننه والدارمي^٣ في صفة الجنة والنار من سننه
المشهور بالمسند، وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال^٤ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار
الذين هم أهلها - وقال الدارمي : الذين هم للنار - فانهم لا يموتون
فيها ولا يحيون، ولكن ناس منكم^٥ أصابتهم النار بذنوبهم، - أو قال
بخطاياهم - فأماتهم الله إماته، وقال [الإمام أحمد : فيميتهم إماته،
١٠ وقال - '] الدارمي^٦ : فان النار تصيهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها
حتى إذا كانوا فخماً أذن في الشفاعة فجئ^٧ بهم [وقال الدارمي - '] :
فيخرجون من النار ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة، ثم قيل : يا أهل
الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون، وقال الدارمي^٨ : فتنبت لحومهم نبات
الحبة في حميل السيل. الضبائر^٩ قال عبد الغافر الفارسي^{١٠} في مجمع الرغائب :

/ ٧٤٧

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) راجع ٣ / ٣٨٠ (٣) زيدت الواو في الأصل
وظ ولم تكن في م ومد فحذفناها (٤) راجع مسنده ص : ٣٨٠ (٥) سقط
من مد (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : منهم (٧) زيد من م ومد .
(٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الرازي (٩) من ظ و م ومد،
وفي الأصل : فيحي (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ : العاربي .
(١١-١٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الجنة في حمل السنبلة (١٢) من
ظ و م ومد، وفي الأصل : العاربي .

- جمع ضبارة مثل عمارة و عمار: جماعات الناس، و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل ناس في النار حتى إذا صاروا لحما أدخلوا الجنة، فيقول أهل الجنة: من هؤلاء، فيقال: هؤلاء الجهنميون، و لاحمد بن منيع عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه [عن النبي صلى الله عليه وسلم -^١] قال: يوضع الصراط ^{هـ} فذكر شفاعة المؤمنين في إخوانهم بعد جواز الصراط و إذن [الله -^١] لهم في إخراجهم، [قال -^١]: فيخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة فينبتون [نبات -^٢] [الزرع -^٢] في [غناء -^٢] [السيل -^٢]، و لابن أبي عمر عن عبيد بن عمير رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الله قوما من النار بعد ما امتحشوا فيها و صاروا لحما فيلقون ^{١٠} في نهر على باب الجنة يسمى نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل -^٢ أو كما تنبت الثعالب - فيدخلون الجنة، فيقال: هؤلاء عتقاء الرحمن. الثعالب - بالثاء المثلثة والعين و الراء المهملتين: نبات ^٤ كالحليون، و روى الترمذى - و قال: حسن صحيح - و روى من غير وجه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^{١٥}

- (١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في مد: الزرعة (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: السنبلة (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: ابن (٦) زيد في الأصل: على باب الجنة فيلقون، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفنا (٧-٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الجنة في حمل السنبلة. (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: نباتا.

يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حما ثم تبركهم الرحمة [فيخرجون - '] و يطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت الغشاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة .

٥ ولما كان السياق للتقنين ، فكان ربما ظن أن هذا الذي فعل بهم حق لهم لا بد و [لا - '] محيد عنه ، بين أن الأمر على غير ذلك ، وأنه سبحانه لو واخذهم ولم يعاملهم بفضله و عفوهِ لهلكوا ، فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى فعل بهم ذلك [لأجل - '] الفضل ، و لذلك عدل عن مظهر العظمة فقال تعالى : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن [إليك - '] بكال .
١٠ إحسانه إلى أتباعك إحسانا يليق بك ، قال الرازى في اللوامع : أصل الإيمان رؤية الفضل في جميع الأحوال . و لما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة إليه صلى الله عليه وسلم ، زاد في تعظيمه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الفضل العظيم الواسع ﴿ هو ﴾ [أى - '] خاصة ﴿ الفوز ﴾ أى الظفر بجميع المطالب ﴿ العظيم ه ﴾ الذى لم يدع
١٥ جهة الشرف إلا ملأها .

و لما قدم سبحانه في هذه السورة ما للقرآن من البركة بما اشتمل عليه من البشارة و الندارة و الجمع و الفرق ، و ذكرهم بما يقرون به من
(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السبيل (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بنقاسهم و (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لقرن .

أنه مبدع هذا الكون بما يستلزم إقرارهم بتوحيده المستلزم لأنه يفعل ما يشاء من إرسال وإزالة وتنيه وبعث وغير ذلك، وهددم بما لا يقدر عليه غيره من الدخان والبضشة، وفعل بعض ذلك، وذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قروم القرون وأنهم مع ذلك كله

/ أنكروا البعث، ثم ذكر ما يقتضى التحذير والتبشير - كل ذلك في ه ٧٤٨ /
أساليب فأنت كل المدى، فأعجزت جميع القوى، مع ما لها من المعاني الباهرة، والبدائع الزاهرة القاهرة، سبب عن قوله فذلك للسورة :
(فاعلم أسرته) أى جعلناه له يسرا عظيما وسهولة كبيرة .

ولما كان الإنسان كلما زادت فصاحته وعظمت بلاغته، كان كلامه أبين . وقوله أعذب و أرصن و أرقق و أمتن، وكان صلى الله ١٠ عليه و سلم أفصح الناس و أبعدم لذلك من التكلف، أضافه إليه فقط فقال : (بلسانك) أى هذا العبرى المين و هم عرب تعجبهم الفصاحة (لعلهم يتذكرون ه) أى ليكونوا عند من يراهم وهو عارف بلسانهم من شأنه كشأنهم على رجاء من أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد

(١) زيد في الأصل : آمنون ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٢-٣) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : التخدر و التبشير (م) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : السورة (ه) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : جعلناه .
(هـ) زيد في الأصل : القرآن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) من م و مد ، وفي الأصل : يعجبه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من مد .
(٨) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لهذا (٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : شاهدا .

سورة الجاثية وتسمى الشريعة

مقصودها الدلالة على أن منزل ^٢ هذا الكتاب ^٣ - كما دل عليه في ^٤
 الدخان - ذو العزة لأنه لا يقبله شيء وهو يغلب كل شيء، والحكمة
 لأنه لم يضع شيئاً إلا في أحكم مواضعه، فلم أنه المختص بالكبرياء،
 ه فوضع شرعاً (هـ - ^٥) في غاية الاستقامة لا تستقل العقول بإدراكه
 ولا يخرج شيء منه عنه ^٦، أمر فيه بنهى، ورغب [وَرَهَب - ^٧] ثم بطن
 حتى أنه لا يعرف، ثم ظهر حتى أنه لا يحفل، فمن المكلفين [من حكم - ^٨]
 عقله وجانب هواه فتشهد جلاله فسمع وأطاع، ومنهم من تبع هواه
 فضل عن نور العقل فزاع وأضاع ^٩ فاقضت الحكمة ولا بد أن يجمع
 ١٥ سبحانه الخلق ليوم الفضل فيظهر كل الظهور ويدن عباده ليشهد رحمة
 المطيع وكبرياءه العاصي، وينشر العدل ويظهر الفضل، ويتجلى في جميع
 صفاته لجميع خلقه، وعلى ذلك دل اسمها الشريعة، واسمها الجاثية واضح

(١) الخامس والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ثلاثون
 وسمي عند الكوفيين وست عند المدنيين والمكي والبصريين والشافعي -
 راجع ثمر المرجان ١ / ٤٩٢ (٢) زيد في الأصل : سورة، ولم تكن الزيادة في
 منظم وممد فحذفناها (٣-٤) من منظم وممد، وفي الأصل وظ : الكتاب هذا
 (٥) من ظ وم وممد، وفي الأصل : وظ (٦) زيد من م وممد (٧) من م
 وممد، وفي الأصل وظ : من (٨) زيد من ظ وم وممد (٩) من ظ وم
 وممد، وفي الأصل : ضاع -

الدلالة فيه إذا توصل كل من آتيها - والله سبحانه وتعالى الهادي .
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي تفرد بنام العز والكبرياء ﴿ الرحمن ﴾ الذي أحك
 رحمته بالبيان العام للسماء والأشقياء ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص بملا بر
 طاعته الأولياء ﴿ حليم ﴾ أى حكمة محمد إليها المنتهى كما تقدم في الدخان
 ما أفهم إنزاله من أم الكتاب جملة إلى بيت العزة ، ودل على ركة :
 بما دل على حكمة منزله وعزته بالبشارة والذارة والإيقاع بالمجرمين
 بعد طول الحلم ، والآفة والنجاة للتقين وغير ذلك من أمور هي في
 غاية الدلالة على ذلك لأنها راجعة إلى الحس لمن ألقى السمع ، وهو
 شهيد ، وأشار إلى سهولتها على من تأمل هذا الذكر بالمرجم
 بلسان أعلى الخلق وأكملهم وأشرفهم خلائق ، وأفضلهم ، ابتداء هذه ١٠
 بالإعلام بأنه زاد ذلك يسرا وسهولة بإنزاله منتجا بحسب الوقائع
 مطابقا لها أم مطابقة بعد إنزاله جملة من أم الكتاب ثم مرتبا
 لما أنزل منه ترتيبا يفهم علوما ويوضح أسرارها غامضة مهمة فقال :
 ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى إنزال الجامع لكل خير محفرا لزيادة التسهيل
 في التفهيم والإبلاغ في اليسر في التعليم وغير ذلك من الفضل العظيم ١٥

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : التسمى (-) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : غره (م) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الحكم (٤-٤) من ظ
 وم ومد ، وفي الأصل : لمن (٥-٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : خلقا
 و خلقا (٦-٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : و انتهاء هذه الاعلام (٧) من
 مد ، وفي الأصل و ظ وم : التعميم (٨-٨) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : بالتعميم (٩) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : العظيم .

وزاده عظمًا بقوله: ﴿من الله﴾ أى كائن من المحيط بصفات الكمال .
ولما كانت - كما مضى - للعة والحكمة أعظم بركة هنا قال:
﴿ العزيز الحكيم ﴾ فكان كتابه عزيزًا حكيماً لا كما تقول الكفرة. من
أنه شعر أو كذب أو كهانة لأنه لاحكمة لذلك ولاعة^٢ بحيث يلبس
ه أمره بأمر هذا الكتاب المحيط [بدائرة الحكمة -^٣] والصواب، ودل
بشواهد القدرة وآثار الصنعة من نسخة هذا الكتاب على الصفتين
وعلى وحدانيته فيها اللازم منه تفريده^٤ المطلق فقال^٥ مؤكداً لأجل
من ينكر ذلك ولو بالعمل، ورغياً في تدقيق^٦ النظر بتأمل آيات
الوجود التى هذا الكتاب شرح^٧ لمغلفها وتفصيل لمجملها، وإيماء إلى
١٠. أنها [أهل -^٨] لصرف الأفكار^٩ إلى تأملها ﴿ان فى﴾ ولما كانت
الحواميم - كما روى أبو عبيدة فى كتاب الفضائل عن ابن عباس رضى الله
عنهما - لباب القرآن، حذف ما ذكر^{١٠} فى البقرة من قوله "خلق"
ليكون ما هنا أشمل فقال: ﴿السموات﴾ أى ذواتها^{١١} بما لها من الدلالة
(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: فقال (٢) من م ومد، وفى الأصل
وظ: غيره (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ:
تقوذه (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: فكان (٦) من م ومد، وفى
الأصل وظ: دقيق (٧) زيد فى الأصل: ومفتاح، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم ومد لخذناها (٨) من مد، وفى الأصل وظ وم: الانكار (٩) وقع
فى الأصل بعده بياض، وفى ظ: خلق (١٠) من م ومد، وفى الأصل وظ:
ذكره (١١) من م ومد، وفى الأصل وظ: ذاتها .

[على صانعها - '] وخلقها على ما فيها من العز بما فيها من المنافع وعظم
الصنعة^٢ وما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب
(و الأرض) كذلك [و - '] بما حوت من المعادن والمبايش^٣
و المنابع والمعاون (لأيت) أى دلائل على وحدانيته وجميع كماله،
فان من المعلوم أنه لا بد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك ه
(للمؤمنين) أى لأنهم يرسوخهم فى هذا الوصف الشريف أهل للنظر
لأن^٤ ربهم يهديهم بإيمانهم فشواهد^٥ الربوبية لهم منها لا تنة، وأدلة
الإلهية فيها واضحة، ولعله أشير بالتعير بالوصف إلى أنه لا بد فى رد
شبه أهل^٦ الطبايع من تقدم الإيمان، وأن [من - '] لم يكن راسخ
الإيمان لم يخلص من شكوكهم^٧.

١٠

وقال الإمام أبو جعفر^٨ ابن الزبير : لما تضمنت السور^٩ المتقدمة
إيضاح أمر الكتاب وعظيم بياته^{١٠} وأنه شاف كاف وهدى^{١١} ونور،
كان^{١٢} أمر من^{١٣} كفر من العرب أعظم شىء لاقطاعهم وعجزهم وقيام

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : الصفة (٣) من
ظ وم ومد، وفى الأصل : المنافع (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ :
لأنهم (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بشواهد (٦) من مد، وفى الأصل
وظ وم : منها (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ : لاهل (٨) من م
ومد، وفى الأصل وظ : شكوكه (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ : ابن
جعفر (١٠-١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل : تقدمت تضمنت السورة .
(١١) فى الأصل وظ : بياض ملائنه من م ومد (١٢) من م ومد، وفى
الأصل وظ : هوى (١٣-١٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل : امرين .

الحجة به عليهم حتى رضوا بالقتل والخزى العاجل وما قاموا بادعاء^١
معارضته^٢ ولا تشوفوا^٣ إلى الإسناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك
[تعالى - ١] تنبيهاً لئيه^٤ والمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواء
عما^٥ صد المعرض عن^٦ الاعتبار بها أو يعضها مجرد هواه، ومن أضل
من اتبع هواه بغير هدى من الله، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين
”ان في السموات والارض لايت لأيت للمؤمنين“، أى^٧ لو لم تجنهم يا محمد^٨
بعظيم آية^٩ الكتاب فقد كان لهم^{١٠} فيما نصبنا^{١١} من الأدلة أعظم برهان
وأعظم تبيان^{١٢} ”او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى“ فلما نه بخلق السماوات والارض،
١٠ أتبع بذكر ما بث في الارض فقال ”وفي خلقكم وما بث فيها^{١٣} من
دابة آيت لقوم يوقنون واخلاف الليل والنهار“، أى في دخول أحدهما
على الآخر بالطف^{١٤} اتصال^{١٥} و أربط انفصال^{١٦} ”لا الشمس ينبغي لها ان

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : قاوا باعاء - كذا (٢) من مد، وفي
الأصل و ظ وم : معارضة (٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : لا تشو -
كذا (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) في الأصل و ظ : نبته - كذا، وفي م ومد
بياض (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : عما (٧) من م ومد، وفي
الأصل و ظ : من (٨ - ٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : يوم تجيبهم .
(٩) من م ومد، وفي الأصل و ظ : آيات (١٠ - ١٠) من م ومد، وفي
الأصل و ظ : فيه نسبة (١١) ليس في مد (١٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ :
باللطف (١٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ايصال (١٤) زيد في الأصل
و ظ : للشمس، ولم تكن الزيادة في م ومد فخذناها .

تدرك القمر ولا ليل سابق النهار“ ثم نبه على الاعتبار بانزال الماء من السماء وسماء رزقا بحط القياس فقال ”وما انزل الله من رزق فاحياه الارض بعد موتها“ ثم قال ”و'نصریف الرياح' ائنت' لقوم يعقلون“ الاستدلال بهذه الآی' يستدعی بسطا يطول، ثم قال ”تلك' ائنت الله تلوها عليك بالحق“ أى علاماته ودلائله ”وان من شیء الا یسبح بحمده“، ثم قال ”فبأی حدیث بعد الله و'ائنته یؤمنون“ اُبعد ما شاهدته من شاهد الكتاب / وما تضمنه خلق السموات والارض وما فیها ٧٥١ / وما ینتهن من عجائب الدلائل الواضحة لأولی الالباب، فاذا لم یعتبروا بشیء من ذلك فبماذا یعتبروا، ثم أردف تعالی بتقریعهم وتوخیخهم فی تصمیمهم مع وضوح الأمر فقال ”وبل لكل افاك انیم“ الآیات ١٠ الثلاث، ثم قال ”هذا هدی“ وأشار إلى الكتاب وجعله نفس الهدی لتحمله“ كل أسباب الهدی وجميع جهاته، ثم توعد من كفر به

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : نصرف الآیات (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ : الایة الذی (٣-٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ : ای بعده (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ : شهدوه (٥) من ظ و م، وفي الأصل و مد : فیها (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ : لم یعبروا (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ : یعبروا (٨) من مد، وفي الأصل و ظ و م : تصمیم (٩) زید فی الأصل و ظ : یسمع آیات الله قتل علیه، ولم تكن الزیادة فی م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ : جعل (١١) زید بعده فی الأصل و ظ : اسباب، ولم تكن الزیادة فی م و مد فحذفناها.

ثم أردف ذلك بذكر نعمه و آلائه ليكون ذلك زائدا في توبيخهم ،
و التحمت الآي عاضدة هذا الغرض تقريبا و تويخا و وعيدا و تهديدا
إلى آخر السورة - انتهى .

ولما ذكر سبحانه بالنظر في آيات الآفاق ، أتبعها آيات الانفس
٥ فقال : ﴿ وفي خلقكم ﴾ أى المخالف لخلق الارض التى أنتم منها بالاختيار
و العقل و الانتشار و القدرة على السار و الضار ﴿ و ما يثبت ﴾ أى
[ينشر و -] يفرق بالحركة الاختيارية بئا على سبيل التجدد و الاستمرار
﴿ من دابة ﴾ مما تعلون و مما لاتعلون بما فى ذلك من مشاركتكم فى
الحركة بالاختيار و الهداية للنافع بادراك الجزئيات و مخالفتكم فى الصورة
١٠ و العقل و إدراك الكليات و غير ذلك من مخالفة الأشكال و المنافع
و الطبائع و نحوها ﴿ ايت ﴾ [أى -] على صفات الكمال و لاسيما
العزة و الحكمة ، و هى على قراءة حمزة و الكسائى و يعقوب بالنصب
هنا ، و فى الذى بعده عطف الآيتين على حيزه " ان " [فى -] الآية
الاولى من الاسم و الخبر ، فلهذه الآية نظر إلى التأكيد ، و هو على
١٥ قراءة الجماعة مبتدأ بالعطف على " ان " و ما فى حيزها ، و هى أبلغ لأنها
تشير إلى أن ما فى تصوير الحيوان و جميع شأنه من عجيب الصنع
(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م
و مد لحذفها (٣) راجع نشر المرجان ٤٩٣/٦ (٤) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : خبر (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خبرها (٦) سقط
من مد .

ظاهر^١ الدلالة على الله [فهو -] بحيث لا ينكره أحد، فهو غنى عن التأكيد، ويجوز أن تكون الآية على قراءة النصب من الاحتباك: حذف أولا الخلق بما دل عليه ثانيا، وثانيا ذوات الانفس بما دل عليه من ذوات السموات أولا.

ولما كانت آيات الانفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف، قال: ﴿لقوم﴾ أى فيهم أهلية القيام بما يحاولونه ﴿يوقنون﴾ أى يتجدد لهم العروج فى درجات الإيمان إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان، فلا يخالطهم شك فى وحدانيته؛ قال الحرالى فى تفسير "او كالذى مر على قرية": آية النفس منبهة على آية الحس، وآية الحس منبهة على آية النفس. إلا أن آية النفس ١٠ أعلق، فهى لذلك أهدى، غاية آية الآفاق الإيمان، وغاية آية النفس اليقين.

ولما ذكر الظرف وما خلق لأجله من الناس، ضم إليهم بعض ما خلقه لأجلهم / [لشرفه -] بالحياة، أتبعه ما أودع الظرف من ٧٥٢ / المرافق لأجل الحوان فقال: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بذهاب ١٥ أحدهما وجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة على القدرة على الإيجاد بعد الإعدام بالبعث وغيره، وجر «اختلاف» بتقدير «فى»، فينبوب حرف العطف مناب عامل واحد للابتداء عند من

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ظاهره (٢) زيد من م ومد (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فلا يخالفهم.

رفع آيات ، ، و مناب دان . عند من نصب . فلم يلزم نيابته مناب عاملين
مختلفين في الابتداء في الرفع وفي " ان " في النصب .

ولما كان المطر أدل مما مضى على البعث والعزة ، لأن الشيء كلما
قل الإلف له كان أمكن للتأمل فيه ، اولاه آياه فقال : ﴿ وما انزل الله ﴾
هـ أى الذى تمت عظمته ففقدت كلبته . ولما كان الإنزال قد يستعمل
فيما أتى من علو معنوى وإن لم يكن حسيًا ، بين أن المراد هنا الامران
فقال : ﴿ من السماء ﴾ ' .

ولما كانت منافع السماء غير منحصرة في الماء قال : ﴿ من رزق ﴾
أى مطر وغيره من الاسباب المهيئة لإخراج الرزق ﴿ فاحيا به ﴾
١٠. أى بسيه و تعقبه ﴿ الارض ﴾ أى الصالحة للحياة ، ولذلك قال :
﴿ بعد موتها ﴾ أى يبسها^٢ وتهشم ما كان فيها من الثبات وانقلابه
بالاختلاط^٣ بترابها ترابًا ، فاذا نزل عليها الماء جمعه منها فأخرجها على
ما كان عليه كلما تجدد نزوله ، ولذلك لم يأت بالجار^٤ إشارة إلى دوام

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أى (٢) ريد في الأصل : فيه مناسبة لقوله
صلى الله عليه وسلم في بعض حديث " وررقم من سيم " ولم تكن الزيادة
في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بسيها .
(٤) زيد في الأصل و ظ : لذلك ، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها .
(٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : من الاحتلاط (٦) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : جميعه (٧) ريدت انوار بعده في الأصل و ظ ولم تكن في م
و مد فحذفناها .

الحياة بالقوة إن لم يكن بالفعل .

ولما ذكر [ما يشمل الماء، ذكر -١] سبب السحاب الذي يحمله فقال: ﴿ وتصريف الريح ﴾ في كل جهة 'من جهات الكون' وفي كل معنى من رحمة وعذاب وغير ذلك من الأسباب، ولم يذكر الفلك والسحاب كما في البقرة لاقضاء اللبابة^٢ المسماة بها الحواميم، هـ ذلك لأنها من جملة منافع التصريف، وتوحيد حمزة والكسائي^٣ أبلغ لأن تصريف الشيء الواحد في الوجوه الكثيرة أعجب ﴿ آيت ﴾ قراءة الرفع أبلغ لإشارتها بعدم الحاجة إلى التأكيد إلى أن ما في الآية ظاهر الدلالة على القدرة والاختيار للصانع بما في التصريف من الاختلاف، والماء بما يحدث عنه من الإنبات^٤ أوضح دلالة من بقيتها ١٠ على البعث، ولأجل شدة ظهورها ناط الأمر فيها بالعقل فقال: ﴿ لقوم يعقلون هـ ﴾ وقال القائل^٥: والمعنى أن المصنفين^٦ لما نظروا في السموات والأرض وأنه لا بد لها من صانع آمنوا، فاذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا إيماناً فأيقنوا. فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا واستحكم عليهم .

١٥

(١) زيد من م ومد (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل و ظ : لأنها (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٩٤ (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الإنبات (٧) من مد، وفي الأصل و ظ وم : العالي (٨) من مد، وفي الأصل و ظ وم : المصنفين .

ولما ذكر هذه الآيات العظيمة، وكانت كلها مشركة في العظم،
بعد ما أشار إلى تباين رتبها في الخفاء والجلاء بفواصلها، قال مشيراً
إلى علو رتبها^٢ بأداة البعد: ﴿تلك﴾ أى الآيات الكبرى ﴿أيت الله﴾
أى دلائل المحيط بصفات الكمال التى لا شئ أجلى^٣ ولا أظهر ولا أوضح^٤
منها^٥ / ٧٥٣ ٥ ولما كان كأنه قيل: ما لها؟ قال، أو يكون المراد: نشير إليها
حال كوننا ﴿تلوها﴾ أى نتابع قصها ﴿عليك﴾ سواء كانت مرئية
أو مسموعة، متلبسة^٦ ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى لا يستطاع
تحويله فليس بسحر ولا كذب، فتسبب عن ذلك حيثئذ الإنكار
عليهم وعلى من يطلب إجابتهم إلى المقترحات طمعاً^٧ فى إيمانهم فى قوله
١٠ تعالى: ﴿فبأى حديث﴾ أى خبر عظيم صادق يتجدد عليهم به يستحق
أن يتحدث به، واستغرق كل حديث فقال: ﴿بعد الله﴾ أى الحديث
الاعظم عن^٨ الملك الاعلى ﴿وأيته﴾ أى والحديث عن^٩ دلالاته
العظيمة^{١٠} ﴿يؤمنون﴾ من خاطب - وهم الجمهور - ردوه على قوله
”وفى خلقكم“ وهو أقوى بكيتنا، وغيرهم و^{١١} هم أبو عمرو وحفص^{١٢} عن
(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تبعوا أصلها (٢) من م و مد، وفى
الأصل: رتبها (٣-٣) -قط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٤) زيد فى
الأصل وظ: انتهى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٥) فى مد: متلبسة.
(٦) من م و مد، وفى الأصل وظ: جمعا (٧) من مد، وفى الأصل وظ
وم: من (٨-٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: دلالاته العظيم به (٩) راجع
نثر المرجان / ٤٩٦ (١٠-١٠) من مد، وفى الأصل وظ و م: هو
أبو حفص وعمرؤ.

عاصم وروح عن يعقوب رأوا ان ذلك الخطاب صرف إلى خطاب
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "تتلوها عليك بالحق".

ولما كان لا يبق على الكفر نوع بقاء فضلا عن الإصرار بعد
هذا البيان إلا من يستحق النكال لمجاهرتة بالعناد، قال على وجه الاستنتاج
مهددا: ﴿ويل﴾ أى مكان معروف فى جهنم ﴿لكل فاك﴾ أى مبالغ
فى صرف الحق عن وجهه ﴿اثم لا﴾ أى مبالغ فى لتأب الإثم وهو
الذنب، وعمل ما لا يحل مما يوجب العقاب، وأفسر هذا بقوله:
﴿يسمع أريت الله﴾ أى دلالات الملك الأعظم "ظاهرة حال كونها
﴿تلى﴾ أى يواصل "استماعه لها" بلسان القال أو الخال، من أى تال
كان، عالية ﴿عليه﴾ بجميع ما فيها من سهولة فهمها وعذوبة ألفاظها ١٠
وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الإعجاز فكيف إذا كان اتتلى
أشرف الخلق .

ولما كانت تلاوتها موجبة لإقلاعه فكان "إصراره مع بعد رتبته
فى الشناعة" مستبعدا كونه قال: ﴿ثم يصر﴾ أى يديم دواما عظيما
على قبيح ما هو فيه حال كونه ﴿مستكبرا﴾ أى طالبا الكبر عن الإذعان ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالجدال والعماد (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: عليه، ولم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: استماعها (٥) من
م و مد، وفى الأصل وظ: مكان (٦) من م و مد، وفى الأصل
وظ: الساعة .

ووجداله . ولما كان مع ما ذكر من حاله يجوز أن يكون سماعه لها،
 خفف من^٢ مبالغته في الكفر، بين أنها لم تؤثر فيه نوعاً من التأثير، فكان
 قلبه أشد قسوة من الحجر [فقال -^٣] : « كان » أى كأنه « لم يسمعها »
 فلم من ذلك ومن الإصرار وما قيد به من الاستكبار أن حاله عند
 ٥ السماع وقله وبعده على حد سواء، وقد علم بهذا الوصف أن [كل -^٢]
 من لم ترده آيات الله تعالى كان مبالغاً في الإثم والإمك، فكان له الويل .
 ولما كان الإصرار معناه الدوام المتحكم، لم يذكر الوقوف الذي هو من
 الأمراض الثابتة كما ذكره في سورة لقمان، قال ابن القطاع^٤ وابن
 ظريف في أفعالهما : أصر على الذنب والمكروه : أقام، وقال [عبد -^٢]
 ١٠ الغافر الفارسي في المجمع : أصررت على الشيء أى أقمت ودمت عليه،
 وقال ابن فارس^٥ في المجمل : والإصرار : العزم على الشيء والثبات
 عليه^٦، وقال أبو عبد الله القزاز في ديوانه ونقله عنه عبد الحق في واعيهِ :
 / وأصل الصر الإمساك، ومنه يقال : أصر فلان^٧ على كذا، أى أقام
 ١٥ عليه وأمسكه في نفسه [وعقده لأنه قد يقول ما ليس في نفسه -^٢]
 وما لا يعتقده، والرجل مصر على الذنب أى يمسك له معتقده عليه، ثم
 (١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : له (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
 عن (٣) زيد من م ومد (٤) راجع كتاب الأفعال ٢/ ٢٥١ (٥) سقط من م
 ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : فارسي (٧) سقط من ظ و م .
 ومد (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ابن (٩) زيد في الأصل : أى
 أمسك، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .

قال : من الإصرار عليه وهو العزم على أن لا يقلع عنه ، و قال الأصفهاني^١
نعا لصاحب الكشف : وأصله من أصر الحمار على العانة^٢ ، وهو أن
ينحنى عليها صاراً أذنيه .

ولما أخبر عن ثباته على الخبث ، سبب عنه تهديده في أسلوب
دال - بما فيه من التهمك - على شدة الغضب وعلى أنه إن كان له بشارة ه
فهو العذاب فلا بشارة له أصلاً فقال^٣ تعالى : ﴿ فبشره ﴾ أى على هذا
الفعل الخبث ﴿ بعذاب ﴾ لا يدع له عذوبة أصلاً ﴿ اليم ﴾ أى
بليغ الإيلام .

ولما بين تعالى كفره بما يسمع من الآيات ، أتبعه ما هو أعم
منه فقال : ﴿ وإذا علم ﴾ أى أى نوع كان من أسباب العلم ﴿ من آيتنا ﴾ ١٠
أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا ﴿ شيئاً ﴾ * [وراه - ١]
وكان كلما رأوا الإنسان في غاية التمكن منه ، قال مبيناً للعذاب :
﴿ جهنم ﴾ أى تأخذهم^٥ لا محالة وهم في غاية الغفلة عنها بترك الاحتراز
منها ، ويحسن التعبير بالوراء^٤ أن الكلام في الآفاك ، وهو انصراف^٦

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل وم : الأصبهاني (٢) من م ومد ، وفي الأصل
وظ : الصانة - كذا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : وذلك قال (٤) وقع
في مد بياض من هنا إلى « جهنم أى تأخذهم » قدر صفحة مطبوعة وبضعة أسطر .
(٥) وقع في الأصل وظ وم بياض من هنا قدر صفحة مطبوعة ، وينتهي
إلى « وكان كلما رأوا » - وقطعت من الآية « اتخذها جزوا^٧ أو آلتك لهم عذاب
مهيئ^٨ من ورآتهم » (٦) زيد من م (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
فأخذهم (٨) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بالواو (٩) من ظ وم ومد ،
وفي الأصل : صرف .

الأمور عن أوجهها^١ إلى ألقائها^٢ فهو ماش أبدا إلى ورائه فهو ماش
إلى النار بظهره^٣. ويستعمل، "وراء" في الأمام، فيكون حيثن مجازا
عن^٤ الإحاطة أى تأخذهم من الجهة التى هم بها^٥ عالمون والجهة التى هم
بها^٦ جاهلون، فلقام غاية النجوم والعبوسة والغيط والكراهة ضد ما
كانوا عليه عند [العلم - ٧] بالآيات المرئية والمسموعة من الاستهزاء
الملازم للضحك والتمايل^٨ بطرا وأشرا، ومثل ما كانوا عليه عند الملاقاة
للصدقين بتلك الآيات .

[و- ٧] لما كانوا يظهرون الركون إلى ما بأيديهم من الاعراض الفاية،
قال: (ولا يفتى عنهم) أى فى دفع^٩ ذلك (ما كسبوا) أى حصلوا^{١٠}
١٠ / ٧٥٥ من الأمور التى أفادتهم العز الذى / أورثهم الاستهزاء^{١١} (شيئا) أى
من إغناء^{١٢} . ولما^{١٣} كان هؤلاء لما هم عليه من العمى^{١٤} يدعون إغناء
آلهم^{١٥} عنهم، قال^{١٦} مصرحاً بها: (ولما اتخذوا) أى كلفوا أنفسهم

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: وجهها (٢) فى الأصل: اقولها، وفى
ظ و م ومد: اقوالها - كذ (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بظهر .
(٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: فى (٥) من ظ و م ومد، وفى
الأصل ولها (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من مد (٨) من ظ و م ومد،
وفى الأصل: القابل (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: رفع (١٠) من م
ومد، وفى الأصل وظ: حصوا (١١) زيد فى الأصل: ولم يفتى عنهم
الاستهزاء، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفها (١٢) من م ومد، وفى
الأصل وظ: الاغناء (١٣-١٤) فى ظ و م ومد: كانوا (١٤) من ظ و م
ومد، وفى الأصل: الالهة (١٥) زيد فى الأصل وظ: نجيا ميتنا، ولم تكن
الزيادة فى م ومد فحذفها .

بأخذه مخالفين لما دعتهم إليها فطرهم الأولى السليمة من البعد عنها .
 ولما كان كفرهم إنما هو الإشراك ، فكانوا يقولون " الله " أيضا ، قال
 معبرا بما يفهم^١ سفول ما سواه : ﴿ من دون الله ﴾ أى أدنى رتبة من
 رتب الملك الأعظم ﴿ أولآءه ﴾ أى يطعمون فى أن يفعلوا معهم ما يفعله
 القريب من النفع و الذب و الدفع^٢ ﴿ ولهم ﴾ مع عذابهم^٣ بحية^٤ ه
 الأمل ﴿ عذاب عظيم ﴾ لا يدع جهة من جهاتهم و لا زمانا^٥ من أزمانهم
 و لا عضوا من أعضائهم إلا ملأه .

ولما أخبر عما لمن أعرض^٦ عن الآيات^٧ بما [هو -^٨] أجل موعظة
 و أردع زاجر عن الضلال ، قال مشيرا إلى ما افتح به الكلام من المتلو
 الذى هذا منه : ﴿ هذا ﴾ أى التنزيل المتلو عليكم ﴿ هدى ﴾ أى^٩ عظيم^{١٠}
 جدا بالغ [فى -^{١١}] الهداية كامل فيها ، فالذين اهتدوا بآيات ربهم
 [لأنهم -^{١٢}] لم يغتروا بالحاضر لكونه زائلا فاستعملوا عقولهم فأمنوا

(١) زيد فى الأصل و ظ : سفولهم و ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها .
 (٢-٢) من م و مد و القرآت الكريم ، و فى الأصل و ظ : دونه .
 (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرفع (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ،
 و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م :
 تحية - كذا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زمنا (٨-٨) من م و مد ،
 و فى الأصل و ظ : بالآيات (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : هدى ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (١١) زيد من ظ و م و مد .

به لهم نعم مقيم ﴿الذين كفروا﴾ أى سبّروا ما دلّهم^١ عليه مرافق
 تقولهم به - هكذا كان الأصل ، ولكنه نبه على أن كل جملة من جملة ،
 بل كل^٢ كلمة من كلماته^٣ دلالة واضحة عليه سبحانه فقال : ﴿بأنيت رهم﴾
 أى وهذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن
 إليهم فضلوا عن السبيل لتفريطهم^٤ في النظر^٥ لغرورهم بالحاضر الفانى
 ﴿لهم عذاب﴾ [كائن^٦ -] ﴿من رجز﴾ [أى عقاب -] فذر^٧ شديد
 جدا عظيم اقلقلة^٨ والاضطراب^٩ متابع^{١٠} الحركات ، قال القزاز : الرجز
 والرجس واحد ﴿اليم﴾ أى بليغ الإيلام . الآية من الاحتباك :
 ذكر الهدى أولا دليلا على الضلال ثانيا ، والكفر والعذاب ثانيا دليلا^{١١}
 على ضدّها أولا ، وسره أنه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه ، والمشقى
 ترهيبا منه .

ولما ذكر سبحانه وتعالى^{١٢} صفة الربوبية ، ذكر بعض آثارها وما

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : دلهم (٢) سقط من م ومد (٣) فى مد :
 كلمات (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بتفريطهم (٥) زبدت الواو
 بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٦) وقع فى الأصل وظ
 بعد رجز ، والترتيب بين م ومد (٧) زيد من م ومد (٨) من م ومد ،
 وفى الأصل وظ : قدو - كذا (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : القلقة .
 (١٠) زيد فى الأصل وظ : موقع ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .
 (١١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : متابع (١٢) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : دالان (١٣) زيد فى الأصل : السبب المسعد ترغيبا فيه ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها .

فيها من آياته ، فقال مستأنفا دالا على عظمتها ' بالاسم الأعظم : ﴿ الله ﴾
 أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات ' الكمال . ولما كان آخر الآيات
 التى قدمها الرياح ، ذكر ما يتصرف بتسييرها فقال : ﴿ الذى سخر ﴾ أى
 وحده من غير حول منكم فى ذلك بوجه من الوجوه ﴿ لكم ﴾ أيها
 الناس بركم وفاجرکم ﴿ البحر ﴾ ' بنا جعل فيه مما لا يقدر عليه ' إلا واحد ه
 لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير ' فيه بالركة والليونة والاستواء
 مع الريح الموافقة وأنه يطفو ' عليه ما كان من الخشب مع ما علم من
 صنعته على هذا الوجه الذى تم به المراد ﴿ لتجرى الفلك ﴾ أى السفن
 ﴿ فيه بامرہ ﴾ ولو كانت موقرة ' بأثقال ' الحديد الذى يغوص فيه '
 أخف شيء منه كالإبرة / وما دونها .

١٠ / ٧٥٦

ولما كان التقدير: لتعبروا بذلك فتعلموا أنه بقدرته خاصة لتؤمنوا
 به ، عطف عليه قوله : ﴿ ولتبتغوا ﴾ أى تطلبوا بشهوة نفس واجتهاد
 بما تحملون فيه من المضائق ' وتتوصلون إليه من الأماكن والمقاصد

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عظمها (٢) زيد فى الأصل : الجلال و ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذها (٣) زيد فى الأصل : أى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذها (٤) ومن هنا إلى ما سنبه عليه
 سقطت نسخة م (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالستر (٦) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : مطعوا - كذا (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : موقرة .
 (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : باقوال (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى
 البحر (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : الصنائع .

بالصيد و الغوص و غير ذلك (من فضله) لم يصنع شيئا [منه]
سواه . ولما كان التقدير : لتظهر عليكم آثار نعمته ، عطف عليه
قوله تعالى : (ولعلكم تشكرون) أى و لتكونوا بحيث يرجو منكم
من ينظر حالكم ذلك شكر من أنعم عليكم به ليزيدكم من فضله فى
الدنيا و الآخرة .

ولما ذكر آية البحر لعظمتها ، عم بمنافع الخافقين دلالة على أنه
ما خلق ذلك كله على عظمه إلا لنا ، تنبيهها على أن الأمر عظيم فقال
تعالى : (وسخر لكم) أى خاصة و لو شاء لمنعه (ما فى السموات)
بإزاله إليكم منها على أنها بحيث لا يمكنكم الوصول إليها بوجه ، و أكد
١٠ باعادة الموصول لأن السياق للدلالة على عزته و حكيمته الدالتين على توحده
باستحقاق العبادة الذى هم له منكرون كما دلنا على توحده بالإيجاد و السيادة
و هم معترفون بذلك بالسنتهم ، و أفعالهم أفعال من ينكره ، فقال :
(و ما فى الارض) و أوصلكم إليه و لو شاء لجعلكم كما فى السماء
لا وصول لكم إليه ، و أكد ما دل على ما مضى من العموم بقوله :
١٥ (جميعا) حال كون ذلك كله من أعيان تلك الأشياء و من تسخيرها
(منه) لاصنع لاحد غيره فى شىء منه فى ذلك ، قال الرازى فى اللوامع :
قال أبو يعقوب النهرجورى : سخر لك الكل لئلا يسخر منك شىء ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : ان (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : لها (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : دالا (٥) من مد ، وفى
الأصل و ظ : افعال (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : تسخير (٧) من مد ،
وفى الأصل و ظ : المهرجورى .

و تكون مسخرا لمن سخر لك الكل و هو الله تعالى ، فانه يقبح بالمخدوم
أن يخدم خادمه ، و قال الفشيرى : ما من شيء من الأعيان الظاهرة
إلا و [من - ١] وجه للانسان به انتفاع ، فمن أن يستسخر ما
هو مسخر لك .

ولما صح أنه لاشريك له في شيء من الخلق لامن الذوات و لامن ه
المعاني ، حسن جدا قوله ، مؤكدا لأن^٢ عملهم يخالفه : (ان في ذلك)
أى الأمر العظيم و هو تسخير^٣ لنا كل شيء في^٤ الكون (لأيت)
أى دلالات^٥ واضحات على أنهم في الالتفات إلى غيره في ضلال
مبين بعد تسخير^٦ لنا ما لنا من الأعضاء و القوى على هذا الوجه البديع
مع أن من هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا (لقوم) أى ناس فيهم ١٠
أهلية للقيام بما يحمل إليهم (يتفكرون ه) أنه المتوحد باستحقاق^٧ الإلهية
فلا^٨ يشركون به شيئا .

ولما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه
على جميع خلقه طاعتهم و عاصيهم ، فعلت بواسطة ذلك الاخلاق الفاضلة
و الافعال الحميدة ، و كان على المقبل عليه المحب [له - ٧] التخلق بأوصافه ، ١٥
أتج قوله مخاطبا لأنهم خلقه عنه و أطوعهم له الذى الأوامر إنما هي

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : عليهم و ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و مد فحذفناها (٣ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكل شيء من (٤) من
مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك الايات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل :
بالاستحقاقات (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلما (٧) زيد من مد .

له من شدة طوعته تكوين لا تكليف : ﴿ قل ﴾ أى بقالك و حالك
 ﴿ للذين / امنوا ﴾ أى ادعوا التصديق بكل ما جاءهم من الله : اغفروا / ٧٥٧
 تسنا^١ به من أساء إليكم . و لما كان هذا الأمر فى الذروة من اقتضاء
 الإحسان إلى المسىء فكيف بالصفح عنه ، كان كأنه علة مستقلة فى
 ٥ الإقبال عليه و القبول منه و الإعراض عن مؤاخذه المسىء . فان ذلك
 يقدح فى كمال الإقبال عليه مع أن من كان يريد هو سبحانه الانتقام
 منه فهو يكفى أمره ، و من^٢ لم يرد ذلك منه فلا حيلة فى كفه بوجه
 فالاشتغال^٣ به عبث . فبه على ذلك بأن جعل جواب الأمر قوله :
 ﴿ يغفروا ﴾ أى يستروا سترًا بالغًا .

١٠ . و لما كان العاقل من سعى جهده فى نفع نفسه ، و كان الأذى
 لعباد الله مظنة لتوقع الغضب منه و قادحا فيما يرجى من إحسانه قال :
 ﴿ للذين ﴾ و عبر فى موضع " أسأؤا إليهم " بقوله تعالى : ﴿ لا يرجون ﴾
 أى حقيقة و مجازا ، و التعبير فى موضع الخوف بالرجاء لما فيه من
 الاستجلاب و الترغيب و التأليف و الاستعطاف ، و قال بعد ما به
 ١٥ [عليه - ٦] بتلك العبارة من جليل الإشارة : ﴿ أيام الله ﴾ أى مثل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يحلف ، و زيد بعده فى الأصل : صلى الله
 عليه و على آله و أصحاب الكرام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لخدفاها .
 (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تدبى (م) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (هـ) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 فاشتغال (٧) زيد من مد .

وقائع الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال في ' الأهم الخالية بادالة الدول
تارة لهم وأخرى عليهم، وفيه أعظم ترغيب' في الحث على الغفران
للموافق' في الدين، وتنبه على أنه لا يقدم على الإساءة إلى عبيده إلا من
أعرض عنه، فصار حاله حال الآئس من صنائعه * سبحانه في جزائه
للسوء والمحسن في الأيام والليالي، وعبر بالاسم الشريف تنبيها على ما ه
له من الجلال والجمال في معاملة كل منها، قال [ابن - ١] برجان :
وهذه الآية وشبهها من النسي المذكور في قوله تعالى " ما ننسخ من
آية أو نفسها " و ليس بنسخ بل هو حكم يحى * ويذهب بحسب القدرة
على الانتصار، وكان ينزل مثل هذا بمكة والمسلمون في ضعف، و نزل
بعد الهجرة آية الجهاد والأمر بالمعروف، وترك' هذه وأمثالها ١٠
مسطورة في القرآن" لما عسى أن يدور من دوائر أيام الله ومن أيامه
إزالة أهل الكفر تنبيها للمسلمين ليراجعوا أمرهم ويصلحوا ما بينهم
و بين ربهم " .

-
- (١) من مد، وفي الأصل وظ : من (٢) من مد، وفي الأصل وظ :
الترغيب (٣) من مد، وفي الأصل وظ : الموافق (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل : على (٥) من مد، وفي الأصل وظ : صانعه (٦) زيد من مد (٧) زيد
في الأصل وظ : فأت . ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٨) من ظ و مد،
وفي الأصل يحى (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : ترك (١٠) زيد في مد :
موصدة (١١) من مد، وفي الأصل وظ : الله تعالى .

ولما كان من قورصص على جنايته في الدنيا، سقط 'عنه أمرها'
 في الآخرة، وكان المسلط للجاني في الحقيقة إنما هو الله تعالى وكان
 تسليطه إياه لحكم بالغة تظهر غاية الظهور في الآخرة، علل الأمر بالفقران
 مهتداً للجاني ومسلماً للجنى عليه: ﴿ليجزى﴾ أى الله في قراءة الجماعة
 ٥ بالتحتانية والبناء للفاعل، ونحن بما لنا من العظمة في قراءة ابن عامر
 وحمة والكسائي بالنون، وبناء أبو جعفر للفعول فيكون النائب عن
 الفاعل الخير أو الشر بتقدير حارب الجر لجزائهم في الدنيا وفي الآخرة
 حيث يظهر الحكم وينجلي الظلم.

ولما كان ربما جوزى جميع الجناة، وربما عني عن بعضهم بالتوبة
 ١٠ / ٧٥٨ عليه أو غيرها ~~تفضل~~ / لحكم أخرى ويثاب المظلوم على ظلامته لمثل*
 ذلك قال: ﴿قوما﴾ أى من الجناة وإن كانوا في غاية العلو والكبرياء
 والجبروت ومن المجنى عليهم وإن كانوا في غاية الضعف ﴿بما﴾ أى
 بسبب الذى ﴿كانوا﴾ أى في جبلاتهم وأرزوه إلى الخارج
 ﴿يكسبون﴾ أى يفعلون على ظن أنه ينفعهم أو بسبب كسبهم من
 ١٥ خير أو شر، والحاصل أنه تعالى يقول: أعرض عمن ظلمك و كل
 أمره إلى قاتل لا أظلمك^٢ ولا أظلم^٣ أحداً، فسوف أجزيك على صبرك

(١-١) من مد، وفي الأصل و ظ: أمرها عنه (٢) من ظ و مد، وفي
 الأصل: بقول مهتد (٣) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٠٢ (٤) زيدت الواو في
 الأصل ولم تكن في ظ و مد لخذفها (٥) في ظ: لئلا (٦) من ظ، وفي
 الأصل: الكبر، وليس وأخذاً في مد (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.

أجزيه على بغيه وأنا قادر . وأقادت قراءة أبي جعفر^١ الإبلاغ في تعظيم
 الفاعل [و - ٢] أنه معلوم ، وتعظيم ما أقيم مقامه وهو الجزء يجعله
 عمدة مسندا إليه لأن عظمته على حسب ما أقيم مقامه ، فالتقدير لكون
 الفعل يتمدى إلى مفعولين كما قال تعالى " وجرائم بما صبروا جنة وحريرا " :
 ليجزى الملك الأعظم الجزء الأعظم من الخير للؤمن و الشر للكافر .
 قوما ، لجعل الجزء كالفاعل و [إن - ٣] كان مفعولا كما جعل
 " زيد " فاعلا في مات زيد وإن كان مفعولا في المعنى : تنبيهها على
 عظيم تأثير الفعل . فانه لا انفكاك عنه لأنه يحمل متمكنا من المجزى
 [تمكن المجزى - ٤] من جزائه ومحيطا به لأن الله تعالى بعظم قدرته
 يجعل عمل الإنسان نفسه جزاء له ، قال الله تعالى " سيجزيهم وصفهم " ١٠
 بما كانوا يعملون ، ويجوز أن يكون النائب عن الفاعل ضمير " الذين "
 بالنظر إلى لفظه فيكون المعنى : سيجزى الذين آمنوا ناسا كانوا أقربا
 على القيام في أذاهم بسبب أذاهم [لهم - ٥] فيجعل كلا^٦ منهم فداء
 لكل منهم من النار ، وربما^٧ رأوا بعض آثار ذلك في الدنيا ، روى مسلم
 والترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه ١٥
 وسلم قال : ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بغفو إلا
 عزاء ، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل . ولأحمد والترمذى -
 (١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : محيطا ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) في م : ما ، و استأنهت النسخة من
 هنا (٥) زيد من م و مد (٦) في م : كل (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل :
 بما (٧) في م : عبيد ، و الحديث مضى قريبا .

واللفظ له وقال : حسن صحيح^١ بن أبي كبشة الأعمري رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد^٢ من صدقة ، و ما ظلم عبد مظلمة صر عليها إلا زاده الله عزاء ، و لا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر - أو كلفة نحوها ، و روى الحاكم و صحيح إسناده ، قال المنذرى : و فيه انقطاع عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : من سره أن يشرف له البيان و ترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه و يعط من حرمة و يصل من قطعه^٣ .

و لما رغب سبحانه و رهب و تقرر أنه لا بد من الجزاء ، زاد في ١٠ [الترغيب و -]^٤ [الترهيب بأن النفع و الضر لا يدوم فقال شارحاً للجزاء : (من عمل صالحاً) قل أو جل (فلنفسه) أى خاصة عمله يرى جزاءه فى الدنيا ' أو فى ' الآخرة (و من أساء) أى ' كذلك ' إساءة قت أو جلت ' (فليها) خاصة إساءته كذلك ، و ذلك فى غاية الظهور لأنه لا يسوغ فى عقل عاقل أن ملكا يدع^٥

(١) زيدت الوارد فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد لحدوثها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اء- (٣) هامش م : روى مسلم عن أبي موسى رفعه : إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً يقول : هذا فكاكك من النار (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٦) - قط من ظ و م و مد (٧-٧) - قط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : رذع ، و فى م : روع .

عبيد من غير جزاء ولا سيما إذا كان حكيما وإن كانت نقائص
النفوس قد غطت على كثير / من العقول ذلك و من جزائه أنه يدل^١
المسيء على المحسن لهفوة^٢ وقمت له^٣ ليراجع حاله بالتوبة .

ولما كان سبحانه قادرا^٤ لا يفوته شيء كان بحيث لا يعجل فأخر
الجزاء^٥ إلى اليوم^٦ الموعود : (ثم) أى بعد الابتلاء بالإملاء^٧ في الدنيا ه
والحبس في البرزخ (الى ربكم) أى المالك لكم وحده لا إلى غيره
(ترجعون ه) .

ولما علم بهذه^٨ الحكم ما افتتحت به السورة من [أن - ٩] منزل
هذا الكتاب عزيز حكيم ، فكان التقدير فذلك^{١٠} : فلقد آتيناك
الكتاب والحكم والنبوة وفضلناك وأمتك على العالمين وأرسلناك ١٠
لتنبه الناس على ما أمامهم و كان قومه^{١١} بعد اتلافهم على الضلال قد
اختلفوا بهذا الكتاب الذى كان ينبغي لهم أن يشتد اجتماعهم به
واستنصارهم^{١٢} من أجله ، عطف عليه مسليا قوله : (ولقد آتينا) أى

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لنفوسهم (٢) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : بدليل (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لمنوعة (٤) سقط
من م (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : قادران - كذا (٦ - ٧) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : لليوم (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باملاء .
(٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بهذا (٩) زيد من م و مد (١٠) من
م و مد ، وفى الأصل و ظ : فذلك (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :
قومهم (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : استنصارهم .

على ما لنا من العظمة^١ والقدرة^٢ اليامرة ﴿ بنى إسرائيل ﴾ نبي الله ابن
عمكم إسحاق نبي الله ابن أيكم إبراهيم خليل الله عليهم الصلاة والسلام
﴿ الكتب ﴾ الجامع للخيرات وهو يعم التوراة والإنجيل والزبور وغيرها^٣
بما أنزل على أنبيائهم ﴿ والحكم ﴾ أى العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام
٥ [بحيث - ٢] لا يتطرق إليهما^٤ فساد بما للعلم من الزينة بالعمل ، وللعمل من
الإلتقان^٥ بالعلم ﴿ والنبوة ﴾ التى تدرك بها الاخبار العظيمة التى لا يمكن
اطلاع الخلق عليها بنوع اكتساب منهم ، فأكثرنا فيهم من الانبياء
﴿ ورزقهم ﴾ بعمامتنا لإقامة أبدانهم ﴿ من الطيبات ﴾ من آمن والسلوى
وغيرهما من الارزاق الدنية وغيرها ﴿ وفضلهم ﴾ بما لنا من العزة
١٠ ﴿ على العالمين ﴾ وهم الذين تحقق إيجادنا لهم فى زمانهم وما قبله فانا
آتيناهم من الآيات المثبتة والمسرعة وأكثرنا فيهم من الانبياء ما
لم نفعله لغيرهم من سبق ، وكل ذلك فضيلة ظاهرة ﴿ واتينهم ﴾ مع
ذلك ﴿ بينت من الامر ﴾ الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية
والاحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات . ومن صفات الانبياء الآتين
١٥ بعدهم وغير ذلك مما هو فى غاية الوضوح لمن قضينا بسعاده ، وذلك
أمر يقتضى الألفة والاجتماع وز قد - ٢] كانوا متفقين وهم فى زمن

(١-١) سقط ما بين الرفين من ظ و م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ
وم : غيرهما (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : اليها .
(٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الاتفاق (٦) زيد فى الأصل : ايضا ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فخذناها (٧) زيد من مد .

الضلال لا يختلفون إلا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا .

ولما كان حالهم بعد هذا الإتياء مجحولا ، فصله فقال تعالى :

(فَاخْتَلَفُوا) أى أوقفوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم . ولما

لم يكن اختلافهم مستغرقا لجميع الزمن الذى بعد الإتياء ، أثبت الجار

فقال : (الامن بعد ما جاءهم العلم لا) الذى من شأنه الجمع على المعلوم ، هـ

فكان ما هو سبب الاجتماع سيالهم فى الافتراق لأن الله تعالى أراد

ذلك وهو عزيز .

ولما كان هذا عجبا ، بين علته محذرا من مثلها فقال : (بغيا) -

أى للمجاوزة فى الحدود التى اقتضاهما لهم طلب الرئاسة والحد وغيرهما

من نقائص النفوس . ولما كان / البغى على البعيد مذموما ، زاده عجبا ١٠ / ٧٦٥

بقوله : (بينهم) واقعا فيهم لم يعدم إلى غيرهم ، وقد كانوا قبل ذلك

وهم تحت أيدى القبط فى غاية الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضا

بالذل ، ولذلك إستأنف قوله الذى اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد

من أفعال الملوك فيمن^١ خالف أوامرهم^٢ ، مؤكدا لأجل إنكارهم :

(ان ربك) أى المحسن اليك بارسالك وتكثير أمتك وحفظهم مما^٣ ١٥

ضل به القرون الأولى وبيان يوم الفصل الذى هو عطف الحكمة بيانا

لم يبينه على لسان أحد من سلف (يقضى بينهم) بإحصاء الأعمال والجزاء

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المجاوزة (٢) من م ومد ، وفى

الأصل و ظ : ممن (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : امرهم (٤) من م

ومد ، وفى الأصل و ظ : من .

عليها، لأن هذا مقتضى الحكمة والعزة ﴿يوم القيمة﴾ الذى ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك مع أنه لا يجوز فى الحكمة إنكاره ﴿فيا كانوا﴾ أى بما هو لهم كالجبله ﴿فيه يخلفونه﴾ بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فانه يجوز فى الحكمة أن يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم أنه لا يجوز فى الحكمة أصلا أن يترك المختلفون من غير حكم بينهم لأن هذا لا يرضاه أقل الملوك فانه لا يعرف الملك إلا بالقهر والعزة ولا يعرف كونه حكيما إلا بالعدل، وإذا كان هذا لا يرضاه ملك فكيف يرضاه ملك الملوك، وإذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس وناس، فهو يقتضى ١٠. بينكم أيضا كذلك، ومن التأكيد للوعد بذلك اليوم التعبير باسم الرب مضافا إليه صلى الله عليه وسلم.

ولما كان معنى هذا أنه سبحانه وتعالى جعل نبي إسرائيل على شريعة وهددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديدا لنا، قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منها على علو شريعتنا: ١٥ ﴿ثم﴾ أى بعد فترة من رسلهم ومجازاة رتب كثيرة عالية على

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: إنكارها (٢) زيد فى الأصل: بن هو حيلة لها وطبعا، ولم تكن الزيادة فى ظ م و مد لخدمتها (٣-٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: يجر حكم - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الملك (هـ) من مد، وفى الأصل وظ وم: لذلك (٦) فى مد: الوعد (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: رسل.

[رتبة - ١] شريعتهم ﴿ جعلتك ﴾ أى ' بعظمتنا ﴿ على شريعة ﴾ أى طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هى جديرة بأن يشرع الناس فيها ويخالطوها مبتدئة ^٢ ﴿ من الامر ﴾ الذى هو وحينا وهو حياة الأرواح كما أن الأرواح حياة الأشباح .

ولما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها، سبب عنه ه قوله موجها الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين؛ ليكون أدعى إلى اجتهادهم، فإن أمرهم تكليف وأمر إمامهم تكون: ﴿ فاتبعها ﴾ أى بغاية جهدك . ولما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذى أخبر الله أنه به يأخذ وبه يعطى، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى، ولما كان أحاد الأمة غير معصومين أشار إلى العفو* عن هفواتهم بقوله تعالى: ١٠ ﴿ ولا تتبع ﴾ أى تعتمدوا أن تتبعوا ﴿ أهواء الذين لا يعلمون ه ﴾ أى لاعلم لهم أولهم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار العرب وغيرهم، فإن من تعمد أتباعهم ففعلت بهم^٦ ما فعلت بنى^٧ إسرائيل / حيث لعنتهم على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام^٨ بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام، ١٥

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) سقط من ظ ومد (٣) زيد فى الأصل : تامة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : المأمومون (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : عفوه (٦ - ٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فس (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : بنى . (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م ومد لحذفها .

ثم علل هذا النهى مهددا بقوله [مؤكدا تنديها على أن من خالف أمر الله
لأجل أحدي كان عمله عمل من يظن أنه يحبه -^١] : (انهم) وأكد^٢
النبي فقال تعالى : (لن يغفوا عنك) أى لا يتجدد لهم نوع إغناء
مبتدئ (من الله) المحيط بكل شئ ، قدرة و علما واصل إليه ، وكل
ه ما لا يكون ذا وصلة به فهو عدم (شيئا) من إغناء إن تبعتم كما
أنهم لن^٣ يقدروا لك على شئ من أذى إن خالفتم و ناصبتهم .

ولما كان التقدير : فانهم ظلة لا يضعون شيئا فى موضعه ، و من
اتبعهم فهو منهم ، قال تعالى عاطفا عليه : (وان) وكان الأصل :
وإنهم ، ولكنه أظهر للاعلام بوصفهم فقال : (الظلمين) أى العريقين
١٠ فى هذا الوصف الذمى^٤ (بعضهم اولياء بعض)^٥ فلا ولاية - أى
قرب - بينهم و بين الحكيم أصلا لتباعد ما بين الوصفين فكانت أعمالهم
[كلها -^٦] باطلة لبنائها على غير اساس خلافا لمن يظن بها غير ذلك
تقيدا بالأمور الظاهرة فى هذه الدار (والله) أى الذى له جميع
صفات الجلال و الجمال و العز و الكمال (ولى المتقين) الذين
١٥ همهم^٧ الأعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد فخذناها (٣) فى مد : لم (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
لكن (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الاعلام (٦) زيد فى الأصل : فان
الظالمين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٧) سقط من ظ و م
و مد (٨) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (١٠) من مد ، وفى الأصل
و ظ و م : همهم .

و لا ولاية بينه وبين الظالمين .

و لما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان ، الفائق لقوى الإنسان ، قال مترجماً عنه : (هذا) أى الوحي المنزل . و لما كان فى عظم بيانه 'إزالة' اللبس عن كل ملبس دق أو جل بحيث لا يلحقه شيء من 'خفاء' جعله 'نفس البصيرة' بمجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع كما جعله هـ روحاً فقال : (بصائر للناس) أى الذين هم فى أدنى المراتب ، يصرم بما يصرم و ما ينفعهم ، فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يؤمنون و من فوقهم .

و لما بين ما هو لأهل السفل ، بين ما هو لأهل العلو فقال تعالى : (وهدى) أى قائد^١ إلى كل خير ، مانع^٢ من كل زيغ (ورحمة) ١٠ أى كرامة و فوز^٣ و نعمة (لقوم يؤمنون هـ) أى ناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت و تجديد الترقى فى درجاته إلى ما لا نهاية له أبداً^٤ . و لما كان^٥ التقدير بعد هذا البيان الذى لم يدع لبساً فى أمر الحساب بما حده من الملك الذى يوجب [ما له -^٦] من العظمة و الحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن و عقاب المسيء : أعلم^٧ هؤلاء المخاطبون - لأنهم ١٥

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مازاله - كذا (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخفاء جعلت (٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد ، قائد^٤ . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و مانعا (هـ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوزاً (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل و ظ : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها .

لا يبعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم
 من حسن الغرائز المعلية^١ لهم عن حضيض الحيوان إلى أوج الإنسان
 - أنا نفرق^٢ بين^٣ المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض وبين المحسنين الذين
 نحن أولياؤهم، عطف عليه سبحانه وتعالى قوله: ﴿إمام﴾ قال الأصهباني:
 ٥ / ٧٦٢ قال الإمام / : كلة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفاً على
 آخر سواء كان المعطوف مذكوراً أو مضمرًا - انتهى . وكان الأصل:
 حسبوا^٤، ولكنه [عدل - *] عنه^٥ للتنبيه على أن ارتكاب^٦ السوء
 - هم للبصيرة مضعف للعقل كما أفاده التعبير بالحسبان كما تقدم بيانه
 في البقرة فقال: ﴿حسب الذين اجتروحوا﴾ أى فعلوا^٧ بقاية جهدهم
 ١٠ ونزوع^٨ شهواتهم ﴿السيئات ان يحملهم﴾ مع ما لنا من العظمة المانعة
 من الظلم المقتضية للحكمة ﴿كالذين آمنوا وعملوا﴾ تصديقاً لإقرارهم
 ظاهرها وباطنًا وسرا وعلاية^٩ ﴿الصلححت﴾ بأن تركهم بلا حساب
 للفصل بين المحسن والمسيء .

ولما كانت المائلة مجملة، بينها استئنافاً بقوله "مقدما ما" هو عين

(١) من مد، وفي الأصل وظ وم : العلية (٢) من م ومد، وفي الأصل
 وظ : نقرن (٣) زيد في الأصل : المستثنين ، ولم تكن الزيادة في ظ وم
 ومد لحذفناها (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ : احسبوا (٥) زيد من م
 ومد (٦ - ٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : إلى التنبيه إلى اركاب (٧) في
 م ومد : فعملوا (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : ردع (٩ - ١٠) سقط
 ما بين الرقن من ظ وم ومد (١٠ - ١٠) من م ومد، وفي الأصل
 وظ : ميئنا لما .

المقصود من الجملة الأولى : ﴿ سواء ﴾ أى مستمى استواء عظيمًا
 ﴿ محبهم ومماتهم ﴾ أى حياتهم وموتهم وزمان ذلك و مكانه فى الارتفاع
 و السفول و اللذة و الكدر و غير ذلك من الاعيان و المعاني . و لما
 كان هذا مما لا يرضاه أحد لمن تحت يده و لا لغيره ، قال معبرا بجميع
 الذم : ﴿ ساء ما يحكون ﴾ أى بلغ حكمهم هذا فى نفسه و لاسيما و هم ه
 باصرارهم عليه فى تجديد [له - '] كل ساعة أقصى نهايات السوء ، فهو
 مما يتعجب منه ، لانه لا يدرى الخامل عليه ، و ذلك أنهم نسبوا الحكيم
 الذى لاحكيم فى الحقيقة غيره إلى ما لا يفعله أقل الناس فيمن تحت يده .
 و لما أنكر التسوية و ذمهم على الحكم بها ، أتبع ذلك الدليل
 القطعى على أن الفريقين لا يستويان و إلا لما كان الخالق لهذا الوجود ١٠
 عزيزا و لا حكيما ، فقال دالا على إنكار التسوية و سوء حكمهم بها ، عاطفا
 على ما تقديره : فقد خلق الله الناس كلهم بالحق و هو الأمر الثابت
 الذى يطابقه الواقع ، و هو ثبات أعمال المحسنين و بطلان أفعال المسيئين ،
 عطف عليه قوله : ﴿ و خلق الله ﴾ أى الذى له جميع أوصاف الكمال
 و لا يصح و لا يتصور أن يلحقه نوع نقص ﴿ السموات و الارض ﴾ ١٥
 اللتين هما ظرف لـكم و ابتدئت [السورة - '] بالتنبية على آياتهما ، خلقا
 ملتبسا * ﴿ بالحق ﴾ فلا يطابق الواقع فيها [أبدا - '] شيئا باطلا ،

(١) زيد فى الأصل : و ما كان هذا مناسبا له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 لـخذفناها (٢) زيد من م و مد (م) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يطابقه .
 (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أعمال (ه) فى ظ : متلبسا .

فتى وجد سبب الشيء و أتى مانعه وجد ، و متى وجد مانع الشيء و أتى
 سببه أتى ، لا يتخلف ذلك أصلاً ، و لذلك جملة ما وقع من خلقها
 طابقه الواقع الذى هو ' قدرة الله و عله و حكمته و جميع ما له من صفات
 الكمال التى دل خلقها ' عليها ، فإذا كان الظرف على هذا الإحكام فما
 ٥ الظن بالمظروف الذى ما خلق الظرف إلا من أجله ، مـل يمكن فى
 الحكمة أن يكون على غير ذلك فيكون الواقع الذى هو تفضيل المحسن
 على المسىء غير مطابق لأحوالهم ، و من جملة المظروف ما بينهما فلذا
 لم يذكر هنا ، ولو [كان -] ذلك من غير بعث و مجازاة بحسب الاعمال
 لما كان هذا الخلق العظيم بالحق بل بالباطل / الذى تعالى عنه الحكيم
 ١٠ فكيف و هو أحكم الحاكمين .

/ ٧٦٣

و لما كان التقدير : ليكون كل مسبب مطابقاً لأسبابه ، عطف عليه
 قوله : ﴿ و لتجزى ﴾ [بأيسر أمر -] ﴿ كل نفس ﴾ أى منكم و من
 غيركم ﴿ بما ﴾ أى بسبب الأمر الذى . و لما كان السياق للعموم ، و كان
 المؤمن لا يجزى إلا بما عمله ' على عمد منه و قصد ليكتب فى أعماله ،
 (١) زيد فى الأصل : تفصيل المحسن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .
 (٢) من م ، و فى الأصل و مد : خلقها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلذلك (٥) زيد من م و مد .
 (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مجاوزة (٧) زيدت الواو فى الأصل
 و لم تكن فى ظ و م و مد لحذفها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتعالى .
 (٩) زيد فى الأصل و ظ و م : وهو ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها .

[عبر-١] بالكسب الذى هو أخص من العمل فقال: ﴿كسبت﴾ أى كسبتها من خير أو شر، فيكون ما وقع الوعد به مطلقا لكسبها ﴿وهم﴾ أى والحال أنهم ﴿لا يظلمون﴾ أى لا يوجد من "موجد ما" في وقت "من الأوقات جزاء لهم في غير موضعه، وهذا [على - °] ما جرت به عوائدكم في العدل والفضل، ولو وجد منه سبحانه غير هـ ذلك لم يكن ظلما منه لأنه المالك المطلق والمالك الأعظم، فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه كلهم لكان غير ظالم لهم في نفس الأمر، فهذا الخطاب إنما هو على ما تتعارفه من إقامة الحجة بمخالفة الأمر. ولما بين غاية البيان أنه الإله وحده بما له من الإمطة بجميع صفات الكمال، وأنه لا بد "من جمعه" الخلاق ليوم الفصل للحكم بينهم ١٠ بما له من الحكمة "والقدرة، وحققر الهوى ونهى عن اتباعه، وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودا، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله، ولم يرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك "التعجب عن" يظن أنه يقدر

(١) زيد من م مد (٢) في م و مد: او (٣-٢) في الأصل وظ بياض ملائكة من م و مد (٤) في الأصل وظ ما، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عذاب. (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: وهذا (٨) في الأصل وظ بياض ملائكة من م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متعارفة (١٠) من مد، وفي الأصل وظ و م: مخالفة (١١-١١) من مد، وفي وظ و م: لجمعه. (١٢) من مد، وفي الأصل وظ و م: الحكم (١٣-١٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التعجب من.

على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء فقال: ﴿افرهيت﴾ أى
أعلنت علما هو فى تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى أثبت الحواس
﴿من اتخذ﴾ [أى - ١] بقاية جهده^١ و اجتهداه^٢ ﴿الله هو﴾ أى
حول وصف الإله حتى صار هوى لنفسه، فهو تابع لهواه ليس غير،
هـ فهو فى أودية الضلال يهيم على غير سنن فهو معرض لكل بلاء، فحسر
أكثر من رحمه لكونه بلا دليل، والدليل على أنهم لا يعبدون
إلا مجرد الهوى ما رواه البخارى فى وفد بنى حنيفة من المغازى من
صحيحه^٣ عن أبى رجاء العطاردى وهو مخضرم ثقة أدرك الجاهلية ومات
سنة خمس و مائة عن مائة و عشرين سنة، قال: كنا نعبد الحجر، فإذا
١٠ وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا
جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فخلبنا^٤ عليه ثم طفنا به - انتهى - ومع
ذلك فكيفما قلبت أمرهم وجدته شعبة يسيرة من كفر الاتحادية،
و كل متشبثات^٥ قريش التى عابهم الله بها تشبثت^٦ بها الاتحادية حتى قولهم
”ما نعبدم إلا ليقربونا الى الله زلنى“ ولو قدم الهوى لكان المعنى أنه
١٥ حول وصفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، ولم يبق إلا ما ينسب إلى

(١) زيد من مد (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٣) راجع ٢/٦٢٨ -
(٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: رفة (هـ) من ظ و مد والصحيح، وفى
الأصل وم: فخلبناها (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: مستببات (٧) من
ظ و م ومد، وفى الأصل: تيشت.

الإلهية كما اضمحل الطين في : احدث الطين حرقا ، فصار المعنى أن^١ العابد لا يتحرك إلا بحسب^٢ ما يأمره به الإله^٣ ويصير التركيب يفيد تعظيمه بغلبة الإثبات وإذهاب الهوى غاية الإذهاب ، ولو كان التقديم في هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم^٤ هنا [الهوى - °] لأن السياق والسباق [له - °] وقد تقدم في سورة الفرقان ما ينفع [هنا - °]
و مفعول " رأى " الثاني مقدر يدل عليه قوله آخر الكلام " فمن يهديه " تقديره : أي يمكن أحدا^٥ غير الله هدايته ما دام هو موجودا ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما :- ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه - انتهى . ومعناه أنه يهوى بصاحبه في الهراء الممدود^٦ وهو القضاء ، أى ينزل^٧ به عن^٨ " درجة عليا إلى ما دونها ، فهو في سفول ما دام " تابعا له " لأنه ١٠ بحيث " لا قرار ولا تمكن ، فلذلك هو يوجب الهوان ، قال " الأصمهاى : سئل ابن المقفع^٩ عن الهوى ، فقال : هوان سرفت نونه " ، فنظمه من قال^{١٠} :

(١) زيد في الأصل و ظ : لا ، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٢) في مد : على حسب (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الالهية (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : تقدم (٥) زيد من م ومد (٦) زيد من م و م ومد (٧) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : احد (٨) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الدود (٩) من م مد ، وفي الأصل و ظ و م : نزل (١٠) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : في (١١-١٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : تابعه (١٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الا (١٣-١٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : ابن المقفع سئل الأصمهاى سئل ابن المقفع ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (١٤) من م و م و م ، وفي الأصل : نون (١٥) زيد في =

نؤمن الهوان من الهوى مسروقه . وأسير كل هوى أسير هوان
وقال آخر^١ ولم يخطئ المعنى وأجاد :

إن الهوى هو الهوان بعينه فاذا هويت فقد لقيت هوانا

(واضله الله) أى بما^٢ له من الإحاطة (على علم^٣) منه بما فطر عليه
هـ من أنه لا يكون أثر بلا مؤثر، ومن أنه لا يكون منفردا بالملك^٤ إلا وهو
مستحق للتفرد بالعبادة . وهو أنه لم يخلق الكون إلا حكيم ، وأن الحكيم
لا يدع من تحت يده يبغي بعضهم^٥ على بعض^٦ من غير فصل [بينهم -^٧]
لا سيما . قد وعد بذلك ولا سيما والوعد بذلك فى أساليب الإعجاز
التي هم أعرف الناس بها ، أو على^٨ علم من المضل بأن الضال مستحق
١٠ لذلك لأنه جله جلة شر .

ولما كان الضال أحوج إلى سماع صوت الهادى^٩ منه إلى غيره ،
وكان من لا يتفجع بما هو له فى حكم العادم له قال : (وختم^{١٠}) أى زيادة

= الأصل : شعر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد .

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : فلقد (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لا (٤) زيد فى الأصل :
هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٥) من م ومد ، وفى
الأصل و ظ : لا (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ و م ومد (٧) زيد
من ظ و م ومد (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اعلى (٩) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : المتادى .

على الإضلال الحاضر ﴿ على سمعه ﴾ فلا فهم [له - '] في الآيات المسموعة . ولما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال : ﴿ وقلبه ﴾ أى فهو لا يعى ما^٢ من حقه وعيه . ولما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره^٣ ومنافعه فيأشرها مباشرة البهائم قال : ﴿ وجعل على بصره غشوة^٤ ﴾ فصار لا يبصر الآيات المرئية ، وترتيبها هكذا لأنها في سياق الإضلال ه كما^٥ تقدم في البقرة .

ولما صار هذا الإنسان الذى [صار '] لا يسمع الهادى فيقصده ولا يعى المعانى لينتفع بما تقدم له عليه ، ولا يبصر حق البصر ليهدى^٦ يبصره دون رتبة الحيوان ، قال تعالى منكرا مسييا للانكار^٧ عما تقدمه^٨ : ﴿ فن يهديه ﴾ وأشار إلى قدرة الله عليه بقوله : ﴿ من بعد الله^٩ ﴾ أى ١٠ إضلال الذى له الإحاطة بكل شىء . ولما كان من المعلوم قطعاً أنه لا هادى له غيره ، سبب عنه الإنكار لعدم التذكر^{١١} حتا على التذكر^{١٢} فقال^{١٣} مشيراً بادغام تاء التفعّل إلى^{١٤} عدم الاحتياج بسبب وضوحه إلى كثير

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٣) فى مد : ما (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مضره (هـ) من مد ، وفى الأصل وظ و م : ما (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لا يهدى . (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : على تقدم (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : التكير (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : التكير (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : قل (١١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : على .

تذكر: ﴿ افلا تذكرون ٥ ﴾ أى يكون لكم نوع تذكر فتذكرون^١ أنهم لا يسمعون الآيات المثلوة ولا يعتبرون بالآيات المرئية مع ما لكل منهما من الظهور، / و أن من كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته .

٥ ولما كان التقدير للدلالة على الحتم على مشاعرهم، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرد تعالى بمخلقهم و رزقهم و خلق جميع الموجودات فى إنكار الوحداية: إن له شركاء^٢، عطف عليه قوله: ﴿ وقالوا ﴾ أى فى إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه^٣ قادر على كل شئ. ومعرفتهم أنه قد وعد بذلك فى الأساليب المعجزة^٤ وأنه^٥ لا يلىق بحكيم أصلا أن يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم: ﴿ ما هى ﴾ أى الحياة^٦ ﴿ الاحياتا ﴾ أى أيها الناس ﴿ الدنيا ﴾ أى هذه التى نحن فيها^٧ مع أن تذكر مدلول هذا الوصف الذى هو أمر نسى لا يعقل إلا بالإضافة^٨ إلى حياة أخرى بُغدى كاف^٩ فى إثبات البعث .

ولما أثبتوا^{١٠} بادعائهم الباطل هذه^{١١} الحياة أتبعوها حالها فقالوا:

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تذكرون (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : شريكا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انه (٤ - ٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فانه (٥) زيد فى الأصل و م : الدنيا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) فى ظ و م و مد : بها (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بدون الاضافة (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كانت . (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

(موت ونحيا) أى تنزع الروح من بعض فيموت، وتنفخ فى [بعض -] آخر فيحيى، وليس وراء الموت حياة أخرى للذى مات، "فقد أسلخوا أنفسهم بهذا القول" من الإنسانية إلى البهيمية لوقوفهم مع الجزئيات . ولما كان هلاكهم فى زعمهم لا آخر له، عدوا الحياة فى جنبه؛ عدما فلم يذكروها وقالوا بجهلهم: (وما يهلكنا) أى بعد هذه الحياة ه (الا الدهر) أى الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد إقباله وتجدد إدبارنا بنزول الأمور المكروهة بنا، من دهره - إذا غلبه . ولما أسند إليهم هذا القول الواهى، بين حالهم عند قوله فقال تعالى: (وما) أى قالوه والحال أنه ما (لهم بذلك) أى القول البعيد من الصواب وهو أنه لاحياة بعد هذه، وأن الهلاك منسوب إلى الدهر على أنه مؤثر بنفسه، ١٠ وأعرق فى التنى فقال: (من علم) أى كثير ولا قليل (ان) أى ما (هم الا يظنون) بقرينة أن الإنسان كلما تقدم فى السن ضعف، وأنه لم يرجع أحد من الموتى .

(١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فسلخوا بهذا القول أنفسهم (٣) زيد فى الأصل: الحالة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٤-٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ: فمن حسه (٥) سقط من ظ و م ومد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: ما اذا (٧) زيد فى الأصل و ظ: هم، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ: إلى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ: أى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (١٠) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المولى .

ولما كان هذا من قولهم عجبا . زاده عجبا بحالهم عند سماعهم للبراهين
القطعية ، فقال عاطفا على ^١ " قالوا " : (و اذا تتلى) أى تابع ^٢ بالقراءة
من أى تال كان (عليهم 'ايتنا) أى ^٣ على ما لها من العظمة ^٤ فى نفسها
و بالإضافة إلينا حال كونها (بينت) أى فى غاية الممكنة فى الدلالة
على البعث ، فلا عذر لهم فى ردها (ما كان) أى ^٥ بوجه من وجوه
الكون (حجتهم) أى قولهم الذى ساقوه مساق الحجة ، وهو لا يستحق
أن يسمى شبهة (الآ ان قالوا) ^٦ قولا ذميا ولم ينظروا إلى مبدهم
(اتوا) أيها التالون للحجج الينة ^٧ من النبى - صلى الله عليه وسلم -
و أتباعه ^٨ الذين اهتموا بهداه ^٩ (بابآثنا) الموتى ، وحاصل هذا
١٠ أنه ما كان لهم حجة إلا أن أتوا بكلام معناه : ليس لنا حجة لأنه ليس
فيه شبهة فضلا عن حجة ، وما كفاهم مناداتهم ^{١١} على أنفسهم بالجهل
حتى عرضوا ^{١٢} لأهل البينات بالكذب فقالوا : (ان كنتم صدقين ^{١٣})
أى عريقين فى الكون فى أهل الصدق / الراضين فيه ^{١٤} من أنه سبحانه
و تعالى يبعث الخلق بعد موتهم ، وذلك استبعاد منهم لأن يقدر على

/ ٧٦٦

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من
ظ و م و مد ، وفى الأصل : تتابع (٣) سقط من م و مد (٤ - ٥) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : نفسها (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد فى
الأصل : لكون ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٨) سقط
ما بين الرقين من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : البينة .
(٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مادانهم (١٠) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : تعرضوا (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فى الصدق .

جمع الجسم بعد ما يلى ، وهم يقرون بأنه الذى خلق ذلك الجسم ابتداء ،
و من المعلوم قطعاً أن من قدر على إنشاء شيء من العدم قدر على إعادته
بطريق الأولى .

ولما كان سبحانه و تعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره ،
وذلك إذا كان بالغيب لم يحبهم^٢ إلى إحياء آبائهم لإكراماً لهذه الأمة^٣ ه
لشرف فيها عليه أفضل الصلاة والسلام ' لأن سقته ' الإلهية جرت
بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما
فعل بالأمم الماضية ، فرغمهم ' عن الحس إلى ' التدريب على ' الحبيج العقلية
فقال آمراً^٤ له صلى الله عليه وسلم بالجواب بقوله تعالى : (قل الله)
أى المحيط ' بكل شيء قدرة و علماً ' و حكمة (يحييكم) أى يحدد هذا^٥ ١٠
تجديدا لا يوصى كما أنتم [به - '] مقرون إحياء لأجساد بنزعها من
غير أن يكون لها أصل فى الحياة (ثم يميتكم) بأن يجمع أرواحكم
من أجسادكم فيستلها منها لا يدع " شيئا منها " فى شيء من الجسد " وما "

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قادر (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ
و م : لم يحبهم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد
لحذفها (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لاسنة (ه - ه) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : الى الحسن عن (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ و م :
عن (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : امر (٨-٨) م و مد : علماً و قدرة
(٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هذه الحياة (١٠) زيد من م .
(١١-٢١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منها شيئا (١٢-١٢) سقط ما بين
الرفقين من ظ و م و مد .

‘ذلك على الله بعزیز‘ فاذا هو‘ كما كان قبل الإحياء كما تشاهدون، ومن قدر على هذا الإبداء^٢ على هذا^١ الوجه من التكرار ثم على تمييز ما بث من الروح في حال سلها من تلك الأعضاء الظاهرة عادة مستمرة كان المخبر عنه بأنه يجمع الخلق بعد موتهم من العريقين في الصدق، فلذلك ه قال من غير تأكيد: ﴿ثم يجمعكم﴾ أى بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت بعد طول مدة الرقاد، منتهين ﴿الى يوم القيمة﴾ أى القيام الأعظم لكونه عاما لجميع الخلائق الذين أماتهم.

ولما صح بهذا الدليل القطعى المدعى، أتج قوله: ﴿لاريب﴾ أى شك بوجه من الوجوه ﴿فيه﴾ بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا ١٠ ﴿ولكن اكثر الناس﴾ بما لهم من السفول بما ركبنا فيهم من الحظوظ والشهوات التى غلبت على غريزة العقل فردوا بها أسفل سافلين فى حد النوس و هو التردد لم يرتقوا [إلى سن الإيمان - ^٨] ﴿لا يعلمون^٩﴾ [أى لا يتجدد لهم علم لما لهم من النوس و التردد و السفول - ^٨] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م و مد (٣ - ٣) ما بين الرقين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سكان (٥) زيد فى الأصل وظ: لا، ولم تكرر الزيادة فى م و مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: دراوا. (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) وقع ما بين الرقين فى الأصل وظ بعد « اكثر الناس » و الترتيب من م و مد.

أوج العقل إلى حضيض الجهل ، فهم واقفون مع المحسوسات ، لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور لتظهر قدرتنا و يتحقق اسمنا الباطن كما تحقق الظاهر عند من هديناه لم ذلك .

ولما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل^١ الخاص الذى تقديره :
 قاله الذى [ابتداء -^٢] خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على ه
 إعادتكم ، عطف عليه دليلا آخر جامعا فقال تعالى : ﴿ والله ﴾ [أى -^٣]
 الملك الأعظم وحده ﴿ ملك السموات ﴾ كلها ﴿ والأرض ﴾ التى ابتداءكم
 منها ، ومن تصرف فى ملكه بشئ من الأشياء ، كان قادرا على مثله
 ما دام ملكا .

ولما كان التقدير : له ملك ذلك أبدا ، فهو يفعل فيه اليوم ما ١٠
 تشاهدون / مع رفع هذا و خفض هذا ، فلو أن الناس سلوا لقضائه
 لوصلوا^٤ إلى جميع ما وصلوا إليه بالبنى والعدوان ، فانه لا يخرج شئ
 عن أمره ولكن^٥ أكثر الناس^٦ اليوم فى^٧ ريبهم يترددون ، بنى
 عليه قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أى توجد و تتحقق تحقق القائم
 الذى هو^٨ على كمال تمكنه و تمام أمره الناهض بأعباء ما يريد ، وكرر ١٥

(١-١) - سقط ما بين الرقمين من ظ ، و زيد بعده فى الأصل بالباطن ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد فخرناه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م
 و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : توصلوا (ه - ه) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : أكثرهم (٦) فى م : فهو (٧) فى الأصل و ظ بياض
 ملائكة من م و مد .

سبحانه للتهويل والتأكيد قوله : ﴿ يومئذ ﴾ [أى - ١] إذ تقوم يخسرون -
هكذا كان الأصل ، ولكنه قال للتعميم والتعليق بالوصف :
﴿ يخسر المبطلون ﴾ أى الداخلون فى الباطل المريقون فى الاتصاف به ،
الذين كانوا لا يرضون بقضائى فيستعجلون فيتوصلون إلى مراداتهم بما
لم آمر به ، ولا يزالون ييغون إلى أن يأتى الوقت الذى قدرت وصولهم
إليها فيه ، فيصلون ويطنون أنهم وصلوا بسعيهم ، وأنهم لو تركوا لما
كان لهم ذلك فيخسرون لأجل سعيهم بما جعلت لهم من الاختيار
'بمرادى فيهم' على خلاف أمرى ، خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك
لهم عنها و' يفوز المحقون' .

١٠ ولما كان ذلك من شأن اليوم مهولا ، عم فى الهول بقوله مصورا
لحالته : ﴿ وترى ﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿ كل أمة ﴾ من الأمم الخاسرة فيها
والفائزة ﴿ جاثية ﴾ أى مجتمعة لا يخالطها غيرها ، وهى مع ذلك باركة
على الركب رعبا واستيفازا لما لعلها تؤمر به ، جلسة الخصام بين يدى
الحاكم ، ينتظروا القضاء الحاتم ، والأمر الجازم اللازم ، لشدة ما يظهر لها من
١٥ هول ذلك اليوم . ولما كان كأن قيل : هم ' مستوفزون ، قال : ﴿ كل أمة ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من م و مد (٣) من
مد ، وفى الأصل و ظ و م . التى (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
عدادى منهم (٥) زيد فى الأصل : مع ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
و مد لخصاها (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المحققون (٧) سقط من
م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يعلها (٩) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : شدة (١٠) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

أى من الجائين (تدعى^٢ الى كتبها^١) أى الذى أنزل إليها و تعبدها الله به
والذى نسخه الحفظة من أعمالها يطبق أحدهما بالآخر، فمن وافق^٣ كتابه
ما أمر به من كتاب ربه نجا، ومن خالفه هلك، ويقال لهم حال
الدعاء: (اليوم تجزون) على وفق الحكمة بأيسر أمر (ما) أى عين^٤
الذى (كنتم) بما هو لكم كالجلبات (تعملون^٥) أى مصرين عليه^٥
غير راجعين عنه [من -^٢] خير أو شر .

ولما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال
وكتاب الأعمال، فباحكم به كتاب الإنزال أفضده الكبير المتعال، فقال
مشيرا إلى كتاب الإنزال بأداة القريب^٦ لقربه وسهولة فهمه: (هذا كتبنا)
[أى -^٥] الذى أنزلناه على السنة رسلنا (ينطق^٧) أى يشهد شهادته^{١٠}
[هى -^٥] فى بيانها كالنطق (عليكم بالحق^٨) أى الأمر الثابت الذى
يطابقه الواقع من أعمالكم، وذلك بأن يقول: من عمل كذا فهو كافر،
ومن عمل كذا فهو عاص، ومن عمل كذا فهو مطيع، فيطبق ذلك
على ما عملتموه فاذا الذى أخبر به الكتاب مطابق لأعمالكم^٦ لازيادته^٦
فيه ولا نقص، كل كلى ينطبق على جزئيه سواء بسواء كما تعطيك علم^{١٥}
ذلك فى ذلك اليوم، فيكشف أمر جبلاتكم / وما وقع منكم من جزئيات
الأفعال لا يشذ عنه^٩ منه ذرة^٩، وتعلمون أن هذا الواقع منكم مطابق

٧٦٨ /

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: وائ (٢) من م ومد، وفى الأصل
وظ: غير (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل
وظ: القرب (٥) زيد من م ومد (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ:
لان سياقه (٧-٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: مرة .

لما أخبر به^١ الكتاب الذى أنزلناه ، فهو حق لأن الواقع طابقه ،
هذا نطقه عليكم ، وأما نطقه لكم فالفضل : الحسنة بعشر أمثالها إلى
ما فوق ذلك .

ولما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق^٢ ،
وكانوا كأنهم يقولون : من يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة
وبعد الزمان ، وكانوا ينكرون أمر الحفظه وغيره مما أتت به الرسل ،
أكد قوله مجيبا بما يقرب إلى عقل من يسأل عن ذلك : (انا) على
ما لنا من القدرة^٣ والعظمة الغنية عن الكتابة^٤ : (كنا) على الدوام
(نستنسخ) أى نأمر ملائكتنا بنسخ أى نقل (ما كنتم) طبعا لكم
١٠. وخلقنا (تعملون) قولاً وفعلاً ونية ، فإن كان المراد بالنسخ مطلق
النقل فهو واضح^٥ ، وإن كان النقل من أصل فهو إشارة إلى لوح
الجبالات المشار إليه بكنتم أو من اللوح المحفوظ ليطابق به ما يفعله العامل ،
ومن المشهور بين الناس أن كل احد يسطر^٦ فى جبينه ما يلقاه من
خير أو شر .

١٥ ولما صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم ، وأشار

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : من (٢) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : الوفاق (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد (٤) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : الكتاب أيضا (٥) من م ومد ، وفى الأصل
و ظ : أوضح (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ينظر .

إلى المحقين^١، صرح بما لوح إليه من أمر [المحقين -^٢] و [عطف -^٣]
 عليهم أضدادهم، فقال بادئا بهم على طريق النشر المشوش مفصلا:
 ﴿ فاما الذين امنوا ﴾ أى من الأمم الجاثية ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لدعواهم
 الإيمان ﴿ الصلحت فيدخلهم ﴾ أى فى ذلك اليوم^٤ الذى ذكرنا عظمته
 وشدة هوله^٥ ﴿ ربهم ﴾ الذى أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال^٦ الصالحة
 المرضية الموصلة ﴿ فى رحمته^٧ ﴾ أى تقريبه^٨ وإكرامه^٩ بحليل الثواب
 وحسن المآب، وتقول لهم الملائكة تشريفا^{١٠}: سلام عليكم أيها المؤمنون،
 ودل على عظيم الرحمة بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الإحسان العالى المنزلة
 ﴿ هو ﴾ [أى -^{١١}] لا غيره ﴿ الفوز ﴾ .

- ولما كان السياق لغبارتهم وخفاء الأشياء عليهم قال تعالى: ﴿ المبين^{١٢} ﴾ ١٠
 الذى لا يخفى على أحد شيء من أمره، لأنه لا يشوبه كدر أصلا ولا
 نقص، بخلاف ما كان من أسبابه^{١٣} فى الدنيا، فانها - مع كونها كانت
 فوزا - كانت خفية جدا على غير الموقنين ﴿ و اما الذين كفروا ﴾^{١٤}
 أى ستروا ما جلته لهم مرأى عقولهم و فطرهم الأولى من الحق الذى
 أمر الله به ولو عملوا جميع الصالحات غير الإيمان، فيدخلهم الملك ١٥

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: التقيين (٢) زيد من م ومد (٣-٢) سقط
 ما بين الرقيين من م ومد (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ وم وم .
 (٥-٥) من مد، وفى الأصل وظ وم: وباكرامه (٦) زيد فى الأصل
 وظ: لهم، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٧) من ظ وم ومد،
 وفى الأصل: أشباهه .

الاعظم في لعنته .

ولما كان هذا الستر سببا واضحا في تبكيته^١ قال : ﴿ اعلّم ﴾ أى
فيقال لهم : ألم يأتكم رسلى ، وأخلق لكم عقولا تدلكم^٢ على الصواب
من التفكير في الآيات المرئية من المعجزات التى أتوكم بها^٣ وأنزل عليكم
بواسطتهم^٤ آيات مسموعة^٥ فلم^٦ ﴿ تكن ايتى ﴾ على / ما لها من عظمة
الإضافة إلى^٧ وعظمة^٨ الإتيان إليكم على ألسنة رسلى الذين هم
أشرف^٩ خلقى .

ولما كانت^{١٠} هذه الآيات^{١١} توجب الإيمان لما لها من العظمة
بمجرد تلاوتها^{١٢} ، بنى للفعول قوله : ﴿ تتلى ﴾ أى تواصل^{١٣} قراءتها من
أى^{١٤} نال كان ، فكيف إذا كانت بواسطة الرسل ، تلاوة مستعلية
﴿ عليكم ﴾ لا تقدر^{١٥}ون على رفع^{١٦} شىء منها بشىء برضاه منصف

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التستر (٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : تبكيته^(٣-٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عقلا يدلكم ، وفى
ظ : عقلا تدلكم (٤) زيد فى الأصل بعده : رسلى عليهم الصلاة والسلام ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : من الآيات المسموعة (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وهى
كلامى وزادها وضوحا بقوله (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : العظمة .
(٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عظمتها (٩) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : أشرفى (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (١١) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : تلاوتنا (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
تواصل (١٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دفع .

(فاستكرّم) أى ' فتسبب عن تلاوتها التى من ' شأنها لإراث
 الخشوع^٢ والإخبات و الخضوع أن طلبتم الكبر لأنفسكم وأوجدتموه
 على رسل و آياتى (و كنتم) خلقا لازما (قوما) أى ذوى قيام
 و قدرة على ما تحاولونه (مجرمين^٣) أى ' عريقين فى قطع ما يستحق
 الوصل ، وذلك هو الخسران المبين ، ' والآية ' من الاحتباك : ذكر^٤
 الإدخال فى الرحمة أولا دليلا على الإدخال فى اللعنة ثانيا ، و ذكر التبكيت
 ثانيا دليلا على التشريف أولا ، و سره أن ما ذكره أدل على شرف
 الولي و حقارة العدو (و اذا) أى و كنتم ذا (قيل) من أى
 قاتل كان ولو على سبيل التأكيد : (ان وعد الله) الذى ' كل أحد
 يعلم^٥ أنه محبط بصفات الكمال (حق) أى ثابت لا محيد عنه يطابقه الواقع ١٠
 من البعث و غيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن ' يخلف وعده فكيف
 به سبحانه و تعالى ' فكيف إذا ' كان الإخلاف فيه مناقضا للحكمة
 (و الساعة) التى هى مما وعد به و هى محط الحكمة فهى أعظم ما تعلق
 (١) زيد بعده فى الأصل : عند سماعها من الرسل ، غيرهم ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ما (٣) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : الخضوع (٤) سقط من م و مد (هـ) من
 م و مد ، وفى الأصل و ظ : فالآية (٦) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن
 الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يعلم كل
 احد (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ان (٩-٩) فى الأصل بياض ملائمة
 من ظ و م و مد .

به الوعد ﴿لأريب فيها﴾ بوجه من الوجوه لأنها محل إظهار الملك لما له من الجلال و الجمال أم إظهار ﴿قلتم﴾ راضين لأنفسكم بمحض الجهل : ﴿ما ندرى﴾ أى الآن دراية علم ولو بذلنا جهدنا فى محاولة الوصول إليه ﴿ما الساعة﴾ أى نعرف حقيقتها فضلا عما نخبرونا به من أحوالها .

ولما كان أمرها مركزا فى الفطر لا يحتاج إلى كبير نظر، بما يعلم كل أحد من تمام قدرة الله تعالى ، ففى به عليها نوع تنبيه سبق إلى القلب عليها، سموا ذلك ظنا عنادا واستكبارا، فقالوا مستأنفين فى جواب من " كانه يقول : أفلم تقدم" تلاوة هذه الآيات اليناث "علما بها: ﴿ان﴾ أى ما ﴿نظن﴾ أى نعتقد ما نخبرونا به عنها ﴿الاظنا﴾ و أما وصوله إلى درجة العلم فلا . ولما كان المحصور لا بد و أن يكون أخص من المحصور فيه كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد ، ولعله عبر عنه بلفظ الظن تأكيدا لمعنى الحصر ، ولذلك عطفوا عليه - تصريحاً بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم - قولهم : ﴿وما نحن﴾ و أكدوا النفي فقالوا : ﴿بمستيقنين﴾ أى بموجود^٥ عندنا اليقين فى أمرها و لا بطلبين

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يجوزون (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : سواء (٣) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها . (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فلم تقدمهم (هـ - هـ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قبل قالوا (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عنه (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لموجود .

له^١ - هذا مع ما تشاهدونه من الآيات [في الآفاق وفي أنفسكم و ما

يث من دابة و ما ينهمك على ذلك من الآيات -^٢] المسموعة ، و هذا

لاينافي [آية -^٣] " ان هي [الا -^٤] حياتنا الدنيا " لان آخرها مثبت

للظن ، فكأنهم كانوا / تارة يقوى عندهم ما في جبلاتهم و فطرهم الاولى / ٧٧٠

من أمرها فيظنونها ، و^٥ تارة تقوى^٦ عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من هـ

الشبه المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به^٧ لما للنفس إليه من

الميل ، أو كانوا فرقتين - والله أعلم .

ولما وصلوا إلى حد^٨ عظيم من العناد ، التفت إلى أسلوب الغيبة

إعراضا عنهم إيذانا بشديد^٩ الغضب فقال تعالى : ﴿ و بدأ ﴾ أي

ولم يزالوا يقولون ذلك إلى أن بدت لهم الساعة بما فيها من الأوجال ، ١٠

و الزلازل^{١٠} و الأهوال ، و ظهر^{١١} ﴿ لهم ﴾ غاية^{١٢} الظهور ﴿ سيئات ما ﴾

ولما كان السباق للكفرة ، و كانوا مؤاخذين بجميع^{١٣} أعمالهم فانه ليس

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد

من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ترى سوى (٤) من م

و مد ، و في الأصل و ظ : بها (هـ) في م : حظ (٦) زيد في الأصل : العطب و ،

و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد ،

و في الأصل : الأموال (٨) زيد في الأصل : اي في ، و لم تكن الزيادة في ظ

و م و مد فحذفناها (٩) زيد في الأصل : الاشتهار و ، و لم تكن الزيادة في ظ

و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بجميع .

لهم أساس صالح يكون سببا 'التكفير شيء' مما تقبلوا فيه ولم يقتض
السياق خصوصا مثل الزمر، عبر بالعمل الذي هو 'أعم من الكسب
فقال: (عملوا) فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائنها واطلعوا على
جميع ما يلزم على ذلك (و حاق بهم) أى أحاط [على -] حال القهر
و الغلبة، قال أبو حيان: ولا يستعمل إلا فى المكروه. (ما كانوا)
جبله و خلقا (به' يستهزمون) أى يوجدون الهزم به على غاية الشهوة
و اللذة إيجاد من هو طالب لذلك (وقبل) أى لهم على قطع الأحوال
و أشدها قولاً لامعقب له، فكأنه بلسان كل قائل: (اليوم ننسكم)
أى نفعل معكم بالترك من جميع ما يصلحكم [فعل -] المنسى الذى
١٠. نقطع عنه جميع إحساننا فيأتيه كل شر (كما نسيتم) و أضاف المصدر
إلى ظرفه لما فيه من الرشاقة و البلاغة فقال تعالى: (لقاء يومكم هذا)
أى الذى 'عملكم فى أمره عمل النامى له، و من نسى لقاء اليوم نسي' لقاء
الكاثر فيه بطريق الأولى، و قد عابهم "الله سبحانه تعالى بذلك أشد

- (١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم أنكفر شيئا (٢) من م و مد،
و فى الأصل و ظ: اقبلوا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يقتضى -
(٤) زيد فى الأصل: أعم و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها -
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اطلقوا (٦) زيد من م و مد -
(٧) ليس فى الأصل و ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقطع (٩) من م
و مد، و فى الأصل و ظ: إضافة (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من م
و مد، و فى الأصل و ظ: انسى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عابهم -

العيب^١ لأن ما عملوه ليس من فعل الحزمة أن يتركوا ما ضرره محتمل لا يعتدون له، وإنما هذا فعل الحق الذين هم عندهم أسقاط [لا - ٢] عبرة بهم ولا وزن لهم، وعبر بالنسيان لأن عمله مركوز في طبائهم، وعبر في فعله بالمضارع ليدل على [الاستمرار، وفي فعلهم بالماضي ليدل على - ٢] أن من وقع منه ذلك^٢ وقتا ما وإن قل كان على خطر عظيم بتعرض نفسه لاستمرار الإعراض عنه .

ولما كان تركه على هذا الحال يلزم منه استمرار العذاب، صرح به إيضاحا له لئلا يظن غير ذلك، فقال مينا لحالمهم : ﴿ وماؤنكم النار ﴾ ليس لكم براح عنها أصلا، لأن أعمالكم أدخلتكموها، ولا يخرج منها إلا من أذنا في إخراجها، نحن قد جعلناكم في عداد المنسى فلا يكون ١٠ من قبلنا لكم فرج ﴿ وما لكم ﴾ في نفس الأمر سواء أفكرتم وأنتم مكذبون في مدافعة هذا اليوم أو تركتموه ترك المنسى ﴿ من نصرينه ﴾ ينقذونكم من ذلك بشفاعته ولا مقاهرة .

ولما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوي^٣ لأعمالهم طبق الفعل بالفعل، علله بما يلزم على^٤ أعمالهم فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أي العذاب العظيم ١٥ ﴿ بأنكم اتخذتم ﴾ أي بتكليف منكم لأنفسكم وقسر على خلاف

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : العتب (٢) زيد من ظ و م ومد .

(٣-٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : ذلك منه (٤) من م ومد، وفي

الأصل وظ : مكذبين (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل : التساوي .

(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : من .

ما أدى إليه العقل، وجاءت به الرسل، وساعدت عليه الفطر الأول'
/ (أبنت الله) أى الملك الأعظم "الذى لا شئ أعظم منه" (هزوا)
أى جعلتموها عين ما أزلت للابعاد منه (و غرتكم) لضعف عقولكم
(الحياة الدنيا) أى الدنية فأترتموها لكونها حاضرة وأنتم كالبهائم
ه لا يبعدو نظركم المحسوس فقلتم: لا حياة غيرها ولا بعث ولا حساب، ولو
تعقلتم وصفكم لها لأداكم إلى الإقرار بالآخرى .

ولما أوصلهم إلى هذا الحد من الإلهاء، سبب عنه زيادة فى
إهانتهم وتلذذا لأوليائه الذين عادوهم فيه وإشتمائهم بهم: (قالوم)
بعد إيوائهم فيها (لا يخرجون) بمنخرج ما (منها) لأن الله لا يخرجهم
١٠ ولا يقدر غيره على ذلك (ولا هم) خاصة (يستعبدون ه) أى يطلب
من طالب ما منهم الإعتاب، وهو الاعتذار بما يثبت لهم العذر ويزيل
عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الأعمال الصالحات لأنهم فى دار
الجزاء لا دار العمل .

ولما أثبت سبحانه بعده بآيات المراتبة والمسموعة وإعزاز
١٥ أوليائه وإدلال أعدائه من غير مبالاة بشئ ولا عجز عن شئ مع
الإحاطة التامة بكل شئ قدرة وعلما، تسبب عن ذلك حتما قوله تعالى:

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الأولى (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من
ظ و م ومد (٣-٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: عاهدوهم (٤) زيد فى
الأصل: لقيظهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (ه) من م
ومد، وفى الأصل وظ: لكل .

(فله) أى الذى له الأمر كله (المحد) أى الإحاطة بجميع صفات الكمال . ولما أبان سبحانه^٢ أن ذلك ثابت له لذاته لا لشيء آخر، أثبت أنه له بالإحسان والتدبير فقال تعالى: (رب السموات) أى ذات العلو والاتساع والبركات . ولما كان السياق لإثبات الاختصاص بالكمال، وكانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل [على -^٣] أنهم لاشبهة لهم في عبادتهم . بحصر^٤ أمرهم في الهوى، أعاد ذكر الرب تأكيدا وإعلاما أن له في كل واحد من الخافقين أسراراً غير ما له فى الآخر^٥، فالترية متفاوتة بحسب ذلك، وأثبت العاطف إعلاماً بأن كمال قدرته فى ربوبيته^٦ الأعلى والأسفل^٧ على حد سواء دفعا لتوهم أن حكمه فى الأعلى أمكن لتوهم الاحتياج إلى مسافة فقال تعالى: (ورب الأرض) أى ذات القبول للواردات . ١٠ . ولما خص الخافقين تنبيها على الاعتبار بما فيها من الآيات لظهورها، عم تنبيها على^٨ أن له^٩ وراء ذلك من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى^{١٠} فقال مسقطاً العاطف لعدم الاحتياج إليه بعد إثبات استواء الكونين الأعلى والأسفل فى حكمه من حيث العلم والقدرة للتزه عن المسافة،

- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ : اوصاف (٢) سقط من م ومد .
 (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ : لخصر (٥) من م ومد، وفى الأصل وم : الآخرة (٦-٧) من م ومد، وفى الأصل وظ :
 الأعلى للأسفل (٧) زيد فى الأصل : مينا وهو هنا لهذا الاشكال الواهى،
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لخصرها (٨-٩) من م ومد، وفى الأصل وظ : انه (٩-١٠) فى م ومد : هو .

وذلك لا يخرج عنه شيء من الخلق لأنه إما أن يكون علوياً أو سفلياً
 ﴿رب العالمين﴾ فجمع ما مفردة يدل على جميع الحوادث لأن العالم
 ما سوى الله . تنبيهاً على أصنافه و تصريحاً بها وإعلاماً بأنه أريد به
 مدلوله المطابق لا البعض بدلالة التضمن ، وأعاد ذكر الرب تنبيهاً على
 ه أن حفظه للخلق وتربيته لهم ذو ألوان بحسب شؤون الخلق ، لحفظه
 لهذا الجزء على وجه يغير حفظه [جزء آخر ، وحفظه للكل من حيث
 هو كل على وجه يغير حفظه - ٢] لكل جزء على حدته ، مع أن الكل
 بالنسبة إلى تمام قدره على حد سواء .

/ ٧٧٢

ولما أفاد / ذلك غناه^٢ الغنى المطلق وسيادته وأنه لا كفوء له ،
 ١٠ عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيهاً على مزيد الاعتناء به لدفع ما
 يتوهمونه من ادعاء الشركة التي [لا - ٢] يرضونها لأنفسهم فقال : ﴿وله﴾
 أى وحده^١ ﴿الكبرياء﴾ أى الكبر الأعظم الذى لانهاية له^٢ :
 ﴿فى السموات﴾ كلها ﴿والارض﴾ جميعها^٣ اللتين فيها آيات
 للمؤمنين^٤ ، روى مسلم وأبو داود^٥ وابن ماجه^٦ عن أنس^٧ عن أبي هريرة ومسلم

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : سويل - كذا (٢) زيد من م ومد (٣) من
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : غنى (٤) زيد فى الأصل : لامناف له ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٥) زيد فى الأصل : لمكانه ، ولم تكن
 فى م ومد لحذفها (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : جميعاً (٧) زيدت
 الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م ومد لحذفها (٨) راجع السنن
 أبواب اللباس (٩) راجع السنن أبواب الزهد .

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار ، وفي رواية : عذبت به ، وفي رواية : قصته .
 (وهو) وحده (العزيز) الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء .
 (الحكيم) الذى يضع الأشياء فى أتقن مواضعها ولا يضع شيئا ه
 إلا كذلك ' كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه ، و أحكم نظم هذا القرآن
 جملا وآيات ، وفواصل وغايات ، بعد أن حرر معانيه وتنزله جوابا لما
 كانوا يعتنون به ، فصار معجزا فى نظمه ومعناه وإزاله طبق أجوبة^٢
 الوقائع على ما اقتضاه الحال ، فانطبق آخرها^٣ على أولها بالصفير المذكورتين ،
 وبالحث على الاعتبار بآيات الخافقين ، والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء ١٠
 المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء - والله الهادى^٤ إلى الصواب
 وإليه المرجع والمآب - والله أعلم بمراده .

* * *

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : لذلك (٢) زيد فى الأصل : الواقع من ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : آخر السورة (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة الأحقاف

مقصودها إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة
 اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف بما وقع الصدق في الوعد
 به من إهلاك المكذبين بما يضاد حال بلادهم^١ وأنه لا يمنع من شيء
 من ذلك مانع لأن فاعل ذلك لا شريك له فهو المستحق للأفراد بالعبادة،
 وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف الدالة على هدوء الريح وسكون الجو^٢
 بما دلت عليه قصة [قوم -]^٣ هود عليه الصلاة والسلام من التوحيد
 وإنذارهم بالعذاب دنیا وأخرى ومن إهلاكهم وعدم إغناء ما عبده^٤
 عنهم ولا يصح تسميتها بيهود ولا تسمية هود بالأحقاف لما ذكر من
 المقصود بكل منهما^٥ ﴿بسم الله﴾ الذي لا يذل من وإلى ولا يعز من
 عادي ﴿الرحمن﴾ الذي سبقت رحمته غضبه بزواج الإنذار ﴿الرحيم﴾
 الذي خص حزبه بعمل الآرار للفوز في دار القرار بدخول الجنة والنجاة
 من النار ﴿حتم﴾ حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي النهاية^٦ في
 الصواب والسداد أحكمها الذي أحاطت قدرته فهو لا يخلف المباد -

لما^٧ بنيت الجاثية على النظر في آيات الحافقين / خطاباً لأهل الإيمان ١٥ / ٧٧٣

(١) السادسة والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ٣٥ عند
 الكوفيين و ٣٤ عند غيرهم، وزيد بعده في الأصل : الدالة على صدق الوعد
 بالساعة، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها (٢) من ظ و م ومد،
 وفي الأصل : رجال (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من مد (٤) زيد من م ومد.
 (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل : عهدوه (٦) زيد في الأصل : والله اعلم،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ :
 نهاية (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : ولما .

استدللا على يوم الفصل المدلول عليه 'في الدخان' بآية "و ما خلقنا السموات و الارض و ما بينهما لعبن" و التي بعدها، فأنتجت العلم بأن الكبرياء الخالقها بما يشاهد من قهره للوك فمن سواهم بالموت و ما دونه من غير مبالاة بأحد^١ و بينت - بما^٢ أفهمه الملك و الكبرياء و الحكمة لأن عادة من كان بهذا الوصف ألا يكون [كلامه -] إلا بحسب الحاجة - ه أن الكتاب منزل نجوما لبيان ما 'يحاولون به' مدحض لحجتهم 'هادم' لعزتهم بحكمته و عزته، ثبت الحشر و حق النشر، و حتم بصفى العزة و الحكمة. ذكر بما ثبت^٣ من ذلك كله "تأكيدا لأمر البعث و تحقيقا لليوم الآخر على وجه مبين"^٤ أن الخلق كله آيات و حتم و اعتبارات لانه أثبت أنه كله حق، و نفي عنه كل باطل، فقال خطابا لأهل ١٠ الأوئان من سائر الأديان الصاية و المجوس و غيرهم الذين افتتحت^٥ السورة بهم و ختمت بالفسق الجامع لهم الموجب لكفرهم: ﴿تنزيل الكتب﴾ أى 'الجامع لجميع'^٦ الخيرات بالتدرج على حسب المصالح ﴿من الله﴾

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالدخان (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: باخذ (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما (٤) زيد من م و مد (٥-هـ) من م و مد، وفى الأصل و ظ: يحاولونه (٦) زيد فى الأصل: بل و لحججهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: هاديا (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الشر. (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بصفاء (١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ذكر (١١) سقط من م و مد (١٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بين (١٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: فتحت (١٤-١٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: جامع.

أى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال الذى هو الحمد بما دلت عليه ربوبيته ، وختم بقوله : ﴿ العزيز الحكيم ٥ ﴾ تقريراً لأنه لم يضع شيئاً إلا فى أوفق محاله ، وأنه الخالق [للشئ كما أنه الخالق - ٤] للخير وجميع الأفعال * وأنه يعز أوليائه ويذل أعداءه ويحكم أمر دينه فيظهره على الدين كله من غير أن يقدر أحد على معارضته فى شئ منه فصارت آية^٦ الجاثية مقدمة لهذه وهذه نتيجة .

ولما ثبت فى الجاثية مضمون قوله تعالى فى الدخان " [وما خلقنا - ١] السَّمُوتِ و الأرض و ما بينهما لَّعِينٍ " بما ذكر فيها من [الآيات و - ١] المنافع و الحكم ، أثبت [هنا - ٤] مضمون [ما بعد - ٤] ذلك بزيادة ١٠ الأجل فقال دالا على عزته و حكمته : ﴿ ما خلقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء ﴿ السَّمُوتِ و الأرض ﴾ على ما فيها من الآيات التى فصل بعضها فى الجاثية . ولما كان من المقاصد هنا الرد على المجوس و غيرهم ممن ثبت خلقاً لغير الله قال^٧ : ﴿ و ما بينهما ﴾ أى من الهواء المشحون بالمنافع و كل خير و كل شر^٨ من أفعال العباد ١٥ و غيرهم ، وقال ابن برجان فى تفسيره^٩ : جميع الوجود أوله و آخره نسخة

(١) زيد فى الأصل : و الجمال و الكبرياء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
لحذفناها (٢) فى الأصل يياض ملأناه من ظ و م و مد (٣) من مد ، وفى
الأصل و ظ و م : بانه (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، وفى الأصل
و ظ : الأعمال (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : آيات (٧) من مد ،
وفى الأصل و ظ و م : فقال (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : شئ .
(٩) زيد فى الأصل و ظ : كل هواء ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها .

لام الكتاب و السهوات و الأرض إشارة إلى بعض الوجود^١ . و يعطه
يعطى من الدلالة على المطلوب ما يعطيه لكل بوجه ما ، غير أن ما علا
أصح دلالة و أقرب شهادة و أين إشارة ، و ما صغر من الموجودات دلالة
بجملة يحتاج المستعرض فيه إلى الثبوت و "تدقيق النظر" و الحث - انتهى .

(الابالحق) أى الأمر الثابت من القدرة التامة و التصرف المطلق . هـ
خلق [الباطل - ٢] بالحق لأنه^٢ تصرف فى ملكه الذى لاشائبة لغيره
فيه للابتلاء و الاختبار للجازاة بالعدل و المن بالفضل إلى غير ذلك من
الحكم التى لا يعلمها / سواء ، و فى خلق ذلك على هذا الوجه أعظم دلالة
على وجود الحق سبحانه . و أنه واحد لا شريك له ، و دل على قهره بقوله :
(و اجل مسمى^٣) أى لبعث الناس إلى دار القرار لفصل أهل الجنة ١٠
من أهل النار ، و فناء الحافقين و ما نشأ عنهما من الليل و النهار .

و لما كان التقدير : و أمرنا الناس بالعمل فى ذلك الأجل بطاعتنا
و وعدناهم عليها جنات^٤ النعيم ، فالذين آمنوا على ما أنذروا مقبلون ،
و من غوائله مشفقون ، فهم بطاعتنا عاملون ، عطف عليه ما السياق له
من قوله : و الذين كفروا (أى ستروا من أعلام الدلائل ما ١٥
لو خلوا أنفسهم و ما فطرناها عليه لعلوه . فهم لذلك^٥) عما أنذروا (

(١) من ط و م و مد ، و فى الأصل : الموجودات (٢-٣) من ط و م و مد ،
و فى الأصل : التدقيق (٤) زيد من م و مد (٤) من ط و م و مد ، و فى
الأصل : لا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جنات (٦) من مد ، و فى
الأصل و ظ و م : كذلك .

من هم عارفون^١ بأن إنذاره^٢ لا يتخلف (معرضون^٣) ومن غوائله آمنون، فهم بما يغضبنا فاعلون، شهدت عنهم شواهد الوجود فاسمعوا لها ولا^٤ أصغوا إليها وأنذرهم الرسل والكتب من عنده فاعرضوا عنها واشتأزوا منها .

٥ وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة به وجليل يانه ، وأردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعلقهم وأنه سبحانه وتعالى قد نصب من دلائل السماوات والأرض [إلى - ٦] ما ذكر في صدر السورة ما كل قسم منها^٧ كاف في الدلالة وقائم بالحجة ، ومع ذلك فلم يحرم عليهم التماذى على ضلالهم والانهماك في سوء حالهم وسى . ١٠ عالجهم ، أردفت^٨ بسورة الاحقاف تسجيلا بسوء مرتكبهم وإعلاما بالآيم^٩ منقلبهم فقال تعالى " ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى " ولو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الحق وإحكامه وإتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثا^{١٠} ، ولكنهم عموا عن الآيات وتكبروا عن ١٥ انتهاج الدلالات " والذين كفروا عما أنذروا معرضون " ثم أخذ

(١ - ١) من مد ، وفي الأصل وظ و م : بإنذاره (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : صغوا لها ولا (٣) في مد : ذلك (٤) زيد من مد (٥) في مد : منه . (٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : فلم يحرم (٧) من م و مد ، وفي الأصل وظ : أردف (٨) من م و مد ، وفي الأصل وظ : لهم - كذا . (٩) من م و مد ، وفي الأصل وظ : غنا .

سبحانه و تعالى في تعنيفهم و تقييدهم في عبادة ما لا يضر و لا ينفع فقال
 " افرأيت ما تدعون^١ من دون الله - إلى قوله : و كانوا بعبادتهم كافرين "
 ثم ذكر عنادهم عند^٢ سماع الآيات فقال " و اذا تلى عليهم 'ايقنا بينت'
 الآيات ، ثم التحم الكلام و تناسج إلى آخر السورة - انتهى .

و لما قرر سبحانه الأصل الدال على التوحيد و إثبات العدل و الرحمة ه
 بالبحث للفصل^٣ ، و كانوا يقولون : إنهم أعقل الناس ، و كان العاقل لا يأمن
 غوائل الإنذار^٤ إلا أن أعد لها ما يتحقق 'دفعه لها' و كان لا يقدر على
 دفع المتوعد^٥ إلا من يساويه أو يزيد عليه بشركة أو غيرها ، و كانوا يدعون
 في أصنامهم أنها^٦ شركاء ، بنى على ذلك^٧ الأصل تقاريعه^٨ ، وبدأ بإبطال
 متمسكهم فقال سبحانه و تعالى آمرا له صلى الله عليه و سلم بأن ينبههم ١٠
 على سفورهم بأنهم أعرضوا عما قد بضرهم من غير احتراز منه دالا على
 عدم إلهية ما دعوه آلهة بعدم الدليل على إلهيتها من عقل أو نقل ، لأن
 منصب الإلهية لا يمكن أن يثبت [و - ١٠] له من الشرف / ما هو معلوم

٧٧٥ /

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تعبدون (٢) من مد ، و في الأصل
 و ظ : عن (٣) من مد ، و في الأصل و ظ و م : للفضل (٤ - ٤) من ظ
 و م و مد ، و في الأصل : القوائ (٥ - هـ) من م و مد ، و في الأصل و ظ :
 دفعها به (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التوحد (٧) من م و مد ، و في
 الأصل و ظ : انهم (٨) زيد في الأصل و ظ : قوله ، و لم تكن الزيادة في م
 و مد لخدمتها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م : تقاريعه (١٠) زيد من
 ظ و م و مد .

بغير دليل قاطع: ﴿ قل أي هؤلاء الممرضين أنفسهم لعمارة الخطر
منكرا عليهم تكسيرا وتوبخا: ﴿ اريدتم ﴾ أي اخبرون بعد تأمل ورؤية
باطلة ﴿ ما تدعون ﴾ أي دعاء عبادة، ونبه على سفولهم بقوله تعالى:
﴿ من دون الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي كل شيء دونه، فلا
كفوه له .

ولما كان من المعلوم أن الاستفهام عن رؤية ما 'مشاهدتهم له'
معلومة لا يصح إلا تأويل^٢ أنه عن بعض الأحوال، وكان التقدير: أم^٣
شركاء في الأرض. استأنف قوله: ﴿ اروني ما ﴾ وأكد الكلام بقوله
سبحانه و تعالى: ﴿ ما ذا خلقوا ﴾ أي اخترعوه ﴿ من الأرض ﴾^٤ ليصح
١٠ ادعاء^٥ أنهم شركاء فيها^٦ باختراع ذلك الجزء . ولما كان معنى الكلام
وترجمته: أروني أم شركاء في الأرض؟ عادله بقوله: ﴿ ام لهم ﴾ أي الذين
تدعونهم ﴿ شرك^٧ في السموات ﴾ أي نوع من أنواع الشركة: تدير - كما
يقول أهل الطائعات، أو خلق أو غيره، أروني ذلك الذي خلقوه منها
ليصح ادعاؤكم فيهم واعتمادكم عليهم بسببه. فالآية من الاحتباك: ذكر
١١ الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا، والشركة ثانيا دليلا على
حذفها أولا .

(١-١) من م ومد، وفي الأصل: ظ: شاهدتهم (٢) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: يتأمل وتاويل (٣) من م ومد، وفي الأصل: ظ وم .
(٤-٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا يصح الادعاء (٥) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: في الأرض (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تدعون انهم
شركاء (٧) ورد في الأصل بده ام لهم . والترتيب من ظ وم ومد .

ولما كان الدليل أحد شيئين : سمع و عقل ، قال تعالى : ﴿ ايتوني ﴾ [أى-١] حجة على دعواكم في هذه الاصنام أنها خلقت شيئا ، أو أنها تستحق أن تعبد ﴿ بكتب ﴾ أى^٢ واحد يصح التمسك به ، لا أكلفكم إلى^٣ الإتيان بأكثر من كتاب واحد . ولما كانت الكتب متعددة ولم يكن كتاب قبل القرآن عاما لجميع ما سلف من الزمان ، أدخل هـ الجار فقال تعالى : ﴿ من قبل هذا ﴾ [أى-١] الذى نزل على كالنورا والإنجيل والزبور ، وهذا من أعلام النبوة فإنها كلها شاهدة بالوحدانية ، لو أتى بها آت لشهدت عليه .

ولما ذكر الأعلى الذى لا يجب التكليف إلا به ، وهو النقل القاطع ، سهل عليهم فزل إلى ما دونه الذى منه العقل ، وأقنع [منه - ١٠] ببقية واحدة ولو كانت أورا لا عينا فقال : ﴿ او ائرة ﴾ أى بقية رسم صالح للاحتجاج ، قال ابن برجان : وهى^٤ البقية من أُر^٥ كل شيء يرى^٦ بعد ذهابه^٧ و حال رؤيته بأثرها^٨ خلف عن سلف^٩ يتحدثون بها فى آثارهم ، قال البغوى :^{١٠} وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية . ﴿ من علم ﴾

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ و م (٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى الأصل : ميئا لذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل وظ و م : هو (٨) من م و مد ، وفى الأصل وظ : آثار (٩-١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ : تعددها به (١٠-١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ : سلف عن خلف (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ١٣٠/٦ .

أى قطعى بضرورة أو تجربة أو مشاهدة أو غيره ولو ظنا يدل على ما ادعيتهم فيهم من الشركه . و لما كان لهم من النفرة من الكذب [واستغناؤه - ^١] واستبشاعه واستفظاظه ما ليس لامة من الامم ، أشار إلى تجميعهم بالكذب إن لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله تعالى : (ان كنتم) أى بما هو لكم كالجلة (صدقين) أى عريقين فى الصدق على ما تدعون لأنفسكم .

و لما أبطل سبحانه و تعالى قولهم فى الأصنام بعدم ^٢ قدرتها على إتيان شئ من ذلك لأنها من جملة مخلوقات فى الأصل ^٣ ، أتبعه بإبطاله بعدم علمها ليعلم قطعا أنهم أضل الناس حيث ارتبطوا فى أجل الأشياء ١٠ / ٧٧٦ - / و هو أصول الدين - بما لا دليل عليه أصلا ، فقال تعالى منكرا أن يكون أحد أضل منهم ، غاطما على ما هدى السياق حتما إلى تقديره و هو : فن أضل ممن يدعى شيئا من الأشياء و إن قل بلا دليل : (و من أضل ممن) يدعى أعظم الأشياء بغير دليل ما عقى و لا نقل ، فهو ^٤ (يدعوا) ما لا قدرة له و لا علم ، و ما انتفت ^٥ قدرته و علمه لم تصح عبادته بيديه ١٥ العقل ، و أرشد إلى سفولها بقوله تعالى : (من دون الله) أى من أدنى

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لعدم .
(٣) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل و ظ : عليهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م :
أتى (٦) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها ،
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هو و هو (٨) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : انعتت كماله .

رتبة [من رتب - ١] الذى له جميع صفات "الجلال والجلال والكمال"،
فهو سبحانه يعلم كل شئ وبقدر على كل شئ بحيث يجيب الدعاء
ويكشف البلاء ويحقق الرجاء إذا شاء، ويدبر عبده لما يعلم من سره
وعليه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه [به - ٢]، ويريد العبد فى كثير
من الأشياء ما لو وكل [العبد - ٣] فيه إلى نفسه وأجيب: إلى طلبته
كان فيه حقه، فيدبره سبحانه بما تشد كراهيته له فيكشف الحال عن
أنه لم يكن له فرج إلا فيه (من لا يستجيب له) أى لا يوجد الإجابة
ولا يطلب إيجادها من الأصنام وغيرها لأنه لا أهلية له لذلك .

ولما كان أقل الاستجابة مطلق الكلام، وكانوا فى الآخرة يكلمونهم
فى الجملة وإن كان بما يضرهم، غي هذا النقي بوقت لا ينفع فيه استجابة ١٠
أصلاً ولا يبقى أحد عن أحد أبداً قال تعالى: (إلى يوم القيمة)
أى الذى صرفناهم من أدلة ما هو أوضح من الشمس ولا يزيدهم
ذلك [إلا - ٤] إنكاراً وركوة إلى ما لا دليل عليه أصلاً وهم يدعون
الهداية ويعيون "أشد عيب" الفوارة . ولما كان من لا يستجيب قد
يكون له [علم - ٥] بطاعة الإنسان له ترجى معه إجابته يوماً ما، نقي ١٥

(١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) -قط ما بين الرقین من ظ و م ومد .
(٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : بما (٤) زيد من م ومد (٥) زيد من
مد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : اجب (٧) فى الأصل ومد
ظ : كراهته (٨) ليس فى الأصل وم (٩) من م ومد، وفى
الأصل وظ : النقم (١٠) -قط من ظ و م ومد (١١) من ظ و م ومد،
وفى الأصل : لا يزيدنم (١٢-١٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل ؟
اشار بحسب كذا .

ذلك بقوله زيادة في عيهم في دعاء ما لا رجاء في فقهه : (وهم عن دعائهم)
 أى دعاء المشركين لإيهم (غفلون هـ) أى لهم هذا الوصف ثابت لا ينفكون
 عنه ، لا يعلمون من يدعوم ولا من لا يدعوم ، وعبر بالغفلة التى هى من
 أوصاف العقلاء للجهد تغليا إن كان المراد أعم من الأصنام وغيرها من
 عبوده من عقلاء الإنس والجن وغيرهم واتصافا إن كان المراد الأصنام
 خاصة ، أو تهكما كأنه قيل : هم علماء فانكم أجل مقاما من أن تعبدوا
 ما لا يعقل ، وإنما عدم استجابتهم لكم دائما غفلة دائمة كما تقول لمن
 كتب كتابا كله فاسد : أنت عالم لكنك كنت ناعسا - ونحو هذا .
 ولما غي سبجانه يوم القيامة فأفهم أنهم يستجيون لهم فيه ،
 ١٠ بين ما يحاورونهم به^٢ إذ ذاك فقال : (وإذا حشر) أى جمع بكره
 على أسر^٣ وجه وأسهل أمر^٤ (الناس) أى كل من يصح منه
 النوس - أى التحرك - يوم القيامة (كانوا) أى المدعوون^٥ (لهم)
 أى للداعين (أعداء) و يعطيهم الله قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما
 يخاطب به العدو عدوه (و كانوا) أى المعبودون (بعبادتهم) أى
 ١٥ الداعين ، وهم المشركون - إيهم (كافرين هـ) لأنهم كانوا عنها غافلين
 كما قال سبجانه و تعالى / في سورة يونس عليه الصلاة والسلام

/ ٧٧٧

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : من (٢) في م : فيه (٣) من مد ، وفي
 الأصل و ظ و م : أحسن (٤) زيد في الأصل : جميع ، ولم تكن الزيادة في
 ظ و م و مد لحذفها (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : المدعون .
 (٦) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .

”وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون“ .

ولما بين أنهم^١ في غاية السفه في عبادة ما لا دليل بوجه على عبادته، أتبعه بيان أنهم^٢ في غاية الغباوة بانكار ما لا شيء أئين منه، فقال عاطفا على ”والذين كفروا عما انذروا معرضون“: (واذا تلى) أى قرأ من أى قارئ كان على وجه المتابعة (عليهم آيتنا) [أى - ٢] هـ التى لا أعظم منها فى أنفسها^٣ وباضافتها إلينا (يفت) لا شيء أئين منها قالوا - هكذا كان الأصل و لكنه بين الوصف الحامل لهم على القول فقال: (قال الذين كفروا) أى سنروا تلك الأنوار التى أبرزتها تلك التلاوة لها - هكذا كان الأصل و لكنه^٤ قال: (لحق) أى لاجله (لما) أى حين (جاءم) لانها^٥ مع بيانها لا شيء أثبت^٦ منها و أنهم بادروا أول سماعهم لها إلى إنكارها دون تفكر: (هذا) أى الذى تلى (سحر) أى خيال لاحقيقة له (مبين هـ) أى ظاهر فى أنه خيال، فدل قولهم هذا - بمبادرتهم^٧ إليه من غير تأمل أصلا، و بكونه أبعد الأشياء عن حقيقة ما قيل فيه - على أنهم أكثر الناس عنادا و أجرؤم على الكذب و هم يدعون أنهم أعرق^٨ الناس فى الإنصاف^٩ ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : نفسها (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ : بين الوصف الحامل لهم و لكنه، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بآياتنا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بما دلهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اعرف (٩-٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالانصاف .

و الزمهم للصدق .

ولما دلت هذه الآيات بعظيم حججها وزخار ما أغرق من
لججها، على أن ما يدينون به أوهى من الخيال، وأن هذا الكتاب
في صدقه وكل شيء من أمره أثبت من الجبال، فكانوا أجدر الخلق
ه بأن يقولوا: رجعتا عما كنا فيه و آمنا، كان موضع أن يقال: هل أقروا
بأنك صادق في نسبة هذا الكتاب إلى الله، فعادله بقوله دليلا عليه:
(أم يقولون) مجددين لذلك متابعين له (اقترنه) أى تعدد
كذبه، فيكون ذلك من قولهم عجباً لأنه قول مقرون بما يكذبه
ويطله كما يأتي في تقريره .

١٠ ولما كان كآته قيل: إنهم ليقولون ذلك، وقد فرحوا القلوب
به فما ذا يردم عنه؟ [قيل - ١]: (قل) ما هو أشد عليهم من وقع
النبيل، وهو ما يرد ما رموك به عليهم بحجة هي أجلى من الشمس في
الظهيرة صحوا^١ ليس دونها محاب . ولما كان من عادة الملوك أنه متى
كذب عليهم أحد^٢ عاجلوه بالعقوبة^٣ قال: (ان اقترنه) أى تعددت
(١ - ١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: زحاريا - كذا (٢) من ظ و م
و مد، وفي الأصل: او هو (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الخيال .
(٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لما (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ:
متتابعين (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: محوا .
(٨ - ٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بما حلوه! من العقوبة .

كذبه

كذبه على زعمكم^١ و أنا إنما أريد [به - ٢] نصيحتكم ، فالذى^٣ أقربه عليه وأنسبه إليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني أصلا ، وذلك هو معنى قوله : (فلا تملكون) أى أيها المنصوحون فى وقت من الأوقات بوجه من الوجوه (لى من الله) أى الملك الأعظم العزيز المتكبر الحكيم (شيئا) مما يرد عنى انتقامه منى لأن الملك لا يترك من كذب عليه ه مطلق كذب ، فكيف بمن يتعمد الكذب عليه فى الرسالة بأمر عظمية ويلزمه مساء وصباحا غدوا ورواحا ، فأى^٤ حامل لى حيثذ^٥ على اقترائه ، والمقصود [به - ٦] لا ينفعنى ، والمكذوب عليه لا يتركنى ؛ ثم علل ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله : (هو اعلم) أى منكم ومن كل أحد (بما تفيضون فيه^٦) من / فسقى إلى الكذب ، ١٠ / ٧٧٨ فلو أنه كما تقولون ما ناظرنى فضلا عن أنه يؤيدنى وينصرنى ، وفيه على ذلك تهديد لهم وتسليية له و تفرجج عنه .

ولما كان الإللاء وحده ليس قاطعا فى ذلك وإن كان ظاهرا فيه ، فكان لابد فى دعوى الصدق من دليل قاطع وبرهان ساطع ، وكانت شهادة الملك الذى الكلام فيه أعظم الأدلة لأنه الأعلم ، ومدار ١٥ الشهادة العلم ، فأتج الكلام قطعا قوله : (كفى) وأكد الكلام بما قرن بالفاعل من حرف الجر تحقيقا للفعل ونفيا للجواز^٧ فقال : (به شهيدا)

(١) م م و مد ، وفى الأصل و ظ : زعمهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : فى الذى (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تعمد . (هـ-هـ) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فى (٦) زيد من م و مد (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : كذا .

أى شاهداً بليغ الشهادة لانه الأعلم بجميع أحوالنا ﴿ ينفى وينكم ﴾
 يشهد بنفسه الأقدس للصادق منا وعلى الكاذب، وقد شهد بصدق
 بعجزكم عن معارضة شيء من هذا الكتاب الذى أتيت به، ثبت بذلك
 أنه كلامه لأنى لا أقدر وحدى على ما لا تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين
 ه وأتم عرب مثلى، بل [و - ١] أنا أمى و فيكم [أتم - ١] الكتبة
 والذين خالطوا العلماء و سمعوا أحاديث الأمم و ضربوا - بعد بلاد
 العجم - فى بلاد العرب، فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون
 ﴿ وهو الغفور ﴾ الذى من شأنه أن يمحو الذنوب كلها^٢ أعيانها
 وآثارها^٣ فلا يعاقب عليها ولا يعاتب ﴿ الرحيم ﴾ الذى يكرم بعد
 ١٠ المغفرة ويفضل بالتوفيق لما يرضيه، ففى هذا الحتام ترغيب للنبي صلى الله
 عليه وسلم فى الصفح عنهم فيما نسبوه إليه فى افتتاحها من الاقتراء،
 وندب إلى الإحسان إليهم، وترغيب لهم فى التوبة، ومنع من أن يقولوا:
 فلم لا يعاجلنا بالعقوبة على نسبتنا لك [إلى - ١] الكذب إن كنت
 صادقاً بأنه يجوز أن يمهل الكاذب، وأما أنه يؤيده بما يشد به كذبه
 ١٥ اللازم منه أنه يزيد فيه فلا يجوز، لأن ذلك قاذح فى الحكمة و [فى - ١]
 الكبرياء وفى الملك .

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣-٢) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ : آثارها و أعيانها (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بعد
 الذى (هـ) فى ظ و مد : فيما .

ولما كان [من - ١] : أعظم الضلال أن يسبب^٢ الإنسان إلى الكذب^٣ من غير دليل في شيء لم يتدعه ، بل تقدمه بمثله فأس قد ثبت صدقهم في مثل ذلك ومضت عليه^٤ الأزمان وقرر غاية التقرر في القلوب والأذهان ، قال تعالى : ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء الذين نسبوك إلى الاقتراء : ﴿ ما كنت ﴾ أي كونا ما ﴿ بدعا ﴾ أي منشئا مبتدعا محدثا هـ
مجتزعا بحيث أكون أجنيا منقطعا ﴿ من الرسل ﴾ لم يتقدم لي منهم مثال في أصل ما جئت به ، وهو الحرف الذي طال النزاع بيني وبينكم فيه وعظم الخطب وهو التوحيد ومحاسن الأخلاق . بل قد تقدمني رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا إليه كما دعوت وصدقهم [الله - ١]
بمثل ما صدقتي به ، فثبت بذلك رسالاتهم^{*} وسعد بهم من صدقهم من ١٠ قومهم ، وشق بهم من كذبهم ، فانظروا إلى آثرهم ، واسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم [وأشياعهم - ١] ، قال الإمام أبو عبد الله القزاز في ديوانه : والبدعة الاسم لما ابتدع^٥ و« ضد البدعة السنة ، لأن^٦ السنة ما تقدم له إمام ، والبدعة ما اخترع على غير مثال ، وفي الحديث « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، معناه - والله أعلم - أن ١٥
يبتدع ما يخالف السنة إذ كانت البدعة ضد السنة ، فاذا / أحدث ما يخالفها ٧٧٩ /

(١) زيد من م ومد (٢ - ٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : إلى الإنسان .
(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل وم : عليهم (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : التقرير (٥) من مد ، وفي الأصل وظ وم : رسالتهم (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) زيد في الأصل : والبدعة ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فلفظناها (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : إلا ان .

كان باحدائه لها ضالا مشركا، وكان ما أحدث^١ في النار، ولم يدخل
تحت هذا ما يخترع الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل
ذلك فيخرج عما ذكرنا إن كان له نظير في الأصول، وهو الحضر على
كل أفعال البر ما علم منها وما لم يعلم، فإن^٢ أحدث محدث من ذلك
شيئا فكأنه زيادة فيما تقدم من البر وليس بضد لما تقدمه من^٣ السنة،
بل هو باب من أبوابها، ويقولون: ما فلان يبدع^٤ في هذا الأمر أى
ليس [هو -^٥] بأول من أصابه ذلك^٦ ولكن سبقه غيره أيضا،
قال الشاعر:

و لست يبدع من النسايب ونقض الخطوب و^٧ إمرأها^٨

١٠. ويقال: أبدع بالرجل - إذا كلت^٩ راحلته، وأبدعت الركاب^{١٠} إذا
كلت وعطبت، وقيل: كل من عطبت^{١١} ركابه [فانقطع به فقد أبدع به،
وقال في القاموس: والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث
بعده صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال، وأبدع بالرجل: عطبت
ركابه -^{١٢}]، وبقي منقطعا به، وأبدع فلان بفلان: قطع به وخذله،

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اشرك (٢) من م و مد، وفي الأصل
و ظ: فاذا (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لمن (٤) من م و مد، وفي
الأصل و ظ: بدع (٥) زيد من م و مد (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ
و م و مد (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فن (٨) من م و مد، وفي
الأصل و ظ: إمرأها (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اكلت
(١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الركات (١١) من م و مد،
وفي الأصل و ظ: كلت (١٢) زيد من مد.

- ولم يقم بحاجته ، وحجته بطلت ، وقال الصفاني في مجمع البحرين : وشيء بدع - بالكسر أى مبتدع ، وفلان بدع في هذا الأمر أى بديع ، وقوم أبداع ، وعن ' الأخفش : [و - ٢] البديع المبتدع والبديع المبتدع أيضا ، وأبدعت حجة فلان - إذا بطلت ، وأبدعت : أبطلت - يتعدى ولا يتعدى .
- ولما أثبت بموافقته صلى الله عليه وسلم للرسول أصل الكلام ، ه
- وبقي أن يقال : إن التكذيب في أن الله أرسله [به ، قام الدليل على صدقه في دعواه ، وذلك بأنه مماثل لهم في أصل الحلقة ليس له من ذاته من العلم إلا ما لهم ، وليس منهم أحد يصح له حكم على المغنيات ، فلو لا أن الله أرسله - ٢] لما صح كل شيء حكم به على المستقبلات ولم يتخلف من ذلك شيء فقال : (وما أدرى) أى في هذا الحال ١٠
- بنوع حيلة وعمل واجتهاد ' (ما) [أى الذى - ٢] (يفعل) أى من أى فاعل [كان - ٢] سواء كان هو الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة [غيره - ٠] (بى) وأكد النفي ليكون ظاهرا في الاجتماع ، وكذلك في الانفراد أيضا [فقال - ٠] : (ولا) [أى ولا أدرى الذى يفعل - ٢] (بكم ') هذا في أصل الحلقة وأتم تزوني أحكم ١٥ على نفسى بأشياء لا يحتل شيء منها مثل أن أقول : إني ' اتيمم من القرآن ' (١) من مد ، وفي الأصل وظ و م : و عن (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل : ولو تكلف عدمه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) من م و مد ، وفي الأصل وظ : اتيمم بقرآن .

بما يعجزكم، فلا تقدرّون عليكم على معارضة شيء منه فيصح ذلك على
سبيل التكرار لا يتخلف أصلاً، فلولا أن الله أرسلني به لم أقدر وحدي
على ما [لا - ١] تقدرّون عليه كلّم، وإن قدرت على شيء كنتم
أتم أقدر مني عليه، وفي الآية بعمومها دليل على أن الله أن يفعل ما
ه يشاء، فله أن يذب الطائع وينعم العاصي، ولو فعل ذلك لكان عدلاً
وحقاً وإن كنّا نعتقد أنه لا يفعله .

ولما سوى نفسه الشريفة بهم في أصل الخلقة، وكان قد ميزه الله
عنهم بما خصه من النبوة والرسالة، [أبرز له ذلك - ٢] سبحانه وتعالى
على وجه النتيجة فقال: (إن) أي ما (اتبع) [أي - ٢] بغاية
١٠ جهدي وجدي (إلا ما) أي الذي (يوحى) أي يحدد^٢ إلقاؤه
من لا يوحى بحق^١ إلا هو^٣ (إلى) على سبيل التدرّج سرا، لا يطلع
عليه حق اطلاعه غيري، ومنه ما أخبر فيه عن المغيبات فيكون
كما قلت، فلا يرتاب / في أني لا أقدر على ذلك بنفسى فعلم^٤ أنه من الله .

٧٨٠ /

ولما نسبوه إلى الإقراء تارة^٥ والجنون أخرى، وكان السبب
١٥ الأعظم في نسبتهم له^٦ إلى ذلك^٧ صدعهم بما يسوهم على غير عادته
السالفة وعادة أمثاله، قال على سبيل القصر القلبي: (وما أنا) أي

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفي
الأصل وظ: يتجدد (٤-٤) فم ومد: سواء (٥) من ظ وم ومد، وفي
الأصل فلم (٦) زيد في الأصل: إلى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد
لخذناها (٧-٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: في ذلك .

باخبارى' لكم عما يوحى إلى (الا نذير) أى لكم ولكل من بلغه القرآن (مبين) أى ظالم' أنى كذلك فى نفسه مظهر له - أى كوفى نذيرا - وجميع' الجزئيات التى أنذر منها بالأدلة القطعية .

ولما أثبت أنه من عند الله بشهادة الله نفسه بعجزهم عن المعارضة، قبح عليهم إصرارهم على التكذيب على تقدير شهادة أحد من يثقون ه بهم يسألونهم عنه من أهل الكتاب فقال تعالى : (قل اريدتم) أى اخبروني ' ويتوالى وأقيموا ولو ببعض حجة أو برهان' (ان كان) أى هذا الذى يوحى إلى وآتيكم به وأنذركم وأعلمكم أنه من الله فانه (من عند الله) أى الملك الأعظم .

ولما كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينظرون فى علم ، ١٠ بل شأنهم تغطية المعارف والعلوم، عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل لمقارنة الأمرين المجموعين من غير مهلة^١ فبدل على الإسراع فى الكفر من غير تأمل [قال - ٧] : (وكفرتم به) أى على هذا التقدير (وشهد شاهد) أى واحد وأكثر (من بنى إسرائيل) الذين جرت عادتهم أن تستفتوهم وتثقوا بهم (على مثله) أى مثل ما فى القرآن ١٥

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : باخباركم (٢) زيد فى الأصل و ظ : فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : جميع (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يثبتون (ه - ه) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : مهلة (٧) زيد من ظ و م ومد .

من أن من وحد فقد آمن، ومن أشرك فقد كفر، وأن الله أنزل ذلك في التوراة والإنجيل وجميع أسفارهم، فطابقت عليه كتبهم، وتطافت به رسالهم، وتواترت على الدعاء [إليه - ١] والأمر به أنيأوهم عليهم الصلاة والسلام، ثم سبب عن شهادته وعقب وفصل ه فقال: ﴿فأمن﴾ أي هذا الذي شهد هذه الشهادة بهذا القرآن عند ما رآه، مصداقا لما ذكر وعلم أنه الكتاب الذي بشرت به كتبهم. فاهتدى إلى وضع الشيء في محله فوضعه ولم يستكر.

ولما كان الحامل [لهم - ١] بعد هذه الأدلة على التماهي على الكفر إنما هو الشبهة والافتقار قال: ﴿واستكرتم﴾ أي أوجدتم الكبر بالإعراض عنه طالبين بذلك الرئاسة والفخر والنفاسة، فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة أصلا فضلتكم [فكفرتم - ١] فوضعتم الشيء في غير موضعه فأنسد عليكم باب الهداية.

ولما كانوا يدعون أنهم أهدى الناس وأعد لهم، وكان من رد شهادة الخالق والخلق ظلما شديدا الظلم، فكان ضالا على علم، قال الله ١٥ تعالى 'مستأفا دالا' على أن تقدير الجواب: أقلم تكونوا بتخلفكم عن الإيمان بمد العلم قد ظلمتم ظلما عظيما بوضع الكفران موضع الإيمان، فتكونوا ضالين تاركين للطريق الموصل على عمد ﴿ان الله﴾ أي الملك

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: را (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: محله (٤-٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: دالا مستأفا.

٧٨١/

الاعظم / ذا العزة والحكمة (لا يهدى القوم) أى الذين لهم قدرة على القيام بما يريدون محاولته (الظلمين) أى الذين من شأنهم وضع الأمور في غير مواضعها ، فلاجل ذلك لا يهديكم لأنه لا أحد أرسخ منكم في الظلم الذى تسبب عنه ضلالكم ، أما من كان منكم عالماً فالأمر فيه واضح ، و أما من كان منكم جاهلاً فهو كالعالم لعدم تدبره مثل هـ
 هذه الأدلة التى ما بين العالم بلسان العرب وبين انكشافها له إلا تدبرها مع ترك الهوى ، وقال الحسن - كما نقله البغوى - الجواب : فمن أضل منكم كما قال فى " فصلت " " قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد " فالآية من الاحتباك : ذكر الإيمان أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانياً ١٠
 دليلاً على أضدادها أولاً ، وأسرّه أنه ذكر سبب السعادة ترغيباً وترهيباً .
 ولما دل على أن تركهم للإيمان إنما هو تعمد للظلم استكباراً ، عطف على قولهم " انه سحر " ما دل على الاستكبار فقال تعالى :
 (وقال الذين كفروا) أى تعمدوا تغطية الحق (للذين) أى لأجل إيمان الذين (امنوا) إذ سبقهم إلى الإيمان : (لو كان) إيمانهم ١٥
 (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لاجل انه (٢ - ٢) من م ، وفى الأصل وظ : مثلكم ، وفى مد : منهم عالماً (٣) سقط من م و مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش باب التأويل ١٣٢/٦ (٥) زيد فى الأصل : بالباطل والتعاقب عنه كأنهم على الرشاد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لى .

بالقرآن 'و بهذا الرسول' (خيرا) أى من جملة الخيور (ما يسبقونا إليه^١)
ونحن أشرف منهم وأكثر أموالا وأولادا وأعلم بتحصيل العز
والسودد الذى هو مناط الخير فكان^٢ لم يسبقونا^٣ إلى شيء من هذه الخيرات
التي نحن قانزون بها وهم صفر منها، لكنه ليس بخير، فلذلك سبقوا^٤
هـ إليه [فكان - °] حالهم فيه حالهم فيما هو محسوس من أمورهم في
المال والجاه .

ولما أخبر عما قالوا حين سبقهم غيرهم، أخبر عما يقولون عند
تعدد الإعراض عنه فقال : (واذا) أى وحين (لم يهتدوا به)
يقولون عنادا 'وتكبرا وكفرا' : لو كان هدى لأبصرناه ' ولم يعلموا
١٠ أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ولما كان التقدير : فان قيل لهم : فما هو ؟ أجابه بقوله مسيحا عن
هذا المقدر علما من أعلام النبوة : (فيقولون) بوعد لاخلف فيه
لأن الناس أعداء ما جهلوا ولأنهم لم يحدوا على ما يدعونه من أنه
لو كان خيرا لسبقوا غيرهم [إليه - °] دليلا : (هذا) أى الذى سبقتم
١٥ إليه (افك) أى شيء مصروف عن وجهه إلى قفاه (قديمه) أفكه
غيره وعثر^٥ هو عليه فأتى به ونسبه إلى الله .

ولما كان هذا الكلام ساقطا في نفسه لما قام من الأدلة الباهرة

(١-٢) سقط ما بين الرتين من ظ وم ومد (٢) من ظ وم، وفي الأصل ومد :
كان (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : لم يسبقوا (٤) من م ومد، وفي الأصل
وظ : سبقوا (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : غير .

على صدق القرآن وكان الوقوف مع المحسوسات غالبا عليهم لعدم قنودم
في المعقولات، دل على بطلانه^٢ لمواقة القرآن لاعظم^٣ الكتب القديمة
التوراة التي اشتهر أنها من عند الله وأن الآتي بها كلام وقد صدق الله
في الإنيان بها بما لم يأت به نبي قبله من المعجزات والآيات الينيات
/ وم يستفتون أهلها، فقال على وجه التبكيك [لهم -^٤] و التويخ: ٥ / ٧٨٢

(ومن) أى قالوا ذلك والحال أنه كان في بعض الزمن الذى من
(قبله) أى القرآن العظيم^٥ الذى حرموا تدبر آياته وحل مشكلاته
وأعجزهم فصاحته^٦ (كتب موسى^٧) كلم الله وصفوته عليه الصلاة والسلام
' وهو التوراة التي كله الله^٨ بها تكليبا حال كون^٩ كتابه (اماما) أى
يستحق أن يؤمه كل من سمع به في أصول الدين مطلقا وفي جميع ما
فيه قبل تحريفه ونسخه وتبديله (ورحمة^{١٠}) لما فيه من نعمة
الدلالة على الله والبيان الشافى فهمهم^{١١} طعنوا في هذا القرآن وهم لا يقدررون
على الطعن في كتاب موسى الذى قد سلوا لاهله أنهم أهل العلم وجعلوهم
حكما يرضون بقولهم في هذا النى الكريم، وكتائبهم مصادق^{١٢} لكتائبهم^{١٣}

-
- (١) من ظ و مد، وفي الأصل و م؛ تعودهم (٢) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: بطلان قولهم (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الاعظم.
(٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد.
(٦-٦) سقط ما بين الرقين من م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
كونه (٨) من مد، وفي الأصل و ظ و م: فيهاهم - كذا (٩) من مد،
وفي الأصل و ظ و م: يصادق (١٠) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: لكتائبه.

قد صاروا بذلك مصدقين بما كذبوا به ، ولذلك قال الله تعالى :
 (وهذا) أى القرآن 'المبين المبين' (كُتِبَ) أى جامع لجميع
 الخيرات . ولما أريد تعميم التصديق بجميع الكتب الإلهية و الحقوق
 الشرعية ، حذف المتعلق فقال : (مصدق ') أى ' لكتاب موسى عليه
 الصلاة والسلام وغيره من الكتب التى تصح نسبتها إلى الله تعالى
 'فان جميع الكتب التى جاءت بها الرسل ناطقة بتوحيد الله وأن هذا
 الكتاب لم يخرج عن هذا' فأنى يصح فيما ' هذا شأنه أن يكون' إفكا ،
 إنما الإفك ما كذب كتب الله التى أتت بها أنبيأؤه وتوارثها أوليأؤه .
 ولما كان الكتاب قد تقوم الأدلة على مصادقته لكتب الله ويكون

١٠ بغير لسان المكذب' به فيكون فى التكذيب أقل ملامة ، احتراز عن ذلك
 بقوله : (لسانا) أى أشير إلى هذا المصدق القريب منكم زمانا ومكانا
 وفيها حال كونه (عربيا) فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه
 أسهل الكتب تناولا وأبعدها عن التكليف' ، ليس هو بحيث يمنعه علوه
 بفخامة الالفاظ وجلالة المعانى وعلو النظم و'رصافة السبك' ووجازة

(١-١) سقط ما بين الرتئين من ظ و م ومد (٢) من القرآن وظ و م ومد ،
 وفى الأصل : مصدقا (٣) زيد فى الأصل : هذا الكتاب ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م ومد فذفناها (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بما (٥) زيد فى
 الأصل وظ : هذا ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فذفناها (٦) من م ومد ،
 وفى الأصل وظ : للكذب (٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أبعد .
 (٨) من مد ، وفى الأصل وظ و م : التكليف (٩-٩) من ظ و م ومد ،
 وفى الأصل : رصافة السيف - كذا .

العبارة، وظهور المعاني ودقة الإشارة مع سهولة الفهم وقرب المتناول
بعد بعد المغزى .

ولما دل على أن الكتاب حق، بين ثمرته فقال: (لينذر) أى
أشير إلى هذا الكتاب [فى هذا الحال لينذر الكتاب - ١] بحسن يانه
وعظيم شأنه (الذين ظلوا ظلمة) سواء كانوا عريقين فى الظلم أم لا، فأما ه
العريقون فهو لهم نذرى كاملة، فانهم لا يهتدون كما تقدم، وأما غيرهم
فيهتدى بنذارته ويسعد بعبارته وإشارته، وليبشر الذين أحسنوا فى وقت
ما (و) هو (بشرى) كاملة (للمحسنين) لا نذارة لهم لا فى الدنيا
ولا فى الآخرة، فالآية من الاحتباك: أثبت أولا "ينذر" [و- ١] "الذين
ظلوا" دلالة على حذف [نحوه ثانيا، "وبشرى" و"للمحسنين" ثانيا ١٠
دلالة على - ١] "نذرى" "وللظالمين" أولا .

ولما بين حالة المحسنين شرح أمرهم فقال مستأنفا فى جواب من
سأل عنهم وعن بشرام: (ان الذين قالوا ربنا) أى خالقنا ومولانا
والمحسن إلينا (الله) سبحانه وتعالى لا غيره / و لما كانت الاستقامة - وهى
٧٨٣ / الثبات على كل ما يرضى [الله - ١] مع ترتبها على التوحيد - عزيزة ١٥
المثال^٢ على الرتبة، وكانت فى الغالب لا تتال إلا بعد منازلات طويلة
ومجاهدات شديدة، أشار إلى كل من بعدها وعلو رتبتها بأداة التراخي
فقال: (ثم) أى [بعد - ١] قولهم ذلك الذى وحدوا به (استقاموا)

(١) زيد من م ومد (٢) زيد فى الأصل: أى بشرى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
ومد فحذفناها (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: المثال (٤) زيد ولا بد منه .

أى [طلبوا - ١] القوم طلبا عظيما وأوجدوه .

ولما كان الوصف لرؤس المؤمنين ، عد أعمالهم أسبابا فأخير عنهم بقوله : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أى يعلمون بغلبة الضرر ، ولعله [يعبر - ١] فى [مثل - ٢] هذا بالاسم إشارة إلى أن هيئته بالنظر إلى جلاله وقهره ٥ وجبروته وكبره وكماله لا تنتفى ، ويحصل للانسان باستحضارها إخبات ٢ وطمأنينة ووقار وسكينة يزيده فى نفسه جلالاته ورفعة وكماله ، فالمنى خوف يلقى النفس (ولا م) فى ضمائرهم ولا فى ظواهرهم (يجزون ٣) أى يتجدد لهم شيء من حزن أصلا .

ولما نفى عنهم المحذور ، مدمم بإيثار السرور ، فقال تعالى : ﴿ أولئك ﴾ ١٠ أى العالو الدرجات ﴿ اصحب الجنة ﴾ ولما دلت الصفة على الملازمة ، صرح بها بقوله تعالى : ﴿ تخلص فيها ﴾ خلودا لا آخر [له - ١] ، جوزوا بذلك ﴿ جزآه ﴾ ولما كانوا محسنين فكانت أعمالهم فى غاية الخلوص جعلها تعالى أسبابا أولا وثانيا ، فقال مشيرا إلى دوامها لأنها فى جبلاتهم ﴿ بما كانوا ﴾ أى طبعيا وخلقيا ﴿ يعملون ٥ ﴾ على سبيل ١٥ التجديد المستمر .

ولما تفضل سبحانه وتعالى على الإنسان بعد الأعمال التى هبأ لها وأقدره عليها ووفقه لها أسبابا قرن بالوصية بطاعته - لكونه المبدع - الوصية بالوالدين لكونه تعالى جعله سبب الإيجاد ، فقال فى هذا السياق

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد ، وفه الأصل وظ : احساها (٤) من م ومد ، وفه الأصل وظ : وكانت .

الذى 'عد فيه' الاعمال [لكونه -^١] سياق الإحسان التى أفضلها 'اصلاة' على ميقاتها، وثانيها فى الرتبة بر الوالدين كما فى الصحيح^٢، وفى الترمذى^٣ :
 رضى الله^٤ فى رضى الوالدين و^٥ سخطه^٦ فى سخطهما^٧، وعلى هذا المتوال جرت عادة القرآن يوصى بطاعة الوالدين بعد الأمر بعبادته "وإذا أخذ الله^٨ ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا"^٩ "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا"^{١٠} [وكذا ما بعدهما^{١١} عاطفا على ما قدرته أول السورة من [نحو -^{١٢}] أن يقال : وأمرنا الناس أجمعين أن يكونوا بطاعتنا فى مهلة الأجل عاملين ولمنعيتنا مجتنبين : (ووصينا الانسان) أى هذا النوع الذى أنس بنفسه (بوالديه) ولما استوفى "وصى" مفعوليه "كان التقدير : ليأتى إليهما حسنا، وقرأ ١٠ الكوفيون : (إحسانا) وهو أوفق للسياق .

ولما كان حق الأب ظاهرا لما له من الكسب والإنفاق والذب والتأديب لم يذكره، وذكر ما للام لان أمدته يسير، فربما استهين به فقال مستأنفا أو^{١٣} معللا : (حملته امه) أى بعد أن وضعه أبوه

- (١ -) من م ومد، وفى الأصل وظ : فيه عد (٢) زيد من ظ وم ومد .
 (٣) راجع أبواب مواقيت الصلاة (٤) راجع أبواب البر (٥) زيد فى الأصل وظ وم : عنه، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل وظ : فى، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٧ - ٧) من م ومد، وفى الأصل وظ : وفى سخطها .
 (٨ - ٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل : اخذنا (٩) زيد من م ومد .
 (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بعد هذا (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل : مفعوليه (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل « و » .

بمشاركتهما في أحشائهما. حملا (كرها) بثقل الحمل وأمراضه وأوصابه
 و أعراضه (و وضعته) أى بعد تمام / مدة حملة (كرها) (فدل'
 هذا - مع دلالة على وجوب حق الأم - على أن الأمر في تكوينه لله
 وحده، و ذكر أوسط ما للام من مدة التعب بذكر أقل مدة الحمل
 ه و أنهى مدة الرضاع لانضباطها فقال تعالى : (و حملة و فصله) أى
 [و -] مدة حملة و غاية فطامه^٢ من الرضاع، و عر بالفصل لإرادة
 النهاية لأن الفطام قد يكون قبل النهاية لغرض ثم تظهر الحاجة فتعاد
 الرضاعة (ثلثون شهرا^١) فانصرف الفصل إلى الكامل الذى تقدم فى -
 البقرة فعر أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و به قال الأطباء، و ربما
 ١٠. أشعر بأن أقل مدة الرضاع سنة و تسعة أشهر لأن أغلب الحمل
 تسعة أشهر .

ولما كان ما بعد ذلك تارة يشترك^٣ فى مؤنثه^٤ الأيوان و تارة
 يتفرد أحدهما، طوى ذكرهما، و ذكر حرف الغاية مقسما للموصى^٥ إلى
 قسمين : مطيع و عاصى، ذاكر ما لكل من الجزاء بشارة و نذارة،
 ١٥ إرشادا إلى أن المعنى : واستمر كَلَّا على أبويه أو أحدهما
 (حتى إذا بلغ أشده) قال فى القاموس : قوته، و هو ما بين ثمانى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بدل (٢) زيد من مد (٣) من م و مد،
 و فى الأصل و ظ : فصالة (٤-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اسعران .
 (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يستندل (٦) من مد، و فى الأصل
 و ظ و م : مؤنة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : موص .

عشرة سنة إلى ثلاثين ، واحد جاء على بناء الجمع كآئك ولا نظير لها ،
أو جمع لا واحد له من لفظه ، أو واحد شدة بالكسر مع [أن-']
فعلة لا تجمع على أفعل ، أو شد ككلب و أكلب أو شد ككذب و أذوب ،
و ما هما^٢ بمسوعين بل قياس - انتهى^١ . وقد مضى في سورة يوسف
ما ينفع هنا جدا^٣ ، وروى الطبراني^٤ في ترجمة [ابن-']^٥ أحمد بن ليد ه
البيروقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الأشد ثلاث و ثلاثون
سنة ،^٦ وهو الذى^٧ رفع عليه^٨ عيسى بن مريم - قال^٩ الهيثمي : وفيه صدقة
ابن يزيد وثقه أبو زرعة و أبو حاتم و ضعفه أحمد و جماعة و بقية رجاله
ثقات : قال الزمخشري^{١٠} : وهو أول الأشد و غايته الأربعون . و لما كانت
أيام الضى و الشباب و إن كانت صفوة عمر الإنسان و أوقات لذاته^{١١} ١٠
و مجتمع شمله و راحاته فيها يظهر له سر عمره في الغالب لغلبة الانفس
الحديثة عليه البهيمية و السبعة لما يحملانه^{١٢} عليه من نتائج الشهوات و نوازع
(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : هم (٤) زيد فى الأصل : و بلغ أربعين سنة ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جيد .
(٦) راجع لقول ابن عباس بمجم الزوائد ٧ / ١٠٦ (٧) زيد من ظ و م و مد .
(٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى التى (٩) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : عليها (١٠) زيد فى الأصل : الحافظ ابن حجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد فحذفناها (١١) فى الكشف (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و م :
لذاته (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يحملان .

الغضب و البطالات ، عبر بما يدل على القحط و الشوم و الضيق تنبيها
على ذلك ، فقال شارحا للاستواء و معبرا عنه : ﴿ و بلغ اربعين سنة لا ﴾ [١ -
فاجتمع أشده ' و تم حزمه ' و جدّه ، و زالت عنه شرة ' الشباب و طيش
الصبا و رعونة الجهل ، و لذلك كان هذا السن وقت بعثة الأنبياء ، و هو
ه يشعر بأن أوقات الصبي أخف ؛ في المواخضة ' مما بعدها و كذا ما بين
أول الأشد ' و الأربعين ﴿ قال ﴾ إن كان محسنا قابلا لوصية ربه :
﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلى بالإيجاد و تيسير ' الأيوين و غيرها
و تسخيرها ﴿ اوزعنى ﴾ أى اجعلنى أطيع ﴿ ان اشكر نعمتك ﴾ أى
وازعا للشكر ' أى كافا مرتبطا حتى لا يغلبنى فى وقت من الاوقات ،
١٠ و ذلك الشكر بالوحيد فى العبادة كما أنه يوحد بنعمة الإيجاد و التزويق ،
و وحدها تعظيما للأمر بالإشارة إلى / أن النعمة الواحدة لا يبلغ شكرها
إلا بمعوة الله مع أن ذكر الأيوين يعرف أن المراد بها الجنس .

/ ٧٨٥

ولما كان ربما ظن ظان ' أن المراد بنعمته قدرته على الإنعام ليكون
المعنى : أن أشكر لك لكونك قادرا على الإنعام ، قال : ﴿ التى أنعمت على ﴾
(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل : بلغ حرمه ، و فى
ظ : بلغ حزمه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : شدة (٤) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : اخذ (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموجدة .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاشداد (٧) من مد ، و فى الأصل
و ظ و م : تيسر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الكر (٩) سقط
من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م
و مد فحذفناها .

أى بالفعل لوجوب ذلك على لخصوصه بى ﴿ و على والدى ﴾ ولو
مطلق الإيجاد والعافية فى الدن ، لأن النعمة عليها نعمة على ، وقد
مضى فى النمل ما يتعين استحضاره هنا .

ولما كان المقصود الأعظم من النعمة الماضية نعمة الإيجاد المراد
من شكرها التوحيد ، أتبعها [تمام - ١] الشكر فقال : ﴿ وان اعمل ﴾ هـ
[أى - ٢] أنا فى خاصة نفسى [(صالحا) - ١] . ولما كان الصالح
فى نفسه قد لا يقع الموقع لعدم الإذن فيه قال : ﴿ ترضنه ﴾ والتشكير
إشارة إلى العجز عن بلوغ الغاية فانه لن ' يقدر الله حق قدره أحد .
ولما دعا^٥ لنفسه بعد أن أوصى برعاية حق أبيه ، لقنه^٦ سبحانه
الدعاء لمن يتفرع منه^٧ ، حثا على رعاية حقوقهم لئلا يسلطهم على عقوقه ١٠
فقال : ﴿ واصلح ﴾ أى أوقع الإصلاح ، وقال : ﴿ لى فى ذرىتى ﴾
لأن صلاحهم يلحقه قعه ، والمراد بقصر الفعل وجعلهم ظرفا له أن
يكون ثابتا راسخا ساريا فيهم وهم محيطون به فيكونوا صالحين .

ولما استحضر عند كمال العقل فى الأربعين أن ما مضى من العمر
كان أغلبه ضائعا فدعا ، وكان من شرط قبول الدعاء التوبة ، علله بقوله : ١٥
﴿ انى تبت ﴾ أى رجعت ﴿ البك ﴾ أى عن كل ما يقدر فى الإقبال

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ، وفى الأصل
ومد : الشكر (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لأن (٥) من م ومد ،
وفى الأصل وظ : ادعى (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لفت .
(٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من هذا المواد بعد ذلك فقال تعالى .

عليك ، وأكده إعلاما بأن حاله في الإقبال على الشهوات حال من يعد
 'منه الإقلاع فينكر' إخباره به ، وكذا قوله : ﴿ واني من المسلمين ﴾
 أى الذين أسلبوا ظواهرهم وبواطنهم لك ' فانقادوا آمم انقيادوا أحسنه .
 ولما وصف هذا المؤمن بادئا به لكونه في سياق الإحسان ، وكان
 ه المراد بالإسنان الجنس ، قال مادحا له بصيغة الجمع منها على أن قبول
 الطاعات مشروط ببر' الوالدين لأن ما ظهر دليل ما بطن ، ومن لا يشكر
 من كان من جنسه لاسيما وهو أقرب الناس إليه لاسيما وهو السبب في
 إيجاده لم يشكر الله كما في الحديث " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "
 ومن صلح ما بينه وبين [الله صلح ما بينه وبين -] الناس عامة
 ١٠ لاسيما الأقارب نسبا أو مكانا لاسيما الوالدين : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو
 الرتبة ﴿ الذين يتقبل ﴾ بأسهل وجهه ﴿ عنهم ﴾ وأشار سبحانه بصيغة
 الفعل إلى أنه يعمل في قبوله عمل المعتنى ، وقرأ حمزة والكسائي
 وحفص " بالنون فيه وفي الذى بعده ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

(١ - ١) من م ومد ، وفي الأصل : عنه الاقبال فينكره ، وفي ظ : عنه
 الاقلاع فينكره (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لكم (٣ - ٢) سقط ما
 بين الرقيين من ظ وم ومد (٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : بين .
 (٥) زيد بعده في الأصل : الأقارب نسبا لا مكانا لاسيما الوالدين أوليك ،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخذفها (٦) في ظ : لم (٧) زيد من ظ
 ومد (٨) زيد في الأصل : كان واحسنه ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد
 لخذفها (٩) في مد : قراءة (١٠) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٤٤ .

(أحسن) ويجوز أن يراد به مطلق 'الدعاء أو الطاعات' ويكون ما دون / الأحسن مقبولا قبولاً مطلقاً على مقدار النية فيه، وتكون 'التعديّة' بعن^١ إشارة إلى أن جلاتهم مبنية على الترقى^٢ في معارج^٣ الكمال في كل وقت إلى غير نهاية، فتكون^٤ هذه المحاسن ليست [منهم -] بمعنى أنهم مجبولون على أعلى منها في نهاياتهم والعبرة بالنهايات^٥ ولذلك^٦ قال تعالى: ﴿ما عملوا﴾^٧ ولم يقل: أفعالهم. ولما كان الإنسان محل النقصان وإن كان محسناً، نبه على ذلك وعنى أن شرط تكفير السيئات التوبة بقوله تعالى: ﴿ويتجاوز﴾ أى بوعده مقبول لا بد من كونه، وهو معنى قراءة حمزة والكسائي بالنون في الفعلين ﴿عن سيئاتهم﴾ أى فلا يعاقبهم عليها.

ولما كان هذا مفهماً لأنهم من أهل الجنة، صرح^٨ به زيادة في ١٠ مدحهم بقوله: ﴿فى اصحب الجنة﴾ أى أنه فعل بهم ذلك وهم في عدادهم لأنهم لم يزالوا فيهم^٩ لأنهم ما برحوا^{١٠} بعين الرضا. ولما كان هذا وعداً، أكد مضمونه بقوله: ﴿وعد الصدق﴾ لكونه مطابقاً

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٢-٢) من مد، وفى الأصل وظ و م: المبدئية يعنى (٣) من م و مد، وفى الأصل وظ: الترافى.
(٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: درجات (٥) من م و مد، وفى الأصل وظ: مكون (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالشهائيات (٨) من م و مد، وفى الأصل وظ: كذلك.
(٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: نفق (١٠) من م و مد، وفى الأصل وظ: فيها (١١) من م و مد، وفى الأصل وظ: رحوا.

للاواقع (الذى كانوا) 'يكون ثابت' جدا (يوعدون ه) أى يقطع لهم الوعد به فى الدنيا بمن لا أصدق منهم ، و هم الرسل عليهم الصلاة والسلام .

و لما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئنا به لكون المقام للاحسن ، أتبعه ه المسمى المناسب لمقصود السورة المذكورة صريحا فى مطلعها فقال تعالى :

(والذى قال لوالديه) 'مع اجتماعهما كافرا لنعمهما' نابذا لوصيتنا بهما فكان كافرا بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقا ، و التثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كيدا ، لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله و لو كان واحدا ، و أن الاجتماع مطلقا له ١٠ تأثير فكيف إذا كان والدا : (اف) أى تضجر و تقذر و استرذال و تكره منى و لغاتها أربعون - حكاهما فى القاموس ، المتواتر منها عن القراء ثلاث : الكسر بغير تنوين و هو قراءة الجمهور ، و المراد به أن المعنى الذى قصده مقترن بسفول ثابت ' ، و مع التنوين و هو قراءة

- (١ - ١) من مد ، وفى الأصل و ظ : أى يكون ثابتا ، وفى م : يكون ثابتا .
- (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المذكورة (٣) زيد فى الأصل و ظ :
- أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : منعمهما (ه) زيد فى الأصل و ظ : قال ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة ظ و م و مد فحذفناها .
- (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يكره (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نعاتها (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : ثلاثة (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دائم ثابت .

المدينين وحفص^١ والمراد به أنه سفول عظيم سائر مع الدهر بالغلبة والقهر، والفتح من غير تنوين وهو قراءة ابن كثير : ابن عامر ويعقوب، والمراد به اقتران المعنى المقصود 'بالاشتهار بالعلو والانتشار' مع الدوام، وقد تقدم في الإسراء عن الحرالي - وهو الحق - أن 'التأيف أنهى' الأذى وأشده، فإن معناه 'أن اتوقف به لاخطر له' ولا وزن أصلا، ولا يصلح لشيء بل [هو - *] عدم بل عدم خير منه مع أنهى القدر^٢.

ولما كان كأنه قيل : لمن هذا التأيف ؟ قال : ﴿ لكآ ﴾ ولما كانا^٣ كأنهما قالا له : لم هذا التقدير^٤ العظيم بعد الإحسان الذي لا تقدر

على 'جزأتا به'، قال مبكنا موبخا منكرا على تقدير لونه وعدا : ١٠

﴿ اتعدنى ﴾ أى على سبيل الاستمرار بالتجديد / فى كل وقت ٧٨٧ /
﴿ ان اخرج ﴾ [أى - ١٠] من مخرج ما يخرجنى من الأرض بعد أن غبت فيها وصرت ترابا يحبى كما كنت أول مرة ﴿ وقد ﴾
أى والحال أنه قد ﴿ خلت ﴾ أى "تقدمت و سبقت" ومضت على

- (١) راجع نثر المرجان ٥٤٦/٦ (٢-٣) من مد، وفى الأصل وظ : بالاشتفاء والعلو انتشار، وفى م : بالاشتفاء والعلو الانتشار (٣-٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : التأيف انتهى (٤) من م ومد، وفى الأصل : المعنى . (٥) زيد من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : العذر (٧) من مد، وفى الأصل وظ وم : كان (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ : التعذر . (٩-٩) من م ومد، وفى الأصل : جزاء من له (١٠) زيد من م ومد . (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من م ومد .

سنن الموت ﴿ القرون ﴾ أى الأجيال الكثيرة من صلابتهم ، و أثبت
الجار لأن القرن لا يتخرم إلا بعد مدة طويلة ، فالانحرام فى ذلك غير
مستغرق للزمان فقال : ﴿ من قبل ع ﴾ أى قرنا بعد قرن و أمة بعد أمة
و تطاولت الأزمان و أغلبهم يكذب بهذا الحديث فأنا مع الاغلب ،
ه و تأيد ذلك بأنه لم يرجع أحد منهم ﴿ وهما ﴾ أى و الحال أنهما كلما قال
لهما ذلك ﴿ يستغيثن الله ﴾ أى يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال
أن يعينهما ' بالهامه قبول ' كلامهما ، قائلين لولدهما مجتهدين بالنصيحة له
بعد الاجتهاد بالدعاء : ﴿ ويلك ﴾ كما يقوله المشفق إذا زاد به الكرب
و بلغ منه الغم ، إشارة إلى أنه لم يبق [له -] إن أعرض إلا الويل
١٠ و هو الهلاك ﴿ امن قلم ﴾ أى أوقع الإيمان الذى لا إيمان غيره ، و هو
الذى ينقذ من كل هلكة ، و يوجب كل فوز بالتصديق بالبعث و بكل
ما جاء عن الله ، ثم عللا ' أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة
إنكاره فقالا : ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الملك ' الاعظم ' المحيط بجميع
صفات ' المهابة ' و ' الكمال ' الموصوف بالعزة و الحكمة ﴿ حق قلم ﴾ أى ثابت
١٥ أعظم ثبات لأنه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الإخلاف الذى
لا يرضاه لنفسه أقل ' العرب فكيف وهو يلزم منه منافاة ' الحكمة يكون

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قيل (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : بالفهامه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل و م :
عل (٥) من مد . وفى الأصل و ظ و م : فقال (٦) سقط من م و مد .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل
و ظ : اقرب (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مناف .

المخلق حيثئذ على وجه البعث^١ لانهم عباد ورعايا لا يعرضون على ملكهم الذى أبدعهم مع علمه بما هم عليه من ظلم بعضهم لبعض وبنى بعضهم على بعض (فيقول) مسيبا عن قولها و مقبالة : (ما هذا) أى الذى ذكرناه لى من^٢ البعث (الآ اساطير الاولين هـ) أى خرافات [كتبها - °] على وجه الكذب الاوائل^١ و تناقلها منهم الاعمار^٥ هـ جيلا بعد جيل فصارت^٦ بحيث يظن الضعفاء أنها صحيحة - هذا والعجب كل العجب أنه بتصديقه لا يلزمه فساد على تقدير من التقادير الممكنة ، بل يحمله التصديق على محاسن الأعمال و معالى^٨ الاخلاق التى هو مقرر بأنها^٩ محاسن من لزوم طريق الخير و ترك طريق الشر ، و تكذيبه يجره إلى المرح و الاشر ، و البطر و أفعال الشر ، و دنايا الاخلاق مع احتمال ١٠ الهلاك الذى يخوفانه به و هو لا ينفى أنه محتمل^{١١} و إن استبعده فما دعوه^{١٢} إليه كما ترى^{١٣} لا ياباه عاقل و لكنها^{١٤} عقول كادها باريها .

- (١) فى الأصل و ظ و م : العتب ، و فى مد : الغيب - كذا (٢) زيد فى الأصل : اى قوله هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد : تذكراته (٤) زيد فى الأصل : ما هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تناقلها من الأخبار (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصار (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معانى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالها . (١٠) زيد فى الأصل : التى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دعوه (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يرى (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لكنهم .

/ ٧٨٨

ولما كان هذا الكلام، مع بلوغ النهاية في حسن الانتظام، قد
 حصر الإنسان في هذين القسمين مثلاً بليغاً لكفار العرب و مؤمنهم،
 / فالأول للمؤمنين التابعين لملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الآتى بها
 أعظم أنبيائه الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. و الثانى للكفار
 ٥ المتأذين لأعظم آبائهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى يعرفون منه
 نقلاً يتوارثونه من آبائهم، و قرأنا معجزاً كأنهم سمعوه من خالقهم
 أنه موحد لله مقرر بالبعث محذر من غوائله، و كان قد ابتدأ سبحانه الحديث
 عنهم بما ذكر مما كفروا به المتعمين و استحقوا كلنا السوءتين، خزي
 الدنيا و عذاب الآخرة، أخبر عنهم بما أتجه تكذيبهم بموعد ربهم
 ١٠ و عقوبتهم لوالديهم حقيقة أو تعليماً بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء،
 [من - ٣] العقل و المروءة و كل خير* ﴿ الذين حق ﴾ أى ثبت
 و وجب . و لما كان هذا وعيداً، دل عليه بأداة الاستعلاء فقال:
 ﴿ عليهم القول ﴾ أى الكامل فى بابهم بأنهم أسفل السافلين^١، و هذا
 يكذب من قال: إنها نزلت فى عبد الرحمن بن [أبى - ٢] بكر رضى الله
 ١٥ عنها، فانه أسلم و صار من أكابر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين،
 فحق له الجنة .

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يوفونه (٢) فى مد: بنقل (م) زيد من
 م و مد (٤) زيد فى الأصل: م، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .
 (٥) زيد فى الأصل و ظ: طردو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .
 (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل، لانهم (٧) من م و مد، و فى الأصل
 و ظ: يـافلين .

ولما أثبت^١ لهم هذه الشنعة ، عرف بكثرة من شاركهم فيها
 قتل : (في) أى كائين في (امم) أى خلائق كانوا بحيث يقصدهم
 الناس و يتبع^٢ بعضهم بعضا^٣ (قد خلت) تلك الأمم . ولما كان
 المحكوم عليه بعض السالفين ، أدخل الجار فقال : (من قبلهم) فكانوا
 قدوتهم (من الجن) بدأ بهم لأن العرب تستعظمهم و تستجير بهم ، ه
 وذلك لأنهم يتظاهرون لهم و يؤذونهم و لم يقطع^٤ أذاهم لهم و تسلطهم
 عليهم^٥ ظاهرا و باطنا^٦ إلا القرآن ، فانه أحرقهم بأنواره و جلام عن
 تلك البلاد بجلى آثاره (والانس^٧) و ما نفعتهم^٨ كثرتهم و لا أغنت
 عنهم قوتهم ، ثم علل حقوق الأمر عليهم^٩ أو استأنف^{١٠} بقوله مؤكدا
 تكذيبا لظن هذا القسم الذى الكلام فيه أن الصواب مع الأكثر : ١٠
 (انهم) أى كلهم (كانوا) أى جيلة و طبعا و خلقا لا يقدررن على
 الانتفاك عنه (نحسين^{١١}) أى عريقين فى هذا الوصف .

ولما قسمهم فى الاعمال ، جمعهم فى العدل و الإفضال فقال :
 (ولكل) أى^{١٢} من فريق السعداء و البعداء من القيلتين : الجن

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ثبت (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : يتبعهم (٣) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 لحذفها (٤) فى مد : لم يقع (ه - ه) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باطنا
 و ظاهرا (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وانهم لم ينفعهم (٧ - ٧) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : فاستأنف (٨) زيد فى الأصل : الفريقين وهم ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

والإنس، في الدنيا والآخرة ﴿ درجت ﴾ أى دركات أى منازل
 ومراتب متفاضلين فيها ﴿ من ﴾ أجل ﴿ ما عملوا ﴾ أو من جوهره
 ونوعه من الأعمال الصالحة والطالحة . ولما كان التقدير : ليظهر ظهورا
 بينا انه سبحانه فاعل بالاختيار بالمفاوطة^١ بين العقلاء^٢ ويظهر^٣ ظهورا
 ه بينا^٤ لا وقفة فيه^٥ أن الحقائق على غير ما كان^٦ يترأى لهم في الدنيا،
 فان حجب المكاره والشهوات كانت ترى الأمور على خلاف ما هي
 عليه، عطف عليه قوله في قراءة البصريين وعاصم ومشام عن ابن
 عامر^٧ بخلاف / عنه : ﴿ ولوفهم ﴾ أى ربهم الذى تقدم إقبال المحسن
 عليه^٨ ودعاؤه له، وقراءة الباقيين بالتون أنسب لمطلع السورة ولما يشير
 ١٠ إليه من كشف حجب^٩ الكبرياء في يوم الفصل .

/ ٧٨٩

ولما كان سبحانه يعلم مثاقيل الذر وما دونها وما فوقها ويحمل^{١٠}
 الجزاء على حسبها في المقدار والشبه والجنس والنوع والشخص حتى
 يكاد يظن العامل أن الجزاء هو العمل قال : ﴿ اعمالهم ﴾ أى جزاءها
 من خير وشر وجنة ونار - وهذا ظاهر، أو رض في أن الجن يثابون
 ١٥ بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان، وسورة الرحمن كلها خطاب للثقلين

(١) من م ومد وفي الأصل وظ : بالمعاوطة (٢-٢) من ظ ومد، وفي
 الأصل وم : ليظهر (٣-٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : رمة (٤) من ظ
 وم ومد، وفي الأصل : كا - كذا (٥) راجع ثمر المرجان ٦/ ٤٩٩ (٦) من
 ظ وم ومد، وفي الأصل : اليه (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ : حجيته .
 (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : يعلم .

بالثواب لأهل الطاعة ، والعقاب لأهل المعصية من كل من القيلتين ؛
كما سيأتى إن شاء الله تعالى يانه ، ويمجى مطيعهم بالثواب كما يجازى
عاصيهم بالعقاب - قاله مالك وابن أبى لى والضحاك وغيرهم كما
نقله البغوى (وم) أى والجال أنهم (لا يظلمون) أى لا يتجدد
لهم شىء من ظالم ما من ظلم فى جزاء أعمالهم بزيادة فى عقاب أو نقص ه
من ثواب ، بل الرحمانية كما كانت لهم فى الدنيا فهى لهم فى الآخرة
فلا يظلم ربك أحدا بأن يعذبه فوق ما يستحقه من العقاب ، أو ينقصه
عما يستأهل من الثواب .

ولما كان الظاهر فى هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها ،
قال ذاكر بعض ما يىكت به المجرمون يوم البعث الذى كانوا به يكذبون ١٠
و يكون فيه توفية جزاء الأعمال ، عاطفا على ما تقديره : اذكر لهم هذا
لعلهم يأتقون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين : (ويوم) أى
و اذكر لهم يوم يعرضون - هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف
الذى أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الأمر كان ظاهرا لهم ولكنهم
سنروا ، أنوار عقولهم فقال : (يعرض الذين كفروا) أى من الفريقين ١٥
المذكورين (على النار) أى يصلون لها و يلقون فيها كما يعرض اللحم
الذى يشوى ، مقولا لهم على سبل التدبير و التريع و التوخيخ و التشنيع
(١) لم نقر به فى العالم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : زيادة (٣ - ٤) من
ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى الآخرة لهم (٥) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : ينكب (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م . شوى .

لأنهم لم يذكر الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه ونهيه : ﴿ اذهبتم ﴾ في قراءة نافع و أبي عمرو و الكوفيين^١ بالإخبار ، و قراءة الباقيين بالاستفهام لزيادة الإنكار و التوبيخ ﴿ طيبتكم ﴾ أى لذاتكم باتباعكم الشهوات ﴿ فى حياتكم ﴾ و نفر^٢ منها بقوله تعالى : ﴿ الدنيا ﴾
 ٥ أى القرية الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها ، فكان سعيكم فى حركاتكم و سكناتكم لأجلها حتى نلتموها ﴿ واستمتعتم ﴾ أى طلبتم و أوجدتم انتفاعكم^٣ ﴿ بها ٥ ﴾ و جملمتموها غاية حظكم فى رفعتكم و نعمتكم .

و لما كان ذلك استهانة بالأوامر و النواهي للاستهانة بيوم الجزاء ،
 ١٠ سبب عنه قوله تعالى : ﴿ فالיום تجزون ﴾ أى على إعراضكم [عنا -^٤]
 / ٧٩٠ بجزاء من لا تقدر^٥ون / التفصي^٦ من جزائه بأيسر أمر منه ﴿ عذاب الهون ﴾ أى الهون^٧ العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل و خزي ﴿ بما كنتم ﴾ جلة و طبعاً ﴿ تستكبرون ﴾ أى تطلبون^٨ الترفع و توجودونه^٩ على الاستمرار ﴿ فى الارض ﴾ التى هى لكونها تراباً و موضوعة على الزوال و الخراب ،

(١) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٩ - ٥٥٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يقر .
 (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسفاهكم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : اعراضكم بجزاء من لا تقدر^٥ون على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البعض (٧) زيد فى الأصل : الوان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرمع و تجدونه .

أحق شيء بالتواضع والذل والهوان . ولما كان الاستكبار يكون
بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحا ، فیده بقوله : ﴿ بغير الحق ﴾
أى الأمر الذى يطابقه الواقع وهو أوامرها ونواهيها ، [ودل - ١]
بأداة الكمال على أنه لا يعاقب على الاستكبار مع الشبهة ﴿ وبما كنتم ﴾
على الاستمرار ﴿ تفسقون ﴾ أى تجددون الخروج عن محيط الطاعة ه
الذى تدعو إليه الفطرة الأولى والعقل ٢ إلى نوازع ٣ المعاصي .

ولما هددهم سبحانه بالأمور الآخروية ، وستر الأمر بالتذكير بها
لكونها مستورة وهم بها يكذبون فى قوله " ويوم " ، وختم بالعذاب
على الاستكبار المذموم والفسق ، عطف عليه تهديدهم بالأمور المحسوسة
لأنهم متقيدون بها مصرحا بالأمر بالذكر فقال تعالى : ﴿ واذكر ﴾ ١٠
أى لهؤلاء الذين لا يتعظون بمحط الحكمة الذى ٢ لا يخفى على [ذى - ١]
لب ، وهو البعث . ولما كان أقدم ما يهددون به فى هذه السورة وأنسبه
لمقصودها عاد لكونهم أقوى الناس أبدانا وأعتام رقابا وأشدهم قلوبا
وأوسعهم ملكا وأعظمهم استكبارا بحيث ٣ كانوا يقولون " من أشد منا
قوة " وبنوا البيان الذى يفنى الدهر ولا يفنى ، فلا يعمله إلا من نسى ١٥
الموت أو ٤ رجا الخلود واصطنعوا ٥ جنة على وجه الأرض لأن ملكهم

(١) زيد من م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : على أنواع ، وفى م :
على نوازع (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : التى (٤) زيد من م ومد
ومد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ وم : الشبه (٦) من م ومد ،
وفى الأصل وظ : حيث (٧) من مد ، وفى الأصل وظ وم «و» (٨) فى
مد : اصطفوا .

عما كلها مع قرب بلادهم لكونها في بلاد العرب من قريش و معرفتهم
 بأخبارهم و رؤيتهم لديارهم و كون عذابهم نشأ^١ من بلادهم^٢ بدعاء من
 دعا منهم، ذكر أمرهم على وجه دل على مقصود السورة، و عبر بالآخرة
 تسلية لنيه صلى الله عليه و سلم لأن فظيعة القوم لمن هو منهم و يعلون
 مناقبه و مفاخره أنكأ فقال: (أخا عاد^٣) و هو أخو^٤ هود عليه الصلاة
 و السلام الذي كان بين قوم^٥ لا يعشرهم قومك في قوة و لأمكنة،
 و صدعهم^٦ مع ذلك عمر^٧ الحق و بادأهم بأمر الله، لم يخف عاقبتهم
 و نجيته منهم، فهو لك قدوة و فيه أسوة، و لقومك في قصدك إياك
 بالأذى من أمره موعظة.

١٠ ولما ذكره عليه الصلاة و السلام لمثل هذه المقاصد الجليلة، أبدل
 منه قصته^٨ زيادة في البيان، فقال مينا أن الإنذار^٩ هو المقصد الأعظم
 من الرسالة: (اذ^{١٠}) أي حين (انذر قومهم^{١١}) أي الذين لهم قوة^{١٢}
 زائدة على القيام فيما يحاولونه (بالاحقاف^{١٣}) قال الأصمهاني: قال
 ابن عباس^{١٤}: واد بين عمان و مهرة، قال: و قال مقاتل: كانت منازل

/ ٧٩١

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: بنشأ (٢) من ظ و م و مد، و في
 الأصل: بلادهم (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: أخا (٤) من ظ و م
 و مد، و في الأصل: قومهم (٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: صدعهم.
 (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: غير (٧) من م و مد، و في الأصل
 و ظ: قصة (٨) زبدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في م و مد لحذفها.
 (٩) في الأصل ياض (١٠) راجع المعالم بهامش الباب ٦/ ١٣٧.

عاد باليمن في حضرموت بموضع^١ يقال له مهرة، إليه ينسب الإبل
المهرية، وكانوا أهل عمد^٢ سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجفوا
إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم^٣. وقال قتادة: كانوا مشرفين على البحر
بأرض يقال لها الشجر، والاحقاف جمع حقف بالكسر، وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء، وقال ابن زيد: هو ما استطال من الرمل
كهية الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا، وقال في القاموس: وهو الرمل
العظيم المستدير، وأصل الرمل، واحقوق الرمل والظهر والهلل:
طال واعوج. ومن الأمر الجلي أن هذه الهية لا تكون في بلاد الريح
بها غالبه شديدة لأنه لو كان ذلك 'نسف الجبل' نسفا بخلاف بلاد الجبال
كككة المشرفة، فإن الريح تكون بها غاية في الشدة لأنها إما أن تصك^{١٠}
الجبل فتعكس راجمة بقوة شديدة، أو يكون هناك جبال فراد بينها أو
تنضغط فتخرج مما تجد^{١١} من الفروج^{١٢} على هيئة مزعجة^{١٣} فينبغي أن يكون
أهل الجبال أشد من ذلك حذرا^{١٤}.

ولما ذكر النذير والمندرين ومكانهم لما ذكر من المقاصد، ذكر

(١) من م ومد والعالم، وفي الأصل وظ: في موضع (٢) من م ومد والعالم، وفي
الأصل وظ: عهد (٣) من م ومد والعالم، وفي الأصل وظ: آدم (٤-٤) من
مد، وفي الأصل: لسفته الريح، وفي ظ وم: نسفته للجبل (٥) من ظ وم
ومد، وفي الأصل: منها (٦-٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: في
العروج (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: متزعجة (٨) من م ومد،
وفي الأصل وظ: حذرا.

أنهم أعرضوا عنه ولم يكن بدعا^١ من الرسل ولا كان قومه جاهلين بأحوالهم، فاستحقوا العذاب تحذيرا من مثل حالهم، فقال: ﴿وقد﴾
 أى والحال أنه قد ﴿خلت﴾ أى مرت ومضت وماتت ﴿النذر﴾
 أى الرسل الكثيرون الذين عطف أمرهم الإنذار.

٥ ولما لم يكن إرسالهم بالفعل مستغرقا لجميع الأزمنة، أدخل الجار
 فقال: ﴿من بين يديه﴾ أى قبله كنوح وشيث و آدم عليهم الصلاة
 والسلام فما كان بدعا منهم ﴿ومن خلفه﴾ أى الذين أتوا [من-]٢
 بعده فما كنت أنت بدعا منهم . ولما أشار إلى كثرة الرسل، ذكر
 وحدتهم فى أصل الدعاء، فقال مفسرا للإنذار معبرا بالتهى :
 ١٠ ﴿الاعبدوا﴾ أى أيها العباد المندرون، بوجه من الوجوه، شيئا
 من الأشياء ﴿إلا الله﴾ الملك الذى لا ملك غيره ولا خالق سواه
 ولا منعم إلا هو، فاقى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شيء من
 تدبيركم، والملك لا يقر على مثل هذا .

ولما أمرهم ونهاهم، علل ذلك فقال^٣ محذرا لهم من العذاب مؤكدا
 ١٥ لا لهم من الإنكار لاعتمادهم على قوة أبدانهم و عظيم شأنهم :
 ﴿انى أخاف عليكم﴾ لكونكم قومي وأعز الناس على ﴿عذاب يوم عظيم﴾
 لا يدع جهة إلا ملأها عذابه، إن أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك .

(١) زيد فى الأصل وظ : أعرضوا عنه ، ولم تكن الزيادة فى م ومد
 لحذفها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : منها ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 وم ومد لحذفها (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
 ومد لحذفها .

ولما تشوف السامع إلى 'جوابهم عن' هذه الحكمة، أوجب بقوله

تمالي : ﴿ قالوا ﴾ أي منكرين عليه : ﴿ اجسنا ﴾ أي يا هود ﴿ لتافكنا ﴾ أي
تصرفنا عن وجه أمرنا إلى قهاه ﴿ عن الهتاء ﴾ فلا نعبدها ولا نعبد بها.

ولما كان معنى الإنكار النفي، فكان المعنى : إنا لا نتصرف عنها، سيوا

عنه قولهم : ﴿ قاتنا بما تعدبنا ﴾ سموا الوعيد وعدا^١ / استهزاء ه / ٧٩٢

به . ولما كان ذلك معناه تكذيبه، زادوه وضوحا بقولهم معبرين بأداة

الشك إشارة إلى أن صدقه في ذلك من فرض المحال : ﴿ ان كنت ﴾

أي كما يقال عنك، كونا ثابتا ﴿ من الصديقين ه ﴾^٢ في أنك رسول من

الله وأنه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب إن أصررنا .

ولما تضمن قولهم هذا نسبة داعيهم عليه الصلاة والسلام إلى ما لا

دلالة لكلامه عليه بوجه، وهو ادعاء^٣ العلم بعذابهم والقدرة عليه وتكذيبه

في كل منها اللازم منه [أنهم اللازم منه -^٤] ادعاءهم العلم بأنهم

لا يعذبون، وكانوا كاذبين في جميع ذلك [كان -^٥] كأنه قيل :

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ : عن (٢) من م ومد، وفي الأصل

وظ : إلى (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : لا تتصرف (٤) زيد في

الأصل : امر من الإيتاء أي قاتنا، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها .

(٥) زيد في الأصل : به، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٦) زيد

في الأصل : وهو، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٧) زيد

في الأصل وظ : أي، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٨) من ظ وم

ومد، وفي الأصل : بما - كذا (٩) زيد من م ومد .

بم أجابهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مصداق لهم في سلب^١ عليه بذلك وقدرته عليه ، مكذبا لهم في نسبتهم إليه ادعاء شيء منهما وإلى أنفسهم بأنه لا يقع : ﴿ انما العلم ﴾ أى^٢ المحيط بكل شيء عذابكم وغيره ﴿ عند الله ﴾ أى^٣ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ينزل علم ما توعدون على^٤ من يشاء إن شاء^٥ ولا علم لى الآن ولا لكم بشيء من ذلك ولا قدرة^٦ .

ولما كان العلم المحيط يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فليست القدرة على الإتيان بعذابكم إلا له سبحانه وتعالى لالى ولا لغيرى ، وليس على^٧ إلا البلاغ^٨ كما أوحى إلى^٩ ربي بقوله سبحانه " ان عليك الا البلاغ " ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم من الوعد بأن أعمالكم أعمال من قد^{١٠} أعرض عن سيده^{١١} وعرض نفسه^{١٢} للهلاك والعذاب^{١٣} باشرأكه بالمحسن المطلق من لا يكاثره بوجه فهو^{١٤} بحيث يخشى عليه الأخذ ، عطف عليه قوله : ﴿ وابلغكم ﴾ أى أيضا فى الحال والاستقبال ﴿ ما أرسلت ﴾ أى ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره ، فانه يقدر على نصر رسوله^{١٥} ﴿ به ﴾

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : سلبه (٢) زيد فى الأصل و ظ : العلم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الى (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يشاء (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٧ - ٧) فى م : للهلاك وللعذاب ، وفى مد : للعذاب (٨) سقط من مد (٩) زيد فى الأصل : وان فى الحقيقة رسوله منصور ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أى من التوحيد وغيره، سواء كان وعدا أو وعيدا أو غيرهما لو لم يذكر الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم .

و لما كان معنى الإخبار بالإبلاغ أنه ليس على إلا ذلك، وكان معنى قصر العلم المطلق على الله تصديقهم في نفي عنه عليه الصلاة والسلام بذلك، حسن قوله مستدركا عليه بجهلهم : (ولكنى أرزكم) .
 أى أعلمكم علما هو كالرؤية (قوما) غلاظا شدادا عاسين (تجهلون) .
 أى [بكم - ٢] مع ذلك صفة الجهل، وهو الغلظة في غير موضعها مع قلة العلم، تجديدون ذلك على سبيل [الاستمرار بسبب - ٢] أنكم تفعلون -
 بأشراككم بالمحسن المطلق و [هو - ٢] للملك الأعظم من لا أحسان له بوجه أفعال من يستحق العذاب ثم لا تجوزون وقوعه وتكذبون ١٠
 من ينهكم على أن ذلك أمر يحق أن يحتز منه، وتفسونه إلى غير ما أرسل له من الإنذار من ادعاء القدرة على العذاب ونحوه .

ولما تسبب عن قولهم هذا إتيان العذاب [فأتام - ٢] في صحاب أسود، "استمروا على جهلهم" وعادتهم في الأمن وعدم تجويز

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : مستركا (٢) زيد في الأصل : انكم، ولم تكن الزيادة في ط و م ومد لحذفها (٣) زيد من م (٤-٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الاله ومنه بوجه و أفعالكم - كذا (٥) من مد، وفي الأصل و ظ و م : لانجرون (٦) من ظ و مد، وفي الأصل و م : يهيك (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : اليه (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : سبب (٩) زيدت الواو في الأصل و ظ ولم تكن في م ومد لحذفها (١٠-١٠) سقط ما بين الرمين من ظ و م ومد .

الانتقام، وكيفان إتيانه كان قريبا من / استعجالهم به، فلذلك أتى بالفاء
 في قوله مسيا 'عن تكذيبهم' مينا لعظيم جهلهم بجهلهم في المحسوسات،
 مفصلا لما كان من حالهم عند رؤية البأس: ﴿فلما راوه﴾ أي العذاب
 الذي يعدم به ﴿عارضاً﴾ أي سحاباً أسود بارزاً في الأفق ظاهر الأمر
 ه عند من له أهلية النظر، حال كونه قاصداً [إليهم - ٢] ﴿مستقبل أوديتهم ٣﴾
 أي طالباً لأن يكون مقابلاً لها وموجداً لذلك، وهو وصف لعارضا
 فهو نكرة إضافته لفظية وإن كان مضافاً إلى معرفة، وكذا "مطرنا"
 ﴿قالوا﴾ على عادة جهلهم مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم
 في غاية الجهل، لأن جهلهم به استمر حتى كاد أن يواقعهم:
 ١٠ ﴿هذا عارض﴾ أي سحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها
 ﴿مطرنا ١﴾ لكونهم رأوه أسود مرتادا فظنوه ممتلئاً ماء يغاثون به بعد
 طول القحط وإرسال رسلهم إلى مكة المشرفة ليدعوا لهم هنالك إيه الذي
 استخفوا به بالقدح في ملكه بأن أشركوا به من هو دونهم، علما منهم
 بأن شركاءهم لا تنفع عنهم في الإمطار شيئاً، غافلين عن ذنوبهم الموجبة
 ١٥ لعذابهم، فلذلك قال الله تعالى مضرباً ١١ عن كلامهم، والظاهر أنه حكاية

(١-١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: عنهم (٢) زيد من م و مد (٣) من
 مد، وفي الأصل و ظ و م: عارض (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ:
 إضافة (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مضائه (٦) من ظ و م و مد،
 وفي الأصل: عتابه (٧) من مد، وفي الأصل و ظ و م: يواقعهم (٨) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل: لانهم (٩) من مد، وفي الأصل و ظ و م:
 يعانون (١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ: مضربهم .

لقول هود عليه الصلاة والسلام في جواب كلامهم : ﴿ بل هو ﴾
 أى هذا العارض الذى ترونه ﴿ ما استعجلتم به ^١ ﴾ أى طلتم العجلة في
 إتيانه إليكم من العذاب .

ولما اشتد تشوف السامع إلى معرفته ^٢ قال : ﴿ ريح ﴾ أى ركت
 هذا السحاب الذى رأيتموه ﴿ فيها عذاب اليم ^٣ ﴾ أى شديد الإيلام ، هـ
 كانت تحمل الطعنة في الجو تحملها وهودجها حتى ترى كأنها جردة ،
 وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشى تطير بهم
 الريح بين السماء والأرض ثم تقذف بهم ﴿ تدمر ﴾ أى تهلك إهلاكا
 عظيما شديدا سريعا تأتى بقتة على طريق الهجوم ﴿ كل شيء ﴾ أى
 [أت عليه - ^٤] ، هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه الصلاة والسلام ١٠
 ومن آمن به رضى الله عنهم فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أهرما
 في إهلاك كل ما ^٥ مرت عليه أمر خارق للعادة ^٦ ، والمجلتان يحتمل
 أن ^٧ تكونا وصفا لريح ^٨ ويحتمل وهو أعذب وأهز للنفس وأعجب
 أن تكونا ^٩ استثناء . ولما كان ربما ظن ^{١٠} ظان ^{١١} أنها مؤثرة بنفسها قال :

(١-١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لمعرفة (٢) زيد في الأصل : به ،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٣) زيد من م ومد (٤-٤) من
 ظ وم ومد ، وفي الأصل : هلاك من (٥) زيد في الأصل وظ : كذلك ،
 ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفها (٦-٦) من م ومد ، وفي الأصل
 وظ : يكون وصف الريح (٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : يكون .
 (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ظا .

(يا مريم ربها) أى المبدع لها والمربى والمحسن بالانتقام بها من أعدائه .

و لما ذكرها بهذا الذكر الهائل ، وكان التقدير : جاءتهم فدمرتهم لم^١ تترك منهم أحدا ، سبب عن ذلك زيادة فى التهويل قوله : (فاصبحوا) ٧٩٤ / ٥ و لما اشتد إصغاء السامع إلى كيفية إصباحهم ، قال / مترجما هلاكمهم :

(لا ترى^٢) أى أيتها الرائى ، لما عظمت روعة القاب و هول^٣ النفس قال تعالى : (الا منكنهم^٤) أى جزاء على إجرامهم ، فانطبقت العبارة على المعنى ، و علم أن المراد بالإصباح بطلق الكون ، و لكنه عبر به لأن المصيبة فيه أعظم ، و علم أنه لم يبق من المكذبين ديار و لا نافع ١٠ فار ، و هذا كناية عن عموم الهلاك^٥ لهم سواء كان الرمل دفنهم^٦ أو على وجه الأرض مرتبين كما فى الآية الأخرى ” فترى القوم فيها صرعى كأنه اعجاز نخل خاوية “ و روى أن هودا عليه الصلاة و السلام لما أحس بالريح اعتزل بمن آمن معه فى حظيرة فأمالته الريح على الكفرة الاحقاف التى كانت مجتمعهم إذا تحدثوا و محل بسطهم إذا لعبوا ، فكانوا ١٥ تحتها سبع ليال و ثمانية ايام . ثم كشفت عنهم فاحتملتهم فقذتهم فى البحر و كذا^٧ أهلكت مواشيهم و كل شئ لهم فيه ربح و لم يصب هودا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ذكرما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : فلم (٣) راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٦ / ٥٠٦ (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : هو (٥) زيد فى الاصل : و العذاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدفها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : و قهم (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لذا .

عليه الصلاة والسلام و من معه رضى الله عنهم [منها - ١] إلا ما لين
أبشارهم و نفش^٢ أرواحهم، والآية^٣ على هذا على حقيقتها في أنه لم يصبح
الصباح و منهم أحد يرى .

و لما طارت لهذا الهول الأفتدة و اندهشت الأبواب ، قال تعالى
منها على زبدة المراد بطريق الاستئناف : (كذلك) أى مثل هذا الجزاء ه
الهائل في أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك^٤ (نجزي)
بعظمتنا دائما إذا شئنا (القوم) و إن كانوا أقوى ما يكون (المجرمين ه)
أى العريقين في الإجمام الذين يقطعون ما حقه الوصل فيصلون^٥ ما حقه
القطع ، و ذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع ، فاحذروا أيها
العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا .

١٠

و لما كان [هذا - ١] محلا يتوقع فيه الإخبار عن حال^٦ مكنتهم
ليعلم هل تركوا الدفع لمانع فيهم أو لأن ما اتأمم بحيث لا يمكن لأحد
دفاعه ، قال ذا كرا حرف التوقع مخوفا للعرب مقسما لأن قريشا قد قال
قاتلهم : إنهم يدفعون العذاب بدفع الزبانية ، و نحوها : (و لقد) أى
فعل بهم ذلك و الحال أنا و عزتنا قد (مكنتهم) تمكينا تظهر به عظمتنا ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بغض (٣) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : علايه - كذا (٤) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : الهائلة (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الهلاك (٦) من ظ
و مد ، وفي الأصل و ظ : و يصلون (٧) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : حالهم .

(فيمّا ان) أى الذى ما (مكشكم فيه) من قوة الأبدان وكثرة
 الأموال وغيرها، وجعل الثانى «ان» لأنها أبلغ من «ما» لأن «ما»
 تنفى تمام القوت لتركبها من الميم والالف التى حقيقة إدراكها فوت
 تمام الإدراك و«ان» تنفى أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه
 ه من تمامه لأن الهمزة أول مظهر لقوت الالف والتون لمطلق الإظهار -
 هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار إلى غير
 ذلك من بدائع الأسرار .

ولما كانت قريش تقتخر بمقولها، فربما ظنت أنها فى العقل
 و مقدماته من الخواس أمكن منهم /، و أنهم ما أتى عليهم إلا من / ٧٩٥
 ١٠ عدم فهمهم، قال تعالى: (وجعلنا) أى جعلنا يليق بما «زدناهم عليكم»
 من المكنة على ما اقتضته عظمتنا (لهم سمعا) بدأ به لأن المقام
 للانذار المنبه بحاسة السمع على ما فى الآيات المراثيات من «المواعظ»
 فهو أنفع لأنه أوضح، ووحده لفلة التفاوت فيه (وابصارا) أى
 منبهة على ما فى الآيات المراثيات من مطابقة واقعها لآخبار السمع،

(١ - ١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : انتقى (٢) من ظ و م ومد، وفى
 الأصل : الميزة (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بديع (٤) من م ومد،
 وفى الأصل و ظ : بقولها (٥ - ٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ : زدناكم
 عليهم (٦) وقع فى الأصل و ظ و م بعد «جعلنا» والترتيب من مد، ووقع
 فى الأصل و ظ : لكم (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ : عن (٨) من م
 ومد، وفى الأصل و ظ : منبه .

و جمع لكثرة التفاوت في أنوار الأبصار ، وكذا في قوله : ﴿ واقتد زمل ﴾
 أى قلوبا ليعرفوا بها الحق فيتبعوه و الباطل فيجتنبوه و يشكروا من
 وهبها لهم ، و ختم بها لأنها الغاية التى ليس ' بعد الإدراك منتهى و لا ' راءها '
 مرمى ، و عبر بما هو من النفود ' و هو التجرد إشارة إلى أنها في غاية
 الذكاء . ﴿ فأغنى عنهم ﴾ ' فى حال إرسالنا إليهم الرحمة على لسان نبينا ' ه
 هود عليه الصلاة والسلام ثم النعمة بيد الريح ﴿ سمعهم ﴾ و أكد
 النفي ' بتكرير النافي فقال : ﴿ ولا ابصارهم ﴾ و كذا في قوله :
 ﴿ ولا اقتدتهم ﴾ أى لما أردنا إهلاكهم ، و أكد باثبات الجار فقال :
 ﴿ من شيء ﴾ [أى - ٦] من الإغناء ، و ' إن قل ' [لا - ٨] فى دفع
 العذاب ، و لا فى معرفة الصواب ، بل صرفوا ما وهبنا لهم من القوى فيما ' ١٠
 لا ينبغي تعليق الهمم به من أمور الدنيا حتى فاقوا فى ذلك الأمم و عملوا
 أعمال من تخلد كما قيل :

و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولما ذكر نبي الإغناء ، ذكر ظرفه على وجه يفهم التعليل ، فانه إذا
 ذكر الانتقام فى وقت فعل الشيء علم أن علته فعل ذلك الشيء فقال : ١٥

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ليست (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : ادراها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : التعود (٤) زيد فى
 الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) سقط من ظ
 و م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل : بالنفي (٧) زيد من ظ و م و مد .
 (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بما .

(اذ كانوا) أى ' طبعاً لهم و خلقاً ' (يمحذون) أى يكررون^٢
 على مر الزمان الجحد (بآيت الله) أى الإنكار لما يعرف من دلائل
 الملك الأعظم (و حاق) أى أحاط على جهة الإحراق و العظم بأمور
 لا يدرى وجه المخلص منها (بهم ما) أى عقاب الذى (كانوا) على
 جهة الدوام لكونه خلقاً لهم (به يستهزمون^٣) أى يوجدونه على سبيل
 الاستمرار إيجاد من هو طالب له عاشق فيه .

ولما تم المراد من الإخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة
 لينظ بهم من سمع أمرهم ، أتبعهم من كان مشاركاً لهم فى التكذيب
 فشاركهم فى الهلاك ، فقال مكرراً لتخويفهم دالاً على إحاطة قدرته
 ١٠ باحاطة عليه : (ولقد اهلكنا) بما لنا من العظمة^٤ و القدرة المحيطتين
 الماضيتين بكل ما زيدا (ما حولكم) أى يا أهل مكة (من القرى)
 كأهل الحجر و سبا و مدين و الأيكة و قوم لوط و فرعون و أصحاب
 الرس^٥ و نمود^٦ و غيرهم ممن^٧ فهم معتبر^٨ . ولما كان الموعوظ به الإهلاك^٩
 ذكر مقدماً ، فتشوف السامع إلى السؤال عن حالهم فى الآيات ، فقال

(١) زيد فى الأصل : أى الطائفة التى ذكرناهم و ذكرنا ما حصل لهم لأن
 هذا كان . ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذنا ما (٢ - ٢) فى ظ و م
 و مد : خلقاً و طبعاً (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يكثرُونَ (٤) من م
 و مد ، وفى الأصل و ظ : يوجدون (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 دلالة (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين
 من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمن (٩) من مد ، وفى
 الأصل و ظ و م : معتبراً (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الهلاك .

عاطفا بالواو [التي - ١] لا يمنع معطوفها التقدم على ما عطف عليه :

(و صرفنا الأيت) أى حولنا الحجج اليينات وكررتها موصلة / مفصلة ٧٩٦ /

مزينة محسنة على وجوه شتى من الدلالات ، خالصة عن كل شبهة .

و لما كان تصريف الآيات لا يخص أحدا بعينه ، بل هو لكل من

رآه أو سمع به ، لم يقيداهم^١ وذكر العلة الشاملة^٢ لغيرهم فقال : (لعلمهم) هـ

أى الكفار (يرجعون هـ) أى ليكونوا عند من يعرف حالهم فى رؤية

الآيات حال من يرجع عن النى الذى كان يركبه^٣ لتقليد أو شبهة كشفت

الآيات وفضحته^٤ الدلالات فلم يرجعوا ، فكان عدم رجوعهم سبب

أملأ كنا لهم^٥ .

و لما كانوا قد جعلوا محط حالهم فى الشركاء أنهم سبب التواصل^{١٠} .

بينهم و التفاوت ، و ادعوا أنهم يشفعون فيهم فيقربونهم إلى الله زلنى

و يمنعونهم من العذاب^٢ فى الآخرة ، و كان أدنى الأمور التسوية بينه

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد

لحذفناها (م) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد لحذفناها .

(٤) سقط من ظ و م و مد (هـ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها .

(٦) زيد فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٧) من

ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرتكبه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م :

فضحتها (٩ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اهلاكمهم (١٠) من م و مد ،

و فى الأصل و ظ : التواصل (١١) زيد فى الأصل : و شاهده قولهم يقربونا

الى الله زانى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

و بين عذاب الدنيا ، سبب عن أخباره عن إهلاك الأمم الماضية قوله
 مقدما لليلة التي جعلها محط نظرهم منكرا عليهم موبخا لهم : ﴿ فلولا ﴾
 أى فهل لا ولم لا ﴿ نصرهم ﴾ أى هؤلاء المهلكين ﴿ الذين اتخذوا ﴾
 أى اجتهدوا فى صرف أنفسهم عن دواعي العقل و الفطر الأولى حتى
 أخذوا ، وأشار إلى قلة عقولهم ببيان - فقولهم فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك
 الذى هو أعظم من كل عظيم ﴿ قربانا ﴾ [أى -] لآجل القربة
 و التقرب العظيم يتقربون إليها و يزعمون أنها تقربهم إلى الله ﴿ الهة ﴾
 أشركهم مع الملك الأعظم لآجل ذلك - قاتلهم الله و أخزاهم .

و لما كان التخصيص يفهم أنهم ما نصرهم ، أضرب عنه فقال :
 ١٠ ﴿ بل ضلوا ﴾ أى غابوا^٢ و عموا عن الطريق الآقوم و بددوا^٣ ﴿ عنهم ﴾
 وقت بروك^٤ النعمة و قروع المثلة حسا و معنى . و لما كان التقدير : فذلك
 الاتخاذ الذى أدتههم^٥ إليه عقولهم السافل جدا البعيد من الصواب كان
 الموصل إلى ما لهم هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الضلال
 البعيد من السداد الذى تحصل من هذه القصة من إخلاف ما كانوا
 ١٥ يقولون : إن أوثانهم آلهة . و أنها تضر و تنفع و تقربهم إلى الله و تشفع
 لهم عنده ﴿ افكهم ﴾ أى صرفهم الأمور عن وجهها إلى ألقائها ،
 و يجوز أن تكون الإشارة إلى العذاب ، أى و هذا العذاب

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زول (٥) من م
 و مد ، و فى الأصل و ظ : ادت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك .

'جزاؤهم في مقابلة' إفكهم (و ما كانوا) أى على وجه الدوام لكونه^١
 في طباعهم (يفترون^٢) أى يتعمدون كذبه لأن^٣ إصرارهم عليه بعد
 مجيء الآيات لا يكون إلا^٤ لذلك لأن من نظر^٥ فيها مجردا نفسه عن
 الهوى اهتدى .

ولما كان ما ذكر من البعد من الإيمان مع تصريف العظات ه
 و العبر والآيات يكاد أن يؤنس السامع من إيمان هؤلاء المدعويين^٦،
 قربة دلالة على عزته وحكمته بالتذكير بالإيمان^٧ من^٨ أعلى منهم عتوا
 وأشد نفرة وأبعد إجابة وأخفى شخصا، فقال جوابا عما وقع له صلى الله
 عليه وسلم في عرض نفسه الشريفة [على -^٩] القبائل وإبعادهم عنه
 لاسيما أهل الطائف، دالا على تمام / القدرة بشارة للنزل [عليه -^{١٠}] ٧٩٧ /
 صلى الله عليه وسلم و تويخا لمن تأخر عن إجابته من قومه عاطفا على
 ما تقديره: اذكر هذه الأخبار: (واذ) أى و اذكر حين
 (صرفنا إليك) أى وجهنا توجيها خالصا حسنا متقنا فيه ميل إليك
 وإقبال^{١١} عليك، وإعراض عن غيرك، بوادى نخلة عند انصرافك من
 الطائف حين عرضت نفسك الشريفة عليهم بعد موت النصيرين^{١٢} فردوك^{١٣} ١٥

(١-١) في ظ و م و مد: جزاء (٢) من م و مد، وفي الأصل وظ: لكونهم.
 (٣) من م و مد، وفي الأصل وظ: ان (٤-٤) من م و مد، وفي
 الأصل وظ: كذلك لا من يظن (٥) من مد، وفي الأصل وظ و م:
 المدعين (٦-٦) من مد، وفي الأصل وظ و م: منهم (٧) زيد من م
 و مد (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اقبالا (٩) من م و مد، وفي
 الأصل وظ: الصور .

ردا تكاد تنشق منه المرائر ، و تسل من تذكره النواظر .

ولما كان استعطاف من جبل على النفرة وإظهار من نبى على
الاجتئان أعظم فى النعمة ، عبر بما يدل على ذلك فقال : ﴿ قرا ﴾ وهو
اسم يطلق على ما دون العشرة ، وهو المراد هنا ، و يطلق على الناس
كلهم ، و حسن التعمير به ' أن هؤلاء لما خصوا بشرف السبق و حسن
المتابعة كانوا كأنهم هم النفرا لا غيرهم ﴿ من الجن ﴾ من أهل نصيين
من الناحية التى منها عداس الذى جبرناك ' به فى ' الطائف بما شهد به
لسيديه ' عتبة و شيعة ابني ربيعة أنك خير أهل الارض مع أنه ' ليس
لهؤلاء النفر من جبلاتهم إلا النفرة و الاجتئان وهو الاختفاء والستر
١٠ لجعلناهم ' ألفين لك ظاهرين عندك لتبلغهم ما أرسلناك ' به فانا أرسلناك
إلى جميع الخلائق ، و هذا جبر لك و بشارة بإيمان النافرين ' عن الإنس
كما أيدناك منهم بعد نفرة ' أهل الطائف بعداس ، ثم وصفهم بقوله :
﴿ يستمعون القرآن ﴾ أى يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير ، الفارق
' بين كل ' ملابس و أنت فى صلاة الفجر فى نخلة تصلى بأصحابك ، و دل

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالنسبة (٢) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : اخبرناك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٤) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسيده - كذا (٥) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : انت (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يخلصا (٧) زيد فى الأصل
و ظ : اليهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لخصاها (٨) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : السافرين (٩) من مد و م ، و فى الأصل و ظ : بضره .
(١٠ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكل .

على قرب زمن 'الصرف من زمن الحضور بتعبيره' سبحانه بالفاء في قوله تعالى مفصلاً لحالم: ﴿ فلما حضروه ﴾ أى صاروا بحيث يسمونه ﴿ قالوا ﴾ أى قال بعضهم 'ورضى الآخرون': ﴿ انصتوا ﴾ أى [اسكتوا -] ميلوا بكمياتكم واستمعوا حفظاً للادب على بساط الخدمة، وفيه تأدب مع العلم في قوله و'أبضا مع معله'، قال الفشيري: فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار، والثوران والانزعاج يدل على غيبة أو قلة يقيظ وقصان من الاطلاع، ودل على أن ما 'استمعوه كان' سيرا وزمته قصيرا، وعلى تفصيل حالم بعد انقضائه بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فلما ﴾ أى فأنصتوا حين ﴿ قضى ﴾ أى حصل الفراغ من قراءته الدالة على عظمته من أى قارئ كان ﴿ ولوا ﴾ أى أوقموا ١٠

(١) زيد في الأصل و ظ : الفضل ، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها .
(٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : بتبصره ، وفي م : فتبصره (٣) زيد في الأصل : لبعض ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها . (٤) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : آخرون (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اسموا أى (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : العلم (٨ - ٨) - قط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تنعظ . (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : سمعوا . (١١) زيد في الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فأنصتوا (١٣) زيد في الأصل و ظ : حين ، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها .

التولية - أى القرب - بتوجيه الوجوه والهمم والعزائم (إلى قومهم)
الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه ، و دل على حسن قبلهم لما سموه
ورسوخهم في اعتقاده بقوله تعالى : (منذرينه) أى مخوفين لهم ومخبرين
عواقب الضلال بأمر من رسول / الله صلى الله عليه وسلم ، قال [ابن -
٧٩٨ / ع] عابس رضى الله عنهما : جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا
إلى قومهم .

ولما كان كأنه قيل : ما قالوا لهم في إنذارهم ؟ قيل : (قالوا) أى
"قومهم حين أقبلوا عليهم" : (ينقومنا) مترقين لهم ومشفقين بهم
بذكر ما يدل على أنهم منهم بهم ما بهمهم ويكرههم ما يكرههم
١٠ كما قيل :

وإن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك .

ولما كانوا - بنزول ما فى أسفار الأنبياء من نبى إسرائيل والزيور
والإنجيل خالية من الأحكام والحدود إلا يسيرا من ذلك فى الإنجيل -
قاطعين أو كالقاطعين بأنه لا ينزل كتاب ينظر التوارة فى الأحكام والحدود

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد
فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤ - ٤) سقط ما
بين الرقبتين من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م و مد لحذفها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقبتين من م و مد (٧) بهامش
الأصل : ورفيق هذا البيت : ومن إذا ريب زمان صدك
شق شمل نفسه ليجمعك .

و غيرها ، فكان قومهم ربما توقفوا في الإخبار بانزال ما هو اشرف
من ذلك ، أكدوا قولهم : (اناسمنا) أى بينا وبين القارئ واسطة ،
و أشاروا إلى أنه لم ينزل بعد التوراة شئ جامع لجميع ما يراد منه ،
معن ' عن جميع الكتب غير هذا ، وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع
فقالوا ' على سبيل التبيين لما سمعوا ' : (كتبنا) أى ذكرنا جامعا ، لا كما ه
نزل بعد التوراة على بنى إسرائيل ' (أنزل) أى عن لامنزل ' في الحقيقة '
غيره ، و هو مالك الملك و ملك الملوك لأن عليه من روث الكتب '
الإلهية ما يوجب القطع لسمعه بأنه منها فكيف إذا انضم إلى ذلك
الإعجاز ، و علوا قطعا بعريته أنه عربى و بأنهم كانوا يضربون مشارق
الأرض ومغار بها و يسمعون قراءة الناس لما يحدثونه من الحكم و الخطب ١٠
و الكهانة و الرسائل و الأشعار ، و بأنه ' مبين لجميع ذلك أنه قريب العهد
بالنزل من محل العظمة ، فقالوا مثبتين للجار : (من بعد موسى) عليه
الصلاة و السلام ، فلم يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب و بين التوراة
من الإنجيل ، ما قبله ، لأنه لا يساوى التوراة في الجمع ، و لا يعشر ' هذا
الكتاب في الأحكام و الحكم و اللطائف و المواعظ [مع - ٩] ما زاد ١٥

- (١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : مغنى (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقین من
ظ و م و مد (٣) زيد في الأصل : بين ، و م تثنى الزيادة في ظ و م و مد
لخذفها (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الكتاب (٥) في م مد : انه .
(٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : و لم (٧) من مد ، و في الأصل و ظ
و م : لا يفسر (٨) زيد من م و مد .

به من الإعجاز و غيره .

ولما أخبروا بأنه منزل، أتبعوه ما يشهد له بالصحة فقالوا:
(مصدقاً لما بين يديه) أى من جميع كتب نبي إسرائيل الإنجيل وما قبله؛
ثم بينوا تصديقه بقولهم: (يهدى إلى الحق) أى الأمر الثابت الذى
يطابقه الواقع فلا يقدر أحد على إزالة شئ مما يخبر به، الكامل فى جميع
ذلك (و إلى طريق) موصل إلى المقصود 'الاعظم' وهو الإيمان بمنزله
(مستقيم) فهو يوصل بغاية ما يمكن من السرعة، لا يمكن أن يكون
فيه عوج، فيقدر السالك فيه^٢ على^٣ أن يختصر طريقاً يكون وتراً لما
تقوس منه .

١٠ ولما أخبروهم بالكتاب و بينوا أنه من عند الله و أنه اقرب
موصل إليه، فكان قومهم جديرين بأن يقولوا: فما الذى ينبغى أن نفعل؟
أجابوهم بقوله: (يقومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (اجبوا/ داعى الله)
/ ٧٩٩
أى الملك الأعظم المحيط بصفات الجلال و الجلال و الكمال، فان دعوة
هذا الداعى عامة لجميع الخلق، فالإجابة واجبة على كل من
١٥ بلغه أمره .

ولما كان المجيب قد يجب في شئ دون شئ. كما كان أبو طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم. 'عطفوا فى خطابهم لهم فى الدعوة أن' قالوا:
(و امنوا به) أى أوقعوا التسديق بسبب الداعى لاسبب آخر، فان
(١ - ١) سقط ما بين الرفين من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد .
(٣) سقط من مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : اجابهم .

المفعول

المفعول معه مفعول مع 'من أرسله و هو' الله 'الذى جلت قدرته'
 وآمنوه من كل تكذيب، أو 'الضمير للمضاف إليه [و هو الله - ٢]
 بدليل قولهم: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾: 'فانه يستر ويسامح' (من ذنوبكم) أى
 الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى 'أى وذلك السر لا يكون إلا إذا
 حصل منكم الإجابة التامة والتصديق التام' وأدخلوا ["من" - ٣] [إعلاما ه
 بأن مظالم العباد لا تنفرد إلا بارضاء أهلها و لذا ما يجازى به صاحبه
 فى الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما أشار إليه قوله تعالى
 "و ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" (ويحرمكم)
 أى يمنعكم 'إذا اجتمع' منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إلى داعيه
 صرتم من حزبه (من عذاب اليم ه) واقتصارهم على المغفرة تذكير
 'بذنوبهم لأن' مقصودهم الإنذار لا ينافى صريح قوله فى هذه [السورة - ٩]
 "و لكل درجات مما عملوا" فى إثبات الثواب، ونقله أبو حيان ' عن
 ابن عباس رضى الله عنهما قال: لهم نواب وعليهم عقاب يلتقون فى
 الجنة ويزدحمون على أبوابها .

ولما فرغوا من التعريف بالحق والدلالة عليه والدعاء إليه والإنذار ١٥

- (١-١) سقط ما بين الرفين من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى
 الأصل: فإن (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) فى ظ و م ومد: قوله .
 (٥) زيد من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: برضاء - كذا (٧-٧) من
 م ومد، وفى الأصل و ظ: لذنوبهم الآن - كذا (٨) من م ومد، وفى
 الأصل و ظ: قولهم (٩) زيد من م ومد (١٠) فى البحر المحيط .

بالرقى بما أنهم كلامهم من أنهم إن لم يحييوا انتقم منهم بالعذاب
[الآلیم - ١]، أتبعوه ما هو أغلظ إنذارا منه فقالوا: ﴿ومن لا يحب﴾
أى لا يتجدد منه أن يحب ﴿داعى الله﴾ أى الملك^٢ الاظم المحيط
بكل شئ^٣ الذى لا كفوة له^٤ ولا طاقة [لأحد - ١] بسخطه فعم'
ه بدعوة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الخلق .

ولما دل الكتاب و السنة كما قدمته فى سورتي^١ الانعام والفرقان
على عموم الرسالة، وكان التارك لإجابة من عمت رسالته عاصيا مستحقا
للعذاب، عبر عن عذابه بما دل على تحتمه فقال تعالى: ﴿فليس بمعجز﴾
أى لما يقضى به عليه ﴿فى الارض﴾ فانه^٢ آية سلك^٣ فيها فهو^٤ فى
١٠ ملكه وملكه و قدرته محيطة به ﴿وليس له من دونه﴾ أى الله الذى لا يحير
'الا هو' ﴿اوليآءه﴾ يفعلون لأجله ما^١ يفعل القريب مع قريبه
من الذب عنه والاستشفاع له^٢ والافتداء والمناصبة لأجله .

ولما اتنى عنه الخلاص من كل وجه . و كان ذلك لا يختلف
سواء كان العاصى واحدا أو أكثر^٣، أتج قوله سبحانه و تعالى معبرا بالجمع

(١) زيد من م ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ وم ومد (٣) من ظ وم
وم مد، وفى الأصل: لأحد (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد فى ظ وم :
الذى لا يمكن شئ . (٦) سقط من م ومد (٧-٧) من ظ وم ومد . وفى الأصل :
أنه ملك (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فانه (٩) زيد فى الأصل : أى ،
ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لخدعها (١٠) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : كما (١١) من م ، وفى الأصل و ظ : عنه (١٢) فى م : كثيرا .

٨٠٠ /

لأنه أدل على القدرة ودلالة على أن / العصاة كثيرة^١ لملامة المعاصي
 لاكثر الطبايع: ﴿اولئك﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿فى ضلل مبينه﴾
 أى ظاهر فى نفسه أنه ضلال، مظهر لكل أحد قبح إحاطتهم به^٢، قال
 القشيري: ويقال: الإجابة على ضربين: إجابة الله، وإجابة الداعى، فإجابة
 الداعى بشهود الوسطة وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجابة الله
 بالجهر إذا^٣ بلغت المدعو^٤ رسالته صلى الله عليه وسلم على لسان السفير،
 وبالسر إذا حصلت التعريفات من الواردات على القلب، فستجيب بنفسه،
 ومستجيب بقلبه، ومستجيب بروحه، ومستجيب بصره، ومن توقف
 عن دعاء الداعى إياه هجر فيما كان يخاطب به.

- ولما أتم سبحانه وتعالى ما اقتضاه مقصود هذه السورة من أصول ١٠
 الدين وفروعه والتحذير من سطوانه بذكر بعض مثلاته، وختم بضلال
 من لم يجب الداعى، به على أن أوضح الأدلة على إحاطته بالجلال والجمال
 وقدرته على الأجل المسمى الذى خلق الخلق لأجله ما جلى به مطلع
 السورة من إبداع الخافقين وما فيهما^٥ من الآيات الظاهرة^٦ للآذن
 والعين، فقال مبكتا لهم على ضلالهم عن إجابة الداعى ومنكرا عليهم ١٥
 وموبخا لهم مرشدا بالمعطف على^٧ غير مذكور إلى أن التقدير: ألم ير^٨

(١) فى م ومد: كثير (٢) من ظ ومد، وفى الأصل وم: هم (م-م) فى ظ
 وم ومد: بقية (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: عنهما (هـ) من ظ وم
 ومد، وفى الأصل: الظاهر (٤) ريدت الواو فى الأصل وظ ولم تكن
 فى م ومد فحذفناها (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: إلى (٨) من م ومد،
 وفى الأصل وظ: الميرو - كذا.

هؤلاء الضلال^١ ما نصبنا في هذه السورة من أعلام الدلائل. وواضح^٢
 الرسائل في المقاصد و الوسائل ، عاطفا عليه قوله تعالى ردا لمقطع السورة
 بتقرير المعاد على^٣ مطلعها المقرر للبدء بخلق الكونين [بالحق : (اولم يروا)
 أى يعلموا علما هو فى الوضوح كالرؤية - ^٤] (" ان الله ") و^٥ دل^٦ على
 ه هذا الاسم^٧ الأعظم بقوله : (الذى خلق السموات) على ما
 احتوت عليه بما يعجز [الوصف - ^٨] من العبر (و الارض) على
 ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان^٩ و الخبر^{١٠} (ولم يعى) أى
 يعجز ، يقال : عى بالامر - إذا لم يهتد^{١١} لوجه مراده أو عجز عنه
 ولم يطق إحكامه^{١٢} ، قال الزجاج : يقال : عيت بالامر - إذا لم تعرف وجهه ،
 ١٠ و أعيت : تعبت^{١٣} ، و^{١٤} فى القاموس : و أعى بالامر : كل^{١٥} (بخلقهن) أى
 بسببه^{١٦} فانه لو حصل له شيء من ذلك لادى إلى نقصان فيها أو فى

- (١) زيد فى الأصل وظ : الى غير مذكور ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها .
 (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : اوضح (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الى .
 (٤) زيد من ظ وم ومد (٥-١٠) وقع فى الأصل بعد « الأعظم بقوله » والترتيب
 من ظ وم (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ما (٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : عليه بالاسم (٨) زيد من م ومد (٩) زيد فى الأصل : وما فيها من
 البركة ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (١٠) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : الخبر (١١) فى الأصل : لم يهتدى (١٢) زيدت الواو فى الأصل
 ولم تكن فى ظ وم ومد فخذناها (١٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تعبا .
 (١٤) زيدت فى الأصل وظ : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها .
 (١٥) فى م : الى شيء (١٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بسبب .

إحداهما، وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز "ان" فقال تعالى: ﴿بِقُدْرٍ﴾ أى قدرة عظيمة 'تامة بليغة' ﴿على ان يحيى﴾ أى على سبيل التجديد مستمرا ﴿الموتى﴾ والامر فيهم لكونه إعادة و لكونهم جزءا يسيرا منها ذكر اخراعه اصغر شانا وأسهل صنعا .

ولما كان هذا الاستفهام الإنكارى فى معنى النفي، أجابه بقوله تعالى هـ

﴿بلى﴾ "قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو فى إتقانه كالرؤية بالبصر لأنهم يعلمون أنه المخترع لذلك، وأن الإعادة أمون من الابتداء فى مجارى عاداتهم، ولكنهم عن ذلك، غافلون لأنهم عنه معرضون. ولما كانوا"

مع هذه / الأدلة الواضحة التى هى أعظم من المشاهدة بالبصر ينكرون ما ٨٠١ /
دلت عليه هذه الصنعة من إحاطة القدرة، علل ذلك* مؤكدا له بقوله ١٠
مقررا للقدرة على وجه عام يدخل فيه البعث الذى ذكر أول النورة
أنه ما خلق هذا الخلق إلا لاجله ليختم بما بدأ به* ﴿انه على كل شىء﴾
أى هو أهل لأن تتعلق القدرة به ﴿بقديره﴾ .

ولما ثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر ببعض ما يحصل فى يومه

من الأهوال تحذيرا منه، فقال عاطفا على ما تقديره: اذكر لهم هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفى الأصل
وظ : لكونه (٣) زيد فى الأصل : أى ، لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
لحذفها (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ : كان (٥) زيد فى الأصل وظ :
منكرا، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : فقال ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

القياس الناطق بالمراد و ما مضى في هذه السورة من الزاجر^(٢) (و يوم)
 أى [و-] اذكر^(٣) يوم (يعرض^(٤)) بأيسر أمر من أوامرنا (الذين كفروا)
 أى ستروا بغطلتهم^(٥) و تماديهم عليها هذه الأدلة الظاهرة (على النار^(٦)) عرض
 الجند على الملك فيسمعوا من تغيظها و زفيرها و يروا من لهيها و اضطرامها^(٧)
 ٥ و سعيها ما لو قدر أن أحدا يموت من ذلك لما توا من معاينته
 و هائل رؤيته .

ولما كان كأنه قيل : ماذا يصنع بهم في حال عرضهم ؟ قيل :
 يقال على سبيل التبكيت و التقريع و التوبيخ : (ليس هذا) أى الامر
 العظيم الذى كنتم به توعدون^(٨) و لسلنا في أخبارهم تكذبون (بالحق^(٩))
 ١٠ أى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع ، فلا قدرة لكم على صليبه أمر
 هو خيال و سحر ، فلا تبالون بوروده .

ولما اشتد تشوف^(١٠) السامع العالم بما كانوا يبدون من الشماخة
 و العتو إلى جوابهم ، قال في جوابه مستأنفاً : (قالوا) أى مصدقين

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الزاجر (٢) زيد من م و مد (٣) زيد في
 الأصل : ايضاً ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد في الأصل
 و ظ : اى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٥) زيد في الاصل و ظ :
 الكامل ، ولم تكن الزيادة في م و مد فخذناها (٦) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : اضطرابها (٧) من ظ و م و مد ، وفي الاصل : تدعون (٨) من ظ
 و مد ، وفي الأصل و م : تشوق (٩) زيد في الأصل : بقواه ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م و مد فخذناها .

حيث لا ينفع التصديق: ﴿ بلى ﴾ [و - ١] ما كفاهم البدار^١ إلى
تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعدا للاقرار،
وذكروا صفة الإحسان زيادة في الخضوع والإذعان ﴿ وربنا^٢ ﴾ أى
إنه لحق هو من أثبت الأشياء، وليس فيه شيء مما يقارب السحر،
ثم استأنف جواب من سأل عن جوابه [لهم - ٢] بقوله تعالى: ه
﴿ قال ﴾ مبكتا لهم يانا لذهم موضع كبرهم الذى كان فى الدنيا
مسيا عن تصديقهم هذا الذى أوقعوه^٣ فى غير موضعه و جعلوه فى
دار العمل التى مبناه على الإيمان بالغيب تكذيبا معبرا بما يفهم غاية
الاستهانة لهم: ﴿ قدوقوا العذاب ﴾ أى باثروه مباشرة الذائق باللسان،
ثم صرح بالسبب^٤ فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى خلقا أو خلقا^٥ مستمرا ١٠
دائما أبدا^٦ ﴿ تكفرون^٧ ﴾ فى دار العمل .

ولما علم بما قام من الأدلة وانتصب من القواطع أن هذا مآلهم،
سبب عنه قوله ردا على ما بعد خلق الخافقين فى مطلعها من أمر
الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبتهم له إلى الافتراء وما بعده:
﴿ فاصبر ﴾ أى على مشاق ماترى فى تبليغ الرسالة، قال القشيري: و الصبر ١٥

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: التذار .
(٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ: أوقعوا (ه) من
ظ و م ومد، وفى الأصل: بالنسب (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ و م
و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقین من م؛ و مد (٨) من م و مد، وفى الأصل
و ظ: به تكذبون .

هو الوقوف بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه .
 (كما صبر اولوا العزم) أى الجد / فى الامر والحزم فى الجدد والإرادة / ١٨٠٢
 المقطوع بها والثبات الذى لا يجد عنه ، الذين مضوا فى أمر الله مضيا
 كأنهم أقسموا عليه فصاروا كالأسد^٢ فى جبلته^١ ، والرجل الشديد الشجاع
 المحفوف بقيته ، قال الرازى فى اللوامع : فارقت نفوسهم الشهوات
 والمنى فذلوا نفوسهم لله صدقا لاتفاق^٣ النفس القلب على البذل .

ولما تشوف [السامع - °] إلى يانهم قال : (من الرسل)
 عليهم الصلاة والسلام ، وقيل وهو ظاهر جدا : ان « من » للتبويض ،
 والمراد بهم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيس قواعدهم وتثبيت
 ١٠ معاندها ، ومشاهيرهم^٤ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى^٥ صلوات الله
 وسلامه عليهم اجمعين وقد نظمهم بعضهم فى قوله :

أولو العزم نوح والخليل بن آزر و موسى وعيسى والحبيب محمد
 والخلاف فى تعيينهم كثير متشعب هذا^٦ القول أشهر ما فيه ، وكله مى
 على ان « من » للتبويض وهو الظاهر ، والقول بأنهم جميع الرسل

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سبيل (٢) من م و مد ، وفى الأصل : جملته .
 وظ : كالأصغر - كذا (٣) من م و مد ، وفى الأصل : وظ : جملته .
 (٤) من م و مد ، وفى الأصل : وظ : مشاهيرها (٥) زيد من ظ و م و مد .
 (٦) من م و مد ، وفى الأصل : وظ : مشاهيرها (٧) زيد فى الأصل : ومجد .
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : فهذا .

- قال ابن الجوزى - قاله ابن زيد واختاره ابن الأنبارى وقال: "من"
للتجنيس لا للتبويض، وفي قول أنهم جميع الأنبياء إلا يونس عليه الصلاة
والسلام - قال ابن الجوزى: حكاه الثعلبى .

ولما أمره بالصبر الذى هو من أعلى الفضائل، نهاء عن العجلة
التي هي من أمهات الرذائل، ليصح التحلى بفضيلة الصبر الضامنة للفوز ه
والنصر فقال: ﴿ولا تستعجل لهم^١﴾ أى تطلب العجلة وتوجدتها بأن
تفعل شيئاً مما يسوءهم في غير حينه الأليق به . ولما كان ما أمر به
ونهى عنه في غاية الصعوبة، سهله بقوله مستأنفاً: ﴿كانهم يوم يرون﴾
أى في الدنيا 'عند الموت مثلاً' أو في الآخرة 'وقت العرض
والحساب والمول الأعظم الأكبر الذى تقدمت الإشارة إليه جداً ١٠
والنحذير منه لأهل المعاصي والبشارة فيه لأهل الطاعة، فأما هذه
الطائفة فاذا رأوا^٢ ﴿ما يوعدون لا﴾ من ظهور الدين في الدنيا والبعث
في الآخرة^٣، وبناء للفعول لأن المنكى هو الإيعاد لا كونه من معين^٤
﴿لم يلبثوا﴾ أى في الدنيا حيث كانوا عالين^٥ ﴿الاساعة﴾ .

ولما كانت الساعة قد يراد بها الجنس ، قد تطلق على الزمن ١٥
الطويل، حقق أمرها وحقرها بقوله: ﴿من نهار^٦﴾ ولما تكفل ما
ذكر في هذه السورة من الحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ببيان ما هو

(١-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (١) من م و مد . وفي الأصل
وظ : الارض (م) في الأصول : معينه (٤) من م و مد ، وفي الأصل
وظ : عالين .

مقصودها بحيث لم يبق فيه لبس ، و كان مقصودها آثلاً إلى سورة
إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و هو التوحيد اللازم منه إحاطة العلم
بكل شيء و شمول القدرة لكل شيء ختمت بما ختمت به إبراهيم إلا أن
لحواميم لباباً ، حذف المبتدأ و متعلق الخبر و قيل : (بلغ ع) أى
هـ هذا [الذى - ٢] ذكر هنا [هو - ٢] من الظهور و انتشار النور بحيث
يرد المنذرين و يوصلهم إلى رضى العزيز الحكيم الكافل بالنور الدائم
و النعيم المقيم ، و من لم يوصله فذلك الذى حكم العزيز بشقائه فلا حيلة
لغيره فى شفاؤه من عظيم دائه ، و لذلك سبب عن كونه بلاغا قوله زيادة
على ختام إبراهيم ما يناسب مطلقها : (فهل يهلك) بنى للفعول من
١ أهلك ، لأن المحذور الهلاك و إن لم يعين المهلك ، و للدلالة على أن
إهلاكهم عليه سبحانه و تعالى يسير جدا (إلا القوم) الذين فهم أهلية
القيام بما يحاولونه من اللدد (الفسقون ع) أى العريقون فى إدامة
الخروج من محيط ما يدعوا إليه هادى العقل و الفطرة الأولى من
الطاعة الآتى بها النقل إلى مضل المعصية الناهى عنها النقل و العقل ، و أما
١٥ الذين فسقوا و الذين يفسقون فان هادى هذه السورة يردمهم و يوصلهم
إلى المقصود ، فهذا الآخر نتيجة قوله أولها و الذين كفروا عما انذروا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايماء (٢) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : ختم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكل
الملك (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الملك (٦) زيد فى الأصل : وهم ،
و لم تكن الريادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

معرضون“ و ذكر اليوم الموعود^٢ هو الاجل الذى^٣ أوجد الخافقان^٤
 لاجله^٥ وبسببه و الدلالة على القدرة بخلقهما^٦ من غير إعياء هو ذكره
 أولهما أنهما ما خلقا إلا بالحق، و ذكر البلاغ هو تنزيل الكتاب من الله
 و حكمه على العريق بالفسق بالهلاك مع الهادى الشفيق و لغيره^٧ بالنجاة
 بعد^٨ انسيابه فى الفسق مع التكرار^٩ هو من ثمرات العزة و الحكمة، ه
 فقد التحم هذا الآخر بذاك الاول أى التحام، واتصل^{١٠} بمعناه اتصال
 الجوهر النفيس فى متين النظام، و التأم بأول^{١١} اتى تليها أحسن التام^{١٢}
 فسبحان من جعله^{١٣} أشرف الكلام، لكونه صفة الملك العلام، منزلا^{١٤} على
 خاتم الرسل الكرام، نورسول-الملك العلام- صلى الله عليه و على آله
 وأصحابه و أهل بيته الكرام و سلم تسليما كثيرا^{١٥} .

١٠

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م؛ الوجود (٢-٢) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل: خلق الخافقين (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م مد (٤) من
 م و مد، وفى الأصل و ظ: أفر خلقهما (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ:
 مسره (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: مع (٧) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ: التكرار (٨) من م و مد. وفى الأصل و ظ: اتصال (٩) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل: بالأول اعنى اول (١٠) زيد فى الأصل: بقوله
 ”فهل يهلك الا القوم الفسقون الذين كفروا“ الى آخره، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م و مد لحذفها (١١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: جعل.
 (١٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: منزل.

سورة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتسمى القتال و تسمى أيضا الذين كفروا

مقصودها التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين بادامة الجهاد
للكفار، حتى يلزمهم الصغار، أو يطلوا^٢ ضلالهم كما أضل [الله -^١]
هـ أعماهم، لاسيما أهل الردة الذين [فسقوا عن محيط الدين إلى -^٣]
أودية الضلال المبين، والتزام^٤ هذا الخلق الشريف إلى أن تضع الحرب
أوزارها بإسلام أهل الأرض كلهم بنزول^٥ عيسى عليه الصلاة والسلام،
وعلى ذلك دل اسمها "الذين كفروا" لأن من المعلوم أن من صدك
عن سبيلك قاتلته و [أنك -^٦] إن لم تقاتله كنت مثله، واسمها محمد
١٠ / ٨٠٤ واضح في ذلك لأن الجهاد كان خلقه عليه / أفضل الصلاة والسلام
إلى أن توفاه الله تعالى وهو نبي الرحمة بالملحمة لأنه لا يكون حمد و ثم
نوع ذم كما تقدم تحقيقه في سورة فاطر وفي سبا وفي الفاتحة، ومتى
كان كف عن أعداء الله [كان -^٧] الذم، ز و -^٨ [أوضح أسمائها في
(١) السابغ والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ٢٨ عند
الكوفيين، و ٢٩ عند المدنيين والمكي والشامي، و ٤٠ عند البصريين - راجع
نثر المرجان ٦ / ٥٧٢ (٢ - ٢) - قط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٣) من
مد، وفي الأصل و ظ و م: يبطل الله (٤) زيد من م ومد (٥) زيد من
ظ و م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ: التزام (٧) من مد، وفي
الأصل و ظ و م: نزول.

هذا المقصد القتال ، فان من المعلوم أنه لأهل الضلال ﴿ بسم الله ﴾
 الملك الاعظم الذى [أقام - ١] جنده للذب عن حماه ﴿ الرحمن ﴾
 الذى عمت رحمته تارة بالبيان وأخرى بالسيف والسنان ﴿ الرحيم ﴾
 الذى خص حربه بالحفظ فى طريق الجنان .

لما أقام سبحانه الأدلة فى الحواميم حتى صارت كالشمس ، لا يزغ ه
 عنها إلا هالك ، و ختم بأنه لا يهلك بعد هذه الأدلة إلا القوم^٢ الفاسقون ،
 افتتح هذه بالتعريف بهم فقال سبحانه و تعالى : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى
 ستروا أنوار الأدلة فضلوا على^٣ علم ﴿ و صدوا ﴾ أى امتنعوا بأنفسهم
 و منعوا غيرهم لمراقبتهم فى الكفر ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الطريق الرب
 المستقيم الذى شرعه الملك الاعظم ﴿ اضل ﴾ أى أبطل إطلاعا عظيما ١٠
 [يزيل العين و الأثر - ١] ﴿ أعمالهم ﴾ التى هى أرواحهم المعنوية وهى
 كل شئ يقصدون به قمع أنفسهم من جلب قمع أو دفع ضرر بعد أن
 وفر سيئاتهم و أفسد بالهم ، و من جملة أعمالهم ما يكيدونكم^٤ به لأنها
 إذا ضلت عما قصدوا بها بجملة سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة
 أنها ذهبت فى الممالك و من جهة^٥ أنها ذهبت فى غير الجهة التى قصدت ١٥
 لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هى باطلة فأذهبوا أنتم
 أرواحهم^٦ الحسية بأن تبطلوا صورهم و أشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم
 (١) زيد من م و مد (٢) سقط من م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى
 الأصل وم : عن (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : جملة (هـ) من م و مد ،
 و فى الأصل وظ : أرواحهم .

و أنتم في غاية الاجترار عليهم ، فان ربهم الذي أوجدكم قد أبطلهم
و أذن لكم في إبطالهم ، فانه قد علم أنه لاصلاح لهم و المؤذى طبعاً
يقتل شرعاً ، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره ، محتوم
بجنيته و خسره .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ' لما انبت^١ سورة الاحقاف
على ما ذكر من مآل من كذب و افترى^٢ 'و كفر' و فجر ، و افتتحت
السورة باعراضهم ، ختمت بما [قد -^٣] تكرر من قريعهم و نويخهم ،
فقال تعالى : " ألم يروا ان الله الذى خلق السموات و الارض و لم يبع
بخلقهن بقدر على ان يحيى الموتى " أى لو اعتبروا بالبداة لئسر عليهم
١٠ أمر العودة ، ثم ذكر عرضهم على النار إلى قوله " فهل يهلك الا القوم
الفسقون " فلما ختم بذكر هلاكهم ، افتتح السورة الاخرى بعاجل
ذلك اللاحق لهم في دنياهم فقال تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ،^٤ فاما منا بعد و اما فداء حتى
تضع الحرب اوزارها^٥ " الآية بعد ابتداء السورة بقوله " الذين كفروا
١٥ و صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم " فنه على أن أصل محتهم إنما هو

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انبات - كذا (٢-٢) - سقط ما بين
الرقين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : بلى ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى إذا (٧-٧) سقط ما بين الرقين
من ظ و م و مد .

بما أَراده تعالى بهم في سابق عليه ليعلم المؤمنون أن الهدى والضلال /
 يده^١، فنه على الطريقين بقوله "اضل أعمالهم" وقوله في الآخر^٢
 "كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم" ثم بين^٣ أنه تعالى لو شاء لاتصير
 منهم ولكن^٤ أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء واختبارا، ثم حض المؤمنين
 على ما أمرهم به من ذلك فقال "ان تصبروا الله ينصركم" ثم التحمت ه
 الآي - انتهى .

ولما ذكر أهل الكفر مبعرا عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من
 فوقهم، ذكر أصدادهم كذلك ليعلم من كان منهم من جميع الفرق فقال
 تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان باللسان (وعملوا) تصديقا
 لدعوائهم ذلك ﴿الصلحت﴾ أى الأعمال الكاملة في الصلاح بتأسيسها ١٠
 على الإيمان . ولما كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه
 وسلم، خصهم بقوله تعالى: ﴿وامنوا﴾ أى مع ذلك . ولما كان
 بعضهم كحبي بن أخطب ومن نخاخوه قد طعن في القرآن بنزوله منجبا
 مع أن التوراة ما نزلت إلا كذلك، وليس أحد منهم يقدر^٥ أن ينكره
 قال: ﴿بما نزل﴾ أى آمن لا منزل إلا هو^٦ منجبا مفرقا ليجددوا بعد ١٥

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الضلالة يعده (٢) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: الآخرة (٣-٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: تعالى
 انه (٤) زيد في الأصل: المؤمنين بقتالهم لكن، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 و مد لحذفنا (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: اصل (٦) من م و مد،
 وفي الأصل و ظ: لدعواه (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: قادر على .
 (٨-٨) فقط ما بين الرئين من م (٩) زيد قبله في الأصل: وهو، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م و مد لحذفناها .

الإيمان به^١ إجمالا الإيمان بكل نجم منه (على محمد) النبي الأسمى العربي
القرشي المسكي [م-٢] المدنى الذى يحدونه مكتوبا عندم^٢ فى التوراة
والإنجيل صلى الله عليه وسلم، [ولما كان هذا معلما بأن كل إيمان
لم يقترن بالإيمان به صلى الله عليه وسلم - ٢] لم يعتد به، اعترض بين
المتبدا وجوابه بما يفهم علته حثا عليه وتأكيذا له فقال تعالى : (وهو)
أى هذا الذى نزل عليه صلى الله عليه وسلم محقق بأنه (الحق) أى
الكامل فى الحقيقة لأنه يفسخ ولا يفسخ، كائننا (من رحمهم لا) المحسن إليهم
بارساله^٣، أما إحسانه إلى أمته فواضح، وأما سائر الأمم فبكونه هو الشافع
فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة، و أمته هى الشاهدة لهم .

١٠ ولما ثبت بهذا أنهم أحق الناس بالحق، بين ما أئمر^٤ لهم ذلك
دالا على أنه لا يقدر [أحد - ٢] أن يقدر الله حق قدره، فلا يسع
الخلق إلا العفو لأنهم وإن اجتهدوا فى الإصلاح^٥ بدأ لهم^٦ لنقصانهم من
سيئات أو هفوات فقال تعالى : (كفر) أى غطى تغطية عظيمة (عنهم)
فى الدارين بتوبتهم وإيمانهم لأن التوبة نجب ما كان قبلها كالإيمان
١٥ (سيئاتهم) أى الأعمال السيئة التى لحقتهم قبل ذلك بما يظهر لهم من

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد
فى الأصل : لكونه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : بارسالهم (٦-٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
فلكونه (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : اغر (٨-٨) من مد ، وفى
الأصل و ظ و م : بدرايه - كذا .

المحاسن و هدى أعمالهم . و لما كان من يعمل سوءا يخاف عاقبه فيتفرق فكره، إذ لا عيشة لحاقف^١ قال تعالى: ﴿ واصلح بالهمه ﴾ أى موضع سرهم و فكرهم بالأمن و التوفيق و السداد و قوة الفهم و الرشاد^٢ لما يوقعهم له من محاسن الاعمال و يطيب به اسمهم فى الدارين، قال ابن برجان: و إذا أصلح ذلك [من العبد - ٢] صلح ما يدخل^٣ إليه و ما يخرج^٤ عنه و ما يثبت فيه، و إذا فسد / فبالضد من ذلك، و لذلك إذا اشتغل البال لم ينتفع^٥ من صفات^٦ الباطن بشيء، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر ضلال الكفار أولا دليلا على إرادة الهدى للؤمنين ثانيا، و إصلاح البال ثانيا دليلا على [حذف - ١] لإفساده أولا .

٨٠٦/

و لما كان الجزء من جنس العمل، علل ما تقدم من فعله بالفريقين ١٠ بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الامر العظيم الذى ذكر هنا من جزاء الطائفتين ﴿ بان ﴾ أى بسبب أن ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا مراى عقولهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى بقاية جهدهم و معالجتهم لما قادتهم إليه فظروهم الاولى ﴿ الباطل ﴾ من العمل الذى لاحقيقة [له - ٢] فى الخارج يطابقه، و ذلك هو الابتداع و الميل مع الهوى^٧ ايثارا للحظوظ^٨ فضلوا ١٥ ﴿ وان الذين آمنوا ﴾ أى ولو كانوا^٩ فى أقل درجات الإيمان ﴿ اتبعوا ﴾

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لخاف (م) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد لخفتها (م) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ ا يدخل (هـ - هـ) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بصفات (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امان الخطوبا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان .

أى بقاء جهنم متابعين لما تدعو إليه الفطرة الأولى مخالفين لنوازع الشهوات و دواعى الحظوظ على كثرتها وقوتها ﴿الحق﴾ أى الذى له واقع يطابقه و ذلك هو الحكمة و هى العمل بموافقة العلم و هو معرفة المعلوم على ما [هو - ٢] عليه ﴿من ربه﴾ الذى أحسن إليهم بإيجادهم ه و ما سبه من حسن اعتقادهم فاهتدوا .

و لما علم من ٢ هذا أن باطن حال الذين كفروا الباطل، و باطن حال الذين آمنوا الحق، و تقدم فى البقرة أن المثل هو ما يتحصل فى باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة، فيكون أطف من الشيء المحسوس، و أن ذلك هو وجه الشبه، علم أن مثل كل من الفريقين ما ١٠ علم من باطن [حاله - ٢] فثل الأول الباطل و مثل ٢ الثانى الحق، فلذلك ٢ قال سبحانه استئنافا جوابا لمن كأنه قال لما أدركه من دهش العقل لما راعه من علو هذا المقال : هل [يضرب - ٢] مثل مثل هذا : ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الضرب العظيم الشأن ﴿يضرب الله﴾ [أى - ٢] الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿لناس﴾ أى كل ١٥ من ٢ فيه قوة الاضطراب و الحركة ﴿امثالهم ه﴾ أى أمثال أنفسهم و أمثال

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اتى (٢) زيد من م و مد (٣-٢) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لم . (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فذلك (٧) زيد فى الأصل : كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

الفريقين المتقدمين أو أمثال جميع الأشياء التي يحتاجون إلى بيان أمثالها
مينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل واحد من ذلك جزءا حاله ، فقد علم
من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله عمله ووفر سيئاته
وأفسد باله ، ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كاتنا من كان ،
وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم والعمل بهما .

١ "ولما تحرر أن الكفار أحق الخلق بالدم لأن الباطل
مثلهم وحقيقة حالهم" ، سبب عنه قوله : (فاذا لقيتم) أى أيها
المؤمنون (الذين كفروا) " ولو بأذى أنواع الكفر فى أى مكان
كان وأى زمان " اتفق . ولما كان المراد القتل المجهر بغاية التحقق ، ١٠
عبر عنه مؤكدا له من الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل مصورا
له ٢ بأشنع "أصوره مع" ما فيه من الغلظة على الكفار والاستهانة

- (١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الذى (٢) زيد فى الأصل وظ : بهيم .
ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
حبل - كذا (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الحب (٥) من م ومد ،
وفى الأصل وظ : من (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : العلم .
(٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بما عدا - كذا (٨) زيد فى الأصل :
من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٩) من م ومد ، وفى
الأصل وظ : مثله (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : حاله (١١) زيد
فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (١٢) زيد فى
الأصل : كان أو ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (١٣) فى م : به .
(١٤-١٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تصور متبعم .

/ ٨٠٧

/ بهم فقال تعالى : ﴿ فاضرب الرقاب ﴾ أى عقبوا لقيكم لهم من غير مهلة بأن تضربوا رقابهم ضربا بالصدق فى الضرب بما يزهق أرواحهم ، فإن ذلك انتهاز للفرصة وعمل بالأحوط ، وكذلك النفس التى هى أعدى العدو إذا ظفرت بها وجب عليك أن لاتدع لها بقية ، قال القشيري :
 ه فالحية إذا بقيت منها بقية فوضعت عليها إصبع ثبت فيها سمها .

و لما كان التقدير : أو لا يزال ذلك فطعم ، غياه بقوله : ﴿ حتى ﴾
 و بشرم بالتعير بأداة التحقق فقال تعالى : ﴿ إذا آختموهم ﴾ أى أغلظتم
 القتل فيهم و أكثرتموه بحيث صاروا لاهراك بهم كالذى تخن فأفرط
 تخنه ، فجعل ذلك شرطا للأسر كما قال تعالى " وما كان لنبي أن يكون
 ١٠ له أسرى حتى يثخن فى الأرض " ثم قال تعالى ميثا لما بعد الثخن :
 ﴿ فشدوا ﴾ أى لآته لامانع لكم الآن من " الأسر " (الوثاق) أى

(١) مرم و مد ، وفى الأصل و ظ : ارتابهم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ
 و م : اذلك (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بها (٤) فى مد : متى .
 (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اصبأ (٦) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : فلا (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عناه (٨) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : التحقيق (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : أكثرتموه .
 (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : احتراك (١١) - سقط م بين الرقين
 من ظ و م و مد ، وزيد فى الأصل بعد « بعد الثخن » فقال ، فخذناها (١٢) من
 م و مد ، وفى الأصل و ظ : بعد (١٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن
 الزيادة فى م و مد فخذناها .

الرباط الذى يستوثق^١ به^٢ من الأسر بالربط^٣ على أيديهم مجموعة إلى^٤ أعناقهم - مجاز عن الأسر بغاية الاستيلاء^٥ والقهر .

ولما كان الامام مخيرا^٦ فى أسرام^٧ بين أربعة أشياء : القتل والإطلاق مجانا والإطلاق بالفدية وهى^٨ شئ يأخذه^٩ عوضا عن رقابهم و^{١٠} الاسترقاق^{١١} ، عبر عن ذلك بقوله مفصلا : (فاما من) أى أن ينعموا عليهم إنعاما (بعد) أى فى جميع أزمان ما بعد الأسر باستبقائهم ثم بعد الإنعام باستبقائهم إما أن يكون ذلك مع الاسترقاق أو مع الإطلاق ثم الإطلاق إما^{١٢} مجانا (واما فداء) بمال أو بأسرى من المسلمين ونحو ذلك ، فأفهم التعبير بالمس^{١٣} الذى معناه الإنعام أن الإبقاء غير واجب [بكل - "] جاز^{١٤} ، ودخل فى الإبقاء ثلاث صور : الاسترقاق والإطلاق ١٠

مجانا و^{١٥} بالفداء فصرح سبحانه وتعالى بالفداء الذى معناه الأخذ

- (١) من مد ، وفى الأصل وظ و م : يتوثق (٢) زيد فى الأصل وظ : وهو ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : أى الربط (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : على (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الاشتداد (٦-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : بين أسرام ، وسقط ما بين الرقين من م (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يأخذ الامام (٨) زيد فى الأصل : الرابع ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها . (٩) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : أى (١١) زيد من ظ وم ومد (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : جابر (١٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أو .

على وجه أنه قسيم للـ . فلم أن المراد به الإبقاء مع عدم الأخذ فدخل
فيه الإطلاق مجانا وهو واضح والاسترقاق لأنه إنعام بالنسبة إلى القتل،
وأفهم التعبير بالـ الذي معناه الإنعام من المنان الذي هو اسمه تعالى
ومعناه المعطى ابتداء جواز [القتل -^١] لأن الإنعام مخير فيه لا واجب
ه لأنه لو كان واجبا كان حقا لا نعمة ، فقد دخلت الأمور الأربع في التعبير
بهايتين الكلمتين - والله الهادي ، وكل هذا على ما يراه الإمام أو نائبه
مصلحة ، قال النقشیری : كذلك حال المجاهدة^٢ مع النفس إذا كان في إغفاء
ساعة وإفطار يوم تروح للنفس^٣ من الكد وقوة على الجهد فيما يستقبل
من الأمر على ما يحصل به الاستصواب من شيخ المريد وقوى لسان
١٠ الوقت أو فراسة صاحب المجاهدة - انتهى . وقد أفهم هذا السياق أن
هذا الحكم ثابت 'غير منسوخ' والأمر بالقتل [وحده -^٤] في غيرها
من الآيات عام [غير -^١] مخصوص بما أفهمته الغاية من أن التقدير :
/ والجهد على هذه الصفة باق وماض مع كل أمير^٥ برا كان^٦ أو فاجرا ، ١٨٠٨
لا يزال طائفة من الأمة قائمين به ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم
١٥ حتى يأتي أمر الله ، وهو - والله أعلم - المراد بقوله^٧ تعالى : (حتى) أي
افعلوا ما أمرتكم به على ما جددت لكم إلى أن (تضع الحرب أوزارها^٨)

(١) زيد من م و مد (٢) في مد : المشاهدة (٣) من م و مد ، وفي الأصل
وظ : النفس (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : عن منسوخ (٥) زيد
من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : كان برا (٧) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : بقاله .

و هي أثقلها أى الآلات التى تثقل الفأمنين بها من النفقات و السلاح
و الكراع و نحوه . و ذلك لا يكون و فى الأرض كافر . و ذلك على
زمن عيسى عليه الصلاة و السلام حين تخرج الأرض بركاتها ، و تكون
الملة واحدة و هى الإسلام لله رب العالمين ، فيتخذ [الناس - ١] حديد
السلاح سككا و مناجل و قوسا ينتفعون بها فى معاشهم كما ورد فى ٥
الحديث ٢ " الجهاد ماض [منذ بعثنى الله - ٢] إلى أن يقاتل آخر أمتى
الرجال - رواه فى الفردوس عن أنس رضى الله عنه " الجهاد واجب عليكم
مع كل بر و فاجر " رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه ٣ .
و لما كانت الحرب كريمة إلى النفوس شديدة المشقة ، أكد
أمرها بما معناه : إن هذا أمر قد فرغ منه ، فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أى ١٠
الأمر العظيم العالى الحسن النافع الموجب لكل خير . و لما كان هذا
ربما أوم أن التأكيد فى هذا الأمر لكون الحال لا يمكن انتظامه إلا به ،
أتبعه ما ٤ يزيل [هذا - ٥] الإيهام فقال ٥ : ﴿ ولو ﴾ و لما كان لو عبر
بالماضى [أفاد] أنه كان و لم يبق ، عبر بالمضارع الدال على الحال و ما بعده

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : بذلك و فى الحديث ، و لم تكن
ازيادة فى م و مد لحذفناها (٣) زيد من م و مد و ليس فى تلخيص الفردوس
رقم الحديث : ٢٤٩٢ (٤) راجع من سنته أبواب الجهاد (٥) من م و مد ،
و فى الأصل و ظ : كان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما .
(٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : مشيرا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
و مد لحذفناها .

فقال : ﴿ يشاء الله ﴾ أى الملك الاعظم الذى له جميع صفات الكمال
والقدرة على ما يمكن^٢ ﴿ لاتصر منهم ﴾ أى بنفسه من غير أحد اقتصارا
عظيما بأن لا يبق منهم أحدا ﴿ و لكن ﴾^٣ أوجب ذلك عليكم
﴿ ليلوا ﴾ .

٥ ولما كان الابتلاء ليس خاصا بفريق منهم بل عاما للفريقين لأنه
يكشف عن أهل المحاسن و [أهل - '] المساوئ من كل منهم ، قال
تعالى : ﴿ بعضكم ﴾^٤ من الفرقة المؤمنين بالإنكار عليهم من الفرقة الطاغين
حتى يكون لهم بذلك اليد البيضاء^٥ ﴿ ببعض ﴾^٦ أى يفعل فى ذلك فعل
المختبر ليترتب عليه الجزاء على حسب ما تألفونه من العوائد .

١٠ ولما أفهم هذا أن الابتلاء^٧ بين فريقين بالجهاد ، قال عاطفا على
ما تقديره : فالذين قاتلوا أو قتلوا فى سبيل الشيطان أضل أعمالهم :
﴿ والذين قتلوا^٨ ﴾ وفى قراءة البصريين وحفص^٩ " قتلوا " وهى
أكثر ترجيا والاولى^{١٠} أعظم ترجية ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى لأجل تسهيل

(١) سقط من ظ و م ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .
(٣) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
(٤) زيد من م ومد (٥) زيد فى الأصل : سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم
فى خلقه بما يريد لا اراد لحكمه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
(٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الابتداء (٧) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : قتلوا (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٩١٥٧٨ من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : الاعظم لى .

طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال .

ولما كان في سياق الترغيب، قرن الخبر بالفاء إعلاما بأن أعمالهم

سيه^١ فقال تعالى: ﴿ فلن يضل ﴾ أى يضيع و يضل ﴿ أعمالهم ٥ ﴾

لكونها غير تابعة لدليل بل يبصرهم بالأدلة و يوقهم لاتباعها، وهو

معنى قوله تعالى تعليلا: ﴿ سيهديهم ﴾ أى فى الدارين يوعد لاخلف ٥

فيه بعد المجاهدة إلى كل ما ينفعهم مجددا ذلك على سبيل الاستمرار

﴿ و يصلح بهم ٥ ﴾ أى / موضع فكرهم فيجعله مهيا لكل خير بعيدا عن

كل شر آمننا من الخواف^٢ مطمئنا بالإيمان^٣ بما فيه من السكينة، فإذا

قتل أحد فى سبيله^٤ تولى سبحانه و تعالى ورثته بأحسن من تولى^٥ المقتول^٥

لو كان حيا .

ولما كان هذا^٦ ثوابا عظيما^٧ ونوالا جسيما^٨، أتبعه ثوابا أعظم

منه فقال تعالى: ﴿ ويدخلهم الجنة ﴾ أى^٩ دار القرار^{١٠} الكاملة فى

النعم، وأجاب من^{١١} كأنه يسأل^{١٢} عن كيفية إدخالهم إياها وكيفية عند

ذلك بقوله تعالى: ﴿ عرفها لهم ٥ ﴾ [أى -^{١٣}] بتعريف الأعمال الموصلة

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م: سببة (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين

من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سبيل (٥) زيد فى

الأصل: فإذا رأى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٥) زيد فى

الأصل: ما أعدله تمنى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد

فى الأصل: الثواب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

(٧-٧) فى ظ و م و مد: سأل (٨) زيد من م و مد .

إليها و التوفيق لهم إليها في الدنيا ' وأيضاً بالتبصير ' بالمنازل في الآخرة
حتى أن أحدهم بصير ' أعرف بمنزله فيها منه بمنزله في الدنيا، وطيب
رائحتها و جعل موضعها عالياً و جدرانها عالية و هي ذات أعراف
و شرف، و في هذه الآية بشرى عظيمة لمن جاهد ساعة ما بأن الله
يمتعه على الإسلام المستلزم لثلاث يضيع له عمل، و يؤيده ' ما رواه الطبراني
في الكبير ' عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضى الله عنه قال: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: للإسلام ثلاث آيات: سفلى و عليا
و غرفة، فأما السفلى فالإسلام دخل فيه عامة المسلمين ' فلا تسأل أحداً
منهم إلا قال: أنا مسلم، و أما العليا فتفاضل أعمالهم ' بعض المسلمين
أفضل من بعض، و أما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لا يبالغها
إلا أفضلهم ' .

ولما ذكر القتال، تشوف السامع لى حان المقاتل من النصر
و الخذلان فأجاب بما يعرف بشرط النصر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
أى أقروا بذلك و إر كان فى أدنى الدرجات بما أشعرت به أداة البعد

(١) العبارة من هنا إلى «منزله في الدنيا» ساقطة من مد و كلمة «أيضاً» ساقطة
من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بالتبصر (٣) سقط من ظ و م
و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و يؤيد هذا (٥) راحم بجمع
الزوائد للهيشمى ٢٧٤/هـ (٦ - ٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلا يسأل
أحد، و فى المجمع: فلا يسأل أحداً (٧) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل:
اعمال (٨) من مد و المجمع، و فى الأصل و ظ و م: لا يبالغها (٩) من ظ و م
و مد و المجمع، و فى الأصل: فضلهم .

و الصلة بالماضى ﴿ ان تصروا الله ﴾ اى يتجدد لكم فيه ' مستمرة
و فعل دائم على نصرة دين الملك الاكظم بايضاح أدلته و تبينها و توهية
شبه أهل الباطل و قتالهم، و يكون ذلك خالصا له لا لغيره من النيات
القاسدة المعلولة بطلب الدنيا أو الشهرة بالشجاعة و العلم و طيب الذكر
و الغضب للأهل و غير ذلك ﴿ ينصركم ﴾ فانه الناصر لا غيره من تعدد ه
أو تعدد فيجمع أعداء الدين بأيديكم .

ولما كان النصر قد يكون مع العجز و الكسل و الجبن و الفشل،
بين أنه يعينهم من ذلك فقال : ﴿ و ثبت اعداءكم ﴾ اى تثبيتا عظيما -
بأن يملأ قلوبكم سكينه ^٢ و اطمئنانا و أبدانكم قوة و شجاعة ^٣ فى حال
القتل و وقت البحث و الجدل، و عند مباشرة جميع الاعمال، فتكونوا ه
عالين [قاهرين - ^٤] فى غايه ما يكون من طيب النفوس و انشراح
الصدور ثقة بالله و اعترازا به و إن تملا عليكم أهل الأرض .

ولما ذكر أهل الإيمان، بين ما لأهل الكفران، فقال سبحانه :
﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل نايه العقل و قادت إليه الفطر
الاولى /، و بين أن سوء أعمالهم أسباب و ما لهم بالقاه، فقال مؤكدا جعل ١٥ / ٨١٠
الخبر مفعولا مطلقا ^١ لأجل استبعادهم ^٢ بما لهم من القوة بكثرة العدد

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذلك منكم بنية (٢) من م و مد،
و فى الأصل و ظ : عدد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد .
(٤) زيد من م و مد (٥) ريدت الواو فى الأصل و ظ و م، و لم تكن
فى مد لخدمتهما (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لاستبعادهم للاخذان .

والملاءه^١ بالعدد : ﴿ قعسا ﴾ أى فقد عثروا^٢ فيقال لهم ما يقال للعاز
الذى يراد^٣ أنه لا يقوم : تعسا لا قيام معه ، كما يقال لمن عثر وأريد
قيامه : تعسا [لك -^٤] ، والمراد بالنعس الانحطاط والسفول والهوان
والقلق . ولما كان كأنه قيل : لمن هذا ؟ قيل : ﴿ لهم ﴾ فلا يكادون
يثبتون في قتال لمن صلحت^٥ منه الاعمال .

ولما كان الإنسان قد يعثر ويقع ويقال له : تعسا ، ويقوم بعد
ذلك ، ولا يبطل عمله^٦ ، بين أن قوله ليس كذلك ، بل مهما قاله كان
لا يتخلف أصلا ، فقال معبرا بالماضى إشارة إلى التحم فيه ، وأما
الاستقبال فرمما تاب^٧ على بعضهم^٨ فيه عاطفا على ما تقديره فقال تعالى
١٠ لهم ذلك : ﴿ واصل اعمالهم ﴾ وإن كانت ظاهرة الإيقان لاجل تضييع
الاساس بالإيمان .

ولما بين ما صنع بهم ليجترى به حربه عليهم ، بين سببه ليجنب
فقال : ﴿ ذلك ﴾ الامر البعيد من الخير ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم
﴿ كرموا ﴾ بغضوا وخالفوا وأنكروا^٩ ﴿ ما أنزل الله ﴾ أى الملك

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الماة (٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : غروا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يواد - كذا (٤) زيد
من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قعيل (٦) من مد ، وفى
الأصل و ظ و م : ضات (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عليه (٨) زيد
فى الأصل و ظ : بعضهم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحدوثها (٩) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : بعض (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقنين من
ظ و م و مد .

الاعظم الذى لانعمه إلا منه ، و الذى أزاله من القرآن و السنة هو روح
الوجود الذى لا يعاندونه ، فلما كرهه الروح الاعظم بطلت أرواحهم فبقيت
أشباحهم ، و هو معنى قوله مسيا يانا لمعنى 'إضلال أعمالهم' : (فاجط)
أى أبطل إبطالا لا صلاح معه (أعمالهم) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم
فصارت و إن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح ، لكونها [واقعة - ٢] ه
على غير ما أمر به الله الذى لا أمر إلا له و لا يقبل من العمل إلا ما حده
و رسمه ، و هذا وعيد للأمة بأنها إن تخلت^٢ عن نصر الله و الجهاد فى
سبيله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و كلها سبحانه إلى نفسها و تخلى
عن نصرها [و سلط عليها عدوها - ١] ، و لقد وجد بعض ذلك من
تسلط الفسقة لما وجد التهاون فى بعض ذلك و التواكل فيه . ١٠

و لما كان لا يستهين بهذه القضايا و يجترئ مثل هذه البلايا إلا
من أمن العقوبة ، و لا يأمن العقوبة إلا من أعرض عن الله سبحانه
و تعالى . و كان يكفى فى الصد عن الأمرين وقائمه تعالى بالأمم الخالية
لأجل تكذيب رسله و مناصبة أوليائه و الاعتداء على حدوده . قال
هنكرا عليهم و موبخا لهم "تقدما إليهم" بالتحذير من بطشه و سطوته ١٥
و شديد أخذه و عقوبته ، مسيا عن كراهيتهم^٣ المذكورة و ما تأثر عنها

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضلالهم (٢) زيد من م و مد .

(٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : انحلت (٤) زيد من ظ و م و مد .

(٥ - هـ) من م و مد . و فى الأصل و ظ : و مقدما لهم (٦) من ط و م و مد ،

و فى الأصل : كرهتهم .

من العداوة لأهل الله : ﴿ اقلم يسيرا ﴾ [اى - '] بسبب تصحيح
 أعمالهم و بنائها على أساس ﴿ فى الارض ﴾ أى التى فيها آثار الوقائع
 فانها هى الأرض / فى الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله ﴿ فينظروا ﴾ / ٨١١
 عقب سيرهم وبسببه . ولما كانت وقائمه خالعة للقلوب بما فيها من
 الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال^٢، ساق ذلك
 بسوقه فى^٣ أسلوب الاستفهام مساقا منها على أنه من العظمة بحيث
 يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر
 أمر ﴿ الذين ﴾ ولما كان يمكنهم معرفة [ذلك من جميع المهلكين ،
 نه باثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل ، وهم
 ١٠ الذين سمعوا أخبارهم ورأوا ديارهم -^٤] بباد و نمود و مدين : - ١ و قوم
 لوط فقال تعالى^٥ : ﴿ من قبلهم^٦ ﴾ ولما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال :
 ﴿ دمر الله ﴾ أى أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغير إذن ،
 الهاجم بغته ﴿ عليهم^٧ ﴾ بما علم أهاليهم و أحوالهم و كل من رضى
 فمالهم أو مقالمهم ، و عدل [عن - '] ان يقول : « ول هؤلاء ، إلى قوله :
 ١٥ ﴾ والمكفرين ﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو "عراقه في الكفر" ،
 فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيهم الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : باليقول (٣) زيد
 فى الأصل : اسباب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد من
 ظ و م (٥) زيد فى الأصل : مبينا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 فخذناها (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الكف .

ليس عريقا في الكفر، لانه لم يطبع عليه ﴿امثالها﴾ أى أمثال هذه العاقبة .

ولما بين أنه يعلى أو لياه و يذل أعداءه ، بين علته ' فقال : ﴿ذلك﴾
 أى الأمر العظيم الذى فعله بالفريقين ﴿بأن الله﴾ أى بسبب أن الملك
 الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى الذين آمنوا﴾ أى القريب من ه
 المصدقين به المرضين له ، فهو ' يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما
 يفعل القريب بقريه الحبيب له ، قال القشيري : و يصح أن يقال :
 أرجى آية في كتاب الله هذه الآية لانه لم يقل : الزهاد والعباد وأصحاب
 الآدوراد والاجتهاد . يعنى بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان .
 ﴿وان الكافرين﴾ أى الفريقين في هذا الوصف ﴿لامولى لهم ع﴾ ١٠
 بهذا المعنى ، لأنهم ' يعبدون من ' الله ' الذى لا يعبد على الحقيقة إلا هو ،
 فلا ينفعهم قرب قريب [أصلا - °] وإن [كان - ١] الله مولا لهم
 بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم ومالكهم ، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه
 و تعالى ولى من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الضلمات إلى النور ' .
 ولما تشوف السامع ' إلى تعرف تمام آثار الولاية ، قال شافيا ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : علة ذلك (٢) من م و مد ، وفي الأصل
 و ظ : فهل (٣-٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يعبدون دون - كذا .
 (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد
 من ظ و م و مد (٧) زيد في الأصل : سبحانه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 و مد لحذفها (٨) زيد في الأصل : كان في هذا شدة ، ولم تكن الزيادة في
 ظ و م و مد لحذفها (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : للسامع .

لمى سواهم مؤكدا 'لأجل كثرة' المكذبين : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى
 له جميع الكمال ﴿ يدخل الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا التصديق ﴿ وعملوا ﴾
 تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه ﴿ الصلحت ﴾ فتمتعوا بما رزقهم الله
 من الملاذ لا على وجه أنها ملاذ بل على وجه أنها مأذون فيها ،
 ٨١٢ / ٥ وهى بلاغ إلى الآخرة / وأكلوا لا للترف بل لتقوية البدن على ما أمروا
 به "تقوتنا لا تمتعنا" ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها
 ﴿ تجري ﴾ وبين قرب الماء من وجهها بقوله : ﴿ من تحتها الانهر ﴾
 أى فهى دائمة النمو و البهجة و النضارة و الثمرة لأن أصول أشجارها
 ربي وهى بحيث متى أثرت بقعة منها أدنى أنارة جرى منها نهر ، فأنسام
 ١٠ دخولها غصص ما كانوا فيه فى الدنيا من نكد العيش و معاناة الشدائد ،
 و ضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه فى الدنيا من نعيم الوصلة بالله ثم لا يحصل
 لهم كدر ما أصلا ، وهى مأواهم لا يغيثون عنها حولا ، وهذا فى
 نظير ما زوى عنهم من [الدنيا - °] و ضيق فيها عيشهم نقاسة منهم
 عنها حتى فرغهم لخدمته و ألزمهم حضرته جبا لهم و تشريفا لمقاديرهم
 ١٥ ﴿ والذين كفروا ﴾ أى غطوا ما دل عليه العقل فعملوا لأجل كفرهم
 الأعمال الفاسدة المبعدة عن جناب الله ﴿ يتممون ﴾ أى فى الدنيا بالملاذ

(١ - ١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لكثرة (٢) زيد فى الأصل : من ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفنا (٣ - م) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : تمتعنا لا تقوتنا (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النسق .
 (٥) زيد من م و مد .

لكونها ملاذ كما تتمتع الأنعام، ناسين ما امر الله معرضين عن لقاءه بل^١
 عن الموت أصلاً^٢ بل يكون ذكر الموت حائثاً لهم على الانهماك في
 اللذات مسابقة له جهلاً منهم بالله (و ياكلون) على سبيل الاستمرار
 (كما تاكل الانعام) أكل التذاذ ومرح من أى موضع كان وكيف
 كان الأكل في سبعة أعمار، أى في جميع بطونهم من غير تمييز^٣ للحرام^٤
 من غيره لأن الله تعالى أعظم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها
 حتى شغلهم عنه هو أتابهم وبفضالهم^٥ لأنه علم حالهم قبل أن يوجد لهم^٦
 فيدخلهم ناراً وقودها الناس والحجارة (و النار) أى والحال أن
 ذات الحرارة العظمى والإحراق الخارج عن الحد (مثنى) أى منزل
 ومقام (لهم هـ) 'تنسيم أول انفسهم' فيها كل نعيم كانوا فيه ثم^٧
 لا يصير لهم نعيم [ما -^٨] أصلاً، بل لا ينفع عنهم العذاب [وقتما -^٩]
 فالآية من الاحتباك، ذكر الأعمال الصالحة ودخول الجنات^{١٠} أولاً دليلاً
 على حذف الفاسدة ودخول النار ثانياً. و التمتع والمثوى ثانياً دليلاً
 على حذف التعلل والمأوى أولاً، فهو احتباك [في احتباك -^{١١}]

- (١) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م ومد فحذفناها .
 (٢) زيد في الأصل : الموصل الى الله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد
 فحذفناها (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : تميز (٤) من م ومد ، وفي
 الأصل و ظ : الحرام (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .
 (٦ - ٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لا لهم اولاً لانهاهم - كذا .
 (٧) زيد من م ومد (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) من ظ و م ومد ، وفي
 الأصل : الجنان .

و اشتباك مقارن لاشتباك^١.

ولما وعد سبحانه أنه ينصر من ينصره لأنه مولاه ويدخله دار نعمته، ويخزل من يعانده لأنه عاداه إلى أن يدخله دار شقوته، كان التقدير دليلا على ذلك: فكأين من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك نصرانهم على من كذبهم، فلا غاذل لهم، فعتطف^٢ عليه قوله: (وكان)

ولما كانت قوة قریش في الحقيقة يلبدهم^٣، وكان الإسناد إليها أدل على تماثل أهلها وشدّة اتفاقهم حتى كأنهم كالشيء الواحد [قال -^٤]: (من قرية) أي كذبت رسولها (هي اشد قوة) وأكثر عدة (من قرينك) ولما كان إنزال^٥ هذه بعد الهجرة، عين فقال:

(التي أخرجتك) أي أخرجك / أهلها متفقين في أسباب الإخراج^٦ ١٠ / ٨١٣

من أنواع الأذى على كلمة واحدة حتى كأن^٧ قلوبهم قلب واحد فكأنها هي المخرجة - وهي مكة - كذبوك و آذوك حتى أخرجناك من عندهم لنصرك عليهم بمن أيدناك بهم من قرينك هذه الذي آوتك من الأنصار نصرا جاريا على ما تألفونه و تعادونه (أهلكنهم) ببذاب الاستئصال ١٥ كما اقتضت عظمتنا، وحكي حالهم الماضية بقوله: (فلا ناصر لهم^٨).

ولما كان هذا دليلا شهوديا بعد الأدلة العقلية على ما تقدم الوعد

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لاحتباك الاشتباك (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عطف (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يلبدهم. (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: انزل (٦) من م و مد، وفي الأصل: إوْظ: الخروج (٧) من مد، وفي الأصل و ظ و م: كأنهم.

به ، سبب عنه ' الإنكار عليهم فقال : (افن كان) أى فى جميع أحواله
 (على بينه) أى حالة ظاهرة البيان فى أنها حق (من ربه) الرب
 المدبر له المحسن إليه بما يقيم من الأدلة التى تعجز الخلاق أجمع عن
 أن يأتوا بواحد منها فبصر سوء عمله وأرى على حقيقته ' فرآه سيئا
 فاجتنبه مخالفا لهواه ، قال القشيري : العلماء فى ضياء برهانهم و العارفون فى هـ
 ضياء يانهم . (كن زين له) بزيين الشيطان بتسليطنا له عليه و خلقنا
 للآثار بأيسر أمر (سوء عمله) من شرك أو معصية دونه .

ولما كان التقدير : فرآه حسنا فعمله ملازما له ، فكان على عمى
 وضلال ، وكان قد أفرد الضير لقبول "من" له من جهة لفظها ، جمع
 ردا على معناها بتعميم القبح مثنى و فرادى ، وإشارة إلى [أن - ١] ١٠
 القبيح يكون أولا ' قليلا جدا ، ففى غفل عنه فلم تحسم مادته دب
 وانتشر ' فقال عاطفا على [ما - ١] قدرته : (" و اتبعوا " اهواءهم) فلا
 شبهة لهم فى شيء من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل ، والآية من الاحتباك

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منه (٢) زيد فى الأصل : عنها ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٣) سقط من ظ و م و مد .
 (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : حقيقة (هـ) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : كانه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : اهواءهم أى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : جديد (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : البس (١٠) زيد من م
 و مد (١١) وقع ما بين الرقين فى الأصل بعد هـ يكون أولا ، والترتيب
 من ظ و م و مد .

ذكر الجنة أولا دليلا على ضدها ثانيا، والتزيين و' اتباع الهوى [ثانيا -']
 دليلا على ضدهما أولا، وسره أنه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيا
 والأصل الجامع للشر رهيا .

ولما تكرّر ذكر الجنة والنار في هذه السورة إلى أن ختم بهذه
 ه الآية التي قسم الناس فيها إلى أولياء مهتدين وأعداء ضالين معتبدين،
 فهدي سياقتها إلى أن التقدير: أفن كان على ينة "من ربه" أحياء الحياة
 الطيبة في الدارين، ومن تبع هواه أرداه' فيهما، أتبعه وصف الجنة
 التي هي دار أوليائه قادم إليها الهدى، والنار التي هي دار أعدائه
 ساقهم إليها الضلال المحتم للردى، فقال: (مثل الجنة) أي البساتين العظيمة
 ١٥ التي تستر* داخلها من كثرة أشجارها* .

ولما تكرّر وعده سبحانه^٢ للذين آمنوا بالجنة بالاسم الأعظم الجامع
 وبعضها بالضمير العائد إليه، صار الوعد بها في غاية التحقق فعبّر / عنه
 هنا بالماضي المبني للفعول إشارة إلى أنه أمر قد تحقق بأسهل أمر،
 وفرغ منه إلى أن صار حاضرا لا مانع منه إلا الوصف الذي علق به
 ١٥ الوعد ووصفها بصفات تفيد القطع بأنه لا يقدر عليها إلا الله فصار مجرد

/ ٨١٤

(١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: من (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل: اراه (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: تسر (٦) زيد في الأصل:
 وانماها وانهارها وما اعد لأهلها فيها من الحور العين والودان وغير ذلك،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة م
 إلى ما سنه عليه .

ذكرها والإخبار به عنها بصيغة المجهول أعلى لأمره فقال :
 ﴿التى وعد المتقون﴾ أى الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف عن كل فعل
 لم يدل عليه دليل على أن استمعوا منك فاتفعوا بما دللتهم عليه من أمور
 الدين حتى انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : مقبل عليه بركته فهو متبع ،
 و معرض عنه جملة ، و مستمع غير منتفع .

و لما كان التقدير : مثل بستان عظيم لا يسقط ورقة ولا ينقطع ثمره
 ولا ينفطن نعيمه لما فيه من الأنهار المتنوعة ، وكان ما هو بهذه الصفة
 إنما هو موهوم لنا لالمعلوم ، طواه وذكر ما دل عليه من صفة الجنة
 الموعودة المعلومة بوعد الصادق الذى ثبت صدقه بالمعجزات فقال استئنافا :
 ﴿ فيها ﴾ أى ' الجنة الموعودة . و لما كان ما يعهدونه من الجنان ١٠
 لا يحتمل أكثر من ثلاثة أنهار ، عبر بالجمع الذى يستعار للكثرة إذا
 دلت قربة ، و هى هنا المدح والامتنان ، فقال : ﴿أنهر من ماء﴾ و لما
 كان ماء الدنيا مختلف الطعوم على ثلاثة : حلو و عذب و ملح ، مع
 اتحاد الأرض ببساطتها و شدة اتصالها للدلالة على [أن - ٢] فاعل ذلك
 [قادر - ٢] مختار ، و قد يكون آسنا أى متغيرا عن الماء الذى يشرب ١٥

بريح متنة من أصل خلقه أو من عارض عرض له من منبهه أو مجراه
 قال : ﴿ غير السن ﴾ أى ثابت له فى وقت ما شئ من الطعم أو الريح

(١) زيد فى ظ : فى (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) زيد من مد .
 (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : مختارا (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 الحلقة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مىء - كذا .

او اللون بوجه من الوجوه و إن طالت إقامته و إن أضيف إليه غيره
فانه لا يقبل التغير بوجه .

و لما كان أكثر شرايبهم بعد الماء اللبن، ثنى به فقال سبحانه :
(وانهر من لبن) و لما كان التغير غير محمود ، و كانوا يعهدون في
٥ الدنيا أن اللبن كله على جميع أنواعه طيب حال نزوله من الضرع مع
اختلاف ذوات الدر في الأشكال و الاوضاع و المقادير و الامزجة ،
و مع انفصال كل واحدة منها من الأخرى ، و أنه إنما يتغير بعد حلبه ،
عبر بما ينفي التغير في الماضي فقال : (لم يتغير طعمه) أى بنفسه عن
أصل خلقته ، و إن أقام مدى الدهر ، و هذا يفهم أنهم لو أرادوا تغييره
١٠ لشهوة اشتهوها تغير ، و أنه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان في
الدنيا متنوعا .

و لما كان أكثر ما بعد اللبن الخمر قال : (وانهر من خمر)
و لما كانت الخمر يكثر طعمها ، و إنما يشربها شاربوها لآثرها ، و أنه
متى تغير طعمها زال اسمها ، عرف أن كل ما في خمر الجنة في غاية
١٥ الحسن غير متعرض لطعم فقال : (لذة) أى ثابتة لها اللذة و دائمة
حال شربها و بعده (للشرابين) فى طيب الطعم و حسن العاقبة .

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : احواله (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :
تغير (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : خلقه (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ :
انه (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغيره (٦) من مد ، و فى الأصل
و ظ : العاقبة .

ولما كان العسل أعزها، وأقلها، آخره وإن كان أجلها فقال:
 (أنهر من عسل) ولما كان عسل الدنيا لا يوجد إلا مخلوطا بالشمع
 وغيره من القدي قال: (مضني) أي [هو - '] صاف صفاء ما
 اجتهد في تصفيته من ذلك، وهذا الوصف ثابت له دائماً لا انكسار
 له عنه في وقت ما، فقد حصل بهذا غاية التشويق إلى الجنة بالتمثيل
 بما يستلذ به من أشربة الدنيا لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجرداً عما ينقصه
 أو ينفصه مع الوصف بالغرارة والاستمرار قال البغوي^٢: قال كعب
 الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر
 مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم. وهذه الأنهار الأربعة تخرج
 من نهر الكوثر. وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر^٣: حدثنا عثمان
 ابن صالح [ثنا - '] ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن
 معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما سأل كعب الأحبار رضى الله عنه:
 هل تجد لهذا النيل في كتاب الله تعالى خبراً؟ قال: أي والذي فلق
 البحر لموسى، إني لأجده في كتاب الله أن الله عز وجل يوحى إليه في
 كل عام مرتين، يوحى إليه عند جريه أن الله يأمرك أن تجرى،
 فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل غر حميدا.
 حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن^٤ يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل وظ: الشوق (٣) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ١٤٨/٦ (٤) من مد وكتاب الفتوح ١٤٩، وفي الأصل وظ:
 عن (٥) من مد وفتوح وفي الأصل وظ: أبي.

عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها
الله عز وجل في الدنيا، فالليل نهر العسل في الجنة، و الفرات نهر الخمر
في الجنة، و سيحان نهر الماء في الجنة، و جيحان نهر اللبن في الجنة .
حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة قالا حدثنا
٥ يزيد بن [أبي] حبيب عن أبي الخير عن أنى جادة الكتافي أنه سمع كعبا
يقول: النيل في الآخرة عسلا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله
عز وجل، و دجلة في الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله
عز وجل، و [و الفرات خمرًا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله
عز وجل - ٢]، و جيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله
١٠ وأصل هذا كله ما في الصحيح في صفة الجنة^٢ عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيحان و جيحان
و النيل و الفرات من أنهار الجنة: و قال أبو حيان^٣ في حكمة ترتيبها غير
ما تقدم: إنه مدنى بالماء الذي لا يستغنى عنه في المشروبات، ثم باللبن إذ كان
يمجرى مجرى المطعومات في كثير من أوقات العرب وغيرهم، ثم بالخمر
١٥ لأنه إذا حصل الرى و المطعوم تشوقت النفس إلى ما يتلذذ به، ثم بالعسل
لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المطعوم و المشروب - انتهى .
و أحسن منه أنه لما كان السياق للتعجب في ضرب المثل لأنه قول

(١) من مد و هامش الفتوح، و في الأصل و ظ و الفتوح: غسل (٢) زيد
من مد و الفتوح (٣) من مد، و في الأصل و ظ: من (٤) راجع المعالم بهامش
الباب ١٤٨/٦ (٥) في البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) من البحر، و في الأصل: من،
و ليس في ظ و مد .

لا ينفك عن غرابة بدأ بانهار الماء اغرابتها في بلادهم وشدة حاجتهم إليها،
ولما كان خلوها عن تغير^١ أغرب نقاه، ولما كان اللبن أقل فكان
جريه أنهارا [أغرب، ثنى -^٢] به، ولما كان الخمر أعز ثلث به،
/ ولما كان العسل أشرفها وأقلها ختم به، ونه - مع هذا التذكير بقدرته
تعالى - على ما يريد بسبب وبغير سبب فان هذه المشروبات الثلاثة التي ه
بعضهم متمحض للشراية كالخمر وبعضها فيه غذائية^٣ وهي فيه أغلب،
وهو العسل، وبعضها ينزع إلى كل منهما وهو اللبن كلها من الماء مع
تمايزها مذاقا وأرا في الغذاء والدواء وغير ذلك، فان الماء أصل
النبات، ومن النبات يكون اللبن^٤ والخمر والعسل بما لا يخفى من الأسباب،
وأما الآخرة فغنية عن^٥ الأسباب لظهور اسمه الظاهر سبحانه هناك لأنه ١٠
لا ابتلاء فيها، وبهذا فهم للترتيب سر آخر وهو [أنه -^٦] تعالى قدم
الماء لأنه الأصل لها، وتلاه بأقرب الأشياء إليه في الشراية والطبع : اللبن^٧،
[ثم -^٨] بما هو أقرب إلى اللبن من جهة أنه شراب فقط، ثم بالعسل
لأنه أبعدا منه .

ولما كانت الثمار ألذ مستطاب بعد^٩ سائق الشراب^{١٠} قال تعالى : ١٥

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : نصر - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ
ومد، وفي الأصل : غذائه (٤) وقم في الأصل و ط : بعد « والعسل »
والترتيب من مد (٥) زيد في الأصل : هذه، ولم تكن الزيادة في ظ ومد
لحذفها (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : بتدا (٧) من مد، وفي الأصل
و ظ : باللبن (٨) زيد من ظ ومد (٩ - ٩) من ظ ومد، وفي الأصل :
ساير الاشرية .

(ولهم فيها) ولما كان أهلها متفارتين في الدرجات فلا
تجمع جنان أغلبهم جميع ما في الجنة من الثمر بغير قبال:
(من كل الثمرات) أي جميع أصنافها على وجه الحاجة معه من
قله ولا انقطاع.

٥ ولما كان العيش لا يطيب مع الانصاف بما يوجب العتب، قال
مشيرا إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، لأن الرتب متضائلة
عن رتبته سبحانه: (ومفخرة من ربهم) أي المحسن إليهم بمحو ذنوبهم
السابقة أعيانها وآثارها بحيث لا يخشون لها عاقبة بعقاب، لا عتاب
وعدم بلوغهم إلى ما يحق له من الشكر سبحانه.

ولما أرشد هذا السياق إلى أن التقدير: أفن هو في هذا النعيم
الأكبر المقيم، بنى عليه قوله: (كن هو خالدا) أي مقيم إقامة
لا انقطاع معها، وبعده لأن الخلود يعم من فيها على حد سواء
(في النار) أي التي لا يطفأ هيها، لا يفك أسيرها ولا يؤنس غريبها.
ولما كان كل واحد من داخلها له سقي يخصه على حسب عمله
١٥ ولا يظلم ربك أحدا. كان المؤثر اضرهم السقي على التكيفه التي تذكر
لاكونه من ساق معين، بنى للجهة، قوله مستندا إلى ضمير الجمع قوله تعالى:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: كانت (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
معتزين (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: لا ينجون - كذا (٤) زيد في الأصل
و ظ: في النار، ولم تكن الزيادة في مد لخداها (٥) من ظ و مد، وفي
الأصل: كون.

(وسقوا) أى عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة (.آء حميا)
 أى فى غاية الحرارة (فقطع امعاءهم .ه) ' ويمكن أن تكون الآية من
 الاحتباك ، وذلك أنه تعالى لما قدم أن المؤمنين فى جنات تجرى من تحتها
 الأنهار ، و أن الكافرين ماوام النار ، وكان التقدير إنكاره على من لم يرتدع
 للزواجر تنبيها على أن عمله عمل من يسوى بين الجنة و النار لأن
 كون النار جزاء لمثله و الجنة جزاء المؤمن صار^٢ فى حد لا يسوغ إنكاره :
 أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار ، و من^٣ هو خالد^٤ فى الجنة كمن هو
 خالد فى النار - والله الموفق للصواب .

ولما كان التقدير بعد هذا التمثيل و الوصف^٥ و التشويق الذى يهر

العقول : فمن [الناس من -^٦] يسمع منك بغاية المحبة و الإنصاف فيعليه^٧ الله بفهم^{١٠}

ما يتلوه و اعتقاده و العمل به و اعتماده و هم المتقون الذين وعدوا / الجنة ، ٨١٧ /

عطف عليه قوله تعالى : (و منهم من يستمع) أى بغاية جهده لعله

يجد فى المتلو مطعنا يشك به على الضعفاء ، و بين تعالى بعدم بقوله :

(اليك -) ولما أفرد المستمع نظرا إلى لفظ « من » ، إشارة إلى قلبه المستمع

جمع نظرا إلى معناه إشارة إلى كثرة المعرضين الجامدين المستهزئين^{١٥}

من المستمعين منهم و السامعين فقال تعالى : (حتى^٢) أى^٤ و استمر

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل

يباض ملأناه من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان خالدا .

(٤) -قط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : اصوف الحميد .

(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعليه (٨) -قط من ظ .

لجهادهم لانفسهم بالإصغاء حتى (إذا خرجوا) أى المستمعون و السامعون
 جميعاً (من عندك قالوا) أى الفريقان عمى و تعامياً و استهزاء . و لما
 كان مجرد حصول العلم النافع مسعداً ، أشار إلى تعظيمه ببيتاه^١ لما لم
 يسم فاعله فقال تعالى : (للذين اوتوا العلم) أى^٢ بسبب تهية الله لهم
 بما^٣ آتاهم من صفاء الافهام لتجردهم عن النفوس و الحفظ و اقيادهم^٤
 لما تدعو إليه الفطرة الأولى : (ما ذا قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم
 (اتفاق) أى قبل اقترافنا و خروجنا عنه من ساعة - أى أول وقت -
 تقرب منه ، من أفقة الصلاة - بالتحريك ، و هو ابتداءها و أزلها ، قال
 أبو حيان^٥ : حال ، أى مبتدئاً ، أى ما القول [الذى -^٦] انتفخه الآن قبل
 ١٠ انفصالنا عنه . ورد كونه ظرفاً بأنه تفسير معنى ، و أنه لا يعلم أحداً من النجاة
 عده فى الظروف . [و -^٦] قال [البغوى -^٧] : انتفت الامر : ابتدأه ،
 و انتف الشيء أوله ، قال مقاتل : و ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يخطب و يعيب المناقذين ، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن
 مسعود رضى الله عنه استهزاء : ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال
 ١٥ ابن عباس رضى الله عنه : وقد سئلت فيمن سئل .

و لما دل هذا من المصنفى و من المعرض على غاية الجمود الدال

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بيباه (٣) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : من (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : انقيادا (٥) زيد من
 البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد ، و راجع معالم التنزيل
 ١٤٩/٦ (٨) زيدت الواو فى مد .

على غاية الشقاء، أنتج قوله : ﴿ اِرْلَتْكَ ﴾ أى خاصه هؤلاء البعذاء من الفهم ومن كل خير ﴿ الذين طبع الله ﴾ أى ' الملك الاعظم الذى لا تنهى لعظمه جل وعلا ﴿ على قلوبهم ﴾ أى ' فلم يؤمنوا ولم يفهموا فهم الاتضاع لأن مثل هذا الجود لا يكون إلا بذلك . ولما كان التقدير : "إنهم ضلوا حتى صاروا كالبهائم"، عطف عليه ما هو من أفعال البهائم ٥ فقال : ﴿ واتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ اهوآهم ﴾ أى مجانين ' لوازع العقل ونهى المروءة ، فلذلك هم يتهاوتون بأعظم الكلام و يقبلون على جمع ' الحطام ، فهم أهل النار المشار إليهم قبل آية "مثل الجنة" بأنهم زين لهم سوء أعمالهم .

ولما ذكر مام 'عليه وشنع عليهم' أقبح 'الذكر' ، ذكر الذين آثام ١٥ العلم قال : ﴿ والذين اعتدوا ﴾ أى اجتهدوا باستماعهم منك فى مطاوعة داعى الفطرة الأولى إلى الوقوع على الهدى بالصدق فى الإيمان والتسليم والإذعان بأنواع المجاهدات ﴿ زادم ﴾ أى الله الذى طبع على قلوب الجبهة ﴿ هدى ﴾ ' بأن شرح صدورهم ونورها بأنوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة "ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت يهديهم ربهم بإيمانهم" ١٥ ﴿ واتهم تقوّمهم ﴾ ' أى بين لهم ما هو أهل لأن يحذروا ووقهم لاجتنابه

- (١) سقط من ظ ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .
- (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : مجانين .
- (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : جميع (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : بأقبح .
- (٧) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : يبيدو (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاجتناب .

مخالفة للهوى، فهم "القدم الأول من آية / نوطه المثل "الذين هم على بينة من ربهم"، ومعنى الإضافة أنه آتى كلا منهم منها بحسب ما يقتضيه حاله، قال ابن بركان: التقوى عمل الإيمان كما أن أعمال الجوارح عمل الإسلام - انتهى^١.

و لما كان أشد ما يتقى القيامة التي هم بها مكذبون، سبب عن اتباعهم الهوى قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون ﴾ أى ينظرون، ولكنه جرده^٢ إشارة إلى شدة قربها ﴿ إلا الساعة ﴾ ولما كان كأنه قيل: [ما -] ينظرون من أمرها؟ 'أبدل منها قوله': ﴿ ان تاتيهم ﴾ أى تقوم عليهم، وعبر بالإتيان زيادة في التخويف^٣ ﴿ بئنة ﴾ أى لجماعة من ١٠ غير شعور بها ولا استعداد لها.

ولما دل ذلك على مزيد القرب، و كان محيى علامات الشيء أول على قربهِ مع الدلالة على عظمتِهِ، قال معللاً للبعثة^٤: ﴿ فقد ﴾^٥ ودل على القوة بتذكير الفعل فقال^٦: ﴿ جاء اشراطها ﴾ أى علاماتها^٧ المنذرات بها

(١) ليس في ظ و مد (٢) ومن هنا تتألف نسخة م (٣) زيد من م و مد .
(٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ماذا قل (٥) زيد في الأصل؛
فقال، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخذناها (٦) من ظ، وفي الأصل:
بالبعثة، وليست الكلمة في م و مد (٧-٧) وقم ما بين الرقيين في الأصل وظ
بعد « للبعثة » والترتيب من م و مد (٨) من م و مد، وفي الأصل
وظ : العلامات .

من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ' "بعثت أنا و الساعة كهاتين" انشقاق القمر المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغربها و غير ذلك ، و ما بعد مقدمات الشئ، إلا حضوره^٢ .

و لما كان المجيء من أهوالها تذكرها^٣ قبل حله لها للعمل بما يقتضيه التذكر^٤ ، و كانت إذا جاءت شاغلة عن كل شئ^٥ ، سبب عن مجيئها قوله ه تعالى : (فأنى) أى فكيف و من أين (لهم^٦ إذا جاءتهم) أى الساعة و أشراتها المعينة لها^٧ مثل طلوع الشمس من مغربها^٨ (ذكرهم^٩) لأنهم في أشغل الشغل ولو^{١٠} فرغوا لما تذكروا فعملوا^{١١} ما أفاد لقوات وقت الأعمال و شرطها ، و هو العمل على الإيمان بالغيب ، و هكذا ساعة الإنسان التي

(١) زيد بعده في الأصل و ظ : و في هذا اشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حضور انتهى (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تذكرة . (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الذكر (٥) زيد في الأصل : من شافع يشفع لهم أو راحم يرحمهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد في الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٧) زيد في الأصل : و ما هو مذكور من أشراتها مما تقدم ، و لم تكن الزيادة في ظ م و مد لحذفها (٨) زيد في الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م : لما (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لعمروا .

تخصه وهي ' موته و أشراتها' الحاشية على الذكرى 'وهو' المرض
والشيب ومحو ذلك، ومن أشراتها المعينة لها التي [لا-'] [ينفع معها
العمل الوصول إلى حد الغرغرة .

ولما علم بذلك أن الذكرى غير نافعة إذا انقضت هذه الدار التي
ه جعلت للعمل أو جاءت الاشرط المحققة الكاشفة لها، سبب عنه أمر' أعظم
الخلق 'و أشرفهم و أرقامهم و أجملهم صلى الله عليه وسلم' تكويننا ليكون
لغيره تكليفا' فقال تعالى : ﴿ فاعلم انه ﴾ أى الشان الأعظم الذى
﴿ لا اله الا الله ﴾ أى اتقى' انتقاء عظيمًا' أن يكون معبود' بحق غير
الملك الأعظم، فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال
١٠ الساعة، وإنما تكون علما إذا كان نافعا [وإنما يكون نافعا -'] إذا كان
مع الإدعان والعمل بما يقتضيه وإلا فهو جهل صرف"، [و-'] هذا
العلم يفيد أنه لا بد من قيام الساعة لأن الآله وعد بذلك وهو متصف

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : هو (٢) من م ومد، وفى الأصل
وظ : هي (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ وم ومد (٤) زيد من ظ ومد.
(٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : مانعة (٦) من ظ وم ومد، وفى
الأصل : امرا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : تكلفا (٨) زيد فى الأصل :
ما سوره، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (٩) زيدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فخذناها (١٠) من ظ وم ومد، وفى
الأصل : معبودا (١١) زيد من م ومد (١٢) من م ومد، وفى الأصل
وظ : صر .

بالكمال ولا شريك له بمنعه من إنجاز وعده . قال القشيري : و العبد يعلم 'أولا ربه' بدليل وبجدة فعله بنفسه ضروري وهذا هو أصل الأصول . وعليه بنى كل علم استدلالى ، ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وكثرة الحجج و تناقص علمه بنفسه بقلبات / ذكره الله بقلبه ، فاذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه ' فى تلك ' الحالة ه ضروريا ويقل ' إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلال ' وكأنه غافل عن نفسه أو فاس لنفسه ، و يقال : ' الذى رأى البحر غلب عليه ما يأخذه فى ' الرؤية للبحر ' عن ' ذكر نفسه ' فاذا ركب البحر قوى هذا الحال ، فاذا غرق فى البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه ومستهلك . ولهذا الكلمة من الأسرار ما يملأ الاقطار منها أنها بكلماتها الأربع ١٠ مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذى هو الله سبحانه وتعالى والشفع الذى هو الخلق أنشأه تعالى أزواجاً ، [و - هـ] منها حرف لسانى وحرفان حلقيان : الهاء والالف ، غير أن الالف عبر عنها بمظهرها وهو الهمزة ' ظاهراً مرتين وخفياً فى أداة التعريف فى الابتداء مرة ، وذكرت

- (١-١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ربه اولاً (٢-٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل و ظ : بلك (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ وم : تقبل . (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : كالاستدلال (هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ وم : تعالى (٦-٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الراوية من البحر (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ذكره لنفسه (٨) زيد من مد (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : المرة .

بلفظها أربع مرات ، فذلك سبع هي أتم العدد لذلك ، و بي الخلق عليه ،
 فالسماوات سبع و الاراضى كذلك سبع^٢ إشارة إلى [أن - ٢] الإله
 الحق الذى هو غيب محض إنما علم بالنزل بأفعاله ، فهمى وصلة إلى معرفته
 و هي منقسمة إلى علوى و سفلى كما أن الآلف التى هي كالغيب لأنها
 لا يمكن^٣ النطق بها^٤ ابتداء نزلت في مظهر الهمزة التى تكررت في
 هذه الكلمة مرتين في مقابلة الكونين العلوى و السفلى و بينهما ما لا نعلمه
 بما خفى عنا كما خفيت همزة الوصل . و عبر في الأمر بهذه الكلمة بالعالم
 إعلاماً بأن عمل القلب بها هو العمدة العظمى لكن لما كانت حروفها
 حلقياً و لسانياً كان في ذلك إشارة إلى انه لا يكفى في أمرها إلا إذعان
 ١٠ الباطن و مطابقة الظاهر الذى هو اللسان ، فهو ترجمان القلب ، و متى
 لم يطابق اللسان القلب حيث لا مانع كان صاحبه من أهل آية الصفات^٥
 و أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفاً على عدد السماوات و الارض الدالة
 على الذات الأقدس الذى هو غيب محض و المقصود^٦ منها مسمى الجلالة
 الذى هو الإله الحق سبحانه و تعالى و الجلالة الدالة عليه خمسة أحرف
 ١٥ على عدة دعائم الإسلام الخمس : و ترتيبه دلالة على التوحيد ، و لم يجعل
 فيها شيئاً شافهاً^٧ لا يمكن ملازمتها^٨ لكونها أعظم مقرب إلى الله و أقرب موصل

- (١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٢) سقط من ظ و م و مد .
 (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بها النطق .
 (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصفات (٦) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : الموصول (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليكون بملازمتها .
 إليه (٥٨) ٢٣٢

إليه مع الإخلاص، فإن المذاكر بها يقدر على المواظبة عليها ولا يعلم جليسه بذلك أصلاً، لأن غيرك لا يعلم ما [في -] وراء شفتيك إلا بأعلامك،
و كما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحاً دل على كلمة الرسالة
أتى لا ينفع التوحيد إلا بها تلويحاً بتسمية السورة "سورة محمد"، فهي
القتال لأنه أمر صلى الله عليه وسلم^٢ أن يقاتل الناس حتى يصرحوا^٥

بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد، وهي سورة محمد صلى الله عليه
وسلم لأن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له بالرسالة، وبين الكلمتين

مزيد اتفاق^٤ يدل على تمام الاتحاد والاعتناق، وذلك^٥ / أن أحرف

كل منهما إن نظرنا إليها خطأ كانت اثني عشر حرفاً على عدد أجزاء
السنة يكفر كل حرف منها^٦ شهراً، وإن نظرنا إليها نطقاً كانت ١٠

أربعة عشر حرفاً^٧ لملأ^٨ الخافقين نوراً^٩ وعظمة ومهابة وجلالة واحتشاماً،
و إن نظرنا إليها بالنظرين^{١٠} ما كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذى العرش
خالق الكونين موقف، وهو سر غريب دال على الحكمة الشرعية الذي
هو عدم انفكاك إحداها عن الأخرى، فمن لم يجمعهما^{١١} اعتفاده لم يقبل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد في الأصل : اياه ، ولم تكن الزيادة في ظ
و م و مد لحذفها (٣ - ٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اى بالقتال
للناس (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : التقات (٥) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : بذلك (٦) وقع في الأصل و ظ قبل د كل ، والترتيب من م
و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرمين من ظ و م
و مد (٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لم يجمعها .

إيمانه، وقدمت هذه سورة [في هذا - ١] سابقة لأن لها السبق
وذكرت^٢ الأخرى في الفتح تالية، وسميت سورة هذه بالقتال وسورة
الكلمة المحمدية بالفتح إشارة إلى أنه ما قاتل أحد عليهما مع الإخلاص
إلا فتح عليه ولا يقدر أحد على مخالفته مع مناصبته إلا نقا على رجه
هـ الذل والاضطراب .

ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجبا للجابة
كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الترمذي^٣ وأنى يعلى ما من
مؤمن يدعو الله بدعوة إلا استجيب له ما لم يكن اثما أو قطيعة رحم،
الحديث، قال معلما أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعى في
١٠ تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له . (واستغفر) أى
اطلب الغفران من الله بعد العلم بأنه لا كفروه له^٤ بالدعاء له وبالاجتهد في
الاعمال الصالحة لذنبك، وهو كل مقام [عال - ١] ارتفعت عنه^٥
إلى أعلى منه، وأوجده أنت من نفسك لمن أساء إليك^٦ لتكثر
أتباعك، فان الاستقامة مهينة للإمامة^٧ .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : لانها .
(٣) من م و مد، وفي الأصل وظ : ذكرات (٤ - ٤) من ظ و م و مد،
وفي الأصل : السورة (٥) من م و مد، وفي الأصل وظ : احدا (٦) راجع
الجامع ١٧٤/٢ (٧) زيد في الأصل : وكن مجدا . ولم تكن الزيادة في ظ و م
و مد فحذفها (٨ - ٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل : انتفعت منه (٩) من
ظ و م و مد، وفي الأصل : في (١٠) من مد، وفي الأصل وظ و م :
عليك (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : للاقامة .

ولما كان تكميل النفس مرقياً إلى تكميل الغير يكون له مثل أجره، قال تعالى 'مبيناً لهذه النعمة العظيمة و'لمنة' الجسيمة' معيذاً للجار معبراً بالإيمان والوصف إيماناً بأن أعلى الأمة محتاج إلى ذلك، لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، وهذا مشرفاً لهذه الأمة حيث أمر الشفيع المجاب الدعوة بالاستغفار لهم [وهو - '] بالدعاء والحث على الاجتهاد في هـ الأعمال الصالحة، حافظاً المضاف إشارة إلى الاحتياج إلى المغفرة في كل حال لما للانسان من النقصان بالخطأ والفساد: (وللؤمنين والمؤمنات) أى الراغبين فى الإيمان لأنهم أحق الناس بذلك منك لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره، ولا يخلو أحد منهم من تقصير فى المعارف الإلهية والعمل بموجبها أو هفوة .

١٠

ولما كان معرفة من يذنب ومن لا يذنب متوقفة على إحاطة العلم، قال عاطفاً على ما تقديره: فالله يعلم حركاتكم وسكناتكم سرا جهرًا ويعلم أنكم لابد أن تعملوا ما جبلكم عليه من ذنب وهو يغفر لمن أراد من يسعى فى كمال نفسه و تكميل غيره بغسل الذنوب، بالرجوع إلى طاعة علام الغيوب: / (والله) المحيط بجميع صفات الكمال ١٥ / ٨٢١ (يعلم متقلبكم) أى متقلبكم ومكانه وزمانه (ومثواكم) أى موضع

(١-١) سقط ما بين الرتتين من ط و م و مد (٢) من م و مد . وفى الأصل و ظ : مشرف (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : فان الله (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تعلبوا . (٧) زيد فى الأصل : الملك المعبود ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

سكونكم وقراره للراحة و كل ما يقع فيه من الثواء [في وقته -] في
الدنيا و الآخرة من حين كونكم نطفاً إلى ما لا آخر له .

و لما كان أدل دليل على إحاطة العلم ، علم ما ابطنه الإنسان
ولا سيما إن كان مخالفاً لما أظهره ، قال دالا على إحاطة علمه باظهار
أسرار المناقنين عاطفاً على " ومنهم من يستمع اليك " : (ويقول)
على سبيل التجديد المستمر (الذين آمنوا) أى ادعوا ذلك بألسنتهم
وفيهم الصادق و المناق دالين على صدقهم في إيمانهم بالتحريض على
طلب الخير بتجدد الوحي الذى هو الروح الحقيقى : (ولولا نزلت) على
سبيل التدرج ، وبناء للفعول دلالة على إظهارهم أنهم صاروا في صدقهم
١٠ في الإيمان ، اعتمادهم أن التنزيل لا يكون إلا من الله بحيث لا يحتاجون
إلى التصريح به (سورة ج) أى سورة كانت لسر سماعها و تشعب
بتلاوتها و نعمل بما فيها كائناً ما كان ، ويستمر الوحي فينا متجدداً مع
تجدد الزمان ليكون ذلك أشط لنا و أدخل في تحريك عزائمنا
(فاذا أنزلت سورة) أى قطعة من القرآن تكامل نزولها [كلها -]
١٥ تدريجاً أو جملة ، و زادت على مطلوبهم بالحسن بأنها (محكمة) أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) م م و مد ، وفى الأصل و ظ : فيه (٣) من
ظ و م و مد ، وفى الأصل : و (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
إيمانهم (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : حيث (٦) زيد فى الأصل و ظ :
أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٧) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ،
ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : بالحسن .

مينة [لا - '] يلبس شيء منها بنوع إجمال ولا ينسخ لكونه جامعا للحاسن في [كل - '] زمان و مكان (وذكر فيها القتال لا)^٢ بأى ذكر كان، والواقع أنه^٣ لا يكون إلا ذكرا ميتا [أنه - '] لا يزداد إلا وجوبا وتأكدا حتى تضع الحرب أوزارها، قال البغوى^٤: وكل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المناقطين . هـ وهو مروي عن قتادة (رأيت) [أى - '] بالعين والقلب (الذين في قلوبهم مرض) أى ضعف في الدين أو فاق من الذين أقروا بالإيمان و طلبوا تنزيل القرآن وكانوا قد أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن أمرتهم ليخرجن (ينظرون اليك) كراهة لما نزل عليك بعد أن حرضوا على طلبه (نظر المقتضى عليه) ولما كان للغنى أسباب، ١٠ بين أن هذا أشدهما فقال تعالى: (من الموت)^٥ الذى هو نهاية الغنى فهو لا يطرف بعينه بل هو شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن والخور .

ولما كان هذا أمرا متباذرا للإنسانية لأنه مباعد^٦ للدين والمروءة، سبب عنه أعلى التهديد فقال متوعدا لهم بصورة الدعاء بأن يليهم^٧ المكروه: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لأنه (٤) راجع المعالم بهامش الباب ٦/ ١٥١ (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: غاية (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: مديدا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل و م: صاعد (٨) من مد، وفي الأصل و ظ و م: بينهم .

(فاو ') أى أشد ميل وويل واتكاس وعتار^٢ موقع لهم فى

الملكة كائن (لهم ج) أى خاص بهم ، وفسرته بذلك لما تقدم فى آخر

الاقبال من أن مادة "ولى" تدور على الميل ، فإذا^٣ كانت على صيغة أفعل

التفضيل - وهو قول الأكثر - جاءت الشدة ، قال / الأصمى : إنه فعل

/ ٨٢٢

ماض أى قاربهم ما يهلكهم^٤ ، وأولام الله الهلاك ، وقال الرضى فى

باب المعرفة والنكرة : إنه علم للوعيد وفيه وزن الفعل^٥ فلذا منع من

الصرف ، وليس بأفعل تفضيل ولا أفعل فعلا ولا اسم فعل لأن

أبا زيد حكى لحاق تاء التأنيث له فقالوا : أولاة الآن - كأرملة^٦ وهو من

وله الشر أى قرنه حال ، وقبوله للتاء لا يضر الوزن ، لأن ذلك فى

١٠ علم آخر .

ولما علم بما ذكر من التسبب أن هذا الدعاء عليهم لما تقدم من

سوء أديهم فى مقامهم ، وقبح ما ظهر من فعلهم ، حصل التشوف إلى

ما يبنى لهم ، فقال تعالى^٧ على طريق^٨ النشر المشوش : (طاعة) أى

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اشل (٢) زيد فى الأصل : وعتاب ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٣) من م ومد ، وفى الأصل

وظ : فان (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اى (٥) من م ومد ، وفى

الأصل وظ : بهكهم (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : القول (٧) من م

ومد ، وفى الأصل وظ : كادملة - كذا (٨) من م ومد ، وفى الأصل

وظ : من (٩) زيد فى الأصل : سماع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد

لحذفها (١٠) زيد فى الأصل : عاطفا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد

لحذفها (١١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل وظ : طريقة .

منهم (وقول معروف ^١) أى بالتسليم والإذعان وحسن الانقياد خير لهم
 مما أظهروا من المحبة فى الطاعة وما كشف 'حالمهم عنه' من الكراهة،
 [و - ٢] نكر الاسمين ليكونا^٢ صالحين للتعظيم وما دونه، ثم سبب
 عنها قوله مستدا إلى الامر ما [هو - ٣] لاهله تأكيداً لمضمون
 الكلام: (فاذا عزم الامر ^٣) أى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر [فى - ٤] ٥
 أول السورة وغيره من الأوامر أمراً مجزوماً به معزوماً عليه
 (فلو صدقوا الله ^٤) أى الملك^٥ الأعظم^٦ المحيط قدرة وعلماً^٧ فى قولهم
 الذى قالوه فى طلب التنزيل (لكان) صدقهم له (خيراً لهم ^٥) أى
 من تعلمهم وتسلمهم عنه لوأذا على تقدير^٨ التزل فى تسليم أن فى
 جاحهم عن الأمر وقاعدتهم عنه نوع خير^٩، ويجوز [أن يكون - ١٠] ١٠
 "خير" اسماً لا للتفضيل ليفهم أن كذبهم شر لهم.

ولما كان هذا تبيكيتاً لهم^{١١} من أجل فتورهم عن أمر الله، سبب

[عن - ٢] ذلك الفتور بيان ما يحصل منه من عظيم الفساد وتأثر به

-
- (١ - ١) من م و مد، وفى الأصل و ظ : عنه حالمهم (٢) زيد من م و مد .
 (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : ليكونوا (٤) زيد من ظ و م و مد .
 (٥) زيد فى الأصل : للعظم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .
 (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : أى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٨) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : سبيل (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ : خسر (١٠) زيد فى
 الأصل : على ما حصل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

[من - ١] خراب البلاد و شتات العباد في معرض سؤال في أسلوب الخطاب بعد التبكيت و التهديد في أسلوب الغيبة تنبيها على تاهي الغضب و بلوغه الغاية فقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى قسب عن تسرعكم إلى السؤال في أن يأمركم الملك بما يرضيه ، فإذا أجابكم فرحكم^٢ بما يعلم أنه أصلح الأشياء لكم و هو الجهاد كرهتموه و وجهتم منه و قدتم^٣ عنه أن يقال لكم لما يرى منكم من الخبايل الدالة على ضعف الإيمان : هل يمكن عندكم نوع إمكان و تتوقعون شيئا من توقع أن يكون حالكم جديرا و خليقا لتغطية علم الواقع عنكم فتخافون من أنفسكم .

و لما كان المقام لزم الإعراض عن الأمر ، فصل بين " عسى " ١٠ و خبرها بشرطية معبر^٤ فيها بالتولى بصيغة التفعّل إشارة مع نهاية الذم إلى أن المعرض عن أمر الله معرض عما تدعوه الفطرة الأولى القويمة و العقل السديد إلى حسنه ، فهو لا يعرض عنه إلا بمجاهدة منه لنفسه فقال تعالى : ﴿ ان توليتم ﴾ أى بأنفسكم عن الجهاد الذى أمركم به ربكم^٥ الذى عرفكم من فوائده / ما لا مزيد عليه^٦ بما لا يتركه معه عاقل و لا يتخيل ١٥ تركه إلا على سبيل القرض - بما أشارت إليه أداة الشرط - أو حصلت

/ ٨٢٣

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فقد رحمكم .
(٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : تقدّمتم (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : متوقعون (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : تغطية (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معبرا (٧) زيد فى الأصل : و مريمكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذفناها (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عنه .

توليتكم بتحصيل محصل أوجبها لكم وزينها في أعينكم حتى فعلتموها،
وهذا المعنى الثاني هو المراد ببنائه للجهول^١ في رواية رويس عن يعقوب^٢
﴿ ان تفسدوا ﴾ أى توفقوا الإفساد العظيم الذى يستمر تجديده^٣ منكم^٤
﴿ فى الارض ﴾ بقتال يكرمه الله ويسخطه^٥ و يفضب أشد غضب على
فاعله و تكونوا فى غابة الجرأة عليه، فان الذى رحمكم بازال ما أنزل ه
حكم بأن^٦ من جبن عما يرضيه رغبة فى الآخرة اجترأ على [ما - ^٧]
يسخطه حيا فى الدنيا، وقد كنتم فى الجاهلية على ذلك فى الفارة من
بعضكم على بعض ونحو ذلك ﴿ وتقطعوا ﴾ تقطيعا^٨ عظيما شديدا^٩ كثيرا
منتشرا كبيرا ﴿ ارحامكم ﴾ فتكونوا بذلك أعزة على المؤمنين كما
كنتم أذلة على الكافرين، وأقل ما فى إعراضكم حذرناكم للمؤمنين المجاهدين ١٠
بما قد يكون سببا لظهور الكافرين عليهم فتكونوا بذلك قد جمعتم بين
[قطعة - ^{١٠}] أرحامهم^{١١} وقدمكم لما كان يصل إليكم من منافعهم، فان
كففتهم^{١٢} بعدهم عن قتلهم كنتم مع ما فاتكم من خيرهم [أجبن - ^{١٣}]
الناس وأرضاهم بالعار، وإن تعاطيتم الأخذ بأرهم كنتم^{١٤} كن أخذ فى

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : للفعول (٢) راجع نثر المرجان ٥٩٧/٦ .
(٣) فى ظ و مد : بجده (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م
و مد، وفى الأصل : رسوله و سخطه (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ ؛
ما (٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد .
(٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل و م : ارحامكم .
(١١) من مد، وفى الأصل وظ و مد : كنتم (١٢) من ظ و م و مد،
وفى الأصل : اكنتم .

فعل ما أمر به بعد فواته و ان له ذلك، وقد علم من هذا أن من
أمر بالمعروف وجاهد أهل المنكر أمن^١ الإفساد في الأرض و قطيعة
الرحم، و من تركه وقع فيهما، و يمكن أن يكون "توليم" من ولاية
الامر، فكون الآية مشيرة إلى ولاية الفجرة و منفرة بذلك أن اصنع
الامر بالمعروف، و قد وقع ذلك و شرهد ما ابتقى عليه من الفساد
و القطيعة، و عزائم الإنكاد^٢ و سوء الصنيعة .

و لما بين لهم ما يكون من ثاقل عن أمر الله، لأن الملك لا يطرق
احتمالا في شيء إلا وهو واقع فرقا بين كلامه و كلام غيره، فكيف
بملك الملوك المحيط بكل شيء قدرة و علما^٣، بين حالهم الذي أنتج لهم
١٠ ذلك، فقال ملتفتا عنهم إيدانا بالغضب مخاطبا لمن جبل على الشفقة على
خلق الله و الرحمة لهم إعلاما له بأن هؤلاء قد تحتم شقاؤهم فليسوا بأهل
للشفاعة فيهم و لا للاتى عليهم : ﴿ اوائتكت ﴾ أى البعداء البغضاء
﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى طردهم أشد الطرد الملك الاعظم لما ذكر
من إفسادهم و تقطيعهم^٤ : ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى : ﴿ فاصهم ﴾
١١ عن الانتفاع بما يسمعون^٥ ﴿ و اعمى^٦ ابصارهم ﴾ عن الارتفاق بما يبصرون،

(١) من مد، و في الأصل و ظ و م : امر (٢) من م و مد، و في الأصل
و ظ : الانكار (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : علمه (٤-٥) من ظ و م
و مد، و في الأصل : الملك العظيم الكبير طردهم أشد الطرد (٥) من ظ
و م و مد، و في الأصل : تقطيعهم (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ :
يسمعونه .

فليس سماعهم سماع ادكاز. ولا إبصارهم إبصار اعتبار، فلا سماع لهم ولا إبصار.

ولما أخبر بذلك فكان ربما سأل من لا يبي الكلام حق وعيه عن السبب الموجب للغن المسبب للصم^٢ والعمى، أجابه^٣ بقوله منكرا موجها مظهرا لتاء التفضل إشارة إلى أن المأمور به صرف جميع الهمة إلى هـ التأمل: (أفلا يتدبرون) أى كل من له أهلية التدبر / بقلوب مفتحة منشحة ليهتدوا إلى [كل -^٤] خير (القرآن) بأن يجهدوا أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس تفكر من ينظر في أدبار الأمور وماذا يلزم من عواقبها ليعلموا أنه لا عون^٥ على الإصلاح في الأرض و صلة الأرحام والإخلاص لله في ١٠ لزوم كل طاعة والبراءة من كل معصية مثل الأمر بالمعروف من الجهاد بالسيف وما دونه، وربما دل إظهار التاء على أن ذلك من أظهر ما في القرآن من المعاني، فلا يحتاج في العثور عليه إلى كبير تدبر - والله أعلم.

ولما كان الاستفهام إنكاريا فكان معناه نفيا، فهو لكونه^٦ داخلا على النفي نفي له فصار إثباتا، فكان كأنه قيل: هل يحددون ١٥ التدبر تجديدا مستمرا لترك قلوبهم به وتير بصائرهم له، فيكفروا عن

(١) سقط من ظ و م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: عن الصمم.
(٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: اجابهم (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: يجوز (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لكنه.

الإفساد و التقطيع ، عادله بقوله مشبها للقلوب بالصناديق دلا على ذلك
 التشبيه بذكر ما هو مختص بالصناديق من الأقفال : (أم على قلوب)
 من قلوب الغافلين لذلك ، و نكرها لتبعضها و تحقيرها بتعظيم
 قسوتها (أقفاها) أى الحقيقة بها الجديرة بأن تضاف إليها ، فهى لذلك
 ٥ لا تسمى شيئا و لا تفهم أمرا و لا تزدد إلا غباوة و عنادا . لأنها لا تقدر
 على التدبر ، قال القشيري : فلا تدخلها زواجر التنيه و لا ينسط عليها
 شعاع العلم ، فلا يحصل لهم فهم الخطاب ، و الباب إذا كان مغفلا فكما
 لا يدخل فيه شيء فلا يخرج ما فيه ، فلا كفرهم يخرج و لا الإيمان الذى
 يدعون إليه يدخل - انتهى . و الإضافة تشعر بأن [بعض - ٢] المتولين
 ١٠ على قلوبهم أقفال ، لكن ليست متمكنة فيها ، فهو سبحانه يفتحها بالتوبة
 عليهم ٢ إذا أراد ٢ . و أما الأولون فلا صلاحية لهم ، و فى هذه
 الآية اعظم حاث على قبول ' أوامر الله لاسيما الجهاد ' فى سبيله .
 و أشد زاجر عن الإعراض عنه لأن حاصلها أنه لمن عرض عنه
 لكونه لا يتدبر القرآن مع وضوحه . يسره يعلم فوائد الجهاد الداعية إليه
 ١٥ المحيية فيه ، فكان [كأن - ٢] قلبه مقفل ، و الآية من الاحتباك :

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحقيرة (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣-٢) و قم فى الأصل بعد « سبحانه » و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من
 م و مد ، و فى الأصل و ظ : قلوب (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م
 و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للحية (٧) زيد من م و مد .

ذكر التدبر أولا دليلا على ضده ثانيا ، و الأقفال ثانيا دليلا على ضدها
 أولا ، وسره أنه ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة أولا و سبب الشر
 الجامع للشقاوة ثانيا .

ولما أخبر سبحانه و تعالى بأقوال قلوبهم . بين منشأ ذلك . فقال
 مؤكدا تنبيها [لمن لا يهتم به - ١] على أنه مما ينبغي الاهتمام بالنظر
 فيه ليخلص الإنسان نفسه منه ، و تكذيبا لمن يقال : إن ذلك حسن :
 ﴿ ان الذين ارتدوا ﴾ أى عالجوا نفوسهم فى منازعة الفطرة الأولى
 فى الرجوع عن الإسلام ، وهو المراد بقوله : ﴿ على أديارهم ﴾ أى من
 أهل الكتاب و غيرهم ، فقلبوا وجوه الأمور إلى ظهورها ، فرفعوا
 فى الضلال فكفروا .

١٠

ولما كان الذى يلامون عليه ترك ما أتاهم به النبي صلى الله عليه
 وسلم مما أوحاه الله سبحانه إليه من الشريعة ، لا ما فى غرائزهم من الملة
 التى / يكفى فى الهداية إليها نور العقل ، وكان الذم لاحقا بهم ولو كان
 ارتدادهم فى أدنى وقت ، أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد ما تبين ﴾ غاية
 البيان الذى لا خفاء معه بوجه ما وظهر غاية الظهور^٢ ﴿ لهم ﴾ بالدلائل ١٥
 التى هى من شدة ظهورها غنية عن 'بيان مبين' ﴿ الهدى لا ﴾ أى
 الذى أتاهم به رسولنا صلى الله عليه وسلم .

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : منازعتهم .
 (٣ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : البيان المبين .

ولما كانوا قد أحرقوا بذلك أنفسهم وابتدوها به غاية البعد عن كل خير، عبر عن المعنى بما يدل على ذلك فقال تعالى: ﴿الشيطان﴾ أى المحترق باللعة البعيد من الرحمة ﴿رسول﴾ أى حسن ﴿لهم﴾ بتزيينه وإغوائه الذى حصل لهم منه استرخاء فى عزائمهم وقصور فى همهم فجروا معه فى مراده فى طول الأمل، والإكثار من موافقة الزلل والامانى من جميع الشهوات والعلل، بعد أن زين لهم سوء العمل، بنمكين الله له منهم، وهذا لما علم سبحانه منهم حال الفطرة الأولى ﴿املى لهم﴾ أى أطال فى ذلك ووسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملون ومر الجديدين حتى نسوا المواعظ وأعرضوا عن الذكر ١ - هذا على قراءة الجماعة بفتح الهمزة واللام، وأما على قراءة إحصيين بضم الهمزة وكسر اللام فالمراد أن الله تعالى هو المولى - أى الممهل - لهم بإطالة العمر وإسباغ النعم، وتسهيل الامانى والحلم، عن المعالجة بالنقم، حتى اغتروا، وهى ايضا موافقة لقبه تعالى "سنتدرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم" ان كيدى متين"، وأما فى قراءة

(١) زيد فى الأصل: مبينا ان دليلهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م، مد لغذناها (٢) زيد فى الأصل: رن و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لغذناها (٣) م ص و م و مد، وفى الأصل: فتورهم (٤) م م و مد، وفى الأصل و ظ عملهم (٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: انهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لغذناها (٧) راجع بشر المرحان ١٠١ (٨) سقط من ظ و م و مد.

أبي عمر: بفتح الياء فهو 'فمر ماض مبى للفعول، ودل على أن المولى هو الله سبحانه وتعالى قراءة يعقوب ما كان الياء على أنه مضارع همزته للتكلم.

ولما بين تسليطه الشيطان عليهم، بين سبه فقال: (ذلك) أى الأمر البعيد من الخير وما دل عليه صريح العقل (بأهم) أى ٥ بسبب أن هؤلاء المتولين (قالوا للذين كرهوا ما) أى جميع ما (نزل الله) أى الملك الأعظم على التدرج بحسب الوقائع تنزيلاً فيه إعجاز الخلق فى بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات وجزالتها مع السهولة فى النطق والعذوبة فى السمع والملاءمة للطبع كما يشهد به كل ذوق من الأغنياء والاذكياء على تباينهم فى مراتب الفباة والدكاء، وإعجاز آخر لهم ١٠ فى رصانة المعنى وحكته، وثالث فى مطابقته للحال الذى اقتضى نزوله مطابقة يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، ورابع بنظمه مع ما نزل قبله من الآيات، لا على ترتيب النزول، بل على ما اقتضته الحكمة التى تتضاءل دونها الأفكار، وتولى خاسته من جلالها على الأدبار، بصائر أولى الأبصار، وهؤلاء المقول لهم هذا الكلام هم - والله أعلم - المصارحون ١٥ بالكفر، قالوا لهم بعد هذه الأدلة من الإعجازات، وما تقدمها من

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م : مسمى (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : تسلط (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : سبب (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : فى الطبع (٥) فى م : ثابت (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : يتضال.

/ ٨٢٦

الآيات البينات الواضحات : ﴿ سنطيعكم ﴾ بوحمد صادق لاخلف فيه
 ﴿ في بعض الامر ﴾ وهو القتال في سبيل الله الذي تقدم أنهم / عند
 نزول سورة يذكر بها يصيرون كالذى يغشى عليه من الموت ، [فأتى في
 أمان - ٤] من أن نقاتلكم أبدا ، فانا إنما أرسلنا الأمان على دمانا
 ه و أموالنا ، و الذى نحب عما ينزل هو التأمين لمن أقر بكلمة الإسلام
 و القناعة منه بالظاهر و الوعد العام بالتبسط في البلاد و التوسعة في الأرزاق
 و نحو ذلك ، فكأبوا بذلك كفره فان الدين لا يتجزأ ، فن أضاع من
 أصوله شيئا فقد أضاعه كله . و التقيد بأبعض يفهم أنهم لا يطيعونهم في
 البعض الآخر ، و هو إظهار الإسلام و التصور بصورة المسألة . و ذلك
 ١٠ كله بأن الله تعالى جبلهم جبلة هيأهم بها لمثل هذا ، فلما قالوا مضيعين
 لما من عليهم من غريزة العقل استحقوا في مجارى عاداتنا لاختيارهم طاعة
 العدو - مع تعيب علم العواقب عنهم - أن يخذلوا و يسلط عليهم ليكون
 أخدم في الظاهر ممن أطاعوه في الباطن ، و لو أنهم استمسكوا بدينهم
 و كانوا مع أهله يدا على من سواهم لم يقدر عليهم عدو ، و لا طرقهم
 ١٥ طارقة يكرهونها سوء .

(١) سقط من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هذه
 السورة (٣-٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كالغشى عليهم (٤) زيد من
 م و مد (٥-٥) من مد ، و في الأصل و ظ : أرسلنا الأمان ، و في م : أرسلنا
 للأمان (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : باسط منه (٧-٧) من ظ و م
 و مد ، و في الأصل : في الدين (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تغايب .
 (٩) زيد بعده في الأصل : أبدا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .

ولما كان من له أدنى عقل لا يخون إلا [إذا - ^١] ظن أن حياته^٢
تخفى ليأمن عاقبتها، صور قاحة ما ارتكبه فقال: ﴿واقه﴾ أى
قالوا ذلك والحال أن الملك الأعظم المحيط بكل شيء علما وقدره
﴿يعلم﴾ على^٣ مر الاوقات ﴿اسرارهم﴾ أى كلها هذا الذى [أنشأه - ^٤]
عليهم وغيره مما فى ضمائرهم^٥ لما لم يبرز على ألسنتهم، ولعلمهم لم يعلموه^٥
[هم - ^٦] فضلا عن أقوالهم التى تحدثت بها ألسنتهم، فبان بذلك أنه
لا أديان لهم ولا عقول ولا مروءات.

ولما بين تعالى إحاطة علمه بهم، أتبعه إحاطة قدرته فقال تعالى
مسيا عن خيانتهم وهم فى القبضة بما لا يخفى مما يريدون به صيانة أنفسهم
عن القتل معبرا بالاستفهام تنبيها على أن حالهم^٦ بما يجاوزون^٧ به على^{١٠}
هذا الاستحقاق له من البشاعة والقباحة والفظاعة^٨ ما يحق^٩ السؤال
عنه لأجله [فقال - ^٤]: ﴿فكيف﴾ أى حالهم ﴿إذا توفهم المأسكة﴾
أى قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم^٩ كاملة، فجازتها
إلى دار الجزاء مقطوعة عن جميع أسبابهم [وأنسابهم - ^٩] فلم ينفعهم
تقاعدهم^{١٠} عن الجهاد فى تأخير^{١١} آجالهم، وصور حالهم وقت توفهم^{١٥}

-
- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ: خيانتهم.
(٣) سقط من م (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: لما.
(٦ - ٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فيما يجاوزونه (٧) من ظ و م
ومد، وفى الأصل: الفظاظة (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يخف -
كذا (٩) وقع فى الأصل بعده رسلنا « والترتيب من ظ و م ومد.
(١٠) من مد، وفى الأصل و ظ و م: مقاعدهم (١١) من م ومد، وفى
الأصل و ظ: تأخر.

فقال: ﴿يضربون﴾ أى يتابعون فى حال التوفية ضربهم ﴿وجوهمهم﴾
التي هى أشرف جوارحهم التي جنبوا عن الحرب صيانة [لها - ١] عن
ضرب الكفار . ولما كان حالهم فى جنبهم مقتضيا لضرب الأتقاء ،
صوره بأشنع صورته فقال: ﴿وادبارهم﴾ التي ضربها أدل ما يكون
هـ على هوان المضروب وسفاته ثم^٢ اتصل بعد ذلك [آلامهم وعذابهم
وهوانهم إلى ما لا آخر له .

ولما كان كفران النعم يوجب - ٢ [مع إجلال النعم^١ إبطال ما
تقدم من الحمد قال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الإهانة من [فعل - ١]
رسلنا [بهم - ٢] ﴿بأنهم اتبعوا﴾ أى عاجلوا فطرم الأولى فى أن
١٠ تبعدوا^١ عناداً منهم^٢ ﴿ما أسخط الله﴾ أى الملك الأعظم وهو العمل
بمعاصيه من موالاته أعدائه ومناوأة أوليائه وغير ذلك .

ولما كان فعل ما يسخط قد يكون مع / الغفلة عن أنه يسخط ،
بين أنهم ليسوا كذلك فقال تعالى: ﴿وكرهوا﴾ أى^١ بالإشراك
﴿رضوانه﴾ بكراهتهم [أعظم - ١] أسباب رضاه وهو الإيمان ،
١٥ فهم لما دونه بالتعود عن سائر الطاعات أكرهه ، لأن ذلك ظاهر غاية

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : صهم (٣) زيد من
ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : التعم (٥) من ظ وم
ومد ، وفى الأصل : اتبعوا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ وم ومد .
(٧) سقط من ظ وم ومد (٨) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى
ظ وم ومد فحذفناها .

الظهور في أنه مسخط قاعله^١ مع ذلك غير معذور في ترك النظر فيه
 (فاحبط) أى فلذلك تسبب عنه أنه أفسد (أعمالهم) الصالحة
 فأسقطها بحيث لم يبق لها وزن^٢ أصلا لتضييع الأساس من مكارم
 الأخلاق من قرى الضيف والأخذ بيد الضيف والصدقة والإعتاق
 وغير ذلك من وجوه الإرفاق .

٥

ولما صور سبحانه ما أثرته خياتهم بأقبح صورته ، فإن [به - ٢]
 أنه ما حملهم على ما فعلوه إلا جهلهم وسفاهتهم ، فأنتج إهانتهم بالتبكيك
 فقال عاطفا على ما تقديره : أعللوا حين قالوا ما يسخطنا أنا نعلم سرهم
 وبحوام ، وأن قدرتنا محيطة بهم^٣ ليكونوا قد وطنوا أنفسهم على أنا
 نظهر للناس ما يكتُمونه وناخذهم أخذنا ويلا فيكونوا أجهل الجبهة : ١٠
 (ام) حسبوا لضعف عقولهم - بما أفهمه التعبير بالحسبان - هكذا كان
 الأصل ، ولكنه عبر بما دل على الآفة التي أدتهم إلى ذلك فقال تعالى :
 (حسب الذين في قلوبهم) التي إذا فسدت فسد جميع أجسادهم
 (مرض) أى آفة لا طب لها^٤ حسبانا هو^٥ في غاية الثبات بما دل عليه
 التأكيد في قوله سبحانه وتعالى : (ان لن يخرج الله) أى يبرز من هو ١٥
 محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وقاعله (٢) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : وزنا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، وفي الأصل : و ظ :
 بنا (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حسبانهم (٦) زيد في الأصل :
 الجمال والعظمة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿اضفانهم ه﴾ أى ميلهم و ما
 يبطونهم [فى -^١] 'دواخل أكشاحهم' من اعوجاجهم الدال على احقادهم،
 وهى أنهم كآتمون عداوة فى قلوبهم مصرون عليها يترقبون الدوائر
 لانتهاز فرصتها، ليس الامر كما توهموا بل الله يفضحهم و يكشف تلبسهم .
 ٥ ولما^٢ علم من ذلك إحاطة علمه سبحانه و تعالى و شمول قدرته علم
 ما له سبحانه من باهر العظمة و قاهر العزة، فنقل الكلام إلى أسلوبها تنديها
 على ذلك عاطفا على ما تقديره: خابت^٣ ظنونهم و قالت^٤ آراؤهم فلنخرجن^٥
 ما يبالفون فى ستره حتى لاندع منه شيئا يريدون إخفاءه^٦ إلا كشفناه
 و أبدياته للناس و أوضناه، فانا نعلمهم و نعلم ذلك منهم من قبل أن
 ١٠ نخلفهم، فلو نشاء لفضحنهم حتى يعرفهم الناس أجمعون، فلا يخفى منهم
 أحد على أحد [منهم -^٨] فقال تعالى: ﴿ولو﴾ و يجوز أن تكون
 واوه للحال أى أم حسبوا ذلك و الحال أنا لو ﴿نشاء﴾ أى وقعت
 منا مشيئة الآن أو قبله أو بعده . ولما كانوا لشدة جهلهم لا يتصورون
 أن سرائرهم كلها معلومة مقدور / على أن يعلمها بشر^٩ مثلهم، أكد قوله:

/ ٨٢٨

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: داخل
 حشائهم (٣) زيد فى الأصل: كان قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 لحذفناها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: حات (٥) من مد، وفى الأصل
 و ظ و م: قالت (٦) زيد فى الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة فى م و مد
 لحذفناها (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خفاءه (٨) زيد من م و مد .
 (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بشد .

(لَا رَيْبَ لَكُمْ) 'أى رؤية تامة كاشفة لك الغطاء عنهم' (فلعرفهم)
 أى فتعقبت رؤيتك لإيام معرفتك لهم أنت بخصوصك (بسينهم) 'أى
 بسبب علاماتهم التى نجعلها عالية عليهم [غالبه لهم - '] فى إظهار
 ضمايرهم عليها لا' يقدرون على مدافعتها بوجه ، ولم يذكرهم سبحانه بأسمائهم
 إبقاءً على قراباتهم المخلصين من الفتن .

و لما انقضى ما علق بالمشية بما كان ممكنا له فى الماضى وغيره ،
 عطف عليه ما يحزه له مما كشف من أمرهم فى المستقبل فقال مؤكدا
 لاستبعاد من يستبعد ذلك منهم أو ممن شاركهم فى مرض القلب من
 غيرهم فقال فى جواب قسم محذوف دل عليه باللام : (ولتعرفهم)
 أى بعد هذا الوقت معرفة تتجدد بحسب تجديد أقوالهم مستمرة باستمرار ١٠
 ضمايرهم الحية وإسرارهم (فى لحن القول) أى الصادر منهم ، ولحنه
 فحواه أى معناه ومذهبه [و - '] ما يدل عليه ويلوح به من مثله
 عن حقائقه إلى عواقبه وما " يؤل إليه " أمره مما يخفى على غيرك ،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٢) زيد من م ، ومد (٣) من
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م :
 انفا (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المخلصون (٦) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : شاكلهم (٧) زيد فى الأصل : بقوله تعالى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م ومد لاختلافها (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
 القول (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : نجواه (١٠) زيد من ظ و م ومد
 (١١-١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يدل عليه .

وقال ابن برجان : هو ما تنحو إليه بلسانك أى تميل إليه ليقط لك صاحبك وتخفيه على من لم يكن له عهد بمرادك ، وعلى القول بالتحقيق فلحن القول ما يبدى من غرض الكلام وخفيات الخطاب وسباق اللفظ وهمة السخنة حال القول وإن لم يرد المتكلم أن يظهره ولكنه على هـ الأغلب يقله حالا ، فلا يقدر على كل كتبه وإن كان فى تكليمه معتمدا على ذلك ، وحقيقته حال بلوح عن السر وإظهار كلام الباطن يكاد يناقض كلام اللسان بحال خفية ومعان يقف عليها باطن التخاطب [و - ٢] قال :

ولقد لحنت لكم لكىما تفقهوا" ولاحن يعرفه ذوو الالباب

١٠ وقال [آخر - ٢] :

عينك قد دلتنا عيناى منك على أشياء لولا مما ما كنت أدريها
وقال أبو حيان : كانوا اصطلاحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم بما ظاهره حسن ويعنون به القبيح ، وقال الأصمهانى :
وقيل للخطيئة : لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب : وقال البغوى :

١٥ للحن^١ وجهان^٢ : صواب [و خطأ - ١] . فالفعل من الصواب لحن بلحن

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تمثل (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يتناقص (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من مد ، وفى الأصل وظ وم : تفهموا : ٥ ، من م ومد ، وفى الأصل وظ : دلتنا (٦) راجع البحر المحيط ٨/٨٠ .
(٧) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ١٥٣ (٨) من م ومد والمعلم ، وفى الأصل وظ : للاحن (٩) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن الزيادة فى م ومد والمعلم لخذناهما (١٠) زيد من ظ وم ومد والمعلم .

لحنا فهو لحز - إذا فطن^١ للشيء، و الفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا
 فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، [قال -^٢] : فكان
 بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا عرفه، وقال
 الثعلبي: وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، [كان يعرفهم بسيماهم،^٥
 ولقد كنا في غزوة وفيها سبعة من المنافقين -^٢] يشكروهم^٦ الناس فناموا
 ذات ليلة وأصبحوا على جهة كل واحد منهم مكتوب "هذا منافق"
 ومثل ابن عباس رضي الله عنهم بقولهم "ما لنا إن اطعنا من الثواب"
 قال: ولا / يقولون: [ما لنا -^٥] إن عصينا من العقاب^٦.

٨٢٩ /

ولما أخبر سبحانه أنه يعلم ظواهرهم وبواطنهم، وأنه يجليهم لنبيه^{١٠}
 صلى الله عليه وسلم في صور ما يخفوه من أقوالهم، وأكد ذلك
 لعله بشكهم^٧ فيه، واجههم بالتبكيك زيادة في إهانتهم عاما لغيرهم إعلاما
 بأنه محيط بالكل^٨ فقال عاطفا على ما تقديره: فأنه يعلم أقوالكم:
 (والله) أي بما له من صفات الكمال^٩ (يعلم أعمالكم^{١٠}) كلها الفعلية
 والقولية جليها وخفيها، علما^{١١} ثابتا غيبيا وعلما^{١٢} راسخا شهوديا يتجدد^{١٥}

- (١) من م ومد والمعلم، وفي الأصل و ظ : تفظن (٢) زيد من م ومد
 والمعلم (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ : شكرهم.
 (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل : العقبات.
 (٧) من م ومد، وفي الأصل : بشكرهم (٨) من م ومد، وفي
 الأصل : لكل (٩) سقط من م ومد (١٠) زيد في الأصل : شائيا،
 ولم تكن الزيادة في م ومد مخذلتاها.

بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك .

ولما أخبر سبحانه أنه يعرفهم لديه صلى الله عليه وسلم ، أتبعه
الإخبار بأنه يعرفهم لسكافة المؤمنين أيضا ، فقال مؤكدا لأجل ظنهم
أن عندهم من الملكة الشديدة و العقل الرصين ما يخفون به أمورهم :
هـ ﴿ ولنبولونكم ﴾ أى نعاملكم معاملة المتلى بأن نخاطبكم بما لنا من صفات
العظمة بالأوامر الشديدة على النفوس و النواهي الكريمة إليها والمصائب ،
خلطة بملة محبة ، وهكذا التقدير فى الفعلين الآتين فى قراءة الجماعة ٢
بالنون جريا على الأسلوب الاول ، وفى قراءة أنى بكر عن عاصم بالياء
الضمير لله تعالى الذى هو محيط بصفات العظمة الراجعة إلى القهر
١٠ وغيرها من صفات الإكرام* الآتلة إلى الإنعام ، فهو فى غاية المواقفة
لقراءة النون ﴿ حتى نعلم ﴾ بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا
لما كنا نعلمه علما غيبيا فستخرج ٦ من سرأركم ما كونه فيكم [وجلبناكم
عليه بما لا يعلمه أحد منكم - ٧] بل ولا تعلمونه أتم حق عليه
﴿ المجتهدين منكم ﴾ فى القتال و [فى - ٨] سائر الأعمال والشدائد
١٥ والأحوال امثالاً للامر بذلك .

ولما كان عماد الجهاد الصبر على المكروه ، قال تأكيداً لأمره :

(١) سقط من ظ و م ومد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ (٣) زيد فى الأصل :
الكمال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٤) من ظ و م ومد ،
وفى الأصل : غيره (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : القدرة (٦) من م
ومد ، وفى الأصل و ظ : فيخرج (٧) زيد من م ومد .

(والصبرين لا يحى أى على شدائد الجهاد وغيره من الإنكاد. قال القشيري :
 فبالابتلاء والامتحان تبين جواهر الرجال ، فيظهر المخلص ويتضح المذاق
 وينكشف المناق. ولما نصب معيارا للعلم بالذوات ، أتبعه مسبارا^١ للعرية
 للاختيار ، فقال عاطفا على "نظم" فى رواية الجماعة وعلى "نبو" فى
 الرواية عن يعقوب باسكان الواد : (ونبلوا اخباركم^٢) أى نخالطها^٣ بان ه
 نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحا مليحا^٤ ليظهر للناس العامل
 لله^٥ والعامل للشيطان ، فان العامل لله إذا سمي قبيحا باسم الحسن علم أن
 ذلك إحسان^٦ من الله إليه فيستحي منه ويرجع إليه ، وإذا سمي حسنة
 باسم القبيح واشتهر به علم أن ذلك لطف من الله به كيلا يدركه العجب
 أو بهاجمه الرياء فيزيد فى إحسانه ، والعامل للشيطان يزداد فى القباح^٧ :
 لأن شهرته عند الناس / محط نظره ، ويرجع عن^٨ الحسن لأنه لم يوصله
 إلى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخبر ولم يؤكد بنا ، وفى قراءة يعقوب^٩
 إشارة إلى أن إحالة حال الخبر بعد ظهور خوره أسهل من إحالة قبل
 ظهوره ، وعن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى وقال : اللهم
 لا تلبنا فانك إن بولتنا هتكت أستارنا وفضحتنا .

١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معيارا (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : انما بعلينا (٣) من م و مد ، وفى الأصل : ظ : حسنا (٤) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : احساقا .
 (٦) من م و مد ، وفى الأصل : ظ و م : بهاجه (٧) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : فى (٨) راجع نشر المرجان ٦/٦٠٦ .

ولما جرت العادة بأن الإنسان لا يعذب ولا يهدد إلا من ضره
كما تقدم من الإخبار بنكالهم وقيح أعمالهم مهتاً^٢ للسؤال عن ذلك
فاستأق قوله مؤكداً لظنهم أنهم هم الغالبون لحزب الله :
(ان الذين كفروا) أى غطوا ما دلت عليه عقولهم من ظاهر آيات الله
٥ لاسيما بعد إرسال الرسول المؤيد بواضح المعجزات صلى الله عليه وسلم
(وصدوا) أى امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم (عن سبيل الله)
أى الطريق الواضح الذى نهجه الملك الأعظم . ولما كان أكثر السياق
للساترين بكفرهم ، أدغم في قوله : (وشأقوا الرسول) أى الكامل
في الرسلية المعروف غاية المعرفة .

١٠ ولما كان سبحانه قد عفا عن إهمال الدليل العقلى على الوحداية
قبل الإرسال ، قال مثبتاً الجار إعلاما بأنه لا يغفر لمضيعة بعد الإرسال
ولو فى أدنى وقت : (من بعد ما تبين) أى غايبة التبين بالمعجز^٣
(لهم الهدى لا) بحيث صار ظاهراً بنفسه غير محتاج بما أظهره الرسول
من الخوارق إلى مبين ، ومنه ما أخبرت به الكتب القديمة الإلهية .
١٥ ولما كان المناصب للرسول إنما ناصب من أرسله ، دل على ذلك بقوله
معرباً له من انفاء دلالة على عدم التسبب^٤ بمعنى أن عدم هذا الضر

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : جرى (٢) سقط من م ومد (٣) من م
ومد ، وفى الأصل و ظ : مهتاً (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فى
كفرهم (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بالمعجز (٦) زيد فى الأصل :
أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفها (٧) من م ومد ، وفى الأصل
و ظ : التسبب .

موجود عملوا او لم يعملوا وجدوا او لم يوجدوا ' ﴿ لَنْ يَضُرَّوْا اللهَ ﴾
 أى ملك الملوك ، ولم يقل : الرسول ﴿ شيئاً ﴾ أى كثيراً ولا قليلاً
 من ضرر بما تجمعوا عليه من الكفر والصد .

ولما كان التقدير : إما ضروا أنفسهم ناجزا بأنهم أتبعوها بما
 لم 'بغن عنهم' شيئاً ، عطف عليه : ﴿ وسيحبط ﴾ أى يفسد فيبطل بوعده
 لاخلف فيه ﴿ اعمامهم ﴾ من المحاسن لبناتها من المناق [على غير اساس
 ثابت ، فهو إنما يرائى بها ، ومن المجاهر على غير - '] اساس أصلاً ،
 فلا ينفعهم شيء منها ، ومن المكاييد التى يريدون بها توهين الإسلام ونجعل
 تدميرهم بها فى تدميرهم وإن تناهوا فى إحكامها ، فلا تضرهم إلا عكس
 مرادهم سواء .
 ١٠

ولما حدى ما تقدم كله من ترغيب المخلص وترهيب المتردد
 والمبطل إلى الإخلاص ودعا إلى ذلك مع بيان أنه لا غرض أصلاً ،
 وإنما هو رحمة و لطف وإحسان [و - '] من ، أتج قوله منادياً من
 احتاج إلى النداء 'من نوع' بعد لاحتياجه إلى ذلك وعدم مبادرته ' قبله :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالسنتهم ﴿ اطيعوا الله ﴾ أى الملك ١٥

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لم يجدوا (٢-٢) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : تعرفهم (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يحبط (٤) زيد
 من ظ وم ومد (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : وسوى (٦) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : بيانه (٧) زيد من م ومد (٨-٨) من م ومد ،
 وفى الأصل وظ : بنوع (٩) من مد ، وفى الأصل وظ وم : منادته .

الاعظم تصديقا لدعواكم طاعته^١ بشدة الاجتهاد فيها / انها خالصة،
وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى: ﴿واطيعوا الرسول﴾
لان طاعته من^٢ طاعة الذى أرسله، فاذا فعلتم ذلك حققت^٣ أنفسكم
وأعمالكم كما مضى اول السورة، فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة^٤
٥ بتصحيح النيات و تصفيتها مع الإحسان للصورة فى الظاهر ليكمل العمل
صورة و روحا .

ولما كانت الطاعة قد تحمل على إقامة الصورة الظاهرة، قال منها على
الإخلاص لتكمل حسا ومعنى: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أى بمعصيتها،
فان الأعمال الصالحة إذا نوى بها ما لا يرضيها بطلت وإن كانت فى
١٠ الذروة من حسن الصورة، فكانت صورة بلا معنى، ففى مما يكون
هباء منثورا مثل ما فعل أولئك المظهرون للإيمان المبطنون للشاقة
بالتناق و الرياء و العجب و الم^٥ و الأذى و نحو ذلك من المعاصى،
ولكن السياق بسياقه و لحاقه يدل على أن الكفر هو المراد الاعظم
بذلك، والآية [من الاحتباك - ٦]: ذكر الطاعة أولا دليلا على المعصية
١٥ ثانيا، و الإبطال ثانيا دليلا على الصحة أولا، و سره أنه أمر بمبدأ^٦

(١) فى مد: طاعة (٢) زيد فى الأصل: طاعته اعنى من، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م و مد لحذفها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حقنتم (٤) من
ظ و م و مد، و فى الأصل: الطلة - كذا (٥) زيد فى الأصل: و الرياء،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد من ظ و م و مد .
(٧) من م و مد، و فى الأصل: و ظ: بهذا .

السعادة ونهى عن نهاية الفساد ثانياً، لأنه اعظم في النهى عن الفساد لما فيه من تقييح صورته و هتك سريره .

و لما دل ما أخبر به أولاً عن المشاقين على أنهم مغلوبون في الدنيا خاسرون في الآخرة، وكانت الخسارة في الآخرة مشروطة بشرط، علل ما أمر به المؤمنون هنا من الطاعة ونها عنه من إبطال الأعمال بالمعصية، [زيادة - ١] في حثهم على ما أمر به بعتين كل منهما مستقل بامثال أمره واجتناب نهيه: إحداهما عدم المغفرة، والثانية بطلان الأعمال والأموال بكون الدنيا لاحقية لها، وقدم الأولى لأن الثانية - وهى أن الدنيا لعب - كالملة الحاصلة على ما أوجبها، ومن حسن التعليم بيان الحكم ثم تعليله بأقرب ما يحمل عليه أو يصد عنه، فكأنه قيل: لا تبطلوها ١٠ بالصد عن سبيل الله الحامل عليه الإقبال على الدنيا التى هى عين الباطل، فانكم إن فعلتم ذلك فاتكم المغفرة، وذلك من معنى قوله تعالى مؤكدا لإنكارهم مضمونه: ﴿ان الذين كفروا﴾ أى أرقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دله عليه عقله من آيات الله المرئية ثم المسموعة ﴿و صدوا عن سبيل الله﴾ أى طريق الملك الأعلى الواضح المستقيم ١٥ الموصل إلى كل ما ينبغى أن يقصد كل من أراده بتمايدهم على باطلهم^٢ وأذاهم لمن خالفهم .

٨٣٢ / ولما كان هذا أمراً قبيحاً من جهات عديدة لما فيه من / مخالفة

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: أحدهما (م) من
ظ وم ومد، وفى الأصل: دل (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: باطله .

الملك الأعظم المرهوب بطشه المحذورة^١ سطوته، و من ترك الواسع^٢ إلى الضيق و المستقيم إلى المعوج و الموصل إلى الفوز [إلى -^٣] الموصل إلى الحية، فكان التماهى فيه فى غاية البعد، نه على ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿م ماتوا﴾ أى بعد المد لهم فى مضارهم بالتطويل فى أعمارهم ه ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم ﴿كفار﴾ و لما كان السبب الأعظم فى الإحباط الموت على الكفر، نبه عليه بالفاء الدالة على ربط الجزاء بالشرط و تسيه عنه فقال مؤكدا [له -^٤] لأنكارهم ذلك: ﴿فلن يغفر الله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال التى تمنع من تسوية المسىء بالمحسن ﴿لهم﴾ فلا يمحو ذنوبهم و لا يستر عيوبهم، بل يفضح سرارهم و يوهن كيدهم ١٠ و يردم على أعقابهم فى كل ما يتقلبون فيه لأنهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة، فلم يبق لهم ما يغفر لهم^٥ بسببه، و قد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من أن إحباط العمل^٦ فى المرتد مشروط بالموت على الكفر.

و لما قدم سبحانه ذم الكفرة و أنه عليهم و أنه يبطل أعمالهم فى الدنيا فى الحرب و غيرها، و ختم بأن عداوته لهم متحتمة لا انفكاك

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : المحذور (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الوسع (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : على ذلك بأداة التراخى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) سقط من مد . (٦) زيدت فى الأصل : كفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .

لها ، وكان ذلك موجبا للاجترأ عليهم ، سبب عنه قوله مرغبا لهم في لزوم الجهاد محذرا من تركه : (فلا تنهوا) أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم إلى الهوان والذل (وتدعوا) أى أعداءكم (إلى السلم قس) أى المسألة وهى الصلح (واثم) أى والحال أنكم (الاعلون عليه) على كل من ناواكم لأن الله عليهم ، ثم عطف على الحال قوله : (والله) .
 أى الملك الأعظم الذى لا يعجزه شئ ولا كفوه له (معكم) أى بنصره ومعونه وجميع ما يفعله الكريم إذا كان مع غيره ، ومن علم أن سيده معه و علم أنه قادر على ما يريد لم يبال بشئ أصلا (ولن يترك أعمالكم) [أى - ٢] فيسلبكموها فيجعلكم وترا منها بمعنى أنه يظلمها كما يفعل مع أعدائكم فى إحباط أعمالهم فيصيرون مفردين عنها لأنكم لم تبطلوا أعمالكم ١٠
 يجعل الدنيا محط أمركم ، فلا يجوز لإمام المسلمين أن يجيب^٢ إلى مسألة الكفار وبه قوة على مدافعتهم ، ولا يحل له ترك الجهاد إلا لمعنى يظهر [فيه النظر - ٢] للمسلمين ، ومتى لم يجاهد فى سبيل الله انصرف بأسه إلى المسلمين .

ولما آتم العلة الأولى أقبل على الثانية الصادة^٤ عن الطاعة القائمة ١٥
 إلى المعصية الملائمة للشهوة المبطللة للأعمال الموجبة للتهاون المؤدى إلى عدم المغفرة ، فقال مرغبا فى طاعته الموجبة للفوز الدائم ببيان قصر أيام المحنة
 (١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م و مد فحذفنا هـ (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : بحث (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الصادرة .

وتجرع مرارات المشقة^١ : ﴿ انما الحياة ﴾^٢ و أشار إلى دنائها تغيرا
عنها بقوله : ﴿ الدنيا ﴾ ولما كان مطلق العلو موجبا لأعظم اللذات

فكيف إذا كان موجب الدين الضامن لدوام اللذة / [موصولا -^٣]
دنيوها بأخروها ، وكان اللعب ما ينشأ من زيادة البسط وينقضى بسرعة

مع دلالة على الخفة^٤ كالقص ، قدمه إشارة إلى أن العاقل من يسعى
في زيادة بسط^٥ يحمل على الرزاة^٦ ويدوم ، وأتبعه^٧ اللهو^٨ لأنه ما^٩

يستجلب به السرور كالغنا إشارة إلى أنه إن كان المراد بالدنيا زيادة
بسطها فهو ينقضى بسرعة ، مع ما فيه من الرعونة ، وإن كان المراد أصل

البسط و السرور فعندكم منه بالعلو الحاصل لكم بالجهد ما هو في غاية
العظمة والجد والثبات فلا سفه أعظم من العدول عنه إلى ما إن سر

[حمل -^{١٠}] على الطيش^{١١} و انقضى بسرعة ، فقال : ﴿ لعب ﴾ أى [أعمال -^{١٢}]
ضائعة ساقطة تزيد في السرور و"يسرع اضمحلاله ، فيطل من غير ثمرة

﴿ ولهو ﴾ أى مشغلة يطالب بها إثارة اللذة كالغنا وحيرة^{١٣} و غفلة ، فإن

(١) زيد في الأصل و ظ و م : الدنيا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م
ومد ، وفي الأصل و ظ : الجنة (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : بسطه .

(٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المواوزه (٦) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : يتبعه (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فانه لما (٨) زيد من

مد (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : البطش (١٠) زيد من م و مد .
(١١) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : ما (١٢) من م و مد . وفي الأصل

و ظ : حسرة .

تتبعوها تكفروا و تبطروا و تيجرتوا^١ على الله ، [و إن تكفروا به
و تيجرتوا عليه -^٢] بطل أجوركم فلا يكون لكم [أجر -^٣] و لا مال
لأنه يبطل أعمالكم و أموالكم بكونها تصير صوراً لا معنى لها .
و لما صور سبحانه الدنيا بألذ صورها عند الجاهل و أمضها عند
العاقل ، و حاصله^٤ أنها زيادة سرور لمن كان مسروراً ، و استجلاب^٥
[له -^٦] لمن كان مضروباً ، لكنه سريع الانصرام بخلاف ثمرة^٧ الاجتماع
على الدين من سرور الملو بالإسلام ، فإنه باق على الدوام ، علم أن التقدير
بناء على ما تبع وصف الدنيا ، أو الآخرة^٨ جد و عمل و حضور فان
تقبلوا عليها تؤمنوا و تتقوا فلا تخدعنكم الدنيا على دفاءتها^٩ عن نيل
الآخرة بالجهاد الأكبر و الأصغر^{١٠} على شرفها^{١١} و شرفه ، [قال بانيا على ما ١٠
أرشد السياق إلى تقديره -^{١٢}] : (و ان تؤمنوا و تتقوا) أى تخافوا
فتجعلوا بينكم و بين غضبه سبحانه وقاية من جهاد أعدائه و مقاساة لفتح
إيقاد الحروب و حر الأمر بالمعروف و إنفاق الأموال فى ذلك ،
فتكونوا جادين فتركوا اللهو و اللعب القائدين إلى الكفر (يؤتكم)
أى الله الذى فعلتم ذلك من أجله فى الدار الآخرة (أجوركم) أى ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تنخترتوا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حاله (٤) زيد من م و مد (٥) فى م
و مد : اثمه (٦-٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالآخرة (٧) من ظ
و م و مد ، وفى الأصل : وقاتها (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن
فى ظ و م و مد فذفناها (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سرفها .

ثواب كل أعمالكم لبنائها على الأساس و لانه غنى لا ينقصه إلا عطاءه ،
والآية من الاحتباك : ذكر الحياة الدنيا واللهم واللعب أولا دال على
ذكر الآخرة و الجدة ثانيا ، و ذكر الإيمان والتقوى ثانيا دال على حذف
ضدتهما الكفران و الجرأة أولا ، و سره أن تصوير الشيء بحال الصبي
و السفيه أشد في الزجر عنه عند ذوى الهمم العالية ، و ذكر الاجر
المرتب على الخوف الذى هو فعل الحزمة أعون على تركه .

و لما كان الملعوب به الملهو منه يسأل اللاعب اللامى من ماله ،
و لا يفتن عند سؤاله ، فيكون سببا لضياع أعماله و أمواله ، بين [أن-هـ]
المعبود بخلاف ذلك فى الأمرين ، و أنه يعطى و لا يأخذ لنفسه شيئا
١٠ / ٨٣٤ : إنما أخذه أمره^٥ بمواصلة بعضهم لبعض فقال / تعالى : ﴿ و لا يستلکم ﴾
أى [الله-هـ] فى الدنيا ﴿ أموالکم ٥ ﴾ أى لنفسه و لا كلها ، و هذا مفهم
لأنهم إن لم يتقوا بما ذكر سلط عليهم من- يأخذ أموالهم بما يخرج
أضعافهم ، قال ابن برجان : متى سلوا أموالهم بخلا ، فإن أكرها
على ذلك أضعفوا أضعافا و حقائق ، و لم يكن من الإمام لهم نصيحة
١٥ و لامنهم للإمام و لالبعضهم لبعض ، و كان الخلاف ، [و-هـ] فى ذلك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م :
الحرية (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اللهم (٤) زيدت الواو فى
الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد لخذفناها (٥) زيد من مد (٦) ليس فى م
و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : امر (٨) زيد من م و مد .
(٩) زيد من ظ و م و مد .

الحالقة ، و هو إنذار منه سبحانه بما يكون بعد ، و ما أنذر شيئا إلا كان منه ما شاء الله .

- و لما كان الإنسان ، لما جبل عليه من نقصان ، قد يهلك جميع أمواله لهوا و لعبا بالمقامرة و نحوها ، و لا ينهيه ذلك بل لا يزيد به إلا إقبالا رجاء أن يظفر ، و لو سئل جميع ماله في الطاعة لبخل ، قال تعالى هـ
- ذاكرا لهم ذلك تنبيها عليه و إيماء إلى حله تعالى عنهم و تحييه إليهم معللا ما قبله : (ان يستلكموها) أى الاموال كلها ، و لما كانت الاموال قد تطلق على معظمها ، حقق المعنى بقوله : (فيخفكم) أى بالغ في سؤالكم و يبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك (تبخلوا) فلا تعطوا شيئا (ويخرج) أى الله أو المصدر المفهوم من " تبخلوا " ١٠
- بذلك السؤال (اضغانكم) أى ميلكم عنه حتى يكون آخر ذلك عداوة و حقد ، و قد دل ' إضافة الاضغان إلى ضميرهم أن كل إنسان ينطوى بما له من النقصان ، على ما جبل عليه من الاضغان ، إلا من عصم الرحيم الرحمن ، قال الرازى : و هذا دليل على ان العبد إذا منع في مواسم الخيرات سوى الزكاة لم يخرج من البخل ، فخذ البخل منع ما يرتضيه ١٥
- الشرع و المروءة فلا بد من مراعاة المروءة و رفع قبح الاحدوثة ، و ذلك يختلف باختلاف الاشخاص ، و قد المادة مهما ظهر له أن فائدة البذل
-
- (١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : كان (٢) زيد في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : احس .
- (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ذلك ايضا أن (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : منها .

أعظم من فائدة الإمساك ثم^١ يشق عليه البذل فهو بخيل محب للمال، و المال لا ينبغي أن يحب لذاته بل لفائدته، و حفظ المروءة^٢ أعظم و^٣ أفضل و أقوى من التعم بالاكل الكثير مثلا .

ولما أخبر يخلهم لو سئلوا جميع أموالهم أو أكثرها، دل عليه
 ٥ بمن يخل منهم عما سأله [منهم - ٢] و هو جزء يسير [جدا - ٢]
 من أموالهم، فقال منبها لهم على حسن تدبيره لهم و عفوهم عنهم عند
 من جعل "ها" للتنبيه، و من جعل الها بدلا من همزة استفهام جعلها
 للتوبيخ و التقرير، لأن من حق من دعاه مولاه أن يبادر للإجابة
 مسرورا فضلا أن يخل، و في هاء التنبيه و لاسيما عند من يرى تكررها
 ١٠ تأكيد لاجل استبعادهم أن أحدا يخل عما يأمر الله به سبحانه :

(هَاتِم) و حقر أمرهم أو أحضره في الذم و صورته بقوله :
 (هؤلاء تدعون) [أى - ٢] إلى ربكم الذى لا يريد بدعائكم إلا قمعكم،
 و أما هو فلا بلحقه قمع و لا ضر^١ (لتنفقوا) شيئا يسيرا من الزكاة
 و هى^٢ ربع العشر و نحوه، و من نفقة الغزو^٣ و قد يحصل من الغنيمة
 ١٥ أضعافها و الحج و قد^٤ يحصل من المتجر أو أكثر، و قد عم ذلك و غيره

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل : لم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقبن
 من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : الهاء .
 (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : من به استفهام (٦) من ظ و م و مد،
 و في الأصل : ضرر (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ : هو (٨) من م
 و مد، و في الأصل و ظ : العشر (٩) من ظ و مد، و في الأصل و م : ما .
 قوله (٦٧)

قوله : ﴿ و سبيل الله ﴾ اى الملك الاعظم الذى / يرجى خيره و يخشى
ضيره ، بخلاف من يكون و ما يكون به اللهو و اللعب .

و لما أخبر بدعائهم ، فصلهم فقال تعالى : ﴿ فتم ﴾ اى أيها المدعون

﴿ من يخل ﴾ و هو منكم لاشك فيه ، و حذف القسم [الآخر - ']

و هو « و منكم من يهود ، لأن المراد الاستدلال على ' ما قبله من هـ

البخل . و لما كان بخله عن أعطائه المال بجزء^٢ يسير منه إنما طلبه ليقع

المطلوب منه فقط ، زاد العجب بقوله : ﴿ و من ﴾ اى و الحال أنه

من ﴿ يخل ﴾ ' بذلك ﴿ فانما يخل ﴾ اى بجماله بخلًا صادرا ﴿ عن نفسه ' ﴾

' التى هى منبع الدنيا ، فلا تنفس و [لا - '] تنفس إلا فى الشيء الحسيس ،

فان تقع ذلك الذى طلب منه فخل به إنما هو له ، و أكدده لأنه لا يكاد ١٠

أحد يصدق أن عاقلا يتجاوز بجماله عن تقع نفسه ، ولذا حذف « و من

يحد فانما يحد على نفسه ، لفهمه عن السياق و استغناء الدليل عنه ، هذا

و الأحسن أن يكون " يخل " متضمنا " يمسك " ثم حذف " يمسك "

و دل عليه بحال محدودة دل عليها التعدية بمن .

و لما كان سؤال المال قد يوم شيئا ، قال مزبلا له مقررا " لأن بخل " ١٥

الإنسان إنما هو عن نفسه عطفا على ما تقديره : لأن ضرر بخله إنما^٣

(١) زيد من مد (٢) و من هنا انقطعت نسخة م إلى سورة المجادلة (٣) من ظ

و مد ، و فى الأصل : يجبرى (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ

و مد فحذفناها (هـ - هـ) من ظ و مد ، و فى الأصل : البخل من (٦) زيد فى

الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يعود عليه و هو سبحانه لم يسألكم ذلك لحاجته إليه ولا إلى شيء منكم، بل لحاجتكم إلى الثواب، و هو سبحانه قد بنى أمور هذه الدار كما اقتضته الحكمة على الأسباب: ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ الغنى ﴾ أى وحده ﴿ وانتم ﴾ أيها المكلفون خاصة ﴿ افقرآء ﴾ لأن العطاء ينعمكم والمنع يضركم. فمن افتقر منكم إلى فقير مثله وقع فى الذل و الهوان، و قد جرت عادتكم أن يداخلكم من السرور ما لا يجد إذا طلب من أحد منكم [أحد -] من الاجواد^٥ الأغنياء شيئا طمعا فى جزائه، فكونوا كذلك و أعظم إذا طلب منكم الغنى المطلق .

١٠ ولما كان التقدير: فان قبلوا بنولكم تفلحوا، عطف عليه قوله مرهبا لأن الترهيب أودع: ﴿ وان تولوا ﴾ أى توقعوا التولى عنه تكلفوا أنفسهم ضد^٦ ما تدعو إليه الفطرة الأولى من السماح بذلك الجزاء اليسير جدا الموجب للثواب الخطير و الفوز الدائم، و من الجهاد فى سبيله، و القيام بطاعته، لكونه المحسن الذى لا يحسن فى الحقيقة غيره ١٥ ﴿ يستبدل ﴾ أى يوجد ﴿ قوما ﴾ فيهم قوة و كفاية لما يطلب منهم محاربه .

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
فحذفنا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٤) زيد من مد (هـ) من ظ
و مد، و فى الأصل: الاجود (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تكفوا .
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عند .

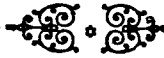
و لما كان ذلك منهما انهم غيرهم ، لكنه لا يمنع ان يكونوا - مع كونهم غير أعيانهم - ' من قومهم أو أن يشأ دونهم في الصفات وإن كانوا من غير قومهم ، به على أنهم يكونون ' من غير قومهم و على غير صفاتهم ، بل هم أعلى منهم درجة و أكرم خليفة و أحسن فعلا فقال تعالى : ﴿ غيركم لا ﴾ أى بدلا منكم و هو على غير صفة التولى ' . ٥

و لما كان الناس متقاربين في الجبلات ، و كان المال محبوبا ، كان من المستبعد جدا أن يكون هذا البذل على غير ما هم عليه ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك بحرف التراجى ' تأكيد لما أفهمه ما قلته من التعبير بـ "غير" و تثيتا [له - '] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد استبعاد من يستبعد [و - °] علو المهمة في مجاوزة جميع / عقبات ' النفس و الشيطان : ١٠ / ٨٣٦

﴿ لا يكونوا أمثالكم ﴾ في التولى عنه بترك شيء مما أمر به أو فعل شيء ' مما نهى [عنه - °] ، و من قدر على الإيجاد قدر على الإعدام . بل هو أهون في مجارى العادات ، فقد ثبت [أنه - °] سبحانه لو شاء لا تنصر من الكفار ، إما باهلاكهم ^٨ أو إمامه ^٩ بناس غيركم ' بضرب رقابهم و أسرهم ، و غير ذلك من أمرهم ، و ثبت بمواصلة ذم الكفار مع قدرته عليهم ١٥

-
- (١-١) سقط ما بين الرقین من مد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : التوالى .
 (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : الترجى (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ
 و مد (٦) زيد في الأصل و ظ : ما قلته من التعبير ، ولم تكن الزيادة في مد
 لحذفها (٧) من مد ، وفي الأصل : غفلات ، و في ظ : عقاب (٨-٨) في ظ :
 أو (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : غيرهم .

أنه أبطل أعمالهم ، فرجع بذلك أول السورة إلى آخرها . و عاتق
 موصلها ما ترى من مفصلها ، و علم أن معنى هذا الآخر و ذلك الأول
 أنه سبحانه لا بد من إذلاله للكافرين و إعزازه للمؤمنين لأنهم إن أقبلوا
 على ما يرضيه فجاهدوا نصرهم نصرا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى " إن تنصروا
 ٥ الله ينصركم و يثبت أقدامكم " و إن تولوا^١ أتى بقوم غيركم^٢ يقبلون عليه
 فيصدقهم وعده ، فصار خذلانهم^٣ أمرا متحتمًا ، و هو معنى أول سورة
 الفتح - و الله الموفق لما يريد من الصواب^٤ .



(١) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لتحذفناها (٢) في ظ
 و مد : تولوا (٣) في مد : غيرهم (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : حدانه .
 (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : السورة (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من
 ظ و مد .

سورة الفتح

مقصودها مدلول اسمها الذي يعنى فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية
 وفتح خيبر ونحوهما ، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على
 أهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرقة من إسلام أهل جزيرة العرب
 وقاتل أهل الردة وقروح جميع البلاد الذى يجمعه كله إظهار الدين على
 الدين كله ، وهذا كله فى غاية الظهور بما نطق به ابتداءها و انتهاءها
 فى مواضع منها " لقد صدق الله رسوله الربا بالحق " الآية و انتهائها
 " ليظهر على الدين كله " " محمد رسول الله " إلى قوله " ليغيظ بهم الكفار "
 أى بالفتح الأعظم و ما دونه من " الفتوحات " و وعد الله الذين آمنوا
 و عملوا الصالحات منهم مغفرة - كما كان فى أولها للرسول صلى الله عليه
 وسلم - [و ٢] أجرا عظيما " كذلك " بساتر الفتوحات و ما حوت من
 الغنائم للثواب الجزيل على ذلك فى دار الجزاء " (بسم الله) الملك
 الأعظم المحيط بكل شئ ، قدرة و علما (الرحمن) الذى عم المكلفين
 بنعمة الوعد و الوعيد (الرحيم) الذى اختص أهل حزبه لإقامة دينه
 الحق فأظهرهم على سائر العبيد .

١٥

لما كانت تلك سورة الجهاد^١ و كانت هذه سورة الفتح بشارة

(١) الثامنة و الأربعون من سور القرآن الكريم ، مدنية و عدد آياتها ٢٩ - راجع
 نثر المرجان ١/ ٦١٤ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفى الأصل
 وإظ : لذلك (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من
 ظ و مد (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : و لما (٨-٨) من مد ، وفى الأصل
 و ظ : السورة للجهاد .

للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز و 'النصر و الظفر' على كل
 من كفر، وهذا كما سيأتي من إيلاء سورة النصر لسورة الكافرون،
 فأخبرت القتال عن 'الكافرين' بإبطال الأعمال و التدمير و إهلاكهم
 بالقتال، و إفساد جميع الأحوال، و عن الذين آمنوا بما نزل على محمد
 صلى الله عليه و سلم بالهداية و إصلاح البال، و ختمها بالتحريض على
 مجاهدتهم بعد أن ضمن لمن نصره منهم النصر و تثبيت الأقدام، و هدد
 من أعرض باستبدال غيره به، و أن ذلك البديل لا يتولى عن العدو
 و لا ينكل عنه، فكان ذلك محتملا لسفول الكفر و علو الإيمان، و ذلك
 'بعينه هو' الفتح المبين، [فافتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله
 ١٠ مؤكدا إعلاما بأنه لا بد منه و أنه -] مما ينبغي أن يؤكد لابتهاج النفوس
 / الفاضلة به، و تكذيب من في قلبه مرض^١ و هم أغلب الناس في ذلك
 / ٨٣٧ الوقت : (إنا) أى بما لنا من العظمة التى لا تثبت لها الجبال (فتحنأ)
 أى أوقننا الفتح المناسب لعظمتنا لكل متعلق باتقان^٢ الأسباب المنتجة
 له من غير شك، و لذلك عبر عنه بالماضى .
 ١٥ و لما كانت منفعة ذلك له صلى الله عليه و سلم لأن إعلاء كلمة الله
 سيكون به فعلية و يمتلىء الأرض من أمنه، فلا يعمل منهم أحد حسنة
 (١-١) فى ظ و مد : الظفر و النصر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يأتى .
 (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : على (٤ - ٤) فى مد : هو بعينه (٥) زيد من
 مد (٦) من مد، و فى الأصل : شك، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) من مد،
 و فى الأصل و ظ : بإيقان .

إلا كان له مثل أجرها و يكونون على قصر زمنهم ثلثي أهل الجنة ، فيكون ذلك شرفا له - إلى غير ذلك من الأسرار ، التي يعي دون أسرها الكفاد ، قال : (لك) أى يصلح الحديدية في ذى القعدة سنة ست من الهجرة التي نزلت هذه السورة في شأنه ، يصحبان في الرجوع منه إلى المدينة المشرفة^١ ، قال الأزهري : لم يكن فتح أعظم من صالح الحديدية ، و ذلك ه أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فأروا ما لا أعدل منه ولا أحسن ، فاستولى الإسلام على قلوبهم و تمكن منهم [فأسلم منهم -^٢] في ثلاث سنين خلق كثير . وكذا كان من الفتح تقوية أمره صلى الله عليه وسلم بالتصديق فيما أنزل^٣ عليه من سورة من غلبهم على أهل فارس في رواية من قال : إنه كان في زمن الحديدية ، ثم زاده تأكيداً ١٠ بقوله : (فتحا) وزاد في إعظامه بقوله : (مينا لا) أى لا لبس فيه على أحد ، بل يعلم كل ذى عقل به أنك ظاهر على جميع أهل الأرض لأنك كنت وحدك ، وكان عند أهل الكفر أنك في أيديهم ، و أن أمرك لا يبعد فك ، فتبعك فاس ضعفاء فغذبوهم و كانوا معهم في أسوأ الأحوال ، و تقرر ذلك في أذهانهم مدداً طويلاً ثلاث عشرة سنة ، ثم ١٥ إنقذ الله أتباعك منهم بالهجرة إلى النجاشي رحمه الله تعالى أولاً ، و إلى

(١) في الأصل و ظ : الشريعة (٢) زيد من ظ و مد إلا أن « منهم » ليس في مد (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : نزل (٤) سقط من ظ (٥) زيد في الأصل و ظ : اسرا ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : طويلاً .

المدينة الشريفة ثانياً ، وهم مطمئنون بأنك أنت - وانت راسهم - لا ينظم لهم بدونك أمر ، ولا يحصل لكسركم^١ ما لم تكن معهم جبر ، بأنك في قبضتهم لا خلاص لك أبداً منهم ولا انفكاك من بلدتهم ، فاستخرجك الله من عندهم بعد أن حاك على خلاف القياس و أنت بينهم من أن يقتلوك ، مع اجتهدهم في ذلك واستفراغهم قواهم في أذاك^٢ ، ثم بذلوا جهدهم في منعك من الهجرة فاقدرُوا ، ثم [في -^٣] ردك فاطاقوا ولا فازوا ولا ظفروا . بل غلبوا وقهروا ، ثم أيدك بأنصار أبرار أخيار فكنتم على قتلکم^٤ كالليوث الكواسر والبحار الزواجر . ما ملتم على جهة إلا غرتموها ، وفزتم بالنصف^٥ من أربابها^٦ قتلتموها^٧ أو أسرتموها^٨ ولم تزالوا تزدادون وتقوون ، وهم ينقصون ويضعفون ، حتى أتيتهم^٩ في بلادهم التي هم قاطعون بأنهم ملوكها . يتعذر على غيرهم غلبهم عليها بل سلوكها^{١٠} ، فادفعوكم عن الدخول عليهم إلا بالراح ، وسألوكم في^{١١} وضع الحرب للدعة والإصلاح ، فقد ظهرت أعلام الفتح^{١٢} ثم ظهور ، وعلم أرباب القلوب أنه لا يد أن تكون / في امتطائكم^{١٣} الذرى وسموكم إلى رتب المعالي

/ ٨٣٨

(١) من مد ، وفي الأصل و ظ بهم (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لكثيرهم (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : ذاك (٤) زيد من مد (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : قتلکم (٦-٧) في ظ : باربابها (٧-٨) من مد ، وفي الأصل : أو سرتموها ، وسقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : أيتموهم (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : سلوكها . (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ : سلوكهم فن (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ : انتظامكم .

أمور و أئى أمور، و روى الإمام أحمد^١ [عن - '] بجمع بن جارية
الانصارى رضى الله عنه قال : شهدنا الحديدية مع النبى صلى الله عليه
و سلم، فلما انصرفنا منها إذا^٢ الناس يهزون الأباغر فقال بعضهم : ما
بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قاله : فخرجنا
نوجف^٣، فوجدنا النبى صلى الله عليه و سلم واقفا على راحلته [عند كراع - °] ه
الغميم، فلما اجتمع عليه^٤ الناس قرأ ” انا فتحنا لك فتحا مبينا “ فقال عمر
رضى الله عنه : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : نعم، و الذى نفسى بيده.
و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتى قبلها
واضح من جهات - و قد يغمض بعضها - منها أن سورة القتال لما
أمروا فيها بقتال عدوهم فى قوله تعالى ” فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب “ الآية، و أشعروا^٥ باللعنة عند وقوع الصدق فى قوله ” ان
تنصروا الله ينصركم “ استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حال العاقبة
فعرفوا ذلك فى هذه السورة فقال تعالى ” انا فتحنا لك فتحا مبينا “ - الآيات،
فعرف تعالى نيه صلى الله عليه و سلم بعظيم صنعه له، و أتبع ذلك بشارة
المؤمنين العامة فقال ” هو الذى ازل السكينة فى قلوب المؤمنين “ - ١٥
الآيات^٦، و التحمت إلى التعريف بحال من نكت من مبايعته صلى الله

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٦ / ٤١ (٢) زيد و لابد منه (٣) من مد و الفير،
و فى الأصل و ظ : اذ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : ترجف (٥) زيد
من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : إليه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ :
اشعر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : الآية .

عليه وسلم ، وحكم المخلفين من الاعرا ، والحض على الجهاد ، وبيان حال ذوى الأعذار ، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيته "لقد رضى الله عن المؤمنين" وأثابهم الفتح وأخذ المغانم^١ وبشارتهم بفتح مكة "لندخلن المسجد الحرام" إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم ه وذكرهم في التوراة والإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ، ووجه آخر [و - ٢] هو أنه لما قال الله تعالى في آخر سورة القتال "فلا تنهوا و تدعوا الى السلم و انتم الاعلون و الله معكم و لن يترك اعمالكم" كان هذا إجمالا فى عظيم ما منحهم و جليل ما أعطاهم ، فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الإجمال و بسطه ، وهذا يستدعى من بسط الكلام ما ١٠ لم يعتمد^٢ فى هذا التعليق ، و هو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات فى الوجه الاول ، و وجه آخر مما يغمض و هو أن قوله تعالى "و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم" ثم لا يكونوا امثالكم " إشارة إلى من يدخل فى ملة الإسلام من الفرس و غيرهم عند تولى العرب ، و قد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ١٥ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه" - الآيات ، و أشار إلى ذلك عليه الصلاة و السلام : وبل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج و ما جوج مثل هذا - و عقد السبابة بالإيهام ، أشار عليه الصلاة و السلام

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الغنائم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعتمد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم . (٥) فى ظ : ما .

إلى تولى العرب واستيلاء غيرهم الواقع في الآيتين، وإنما إشار عليه
 الصلاة والسلام 'بقوله 'اليوم' إلى التقديم والتأخير، وفرغ هذا الأمر
 إلى أيام أبي جعفر المنصور، فغلبت / الفرس والأكراد و أهل الصين
 ٨٣٩ / وصين الصين - وهو ما يلي ياجوج وماجوج - وكان فتحا وعزا وظهورا
 لكلمة الإسلام، و' غلب هؤلاء في الخطط والتدبير الإماري و سادوا ه
 غيرهم، ولهذا جعل صلى الله عليه وسلم مجيئهم فتحا فقال "فتح اليوم"
 ولو أراد غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة رضى الله
 عنهما في حديث الفتن حين قال له 'إن يهلك و بينها 'بابا مغلقة' فقال
 عمر : أفتح ذلك ' الباب أم يكسر ؟ فقال : بل يكسر . ففرق بين
 الفتح والكسر، وإنما أشار إلى قتل عمر رضى الله عنه، ولذا قال عليه ١٠
 الصلاة والسلام "فتح" وقال "من ردم ياجوج وماجوج" وأراد
 من نحوم و جهنم و أقاليمهم، لأن الفرس و من أتى معهم هم أهل
 الجبهات التي تلى الردم، فعلى هذا يكون قوله " تعالى " وان تتولوا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) من مد، وفي الأصل وظ : باليوم.
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : أتى (٤-٤) من ظ و مد، وفي الأصل :
 النفوس والأكدار (٥) زيد في الأصل : هو، ولم تكن الزيادة في مد
 لحذفنا (٦) من مد، وفي الأصل وظ : انتدبر (٧) من ظ و مد، وفي
 الأصل : الاماري (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : كان (٩) من ظ و مد،
 وفي الأصل : قبل (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : لك (١١) زيد في الأصل :
 صلى الله عليه وسلم قوله، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

يستبدل قوما غيركم^١“ إشارة إلى غلبة من ذكرنا و انتشارهم في الولايات^٢
و الخطط الدينية و المناصب العلمية . و لما كان هذا قبل أن يوضح أمره
يوم نقصا و خطأ ، بين أنه تجديد فتح و إعزاز منه تعالى لكلمة الإسلام ،
فقال تعالى ” انا فتحنا لك فتحا مبينا“ الآيات ، ذكر القاضي أبو بكر بن العربي
٥ في تلخيص التلخيص علماء المالكية مشيرا إلى تفاوت درجاتهم ثم قال :
و أمضاهم في النظر عزيمة و أقوام فيه شكيمة أهل خراسان : العجم أنسابا
و بلدانا ، العرب عقائد و إيمانا ، الذين ينجز فيهم وعد الصادق المصدوق ؛
و ملكهم الله مقاليد التحقيق حين أعرضت العرب عن العلوم و تولت
عنها ، و أقبلت على الدنيا و استوثقت^٣ منها ، قال أصحاب رسول الله صلى
١٠ الله عليه و سلم : يا رسول الله ! من هؤلاء الذين قال الله ” و ان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم“ فأشار عليه الصلاة و السلام
إلى سلمان و قال : لو كان الإيمان في الثريا لئاله رجال من هؤلاء . انتهى .
و لما أخبر سبحانه بالفتح عقب سورة ” الذين كفروا“ بشارة
بظهور أهل هذا الدين و إدبار الكافرين - كما سيأتى في إيلاء سورة
١٥ النصر بسورة الكافرين ، لذلك علل [الفتح - ٥] بالمغفرة و ما بعدها
رمزا إلى وفاة النبي صلى الله عليه و سلم - بروحى هو و أبى و أمى - و إيماء
إلى أن المراد من إخراجه إلى دار الفنا إنما [هو - ٥] [إظهار الدين^٤
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الولايات (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استوثقت (٤) من ظ و مد ، و فى
الأصل : اتلا (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :
إظهارا للدين .

القيم وإزهاق الباطل لعلو درجته وتعظم رفته ، فعند حصول الفتح تم
المراد كما كانت سورة [النصر - '] الوالية للكافرين رامية إلى ذلك
كما هو مشهور ومذكور ومسطور^٢ ، فالفتح الذى هو أحد العلامات
الثلاث المذكورة كما فى سورة النصر على جميع المنافين ، الذى هو
السبب الأعظم فى ظهور دينه على الدين كله الذى هو العلامة العظمى
على اقتراب أجله - نفسى فداؤه وإنسان عني / من كل سوء وقاؤه -
٨٤٠ / فقال تعالى : (ليغفر لك الله) مشيراً بالانتقال من أسلوب العظمة
بالنون إلى أسلوب الغيبة المشير إلى غاية الكبرياء بالإسناد إلى الاسم
الأعظم إلى أن هذه المغفرة بحسب إحاطة هذا الاسم الجامع لجميع الأسماء
الحسنى : (ما تقدم من ذنبك) أى الذى تقدم فى القتال أمرك ١٠
بالاستغفار له وهو مما ينتقل به من مقام كامل إلى مقام فوقه أكمل
منه ، فتراه بالنسبة إلى أكلية المقام الثانى ذنباً ، وكذا قوله : (وما تأخر)
قال الرازى : المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن الذنوب لها درجات
وحسنات الإبرار سيئات المقربين ، انتهى . ويجوز أن يكون المراد :
لتشاهد المغفرة بالنقلة إلينا بعد علم اليقين بعين اليقين ، فالمعنى ١٥
أن الله يتوفاه صلى الله عليه وسلم عقب الفتح ودخول جميع العرب الذين

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : التاية (٣-٣) من مد ، وفى
الأصل و ظ : مشهورة ومذكورة ومسطورة (٤-٤) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الكبر بإسناد (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : عنه (٦) من مد ، وفى
الأصل و ظ : بشاهده .

يفتتحون^١ جميع البلاد و يهدى [الله - ^٢] بهم سائر^٣ العباد في دينه ،
 ويأس^٤ الشيطان من أن يعبد في جزيرتهم إلا بالمحقرات لوجود المقصود
 من ابتلاء^٥ الأكوان بحسناته صلى الله عليه وسلم ، وعموم ما دل عليه
 اسمه المذكور في هاتين السورتين من حمده تعالى بكأله في ذاته وصفاته
 ٥ يلوغ أتباعه إلى حد لا يحصرون فيه بعد ، ولا يقف لهم مخلوق على حد .
 ولما كان تمام النعمة يتحقق بشيئين : إظهار الدين والثقة إلى مراقة
 النبيين ، قال تعالى مخبرا بالشيئين : ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بنقلك من
 عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن عالم الكون والفساد إلى عالم الثبات
 والصلاح ، الذى هو أخص^٦ بحضرته وأولى برحمته وإظهار^٧ أصحابك من
 ١٠ بعدك على جميع أهل الملل ، ويدحضون شبه الشيطان ، ويدمغون كل
 كفران ، و ينشرون آيات الإيمان في جميع البلدان ، بعد إذلال أهل
 العدوان ، ومحو كل طغيان .

ولما كانت هدايتهم من هدايته ، أضافها سبحانه إليه إعلاما له أنها
 هداية تليق بجنابه^٨ الشريف سرورا له فقال : ﴿ ويهديك ﴾ أى بهداية
 ١٥ جميع قومك ﴿ صراطا مستقيما لا ﴾ أى واضحا جليلا جليا موصلا إلى

(١) من مد ، وفي الأصل و ظ : يفتتحون (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
 وفي الأصل و ظ : سامن - كذا (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يأس .
 (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : املاء (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 خص (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : أولى بإظهار (٨) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : يبابه .

المراد من كتب^١ لاعوج فيه بوجه، هداية تقتضى لزومه والثبات عليه
(وينصرك الله) بنصرهم على ملوك الأمم وجلاتهم لسائر الغمم،
نصرا يليق إسناده إلى اسمه المحيط بسائر العظم (نصرا عزيزا) أى
يغلب المنصور به كل من ناواه^٢ ولا يغلبه شيء مع دوامه فلا [ذل -^٣]
بعده لأن الأمة التى تصف به لا يظهر عليها أحد، والدين الذى قضاه^٤
لأجله لا ينسخه شيء.

ولما كان صلى الله عليه وسلم قد أخبر المؤمنين بروياه أنه يطوف
بالكعبة الشريفة، وعزم على العمرة عام الحديبية، وخرج صلى الله عليه
وسلم وخرج معه خلاصة أصحابه ألف وخمسمائة، فكانوا موقنين
أنهم يعتمر^٥ون فى وجههم^٦ ذلك، وقر [ذلك -^٧] فى صدورهم^٨ ١٠
/ وأشربته قلوبهم، فصار نزعه منها أشق شيء يكون، قصدتم المشركون
بعد أن بركت ناقته وصالحهم صلى الله عليه وسلم على أن يرجع عنهم
فى ذلك العام ويعتمر فى مثل ذلك الوقت من القابل، وكان ذلك -
بل أدنى منه - مرارلا للاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة فى الدين،
وقد كان مثله فى الإسراء ولم يكن صلى الله عليه وسلم أخبر بما يوم^٩ ١٥
فى أمره فارتد ناس كثير بسببه، قال تعالى دالا على النصر بتثبيت
المؤمنين^{١٠} فى هذا المحل الضئلك إظهارا لتمام قدرته ولطيف حكمته:

(١) من مد، وفى الأصل و ظ : كتب (٢) فى ظ : العجم (٣) من مد، وفى
الأصل و ظ : لاواه (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ :
وجوههم (٦) زيد فى الأصل : يوم الحديبية وغيره والثبات على الدين،
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها.

(هو) أى وحده (الذى أنزل) فى يوم الحديدية (السكينة)
 أى الثبات على الدين (فى قلوب المؤمنين) أى الراضين فى الإيمان
 وهم أهل الحديدية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزجج النفوس
 ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة رضى الله تعالى عنهم
 ٥ دون مقصودهم ، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج الناس
 وزلزلوا حتى عمر رضى الله عنه - مع أنه الفاروق ومع وصفه فى
 الكتب السالفة بأنه قرن من حديد - فما الظن بغيره فى فلق نفسه
 وتزلزل قلبه ، وكان للصديق رضى الله عنه من القدم الثابت والأصل
 الراسخ ما علم به رضى الله عنه أنه لا يسابق ، ثم ثبتم الله أجمعين ،
 ١٠ قال الرازى : والسكينة ثقة بوعده الله ، والصبر على حكم الله ، بل السكينة
 ههنا معين بجمع فوزا وقوة وروحا ، يسكن إليه الخائف ويتسلى به
 الحزين ، وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم فى الأمور
 - انتهى . وكل من رسخ فى الإيمان ، له فى هذه الآية نصيب
 ٢ جناه دان .

١٥ و لما أخبر بما [لا - ٣] يقدر عليه غيره ، علله بقوله : (ليزدادوا)

أى بتصديق الرسول حين قال لهم : إنهم لا بد أن يدخلوا مكة ويطوفوا
 بالبيت العتيق ، وحلهم الله به من الشبهة بتذكرهم أنه لم يقل لهم : إنهم

(١-١) من مد ، وفى الأصل وظ : نمر فى فلو - كذا (٢-٢) من مد ، وفى

الأصل وظ : حباه رار - كذا (٣) زيد من مد (٤) سقط من مد .

(٥-٥) من مد ، وفى الأصل وظ : بتذكرهم .

يدخلون العام ﴿ ايماناً ﴾ بهذا التصديق بالغيب من [أن - '] | صلحهم
للكفار ورجوعهم من [غير - '] بلوغ قصدهم هو عين الفتح لترتب الصلح
عليه و ترتب فشو الإسلام على الصلح كما كشف عنه الوجود بعد
ذلك ليقسوا عليه غيره من الأوامر ﴿ مع ايمانهم ' ﴾ الثابت من قبل هذه
الواقعة ، قال القشيري رحمه الله : بطلوع أقمار اليقين على نجوم علم اليقين ، ه
ثم بطلوع شمس [حق - '] اليقين على بدر عين اليقين .

ولما كان ربما ظن شق من أخذ^٢ الأمور بالتدرج شيئاً في القدرة
قال : ﴿ والله ﴾ أي الذي أنزل السكينة عليهم ليكون نصرهم في هذه
العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل والحال أنه له وحده
﴿ جنود السموات والارض ﴾ أي جميعها ، ومنها السكينة ، يدبرهم بلطيف^٣ ١٠
صنعه وعجيب تدبيره ، فلو شاء لصر المؤمنين الآن بالفعل ، و دمر على
أعدائهم بجنود من جنوده او بغير سبب ، لكنه فعل ذلك ليكون النصر
بكم ، فيعلو / أمركم ويعظم أجركم ، ويظهر الصادق في نصره من الكاذب ،
فان الدار دار البلاء ، وبناء المسببات على الأسباب^٤ على وجه الاغلب
فيه الحكمة ، لا القهر وظهور الكلمة ، فاسمه الباطن هو الظاهر في هذه الدار ، ١٥
فلذلك ترى المسببات مستورات بأسبابها ، فلا يعلم الحقائق إلا البصراء^٥
ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت^٦ عليه هذه السورة^٧ ففلاها

(١) زيد من مد (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل أحذر (٣) من ظ ومد ،
وفي الأصل . بلطف (٤) في ظ : تدبيرهم (هـ) في مد : أسباب (٦) من مد ،
وفي الأصل وظ : الوجه (٧) من مد ، وفي الأصل وظ : البصر (٨-٨) من
ظ ومد ، وفي الأصل : هذه السورة عليه .

عليهم قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين : اى رسول الله
 و فتح هو ؟ و قال بعضهم : لقد صدونا عن البيت و صدوا هدينا ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه و سلم : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ،
 اما رضىتم أن تطرقوهم فى بلادهم فيدفعوكم عنها بالراح و يسألوكم التضيير
 ٥ و يرغبوا إليكم فى الامان* و قد رأوا منكم ما كرهوا و أظفركم الله عليهم
 و ردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتح ، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون
 و لا تلوون على أحد و أنا أدعوكم فى أخراكم ، أنسيتم يوم الاحزاب
 إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاعت الابصار و بلغت
 القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون ، فقال المسلمون : صدق الله و رسوله
 ١٠ فهو أعظم الفتح . و الله يانى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ، و لانت
 أعلم بالله و أمره منا . و أنزل الله تأكيد الامر الرؤيا لمن أشكل عليهم
 حالها " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام " الآية ،
 فهذه الاشياء كلها كما ترى راجعة إلى الخفاء بالتعجب* فى أستار الاسباب ،
 فلا يبصرها إلا أرباب التدقيق* فى النظر فى حكمة الله سبحانه .

١٥ و لما كان مبنى ما مضى كله على القدرة بأمر خفية يظهر منها

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيدفيكم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 يسألوكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرغبون (٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : الآن - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتعجب .
 (٦-٧) سقط ما بين الرتين من ظ .

من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة ، و كان تمام القدرة متوقفا على شمول العلم ، قال تعالى : ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الاعظم أزلا وأبداً ﴿ علماً ﴾ بالدوات والمعاني ﴿ حكماً ﴾ في إتقان ما يصنع ، فرده لهم عن هذه العمرة بعد أن دبر امر الصالح ليأمن الناس فيداخل بعضهم بعضاً لما علم من أنه لا يسمع القرآن أحد له عقل مستقيم ٥ ويرى ما عليه أهله من شدة الاستمسك به والبغض لما كانوا فيه ٢ من متابعة الآباء ٣ إلا بادر ٢ إلى المأبغة و دخل في الدين برغبة ، وأدخل سبحانه خزاعة في صلح النبي صلى الله عليه و سلم وبنى بكر وهم أعداؤهم في صلح قريش ليبقوا عليهم فتعينهم قريش الصلح بعد أن كثرت جنود الله و عز ناصر الدين ، فيفتح الله بهم مكة المشرفة ، فتشر أعلام الدين ، ١٠ و تحفق ألوية البصر المبين ، و يدخل الناس في الدين أفواجا ، فيظهر دين الإسلام على جميع الأديان .

ولما دل على الفتح بالنصر و ما معه . و علل الدين بالسكينة ، علل علة الدليل و هى " ليزدادوا إيماناً " و علل ما دل عليه ملك الجنود من تديبرهم و تديبر الأكوان بهم بقوله تعالى زيادة في السكينة : ١٥ ﴿ ليدخل ﴾ أى بما أرفع في السكينة ﴿ المؤمنين و المؤمنات ﴾ الذين جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم و دخول بعضهم / في الدين بجهاد

٨٤٣ /

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : لم (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : عليه .

(٣-٢) في مد : الأدبار - خطأ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : او .

المجاهدين، ولو سلب على الكفار^١ جنوده من اول الامر فاعلمكم^٢
 أو دمر عليهم بغير اسطة لقات دخول أكثرهم الجنة، وهم من آمن
 منهم بعد صلح الحديبية ((جئت)) أى بساتين لا يصل إلى عقولكم
 من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم وإن كان الامر أعظم من ذلك
 ٥ ((تجرى)) ودل وقرب وبعض بقوله : ((من تحتها الانهر)) فأى
 موضع أردت أن تجرى منه نهرا قدرت على ذلك، لأن الماء قريب
 من وجه الأرض مع صلابتها وحسها . ولما كان الماء لا يطيب
 إلا بالقرار قال تعالى : ((تلدين^٣ فيها)) أى لا إلى آخر .

ولما كان السامع لهذا ربما ظن أن فعله ذلك باستحقاق، قال
 ١٠ إشارة إلى أنه لا سبب إلا رحمة : ((ويكفر)) أى يستر سترًا يليقًا شاملاً
 ((عنهم سيئاتهم^٤)) التى ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل
 تكفيرها، بسبب ما كانوا متلبسين^٥ به منها من الكفر وغيره، فكان
 ذلك التكفير سببًا لدخولهم الجنة ((وكان ذلك)) أى الامر العظيم
 من الإدخال والتكفير المهي^٦ له، وقدم الظرف تعظيمًا لها فقال تعالى :
 ١٥ ((عند الله)) أى الملك الأعظم ذى الجلال والإكرام ((فوزا عظيمًا))

(١) في مد : الكافرين (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : فاهلكهم (٣) زيد
 في الأصل : نزلوا وابدأ ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) سقط من
 ظ و مد (٥) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .
 (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ملتبسين (٧) من مد ، وفي الأصل
 و ظ : والمهن .

يملا جميع الجهات .

ولما كان من اعظم الفوز إقرار العين بالانتقام من العدو وإن كان العدو - ٢١ المكاتم ٢ أشد من العدو ٣ المجاهر المراعى ٤ قال تعالى :
(ويعذب المنافقين) أى يزيل كل ما لهم من العذوبة (و المنفقت) بما غاظهم من ازدياد الإيمان (و المشركين و المشركت) بصدمة الذى ه كان سببا للقيام الدخس ٥ الذى كان سببا لإنزال السكينة ٦ الذى كان سببا لقوة أهل الإسلام بما تأثر عنه من كثرة الداخلين فيه ، الذى كان سببا لتدمير أهل الكمران ، ثم بعد ذلك عذاب النيران .

ولما أخبر بعذابهم ، أتبعه وصفهم بما سبب لهم ذلك فقال تعالى :
(الظآنين بالله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (ظن السوء ٧) من ١٠ أنه لا ينق بوعده فى أنه ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم و أتباعه المؤمنين أو أنه ٧ لا يعذبهم . أو أنه ٧ لا يعذبهم لمخالفة رسوله ٨ صلى الله عليه وسلم ومشافقة أتباعه . ولما أخبر سبحانه و تعالى بعذابهم فسر به بقوله :
(عليهم) أى فى الدنيا و الآخرة بما يخزيهم الله به من كثرة جنوده و غيظهم منهم و قهرهم بهم (دآرة السوء ٩) التى دروها ١٠ قدروها للسليين ١٥ لاخلاص لهم منها ، فهم مخذولون فى كل موطن خذلانا ظاهرا يدركه

(١) زيد من ظ و مد ، وفى الأصل : المكتم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الزاعم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الدخس (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : التى كانت (٧-٧) سقط ما بين الرفين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل و ظ : رسول الله .

كل أحد، و باطنا يدركه من أراد الله تعالى من أرباب البصائر كما
اتفق في هذه العمرة، و السوء - بالفتح و الضم : ما يسوء كالسكره
إلا أنه غلب في أن يضاف إلى ما يراد ذمه، و المضموم جار مجرى
الشر الذي هو ضد الخير - قاله الكشف . و لما كان من دار عليه
السوء قد لا يكون مغضوبا / عليه . قال : ﴿ و غضب الله ﴾ أى الملك
الاعظم بما له من صفات الجلال و الجمال فاستعلى غضبه ﴿ عليهم ﴾ ،
و هو عبارة عن أنه ^٢ يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به . و لما كان
الغضب قد لا يوجب الإهانة و الإبعاد قال : ﴿ و لعنهم ﴾ أى طردهم طردا
سفلوا به أسفل سافلين ، فبعدوا به عن كل خير

١٠ . و لما قرر ما لهم في الدارين، و كان قد يظن أنه يخص الدنيا
فلا يوجب عذاب الآخرة، أتبعه بما يخصها فقال : ﴿ و اعد ﴾ أى هيا الآن
﴿ لهم جهنم ﴾ تلقاهم بالعوسة و الغيظ و الزفير و التجهم كما كانوا
يتجهمون معاد الله مع ما فيها من العذاب بالجور و البرد و الإحراق ،
و غير ذلك من أنواع المشاق . و لما كان التقدير : فسأت معدا، عطف
١٥ عليه قوله : ﴿ و سأأت مضيرا ﴾ .

و لما كان هذا معلما بأن الكفار ^٤ - مع ما يشاهد منهم من
الكثرة الظاهرة و القوة المتضاربة المتوافرة - لا اعتبار لهم لأن البلاء

(١) من مد . و فى الأصل : جارى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان .
(٣) من ظ و مد . و فى الأصل : زاده تأكيداً فقال تعالى زيادة على إبعادهم .
(٤) زبدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

محيط بهم في الدارين، وكان ذلك أمرا يوجب تشعب التفكير في
 المؤثر فيهم ذلك، عطف على ما تقدره إعلاما بأن التدبير على
 هذا الوجه لحكم ومصالح يكمل عنها الوصف، ودفعنا لما قد يتوهمه من
 لم يرسخ إيمانه مما يجب التزيه^١ عنه: فله القوة جميعا بفعل ما يشاء فيمن
 يشاء من غير سبب ترويه: ﴿ والله ﴾ أي^٢ الملك الأعظم^٣ ه
 ﴿ جنود السموات والارض ﴾ فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء .
 و لما كان ما ذكر من عذاب الأعداء و ثواب الأولياء
 متوقفا على تمام العلم و نهاية القدرة التي يكون بها الانتقام و السطوة
 قال تعالى: ﴿ وكان الله ﴾ الملك الذي لا أسر لأحد معه أزلا و أبدا
 ﴿ عزيزا ﴾ يغلب ولا يغلب ﴿ حكيماء ﴾ يضع الشيء في أحكم مواضعه، ١٠
 فلا يستطيع نقض شيء مما ينسب إليه سبحانه و تعالى .

و لما تبين أنه ليس لغيره مدخل في إيجاد النصر، و كانت السورة
 من أولها، حضرة مخاطبة و إقبال فلم يدع أمر^٤ إلى نداء [ياء -^٥]
 ولا غير ما، و كان كآته قبل: ففائدة الرسالة إلى الناس؟ [أجيب -^٦]
 بقوله تقريرا لما ختم به من صفى^٧ العزة و الحكمة . ﴿ آمآ ﴾ بما لنا من ١٥
 العزة و الحكمة ﴿ أرسلتك ﴾ أي^٨ بما لنا من العظمة التي هي معنى العزة

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: التعمية (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد
 في الأصل و ظ: له، ولم تكن الزيادة في مد فحذفنا (٤-٥) من مد، وفي
 الأصل و ظ: منها (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: امرا (٦) زيد من مد .
 (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: صفى .

و الحكمه إلى الخلق كافه ﴿ شاهدنا ﴾ على أفعالهم من كفر و إيمان
 و طاعة و عصيان، من كان بحضرتك فبنفسك^١ و من كان بعد موتك
 أو غائبا عنك فبكتاك، مع ما أيدناك به من الحفظه من الملائكة .
 و لما كانت البشارة محبوه إلى النفوس رغبهم فيما عنده من
 ٥ الخيرات و حبيهم فيه بصوغ^٢ اسم الفاعل منها مبالغة فيه فقال تعالى :
 ﴿ و مبشرا ﴾ أى لمن أطاع بأنواع البشائر . و لما^٣ كانت لئذارة كرهية
 جدا، لا يقدم [على -^٤] إيلانها [إلا -^٥] من كل عرفانه بما فيها
 من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الإقزام على الصدع / بها، أتى بصيغة
 المبالغة فقال تعالى : ﴿ و نذيرا ﴾ .

/ ٨٤٥

١٠ و لما ذكر حال الرسالة، ذكر علتها فقال : ﴿ لتؤمنوا ﴾ أى الذين
 حكمتا بإيمانهم عن أرسلناك إليهم - هذا على قراءة ابن كثير و أبى عمرو
 بالغيب، و على قراءة الباقيين بالخطاب المعنى . أيها الرسول و من قضينا هده
 من أمته . مجددين لذلك فى كل لحظة مستمرين عليه، و كذا الأفعال
 بعده، و ذلك أعظم لطفًا لما فى الإنس بالخطاب^٦ من رجاء الاقتراب
 ١٥ ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا يسوغ لاحد [من خلقه -^٧] - و الكل خلقه -
 التوجه إلى غيره لاستجاءه لصفات الجلال و الإكرام ﴿ و رسوله ﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : فينفاد - كذا مصحفا (٢) من ظ و مد،
 و فى الأصل : بصريح (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٤) زيد من ظ
 و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : كل (٦) راجع نثر للرجال ٦/ ٦٢١ .
 (٧) من مد، و فى الأصل و ظ، من الخطاب (٨) زيد من مد .

الذى أرسله من له كل شيء ملكا وملكاً إلى جميع خلقه .
ولما كان الإيمان أمراً باطناً، فلا يقبل عنده الله إلا بدليل، وكان
الإيمان بالرسول إيماناً بمن أرسله، والإيمان بالمرسل إيماناً بالرسول^١، وحد
الضمير فقال: ﴿ويعزروه﴾ أى يعينوه ويقوه وينصروه على كل
من نأواه^٢ ويمنعوه عن^٣ كل من يكيد، مبالغين في ذلك باليد واللسان
والسيف، وغير ذلك من الشأن^٤ فيؤثروه على أنفسهم^٥ وغيرها،
تعظيماً له وتفخيماً - هذا حقيقة المادة، وما خالفه [فهو -^٦] إما من
باب الإزالة كالعزور بمعنى الديوث، وإما من باب الأول كاللوم والضرب
دون الحد، فانه يوجب للوم والمضروب وتجنب ما نقم عليه فيعظم،
فهو من إطلاق الملزوم على اللازم، وهو من وادى ما قيل: ١٠
عداى لهم فضل على^٧ ومنه فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبها^٨ وهم نافسون فاقنيت المعاليا
ولما كان المعنى [يحتمل -^٩] الإزالة كما ذكر، خلص المراد بقوله:
﴿ويوقروه^{١٠}﴾ أى يجتهدوا في حسن إتباعه في تبجيله وإجلاله بأن
يحملوا عنه^{١١} جميع الانتقال، يلزم السكينة باجتماع همه وكبر عزمه لزوال ١٥
ما كان يشعب فكره من كل ما يهيمه ﴿ويسجوه﴾ أى ينزهوه عن

(١) زيد في الأصل: فلذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.

(٢-٣) من ظ و مد، وفي الأصل: ينصروه على (٣-٢) في ظ و مد: فتؤثر

على انفسكم (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل

و ظ: عليه.

كل وصمة^١ من إخلاف الوعد بدخول مكة و الطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك ، و يعتقدوا فيه الكمال المطلق ، و الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى ، لأن من سعى في قمع الكفار فقد فعل فعل المعز^٢ الموقر ، فيكون إما عائدا^٣ على المذكور وإما^٤ أن يكون جعل الاسمين [واحد - °] إشارة إلى اتحاد المسمين^٥ ، في الأمر فلما اتحد أمرها و حد الضمير إشارة إلى ذلك .

ولما كانت محبة الله ورسوله ترضى منها بدون النهاية قال كائنا عن ذلك : ﴿ بكرة واصيلا ٥ ﴾ أى وعشيا إيصانا لما بين^٦ النهار والليل [بذلك - °] .

١٠ [ولما - °] ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وما أرسله له ، وختم الآية بأنه لا يرضى من ذكره و ذكر رسوله إلا بالمداومة بالفعل أو بالقوة مع توحيد الضمير^٧ إشارة إلى وحدة الإرادة والمحبة من الرسول والمرسل ، أوضح المراد بتوحيد الضمير^٨ بقوله مرغبا في اتباعه و مرهبا لاتباعه عن^٩ أدنى فترة أو توان فيما دخلوا فيه من الإيمان

(١) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في مد فحذفناها (٣) في الأصل : عدا ، وفي ظ و مد : عائدا (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : ان (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : الاسمين (٧ - ٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : الليل والنهار (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ ا في .

الذى هو علة الرسالة، وما ذكره^١ معه فى جواب من يسأل: ما سبب توحيد الضمير والمذكور اثنان^٢؟ مؤكداً لاجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد بالوهم والذكوص عما غاب ولا مرشد إليه سوى العقل: ﴿ان الذين﴾ .

ولما كان المضارع قد يراد به مطلق الوقوع لا بقيد^٣ زمن معين كما ه نقلته فى أول سورة البقرة عن أبى حيان وغيره، عبر [به -^٤] ترغيباً فى تجديد مثل ذلك والاستمرار عليه فقال: ﴿يا ياعونك﴾ [أى -^٥] فى يعة الرضوان وقبلها وبعدها على ما جئت به من الرسالة التى مقصودها الاعظم النذارة التى مبناها على المخالفة التى تتقاضى الشدائد التى عمادها الثبات والصبر، وسميت "مبايعة" لأنهم بايعوا أنفسهم فيها من الله ١٠ بالجنة^٦ وهذا معنى الإسلام، فكل من أسلم فقد باع نفسه^٧ سبحانه [منه -^٨] "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم"، الآية . ﴿انما يبايعون الله﴾ أى الملك الأعظم لأن عملك كله من قول وفعل له "و ما ينطق عن الهوى" .

ولما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيباً مشعراً بالترهيب، زادها تعظيماً ١٥ بما الترهيب فيه أظهر من الأول، فقال مبيناً للأول: ﴿يد الله﴾ أى

- (١) فى مد: ذكر (٢) من مد، وفى الأصل وظ: امان (م) من ظ و مد، وفى الأصل: يقدر (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفى الأصل وظ: من الجنة (٧) زيد فى الأصل: من الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

المرتدى بالكبرياء . و لما كان منزها عما قد يتوهم من الجارحة ما فيه
 شائبة نقص ، أو ما إلى نقي ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على
 تعظيم البيعة فقال : (فوق أيديهم ^ع) أى فى المبايعة عالية عليهم بالقدرة
 و ' القوة و القهر ' و العزة ، و التنزه عن كل شائبة نقص ، و لذلك كرر
 ه الاسم الأعظم فى هذه ثلاث مرات إشارة إلى العظمة الفاتية للوصف
 و الغيب العالى عن ' الإدراك ' ، ثم أعاد ذكره بالضمير إيذانا بالغيب المحض ،
 هذا هو المراد من تعظيم البيعة و إجلال الرسول صلى الله عليه وسلم
 مع ' العلم القطعى بتزيه الله سبحانه عن كل شائبة نقص من حلول أو اتحاد
 كما هو واضح فى مجارى عادات العرب ظاهر ' جدا فى دأبهم ' فى
 ١٠ محاوراتهم ، لا يشك فيه منهم عاقل عالم أو جاهل أصلا ، فلجنة [الله -]
 على من حمله على الظاهر من أهل العناد يبدع الاتحاد على من تبعهم
 على ذلك من الرعاع الطغام الذين شاقوا الله و رسوله عليه الصلاة
 و السلام ، و جميع الأئمة الاعلام ، و سائر أهل الإسلام : و رضوا لانفسهم
 بأن يكونوا أتباع فرعون اللادين ، و ناهيك به فى ضلال مبين .
 ١٥ و لما كان كلام الله تعالى - و إن جرى مجرى الشرط و التهديد -
 لا بد أن يقع منه شئ . و إن قل ، و كان من سر التعبير بالمضارع فى
 " يابعونك " الإشارة إلى نكث الجد بن قيس أصل يبعته على الإسلام
 (١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القهر و الغلبة و القوة (٢) من مد ، و فى
 الأصل و ظ : من (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهرا (٤) من مد ، و فى
 الأصل و ظ : دارهم (٥) زيد من ظ و مد .

٨٤٧/

فانه^١ اختبا في الحديدية وقت البيعة في وقت من الاوقات ، فلم يبايع ،
 سبب^٢ عن ذلك وفصل ترغيا / و ترهيا ، فقال معبرا بالماضى إذا
 بأنه لا ينكك أحد من أهل هذه البيعة : ﴿ فن نكك ﴾ أى نقض في
 وقت من الاوقات لجعلها كالكساء الخلق والحبل البالى الذى ينقض
 ﴿ فانما ينكك ﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن من فعل النكك فهو ه
 في كل لحظة ناكك نكنا جديدا ﴿ على نفسه ج ﴾ لا على غيرها^٣ فانه
 بمرأى من الله ومسمع [وهو -^٤] قادر عليه جدير بأن يعاقبه بعد ما
 عجل لنفسه من العار العظيم في الدنيا ويستحل^٥ به على نكته عذابا
 أليما ، ولا يضر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره
 لا محالة ، وكذا كل منكوث به [إذا -^٦] أراد الله نصرته فان يده ١٠
 سبحانه فوق كل يد .

ولما أتم الترهيب لانه مقامه للحث على الوفاء الذى به قيام الدين
 على أبلغ وجه ، أتبعه^٧ على عادته^٨ الترغيب إتماما للحث فقال تعالى :
 ﴿ ومن أوفى ﴾ أى فعل الإتمام والإكثار ، والإطالة ﴿ بما عهد ﴾
^٩ و قدم الظرف^{١٠} اهتماما به فقال : ﴿ عليه الله ﴾ أى الملك المحيط بكل ١٥

- (١) من مد ، وفي الأصل وظ : في (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : بسبب .
 (٣) من مد ، وفي الأصل : غيره ، وفي ظ : فعل غيره (٤) زيد من مد .
 (٥) من مد ، وفي الأصل : يحل ، وفي ظ : سيحل - كذا (٦-٦) - مقط ما
 بين الرقين من ظ ومد (٧-٧) من مد ، وفي الأصل : عدم الطوف ،
 وفي ظ : عدم الظرف .

شيء قدرة و علما من هذه المباينة و غيرها فانما وفاؤه لنفسه (فسيوته)
 أى بوعد لا يخلف فيه (اجرا عظيما ع) لا يسع عقولكم شرح وصفه،
 و من قرأ بالنون^١ أظهر ما ستر في الجلالة من التعظيم، و الآية من
 الاحتمالك : ذكر أولا أن النكث عليه دليلا على أن الوفاء له ثانيا،
 ه و إتياء الاجر ثانيا دليلا على إحلال العقاب أولا و سره أنه بين [أن-^٢]
 ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به، لأن ذلك أعظم
 في الترهيب عن النكث لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضرر نفسه^٣
 و بعده عنه، و ذكر الاجر للوفى لانه أعظم في الترغيب، و سبب يعة
 الرضوان هذه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فهم من بروك^٤ فاقته في
 ١٠ الحديبية الإشارة من الله سبحانه و تعالى إلى أنه لم يأذن في دخولهم
 البلد الحرام في هذه السفرة، فشئ مع إرادته سبحانه و تعالى لانه ليس
 فيها مخالفة لما أمر به سبحانه إلى أن وقع الصلح الذى كان الفتح
 هو^٥ بعينه، و كان في غضون^٦ ذلك أن أرسل عثمان بن عفان رضى الله
 تعالى عنه إلى مكة المشرفة ليخبر^٧ قريشا أن النبي صلى الله عليه وسلم
 ١٥ [لم يحى لقتال و أنه لا يريد إلا الاعتبار، فارجف مرجفون بأنه قد
 قتل، فعزم النبي صلى الله عليه وسلم -^٨] على مناجزتهم فبايع الصحابة
 (١) راجع نثر المرجان ٦/٢٢٤ (٢) زيد من مد (٣) زيد في الأصل و ظ :
 و نفع، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٤) من مد، و في الأصل و ظ :
 نزول لوجه) وقع في الأصل و ظ : بعد « الصلح الذى » و الترتيب من مد .
 (٦) من ظ و مد، و في الأصل عصور (٧) من ظ و مد، و في الأصل :
 يخبر (٨) زيد من ظ و مد .

رضى الله عنهم على ان لا يفروا عنه . فبايع كل من [كان - ١] معه
إلا جد بن قيس ، فانه اختبأ تحت إبط بعيره فلم يبايع ، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم : كلکم مغفور له^٢ إلا صاحب الجمل الآخر .
ولما ذكر سبحانه وتعالى أهل بيعة الرضوان ، وأضافهم إلى
حضرة الرحمن ، تشوف السامع إلى الخبر عن غاب عن ذلك الجنب ، ه
وأبطا عن حضرة تلك العمرة ، فاستوقف^٣ الإخبار عما يناقون به
بقوله تعالى : ﴿ سيقول ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ، وأكد أمر نفاقهم
تنبيها على جلدتهم فيه ووقاصهم^٤ به ولطف النبي صلى الله عليه وسلم وشدة
رحمته [ورقه - ١] وشفقته فقال : ﴿ لك ﴾ أى لأنهم يعلمون
/ أنك الطف الخلق عشرة وأعظمهم شفقة على عباد الله ، فهم يطمعون ١٠ / ٨٤٨
في قبولك من فاسد عذرم ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص
المؤمنين ، و غاب عنهم - لما عندهم من غلظ^٥ الأكباد أن الكذب
بحضرتك^٦ فى غاية القباحة لأنك أعظم الخلق وأفطنهم ، مع ما يأتيك
من الأنباء عن علام الغيوب ، و حقر أمرهم بسلب العقل عنهم وجعلهم
مفعولين لا فاعلين إشارة إلى أنهم طردوا عن هذا المقام ، لأنهم أشرار ١٥
لثام^٧ ، فقال تعالى ﴿ المخلفون ﴾ أى الذين - خلفهم الله عنك ولم يرضهم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : لكم (٣) من مد ، وفى
الأصل و ظ : واستوقف (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : وخفاحا .
(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : غطا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى
حضرة (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : لأم (٨) زيد فى الأصل : ميئنا من
هم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

لصحبتك في هذه العمرة ، لجعلهم كالشيء النافه الذى يخلفه الإنسان ، لانه لا فائدة فيه فلا يؤبه له ولا يعبأ به ، وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما أراد الاعتماد ندب أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لذلك ، وندب من الأعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان قد أقر بالإسلام ، ه فلم يرد الله حضورهم لأن إسلامهم لم يكن خالصا ، فلو حضروا لفسد بهم الحال ، وإن حفظ الله بحوله وقوته من الفساد ، أعقب ذلك فسادا آخر وهو أن يقال : إنه لم يكف عنهم الأعداء إلا الكثرة ، فتخلفوا لما علم الله في تخلفهم من الحكم .

ولما كان قد تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم من كان ١٠ حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب [أخرجهم بقوله - ٢] : (من الأعراب) أى أهل البادية كذبا وبهتانا جرأة على الله ورسوله (شفلتنا) أى عن إجابتك في هذه العمرة (أموالنا واهلونا) [أى - ٤] لانا لو تركناها ضاعت ، لانه لم يكن لنا من يقوم بها وأنت قد نهيت عن إضاعة المال والتفريط في العيال ، ثم سيوا عن هذا القول المراد ١٥ به السوء قولهم : (فاستغفر) أى اطلب المغفرة (لنا) من الله إن كنا أخطانا أو قصرنا .

ولما كان هذا ربما يفتر به من لا خبرة له ، رده تعالى بقوله منها

(١-١) من مد ، وفي الأصل و ظ : قدم (٢) من مد ، وفي الأصل و م :
ان (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد .

على أن من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل ، ومن شغله 'عنه شيء' كان شوما عليه : ﴿ يقولون ﴾ وعبر بالمضارع إشارة إلى أن هذا يدن لهم لا ينفكون عنه . ولما صح بعد ذلك إيمان ، لم يعبر بالآفواه^٢ دأبه ، في المناقطين ، بل قال : ﴿ بالسنتهم ﴾ أى فى الشغل و الاستغفار ، وأكد ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهرى نفيا للكلام الحقيقى الذى ه هو النفسى بكل اعتبار بقوله : ﴿ ما ليس فى قلوبهم^٣ ﴾ لأنهم لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم نية فى سوال الاستغفار .

ولما كان فعلهم هذا من تخلفهم و اعتلائهم و سؤا لهم الاستغفار^٢ ظنا منهم أنهم يدفعون عن أنفسهم بذلك المكروه و يحصلون لها المحبوب و كان كأنه قيل : قد علم كذبهم ، فما ذا يقال لهم ؟ استأنف سبحانه ١٠ الجواب بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الأغبياء واعظا لهم مسيا عن مخادعتهم لمن لا يخفى عليه خافية^٤ إشارة إلى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عاقبته^٥ : ﴿ فمن يملك لكم ﴾ أيها المخادعون ﴿ من الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لاحد معه لأنه لا كفؤ له ﴿ شيئا ﴾ / يمنعكم منه^٦ ٨٤٩ /

﴿ ان اراد بكم ﴾ أى خاصة ﴿ ضرا ﴾ أى نوعا من أنواع الضرر ١٥ عظيما أو حقيرا ، فأهلك الاموال و الاهلين و أنتم محتاطون فى حفظها

(١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شيء عنه (٢) زيد فى الأصل : كما هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا ما (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : للاستغفار (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ و مد .

فلا ينفعها' حضوركم أو أهلككم أنتم ﴿ أو اراد بكم نفعاً ﴾ بحفظها به
 مع غيبتكم فلا يضرها بعدكم عنها ، ويحفظكم في أنفسكم ، وقد علم من
 تصنيفه سبحانه حالهم إلى صنفين مع الإيهام أنه يكون لبعضهم الضر لأن
 منهم من ارتد في زمن الردة ، وبعضهم النفع لأنه ثبت على الإسلام .
 ٥ ولما كان التقدير قطعاً : لا أحد يملك منه سبحانه لهم شيئاً من ذلك ،
 بل هو قادر على كل ما يريد منه ، وفعلكم لما عندكم من الجلالة والعبادة
 والكثافة فعل من يظن أنه لا يقدر عليكم ولا يعلم كثيراً مما تعملون ،
 فيخفى عليه كذبكم ، وليس الأمر كما ظنتم فانه لا يخفى عليه شيء من
 أعمالكم ، بنى عليه ما ارشد إلى تقديره فقال تعالى : ﴿ بل كان الله ﴾
 ١٠ أى المحيط أزلاً وأبداً بكل شيء قدرة وعلماً ﴿ بما تعملون ﴾ أى الجهلة
 ﴿ خيرا ﴾ أى يعلم بواطن أموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها .
 ولما أضرب عن ظنهم أن كذبهم يخفى عليه بأمر عام ، وقدمه
 لأنه أعم نفعاً بما فيه من الشمول . أتبعه الإضراب عن مضمون كلامهم
 فقال : ﴿ بل ﴾ أى ليس بخلفكم لما أخبرتم به من الاشتغال بالآهل
 ١٥ والاموال ﴿ ظنتم ﴾ واثم واقفون مع الظنون الظاهرة ، ليس لكم
 نفوذ إلى البواطن ، وأشار إلى تأكيد ظنهم على زعمهم فقال :
 ﴿ ان لن ينقلب ﴾ ولما كان الكلام فيما هو شأن الرسول من الانبعاث
 (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فلا ينفعها (٢) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : الحالة (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما .
 (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالآهوال .

والمسير ، قال مشيرا إلى [أن - '] من أرسل رسولا إلى شيء وهو لا يقدر على نصره ليلغ ذلك الشيء إلى الغاية التي أرادها منه كان عاجزا عما يريد : ﴿ الرسول ﴾ وعظم التابعين فقال : ﴿ والمؤمنون ﴾ معبرا^٢ بما يحق لهم من الوصف المفهم للرسوخ^٣ وأفهم تأكيد ذلك عندم بقوله تعالى^٤ : ﴿ إلى أهلهم أبدا ﴾ أي لما في قلوبكم من عظمة المشركين^٥ وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على^٦ أن قلتم : ما هم في قريش إلا أكلة رأس .

ولما كان الإنسان قد يظن ما لا يجب ، قال مشيرا بالبناء للفعول إلى أن ما حوته قلوبهم مما ينبغي أن ينزه سبحانه ونعالى عن نسبته إليه وإن كان هو الفاعل له في الحقيقة : ﴿ وزين ذلك ﴾ أي الأمر^{١٠} القبيح الذي خراب الدنيا ﴿ في قلوبكم ﴾ حتى أحببتموه .

ولما علم أن ذلك سوء ، صرح^١ به على وجه يعم غيره فقال : ﴿ وظننتم ﴾ أي بذلك وغيره مما يترتب عليه من إظهار الكفر وما يتفرع عنه ﴿ ظن السوء ﴾ أي الذي لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة إلا أحاط به . و [لما - '] انكشف جميع أمره كشف أثره فقال : ١٥ ﴿ وكنتم ﴾ أي بالنظر إلى جمعكم من حيث هو جمع في علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه وعلى ما كشفه الحال عنه من له بصيرة ﴿ قوما ﴾

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : فعب (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : تأكيد (٤) في ظ : إلى (٥) في الأصل و ظ : بياض ملائناه من مد (٦) زيد من ظ و مد .

أى مع قوتكم على ما تحاولونه ﴿ بوراء ﴾ أى فى غابة الهلاك والكساد
 والفساد، / وعدم الخير لأنكم جبلتم على ذلك الفساد، فلا انفكاك لهم
 عنه، وهذا كما مضى بالنظر إلى الجميع من حيث هو جمع لا بالنسبة
 إلى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير، وثبتوا فلم يرتدوا.
 ٥ ولما كان التقدير: ذلك لأنكم لم تؤمنوا، فمن آمن منكم ومن
 غيركم^٢ وأخلص، أبجناه جنة وحريرا، عطف عليه قوله معمما:
 ﴿ ومن لم يؤمن ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ بالله ﴾ [أى -^٢] الذى لا موجود
 فى الحقيقة سواه ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى أرسله لإظهار دينه وهو الحقيق
 بالإضافة إليه، معبرا عنه بالاسم الأعظم، وللزيادة فى تعظيمه [و تحقير
 ١٠ شاته وتوهمه كيد -^٤] التفت إلى مقام التكلم بمظهر العظمة فقال:
 ﴿ فانا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ اعتدنا ﴾ له أولهم^١ هكذا كان
 الأصل، ولكنه قال معلقا للحكم بالوصف إيذانا بأن من لم يجمع الإيمان
 بهما فهو كافر، وإن [السعير لمن -^٤] كان كفره راسخا فقال تعالى:
 ﴿ للكافرين ﴾ أى الذين لا يجمعون الإيمان بالمرسل والرسول فيكونون
 ١٥ بذلك كفارا، ويستمرون على وصف الكفر لأنهم جبلوا عليه ﴿ سعيرا ﴾
 أى نارا شديدة الإيقاد والتلهب، فهى عظيمة الحر^٧ توجب الجنون^٧

(١-١) تكرر فى الأصل قبل « وعدم الخير » (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
 غيرهم (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد.
 (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لهم أوله بانبثبات الضمير لا يأتى
 (٧-٧) من مد، وفى الأصل: تجب الجنود وفى ظ: تجب الجنون.

و إيقاد الباطن بالجوع بحيث لا يشبع صاحبه و الانتشار بكل شر^١ ،
فان التكبر^٢ هنا^٣ للتهويل و التعظيم^٤ ، و هذه الآية مع ما أرشد السياق
إلى عطفها عليه بمن يؤمن دالة - وإن كانت في سياق الشرط - على أن
أكثرهم يخلص إيمانه بعد ذلك .

و لما انقضى حديث الجنود عامة ثم خاصة من المنتدين^٥ و المخلصين^٥
و ختم بعذاب الكافرين ، و كان المتصرف في الجنود ربما كان بعض
خواص الملك ، فلا يكون تصرفه فيهم تاما ، و كان الملك قد لا يقدر
على عذاب من أراد من جنوده ، و كان إذا قدر قد لا يقدر على العذاب
بكل ما يريده من السعير الموصوف^٦ و غيره لعدم عموم ملكه^٦ قال
تعالى عاطفا على آية الجنود: ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم^٧ وحده^{١٠}
﴿ ملك السموات و الارض ﴾ أى من الجنود و غيرها ، يدبر ذلك كله
كيف يشاء^٨ لا أراد حكمه و لامعقب^٩ .

و لما^{١١} لم يكن في هؤلاء من عذب بما عذب به الأمم الماضية من
الريح و غيرها ، لم يذكر ما بين الخاقين ، و ذكر نتيجة التفرد بالملك

(١) زيد في الأصل و ظ : فهى ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفناها (٢) من مد ،
و في الأصل و ظ : الشكر (٣ - ٣) في مد : التعظيم و التهويل (٤) من مد ،
و في الأصل و ظ : المبتدين (٥ - ٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الموت
و الاحياء بالعذاب و غير ذلك مما اشتملت عليه القدرة الالهية و الملك التام الذى
لاشبيه له ، و قد دل السياق على عدم (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ملك
غيره (٧-٧) - فقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) زيد في الأصل : كان ،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

بما^١ يقتضيه الحال من الترغيب و الترهيب : ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ أى
لا اعتراض لاحد عليه^٢ بوجه ما^٣ ﴿ و يعذب من يشاء ﴾ أى^٤ لانه
لا يجب عليه شيء و لا يكفيه شيء ، و ليس هو كالمملك الذين لا يتمكنون
من مثل ذلك لكثرة الأكفاء المعارضين لهم فى الجملة ، و علم من هذا
التقسيم المجهم [أيضا -^٥] أن منهم من يرتد فيعذب ، و منهم من
يثبت^٥ على الإسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب و إن كان له أن
يفعل ذلك ، لانه لا يستل عما يفعل و ملكه تام ، فتصرفه فيه عدل كيفما
كان . و لما كان من يفعل الشيء فى وقت / قد لا يستمر على وصف
القدرة عليه قال تعالى : ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال أزلا
١٠ و أبدا ، لم يتجدد^٦ له شيء لم يكن . و لما ابتداء الآية بالمغفرة رغبة فى
التوبة ، ختم بذلك لأن المقام له ، و زاد الرحمة تشريفا لنبى الرحمة^٧
بالتعريض و الدلالة على أن رحمته غلبت غضبه فقال : ﴿ غفورا ﴾ أى
لذنوب المسيئين ﴿ رحيماء ﴾ أى مكرما بعد السر بما لا تسمعه العقول ،
و قدرته على الإنعام كقدرته على الانتقام . و لما ذم^٨ المخلفين بما منه
١٥ -^٩ أى من الذم^٩ - أنهم هالكون بعد أن قدم أنه لعنهم ، و كان قد وعد

/ ٨٥١

(١) فى مد : ما (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد .
(٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يثبت (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : لم يتجدد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الرحمة (٨) زيد فى
الأصل : سبحانه و تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

سبحانه أهل الحديدية فتح خير جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له 'في ذلك' من الحكم البالغة الدقيقة ، وختم بأنه نافذ الأمر ، و [كان - ٢] ذلك مستلزما لإحاطة العلم ، دل على كلا الأمرين بقوله استئنافا ، جوابا لمن كأنه ٢ قال : هل يغفر للمخلفين حتى يكونوا كأنهم ما تخلفوا ؟ : (سيقول) أى بوعد لاخلاف فيه . ٥

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لاحد فى أن يظفر منه بشئ من خلاف لأمر الله ، أسقط ما عبر به فى ذكرهم أولا من خطابه و قال : (المخلفون) أى لمن يطعمون فيه من الصحابة أن يسعى فى تمكينهم من المسير فى جيشه صلى الله عليه وسلم لحقاه الحكم عليه ونحو ذلك ، ولم يقيدهم بالأعراب ليعم كل من كان يتخلف من ١٠ غيرهم (اذا انطلقتم) بتمكين الله لكم (الى مقام) .

ولما أفهم اللفظ الأخذ ، والتعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها ، صرح بالاول رفعا للجاز فقال : (لتأخذوها) أى من خير (ذرونا) أى 'على أى' حالة شتم من الأحوال الدنية (تتبعكم) ولما كان يلزم من تمكينهم من ذلك إخلاف وعد الله بأنها تخص أهل الحديدية ، ١٥ وأنه طرد المناققين وخيب قصدهم ، علل تعالى قولهم بقوله : (يريدون) أى بذهابهم معكم (ان يدلوا كلم الله ') أى المحيط ' بكل شئ ' قدرة

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من مد (م) من مد ، وفى الأصل و ظ : كان (٤-٤) سقط ما بين الرقين من مد ، وفى ظ : اى (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و مد .

و علما في الإخبار بلغتهم وإمارتهم، و ان فتح خير محتص باهل الحديبية،
لا يشركهم فيه إلا من وافقهم في النية و الهجرة، ليتوصلوا بذلك إلى
تشكيك أهل الإسلام فيه^١، والمراد أن فعلهم فعل من يريد ذلك،
و لا يبعد أن يكونوا صنفين: منهم من يريد ذلك، و منهم من لم يردده،
٥ ولكن فعل من يريده .

و لما كان السامع جديرا بأن يسأل عما يقال لهم، قال مخاطبا
لا صدق الخلق عليه الصلاة و السلام: ﴿ قل ﴾ أى 'يا حيي' لهم إذا
بلغك كلامهم أنت بنفسك، فان غيرك لا يقوم مقامك في هذا الامر
المهم، قولا مؤكدا: ﴿ لن تبعونا ﴾ و إن اجتهدتم في ذلك، و ساق
١٠ مساق النفي و إن كان المراد به النفي، لأنه مع كونه أكد يكون علما
من أعلام النبوة، و هو أزجر و أدل على الاستهانة .

و لما أذن هذا التأكيد أنه من عند من [لا - ٢] يخالف أصلا
في مراده، بينه تعالى بقوله: / ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا القول البديع
الشان العلى الرتبة ﴿ قال الله ﴾ أى الذى لا يكون إلا ما يريد، و ليس
١٥ هو كالمملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاءوا^٢ و العقاب لمن شاءوا^٣
﴿ من قبل^٤ ﴾ هذا الوقت، و هو الذى لا يمكن الخلف في قوله، فانه
قضى أن لا يحضر خير، المرادة بهذه الغنائم إلا من حضر الحديبية،

/ ٨٥٢

(١) من ظ و مد، و في الأصل: عليه (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ
و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ
و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و في الأصل: شاء (٦) من مد، و في
الأصل و ظ: يشاءوا .

و أمر بذلك فكان ما قال بعد اجتهاد بعض المخلفين في إخلافه فانهم
غيرهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا، فطلبوا أن يخرجوا معه صلى الله
عليه وسلم فنوا ' فلم يحضرها غيرهم أحد، وذلك أنه صلى الله عليه
وسلم رجع من الحديبية في ذى الحجة سنة ست، فأقام إلى أثناء محرم
سنة سبع، و خرج بأهل الحديبية إلى خير ففتحها الله عليه، و أخذ ه
جميع أموالها من المنقولات والعقارات، و أتى إليه صلى الله عليه وسلم
وهو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه و بعض
من معه من مهاجرة الحبشة، فأشركهم النبي صلى الله عليه وسلم مع
أهل الحديبية لأنهم لم يكونوا مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم

١٠

الإدراك .

ولما كانوا مناقين لا يمتدنون شيئا من هذه الأقوال، بل يظنون
أنها حيل على التوصل إلى المراتب الدنيوية، سبب عن قولهم له ذلك
تنديها على جلافتهم وفساد ظنونهم: (فيقولون) : ليس الأمر كما ذكر
مما ادعى أنه قول الله (بل) إنما ذلكم لأنكم (تحسدونا) فلا تريدون
أن يصل إلينا من مال الغنائم شئ . . ولما كان التقدير: و ليس الأمر ١٥
كما زعموا، رتب عليه قوله: (بل كانوا) أى جلبة وطبعا
(لا يفقهون) أى لا يفهمون فهم الحاذق الماهر (الا قليلا) فى أمر
دنيام، ومن ذلك إقرارهم بالإيمان لأجلها، وأما أمور الآخرة فلا يفهمون
منها شيئا .

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: فعوا .

ولما كان ذلك يوقع في نفس السامع السؤال عن هذا الطرد : هل يستمر ؟ أجيب بأنهم سيمتحنون بأمر شاق يحده الله للتمييز بين 'الخلص' وغيرهم' ، فقال مكررا لوصفهم بالتخلف لإعلاما بأنهم في الحقيقة ما تخلفوا ، بل منعوا طردا لهم وإبعادا معذبا لهم بما خلفهم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة من الخوف من قتال قريش لشدة بأسهم كما أثنى المحبين له صلى الله عليه وسلم بضد ما عزموا عليه من القتال إلى النصر أو الموت من كف أيديهم عنهم^٩ بما جعله الله سببا للفتح الأعظم^{١٠} والتفرغ^{١١} لفتح خيبر وأخذ غنائمها الكثيرة من غير^{١٢} كبير كلفة (قل) يا أعظم الخلق (للمخلفين) وزاد في ذمهم بنسبتهم إلى الجلالة فقال : (من الأعراب) أي أهل غلظ الأكباد ، ويجوز أن يكون هذا القيد للاحتراز عن المخلفين من أهل المدينة [فيكون إشارة إلى أن الأعراب ينقسمون عند هذا الدعاء إلى مطيع وعاص - كما أشار إليه تقسيمه سبحانه لهم - وأن المخلفين من أهل المدينة -^{١٣}] لمثل ما اعتل به الأعراب لا مطمع في صلاحهم : (سندعون) بوعده لاخلف فيه بأخبار^{١٤} محيط العلم والقدرة دعوة محيطة و^{١٥} نفيرا عاما^{١٦} لما أفهمه الإسناد إلى جميعهم من داع صحت إمامته^{١٧}

(١-١) من مد ، وفي الأصل : المخاض وغيره ، وفي ظ : الخلف وغيرهم
(٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنكم (٣-٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : المتفرغ (٤) زيد في الأصل : تكبير ولا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : من اخبار (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : معرا علما (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : امامه .

فوجبت طاعته ، و دل على بعدهم من أرضهم بقوله تعالى : (الى قوم) .

٨٥٣ /

ولما أفهم / التعبير بذلك أن لهم قوة و شدة على ما يحاولونه ، أوضح

المعنى بقوله : (اولى بأس^١) أى شدة فى الحرب و شجاعة مع مكر و دهاء

(شديد^٢) . و لما كان المعنى كأنه قيل^٣ : لما ذا؟ قال تعالى : (تقاتلونهم)

أى بأمر إمامكم (او يسلمون ج) أى يدعوكم إليهم ليكون أحد الامرين ه

المظهرين لأن كلمة الله هى العليا : المقاتلة منكم أو الإسلام منهم ، فان

لم يسلموا كان القتال لا غير ، و إن أسلموا لم يكن قتال ، لأن الإمام

لا غرض له إلا إعلاء كلمة الله ، و لا يكون شيء غير عذير الامرين

من إبقاء بجزية أو مصالحة أو متاركة إلى مدة ، و نحو ذلك ، و هذا الداعى

هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، و القوم^٤ بنو حنيفة و غيرهم من أهل ١٠

الردة الذين كان الدعاء لهم أول خلافة الصديق رضى الله عنه^٥ ، و أما قول

من قال : إنهم ثقيف ، فضعيف ، لأن الدعاء لم يكن إليهم ، إنما كان المقصود

بالذات فتح مكة ، و كان أمر هوازن و ثقيف و غيرها تبعاً له فى غزوته^٦ ،

لم يكن بينهم شيء ، و أيضاً فان ثقيف لما عسر أمرهم تركهم النبي صلى الله

عليه و سلم حتى أسلموا بعد ذلك ، و ترك أيضاً فلان هوازن فلم يتبعهم ١٥

و لم يؤمر باتباعهم ، فظاهر الآية أنه إذا انتشب القتال لم يترك إلا أن

حصل الإسلام ، و القول بأنهم فارس و الروم ضعيف أيضاً ، فان كلا منهم^٧

(١) وقع فى الأصل : قبل « تقاتلونهم » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ

و مد ، و فى الأصل : قل (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) من ظ و مد

و فى الأصل : غزته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

تقبل منه الجزية ، و تأويله بأنه إسلام لغوى لا داع له مع إمكان الحقيقة ،
 وقد كان ما أشار إليه التقسيم فانهم لما دعوا [إليهم انقسموا - ١] إلى
 مجيب وهم الأكثر ، و قد آتاهم الله الاجر الحسن في الدنيا بالغنيمة
 و الذكر الجليل و هو المرجو في الآخرة ، ٢ و مرتد وهم قليل ٣ و قد
 ٥ اذاقهم الله العذاب الاليم في الدنيا بالقتل على أقبح حال ، و هو يذيقهم في
 الآخرة أعظم النكال ، و أما قتال غير العرب فأطاع فيه الكل و لم يحصل
 فيه ما أشير إليه من التقسيم ، فتحقق بهذا أنهم أهل الردة - و الله
 الموفق ، و لذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول في حالهم مبها
 له إشارة إلى أنهم عند الدعاء ينقسمون إلى مقبل و متول : (فان تطيعوا)
 ١٠ أى توقعوا الطاعة للداعى إلى ذلك ، و هو أبو بكر رضى الله عنه
 (يؤتكم الله) أى الذى له الإحاطة ٤ و القدرة على الإعطاء و المنع ،
 لا راد لأمره ٥ (اجرا حسنا) دينا و أخرى ، جعل الله طاعة أبى بكر
 رضى الله عنه في هذا الأمر بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله
 عليه و سلم الذى طاعته طاعة الله ، جزاء له على خصوصه في مزيد تسليبه
 ١٥ لما فعله النبي صلى الله عليه و سلم من الصلح و ثباته بما أجاب به عمر
 رضى الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه و سلم من غير أن يكون
 حاضرا له كما هو معلوم من السيرة .

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا الى ه في الآخرة ، سائطة من ظ .

(٣) من مد ، و في الأصل : قليلا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : هذا .

(هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

ولما كانت مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يقوم مقامه
لا تكون إلا عن منازعة في الفطرة الأولى ومعالجة لها، عبر بالفعل^١ فقال:
(و ان تتولوا) عن قبول دعوته عصيانا (كما توليتم) أى عالجتم
أنفسكم وكلفتموها التولى بالتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم
(من قبل) / أى بعض الأزمان التى تقدمت على هذا الدعاء، 'و ذلك فى' ٥ / ٨٥٤
الحديثية (يعذبكم) أى يخاطبكم بعقوبة تزيل العذوبة فى الدنيا أو فى
الآخرة أو فيهما (عذابا اليما) لآجل تكرر ذلك منكم.

ولما توعد المتخلفين بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم توعدهم فى التقاعد عن هذا الإمام القائم بعده بالحق، 'وكان' أهل
الاعذار لا يتيسر لهم ما أريد بهذا الدعاء. وكان الدين مبنيًا على الحنيفية ١٠
السمحة، استأنف قوله تعالى مسكنًا لما استأنه^٢ الوعيد من روعهم:
(ليس على الاعمى) أى فى تخلفه عن الدعاء إلى الخروج مع النبي
صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من أئمة الدعاء (خرج) أى ميل
بثقل الإثم لآجل أن عماء موهن لسعيه وجميع بطشه، و لآجل تأكيد
المعنى تسكينًا لما ثار من روع المؤمن كرر النافي والخرج فى كل جملة ١٥
مستقلة تأكيدًا لهذا الأمر فقال: (ولا على الاعرج) وإن كان

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: بالفعل (٢-٢) من ظ ومد، وفى
الأصل: فلكم كان فى امر (٣) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ
ومد لحذفها (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: فكان (٥) من مد،
وفى الأصل و ظ: استأنه.

نقصه ادنى من نقص العمى (حرج) و جعل كل جملة مستقلة تأكيداً لهذا الحكم .

ولما ذكر هذين الاثرين الخاصين المزيدين سرهما في العاقبة عن كمال الجهاد، عم بقوله : (ولا على المريض) أى بأى مرض (حرج) فلم يخرج أهل هذه الأعذار الذين لم يمنعمهم إلا إغذارهم عن أهل الحديبية، و أطلق الحرج المنفى ليقبل التقدير بالتخلف و لا حاجة لأن حضورهم لا يخلو عن نفع في الجهاد، و ذكر هكذا دون أسلوب الاستثناء إيداناً بأنهم لم يدخلوا في الوعيد أصلاً حتى يخرجوا منه .

ولما بشر المطيعين لتلك الدعوة و توعدهم القاعدين عنها و عذر المعذورين، وكانت إجابة المعذورين جائزة، بل أرفع من قعودهم، و لذلك لم ينف إجابتهم إنما نفى الحرج، قال معما عاطفاً على ما تقديره : فن تخلف منهم فتخلفه مباح له : (ومن يطع الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفاً، المانع منها من يشاء و إن كان قوياً (ورسوله) من المعذورين و غيرهم فيما ندبوا إليه ١٥ من أى طاعة كانت إجابته (يدخله) أى الله الملك الأعظم [جزاء له - ٢] (جنت تجري) و نبه على قر - منال الماء بثبات الجار في قوله : (من تحتها الانهرج) أى فنى أى موضع أردت أجريت نهراً (ومن يتول) أى كائناً من كان من المخاطبين الآن و غيرهم، عن

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : هذا (٢) في مد : توعده (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) من مد، وفي الأصل و ظ : ما .

طاعة من الطاعات التي أمرا بها من أى طاعة كانت (يعذبه) أى على توليه فى الدارين أو إحداها (عذابا اليما) وقراءة أهل المدينة والشام " ندخله و نعذبه " بالنون أظهر فى إرادة العظمة لأجل تعظيم النعمة و النعمة .

و لما وعد المطيع وأوعد العاصى ، و كانت النفوس إلى الوعد اشد هـ
التفاتا ، دل عليه بثواب عظيم منه أمر محسوس يعظم جذبه للنفوس
القاصرة عن النفوذ فى عالم الغيب . فقال مؤكدا لأن أعظم المراد به
المذبذبون ، مفتحا بقدر لأن السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة
الإلهية أنها إذا شوقت إلى شئ . دلت عليه بمشهود يقرب الغائب الموعود :

(لقد رضى الله) أى الذى له الجلال و الجلال (عن المؤمنين) أى ١٠

الراغبين / فى الإيمان ، أى فعل معهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح ٨٥٥ /
و ما قدر له من الثواب ، وأفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فحذفهم
فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة ، فالآيات تقرير لما ذكر من جزاء
الفريقين بأمور مشاهدة .

و لما ذكر الرضى ، ذكر رفته للدلالة على سببه فقال : (اذ) ١٥
أى حين ، و صور حالهم إعلاما بأنها سارة معجبة شديدة السوخ فى
الرضا فقال : (يا يابونك) فى عمرة الحديبية لما صد المشركون عن
الوصول إلى البيت ، فبعث عثمان رضى الله عنه إليهم لينبئهم بأنك لم تجئ

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : امر (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
اعظم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : القعود .

لقتال و إنما جئت للعمرة . فملكك أنهم قتلوه فهدبت إلى البيعة لما جرتهم
فأيملك كل من كان معك على أن لا يفرأ لتناجز بهم القوم ؛ وزاد
الامر يانا و قبله تفضيلا لأهل البيعة بقوله : ﴿ تحت الشجرة ﴾ و اللام
للعهد الذهبي ، و كانت شجرة في الموضع الذي كان النبي صلى الله عليه
و سلم نازلا به في الحديبية ، و لأجل هذا الرضى سميت بعة الرضوان .
و روى البغوى^١ من طريق الثعلبي عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله
عليه و سلم قال : لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة .

و لما دل على إخلاصهم بما وصفهم ، سبب عنه قوله : ﴿ فاعلم ﴾
أى لما له من الإحاطة ﴿ ما فى قلوبهم ﴾ أى من مطابقته لما قالوا
١٠ . بألسنتهم فى البيعة ، و أن ما حصل لبعضهم من الاضطراب فى قبول الصلح
و الكآبة منه إنما هو لمحبة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و إثارة ما
يريد من إعلاء دينه و إظهاره لا عن شك فى الدين ، و سبب عن هذا
العلم رغباً [فى -] مثل هذا المحدث عنهم قوله : ﴿ فأنزل السكينة ﴾
أى بثبات القلوب و طمانينتها فى كل حالة رضى الله و رسوله ، و دل
١٥ على عظمها بحيث أنها تغلب الخوف و إن عظم بقوله : ﴿ عليهم ﴾
فأثر ذلك أنهم لم يخافوا عاقبة القتال لما نذبوا إليه و إن كانوا فى كثرة
الكفار كالشجرة البيضاء فى جنب الثور الأسود ، لا أثر الصلح بما يترامى
فيه من الضعف و غيره^٢ من مخايل النقص فى قلوبهم فى ذلك المقام الدحض

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٦٤/٦ (٢) زيد من ظ و مد (م) ريدت
الواو فى الأصل و لم تكن و ظ و مد فحذفها .

و الموطن الضنك إلا ريثما^١ رأوا صدق عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم
و مضى أمره في ذلك بما يفعل و يقول .

و لما ذكر منه سبحانه و تعالى عليهم بما هو الأصل الذى لا يبنى^٢
إلا عليه، أتبعه آثاره فقال : ﴿ واثابهم ﴾ أى أعطاهم جزاء لهم على ما
وهمهم من الطاعة و السكينة فيها جزاء، مقبلا عليهم، يملا^٣ مواضع ه
احتياجهم، هو أهل^٤ لأن يقصده لإنسان و يتردد فى طلبه لما له من
الإقبال و المكنة و الشمول ﴿ فتحا ﴾ بما أوقع سبحانه من الصلح
المرتب-على تعجيز قريش عن القتال ﴿ قريبا لا ﴾ بترك القتال الموجب
بعد راحتهم و قوتهم و جموعهم^٥ لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل
فى الدين من كان مابعدا له لما يرى من محاسنه، فسيكون الفتح الأعظم ١٠
فتح المبكك المشرفة الذى هو سبب لفتح جميع البلاد.

و لما ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال : ﴿ و مغانم ﴾ فبه بصيغة
منتهى المجموع إلى أنها عظيمة، ثم صرح بذلك فى قوله : ﴿ كثيرة ﴾
و لما كان / الشئ ربما أطلق على ما هو بالقوة دون الفعل، أزال ذلك
٨٥٦ /

بقوله تعالى ﴿ ياخذونها ﴾ و هى خير . و لما كان ذلك مستبعا للكثرة ١٥
الكفار و قلة المؤمنين، بين سببه فقال عاطفا على ما تقديره : بعزة الله
و حكته : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى لا كفوه له ﴿ عزبزا ﴾ أى يغلب
و لا يغلب ﴿ حكيماء ﴾ يتقن ما يريد فلا ينقض .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : ابتما (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : يبنى .

(٣) من مد، و فى الأصل و ظ : اصل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ :

جموعهم .

ولما قرب ذلك و تأكد و تحرر و تقرر ، اقبل سبحانه و تعالى عليهم بالخطاب تأكيداً لمسامحهم فقال مزبلاً لكل احتمال يتردد في خواطر المخلفين : ﴿ وعدكم الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ مقامكم ﴾ و حقق معناها بقوله : ﴿ كثيرة تاخذونها ﴾ أى فيما يأتى من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر ، ثم سبب عن هذا الوعد قوله : ﴿ فمجل لكم ﴾ أى منها ﴿ هذه ﴾ أى القضية التى أوقعها بينكم و بين قريش من وضع الحرب عشر سنين ، و من أنكم تأتون فى العام المقبل فى مثل هذا الشهر معتبرين فانها سبب ذلك كله ، عزاه أبو حيان لابن عباس رضى الله عنهما و هو فى غاية الظهور ، و يمكن أن يكون المعنى : التى فتحها عليكم من خير من سبيها و أموالها المنقولات و غيرها ﴿ وكف ايدى الناس ﴾ أى من أهل خير و حلفائهم أسد و غطفان أن يعينوا أهل خير أو يغيروا على عيالاتكم بعد ما هموا بذلك بعد ما كف ايدى قريش و من دخل فى عهدهم بالصالح ﴿ عنكم ﴾ على ما أتم فيه من القلة و الضعف .

ولما كان التقدير : رحمة لكم على طاعتكم لله و رسوله و جزاء لتقوى اأيديكم ، و تروا أسباب الفتح القرية بما يدخل من الناس فى دينكم عند المحاطبة بسبب الإيمان ، عطف عليه قوله : ﴿ ولتكون ﴾ أى هذه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكلفين (٢) زيد فى الأصل : و انتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) راجع البحر المحيط ٩٧/٨ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لان ابن (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عيالك .

الاسباب من الفتح والإسلام (آية) أى علامة هى فى غاية الوضوح
 (للؤمنين) أى منكم على دخول المسجد الحرام^١ آمنين فى العمرة^٢ ثم
 فى الفتح ومنكم ومن غيركم من الراسخين فى الإيمان إلى يوم القيامة على
 جميع ما يخبر الله به على ما وقع التدريب عليه فى هذا التدبير الذى
 دربه لكم من أنه لطيف يوصل إلى الاشياء العظيمة بأضداد أسبابها فيها ه
 يرى الناس فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين وقوة المنابذين أبداً، فان
 سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالإحسان الذى عماده الرسوخ فى
 الإيمان الذى علق الحكم به . فحيث ما وجد عليه وجد المعلق وهو
 النصر بأسباب جليلة أو خفية (ويهديكم) فى نحو هذا الامر الذى
 دهمكم فأزججكم بالثبات عند سماع الموعد والوعيد والثقة بمضمونه لانه ١٠
 قادر حكيم، فهو لا يخاف الميعاد بأن يهديكم (صراطا مستقيما) أى
 طريقا واسعا واضحا موصلا إلى الكرامة من غير شك، وهذا من
 أعلام النبوة فانه لم يرغ أحد^٣ من المخاطبين بهذه الآية وهم أهل
 الحديث [وكأنه -^٤] والله أعلم لذلك لم يقل : ويهديهم^٥ - بالغيب على
 ما اقتضاه السياق ثلاثين غيرهم ممن يظهر صدقه فى الإيمان ثم يزىغ، ١٥
 ولذا أكثر تفاصيل هذه السورة من أعلام النبوة، فانه وقع الإخبار
 به قبل وقوعه . ولما سرهم سبحانه بما بشرهم به من كون القضية فتحا

(١) زيد فى ظ : إن شاء الله (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : العجزة .
 (٣-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يرع احدكم (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : يهديكم .

و من غنائم خير، أتبع ذلك البشارة دالا على انها لامطعم لهم في حوزة و لاعلاجه / لولا ' معرته فقال : ﴿ و اخرى ﴾ أى و وعدم مغائم كثيرة غير هذه و هى - و الله أعلم - مغائم هوازن التى لم يحصل قبلها ما يقاربها . و لما كان فى علمه سبحانه و تعالى أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم مقرون فيها إلا من لا يمكنه فى العادة أن يهزمهم ليحرى الغنائم، فكان ما فى علمه تعالى لتحقيقه كالذى وقع و انقضى، قال تعالى : ﴿ لم تقدروا ﴾ أى بما علمتم من قراركم ﴿ عليها ﴾ و لما توقع [السامع -] بعد علمه بعجزهم عنها الإخبار عن السبب الموصل إلى أخذها بما تقرر عند من صدق الوعد بها، قال مفتحا بحرف التوقع : ﴿ قد احاط الله ﴾ ١٠ أى المحيط بكل شيء علما و قدرة ﴿ بها ﴾ فكانت بمنزلة ما أدير عليه سور مانع من أن يغلب منها شيء عن حوزتكم أو يقدر غيركم أن يأخذ منها شيئا، ' و لذلك' [و -] للتعظيم ختم الآية بقوله : ﴿ و كان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال أزلا و أبدا ﴿ على كل شيء ﴾ منها و من غيرها ﴿ قديرا ﴾ بالعلم القدرة لأنه بكل شيء عليم .

١٥ و لما قدم سبحانه أنه كف أيدي الناس عنكم أجمعين، ذكر حكمهم لو وقع قتال، فقال مقررًا لقدرته عاطفا على نحو: ولو أراد لمسكنكم من الاعتبار، مؤكدا لاجل استبعاد من يستبعد ذلك من الأعراب و غيرهم:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لو (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : عليها (٤-٥) سقط ما بين الرقين من مد (هـ) من ظ و مد، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : سكنكم - كذا .

(ولو قاتلكم) أى فى هذا الوجه (الذين كفروا) أى أوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه ومن دونه، وهم أهل مكة ومن لا فقههم، وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحايش^١ ومن أطاعهم وقدموا^٢ خالد بن الوليد طليعة لهم إلى كراع الغميم، ولم يكن أسلم بعد (لولوا) أى بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين .

ولما كان عدم نصرهم بعد التولية مستبعدا أيضا لما لهم من كثرة الامداد وقوة الحمية، قال معبرا بأداة البعد : (ثم) أى بعد طول الزمان وكثرة الأعوان (لا يجدون) فى وقت من الأوقات (وليا) أى يفعل معهم فعل القريب من الحياطة والشفقة والحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية (ولا نصيراه) .

ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل وأتباعهم، وأن جندنا لهم الغالبون، قال تعالى : (سنة الله) أى سن المحيط بهذا الخلق فى هذا الزمان وما بعده كما كان محيطا بالخلق فى قديم الدهر، ولذلك^٣ قال : (التي قد خلت) أى سنة مؤكدة لا تتغير، وأكد الجار لاجل [أن -] القتال ما وقع فى الزمان الماضى ١٥ إلا بعد نزول التوراة فقال : (من قبل ملء) وأما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بأمر من عند الله بغير^٤ أيدي المؤمنين (ولن تجد) أيها

(١) من مد، وفى الأصل وظ : الاجانيس (٢) من مد، وفى الأصل : قد . وفى ظ : قدم (٣) فى ظ : ذلك (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى الأصل : من، وفى ظ : من غير (٦) زيد فى الأصل : أى، ولم تكن الريادة فى ظ و مد لخدمناها .

السامع ﴿لَسَنَةُ اللَّهِ﴾ الذى لا يخلف قولاً لانه محيطة بجميع صفات الكمال ﴿تبديلاً﴾ أى تغيراً من مغير ما ، يغيرها بما يكون بدلهما .

ولما تقرر أن الكفار مغلوبون وإن قالوا ، وكان ذلك من خوارق العادات مع كثرتهم دائماً وقلة المؤمنين حتى يأتي أمر الله ه موقفاً للعلم القطعى بأنه ما دبره إلا الواحد القهار القادر المختار ، عطف عليه عجباً آخر وهو عدم تغير / أهل مكة في هذه العمرة للقتال بعد تعامدهم وتعاقدهم عليه مع ما لهم من قوة العزائم وشدة الشكايم ، فقال عاطفاً على ما تقديره : هو الذى سن هذه السنة العامة : ﴿وهو الذى كف﴾ أى وحده ، من غير معين له على ذلك ، ﴿أيديهم﴾ أى الذين كفروا ١٠ من أهل مكة وغيرهم ، فإن الكل شرع واحد ﴿عكم وأيديكم﴾ أيها المؤمنون ﴿عنهم﴾ .

ولما كان الكفار لو بسطوا أيديهم مع ما حتمه الله وسنه من تولية الكفار دخلوا مكة قال : ﴿بيطن مكة﴾ أى كائناً كل منكم ومنهم فى داخل مكة هم حالا وأنتم مآلاً ، وعن القفال أنه قال : يجوز أن يراد به الحديدية لأنها من الحرم - انتهى . و عبر باليمين دون الباء كما فى آل عمران إشارة إلى أنه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا الاسم من الجمع والنقض والتقية ، فسبب لهم أسباب الاجتماع والتقية من الذنوب -

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : قوله (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : تقديرها (٣) فى مد : عطفاً (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) من مد وفى الأصل و ظ : ختم .

بما أشارت^١ إليه آية المرة^٢ حالا و آيات الفتح مآلا ، و وفى بما^٣ يدل عليه اسمها من الأهل^٤ على خلاف القياس .

و لما كان هذا ليس مستغرقا لجميع الزمان الآتى ، بل لابد أن يبسط أيدى المؤمنين بها يوم الفتح ، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من بعد ان اظفركم ﴾ أى أوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم و جعل لكم الطول و العز ﴿ عليهم ﴾ ه و ذلك فيما رواه أصحاب السير^٥ قالوا : و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه إلى قريش بمكة و حمله على بعير له فقال له انتغلب : ليلغ أشرافهم عنه ما جاء له^٦ فقفروا^٧ جل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أرادوا قتله ، فنهه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسوله الله صلى الله عليه و سلم ، و بعثت قريش أربعين ١٠ رجلا منهم أو خمسين و أمروهم أن يطوفوا^٨ بعسكر رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصيوا لهم من أصحابه أحدا^٩ فأخذوا أخذاء فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فعفا عنهم و خلى سبيلهم ، و قد كانوا رموا فى عسكره بالحجارة و النبل ، ثم ذكروا إرساله صلى الله عليه و سلم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : البقرة (٣) فى مد : ٤ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك (ه) فى ظ : السن . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٧) زيد فى الأصل : به ، و فى مد : آية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : يطبقوا ، و فى ظ : يطبقوا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

لعثمان رضى الله عنه إلى مكة ثم إرسال قريش لسهيل بن عمرو في الصلح ،
 وروى مسلم في صحيحه^١ عن سلة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما
 اصطالحنا و اختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في أصلها
 فأثناني^٢ أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون^٣ في النبي صلى
 الله عليه وسلم فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم
 و اضطجعوا ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا آل
 المهاجرين^٤ : قتل ابن زنيم ، فاخرطت سيفي ثم شددت^٥ على أولئك
 الأربعة^٦ وهم رقاد^٧ فأخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثا في يدي ، ثم قلت :
 والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه إلا
 ١٠ [ضربت - ^٨] الذى فيه^٩ عينا^{١٠} ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم و جاء عمى عامر رضى الله عنه برجل من العبلات
 يقال له مكرز / يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس
 مجفف في سبعين من المشركين . فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : دعوهم يكن^{١١} لهم بدؤ الفجور و ثناه ، فعفا عنهم فأزل الله تعالى

/ ٨٥٩

(١) راجع ٢ / ١١٣ (٢) من ظ و مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل : فأتى .
 (٣) من ظ و مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل : يقعونى (٤) في صحيح :
 يا للمهاجرين (٥) و زيد قبله في الأصل و ظ : قد ، و لم تكن الزيادة في مد
 و صحيح مسلم لحذفها (٦) زيد في الأصل : عليهم أى ، و لم تكن الزيادة في ظ
 و مد و صحيح مسلم لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) زيد من مد
 و صحيح مسلم (٩) من مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل و ظ : فيها (١٠) من مد
 و صحيح مسلم ، وفي الأصل و ظ : يكون .

”و هو الذى كف ايديهم عنكم و ايديكم عنهم“ الآية - انتهى . و روى مسلم^١ و النسائي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل التنعيم متسلحين ، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضى الله عنهم ، و فى رواية النسائي : قالوا : نأخذ محمدا - صلى الله عليه وسلم - و أصحابه ، فأخذهم^٥ النبي صلى الله عليه وسلم سلبا فاستحيام فأ نزل الله عز وجل ” و هو الذى كف ايديهم عنكم“ الآية .

و لما كان هذا و نحوه من عنف أهل مكة و غلظتهم و صلابتهم و شدتهم و رفق النبي صلى الله عليه وسلم و لينه لهم مما أحزن أغلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال تعالى يسليهم : (و كان الله) أى ١٠ المحيط بالجلال و الإكرام (بما يعملون) أى الكفار - على قراءة أبى عمرو بالغيب^٢ ، و أتم - على قراءة الباقيين^٣ بالخطاب فى ذلك الوقت و فيما بعده كما كان قبله (بصيرا ه) أى محيط العلم بواطن ذلك كما هو محيط بظواهره^٤ فهو يحبره فى هذه الدار التى^٥ ربط فيها المسيات بأسبابها على أوثق الأسباب فى نصركم و غلبكم لهم و قسرهم ، و ستعلمون ١٥ ما دبره من دخولكم مكة المشرقة آمنين لا تخافون فى عمرة القضاء صلحا ثم فى الفتح بمحفل جرار قد نيطت^٦ أظفار المنايا بأسنة رماحه . و عادت^٨

(١) راجع أبواب الجهاد (٢) سقط من ظ (٣) راجع ثمر المرجان ٦/١٤٢ (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد لحذفها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بظواهرهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سطت (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : غارت .

كَؤُسُ الْحَمَامِ طَوْعًا لَبِیْضُ صَاحِبِهِ ، فَيُؤْمِنُ أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ
مَنْ هُوَ الْآنَ جَاهِدَ عَلَيْكُمْ ، وَیَصِيرُونَ أَحِبَّ النَّاسِ فِیْكُمْ یَقْدَهُونَ أَنْفُسَهُمْ
فِی جِهَادِ الْكُفَّارِ دُونَكُمْ ، فِیَفْتَحُ اللَّهُ بِكُمْ الْبِلَادَ ، وَیُظْهِرُكُمْ^(١) - وَهُوَ أَعْظَمُ
الْمُحَامِلِينَ عَنْكُمْ - عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ .

٥ ولما كان ما مضى من وصمهم على وجه يشمل غيرهم من جميع
الكفار، عينهم مينا لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم في ذلك الوقت
للإبوار والتكال والدمار فقال: ﴿ هُمْ ﴾ أى أهل مكة و [من -^٢]
لأفهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوغلوا في هذا الوصف بجميع مواطنهم
و تمام ظواهرهم ﴿ و صدوكم ﴾ زيادة على كفرهم في عمرة الحديبية هذه
١٠ ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أى مكة ، و نفس المسجد الحرام ، و الكعبة ،
للاخلال بما أتم فيه من شعار الإحرام [بالعمرة -^٣] ﴿ و الهدى ﴾
أى و صدوا ما أهديتموه إلى مكة المشرقة لتذبجوه بها و تفرقوه على
الفقراء، و منه أربعون ، و في رواية: سبعون بدنة، كان أهداها النبي صلى الله
عليه و سلم ﴿ معكروفا ﴾ أى حال كونه مجموعا محبوسا مع رعيكم له
١٥ و إصلاحه^٤ لما أهدى^٥ لأجله ﴿ ان يبلغ محله^٦ ﴾ أى الموضع الذى هو
أولى المواضع لنحره ، و هو الذى إذا أطلق انصرف الذهن إليه ، و هو
في العمرة المروءة ، و يجوز الذبح في الحج و العمرة في أى موضع كان
من الحرم ، فالوضع الذى بحر فيه النبي صلى الله عليه و سلم في هذه
(١) في مد: يظهرهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد ، و في الأصل ،
ما أهديتم .

المرّة عند الإحصار ليس محله المطلق .

و لما كان التقدير : فلو لا ما أشار إليه من ربط المصيات بأسبابها
 لسلطكم عليهم فغلبتموهم / على المسجد و أتممت عمرتكم على ما أردتم ، ثم
 ٨٦٠ / عطف [عليه -^١] أمرا أخص^٢ منه فقال : ﴿ و لو لا رجال ﴾ أى مقيمون
 بين أظهر الكفار بمكة ﴿ مؤمنون ﴾ أى [عريقون فى الإيمان فكانوا هـ
 لذلك أهلا للوصف بالرجولية ﴾ و نساء مؤمنات ﴿ أى -^٣] كذلك ،
 - حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفهم فحرم
 الهجرة ، على أن ذلك شامل لمن جيله الله على الخير و علم منه الإيمان
 و إن كان فى ذلك الوقت مشركا ﴿ لم تعلموهم ﴾ أى لم يحيط علمكم بهم
 من جميع الوجوه لتميؤهم بأعيانهم عن المشركين لأنهم ليس لهم قوة ١٠
 التمييز منهم بأنفسهم و أنتم لا تعرفون أما كنتم لتعاملوهم بما هم له أهل
 و لاسيما فى حال الحرب و الطعن و الضرب ، ثم أبدل من " الرجال
 و النساء " قوله : ﴿ ان تظؤهم ﴾ أى تؤذوهم بالقتل^٤ أو ما يقاربه من
 الجراح و الضرب و النهب و نحوه من الوطء الذى هو الإيقاع بالحرب
 منه قوله صلى الله عليه و سلم " آخر وطأة وطنها الله بوج " يكون ١٥
 ذلك الأذى منكم لهم على [ظن -^٥] أنهم مشركون أذى الدائس لمُدوس

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : خص (م) زيد مرظ و مد .

(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لذلك (هـ) ليس فى مد (٦ - ٦) من ظ

و مد . وفى الأصل : لان (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اى .

و تضغطوهم^١ و تأخذوهم أخذاً شديداً بقهر و غلبة تصيرون به لا تردون^٢
يد لأمس و لا تقدرن على مدافعة (قصيكم) أى فيسبب عن هذا
الوطى أن يصيكم (منهم) أى من جهتهم و بسيتهم (معة) أى
مكروه و أذى هو كالجرب فى انتشاره و أذاه، و لائم و خيانة بقتال
ه دون إذن خاص، و بدم الإمان فى البحث، و غرم و كفارة و دية
و تأسف و تعير بمن لا علم له، ثم علق بالوطى المسبب عنه إصابة
المعة إتماماً للمعنى قوله: (بغير علم ه) أى بأنهم^٣ من المؤمنين .

و لما دل السياق على أن جواب "لولا" محذوف تقديره: لسلطكم
عليهم و ما كف أيديكم عنهم، ولكنه علم ذلك، و علم أنه سيؤمن
١٠ ناس من المشركين فمن عليكم بأن رفع حرج إصابتهم بغير علم عنكم،
و سبب لكم أسباب الفتح الذى كان يتوقع بسبب تسلطكم^٤ عليهم بأمر
سهل، و كف أيديكم و لم يسلطكم عليهم (ليدخل الله) أى الذى له
جميع صفات الكمال (فى رحمته) أى إكرامه و إنعامه (من يشاء ج)
من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام، و من المؤمنين بأن يستنقذهم منهم
١٥ على أرفق وجه . و لما كان ذلك، أتبع قوله تعالى: (لوتزيلوا) أى
تفرقوا فزال أحد الفريقين عن الآخر زوالاً^٥ نظماً بحيث لا يختلط صنف

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تضعضوهم (٢) من مد، و فى الأصل
و ظ: لا ترد (٣) من مد، و فى الأصل: بإيمانهم (٤) من مد، و فى الأصل
و ظ: او (ه) من مد، و فى الأصل و ظ: تسلطكم (٦) زيد فى الأصل:
كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٧) فى مد: زولا .

بغيره فيؤمن وطى المؤمنين له بغير علم ﴿ لذنبا ﴾ أى بأيديكم بتسليطنا
أو بمجرد أيدنا من غير واسطة ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا
ستر الإيمان .

ولما كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من أهل الارض ،
صرح بما دل عليه السياق فقال : ﴿ منهم ﴾ أى الفريقين وهم الصادون ه
﴿ عذابا اليما ﴾ أى شديد الإجماع بأيديكم أو من عندنا لتوصلكم إلى
قصدكم من الاعتار و الظهور على الكفار ، ففيه اعتذار و تدريب على
تأدب بعضهم مع بعض ، و فى الإشارة إلى بيان سر من أسرار منع الله
تعالى لهم من التسليط ٢ / عليهم حث للعبد ٣ على أن لا يتهم الله فى قضائه
فربما عسر عليه أمرا يظهر له أن السعادة كانت فيه وفى باطنه سم ١٠
قاتل ، فيكون منع الله له منه رحمة فى الباطن وإن كان نقمة فى الظاهر ،
فالزم التسليم مع الاجتهاد فى الخير و الحرص عليه و الندم على فواته
و إياك ٤ و الاعتراض ٥ ، وفى الآية أيضا [أن - ٦] الله تعالى قد يدفع عن
الكافر لأجل المؤمن .

ولما بين شرط استحقاقهم للذاب ، بين وقته ، و فيه بيان لعلته ، ١٥
فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما ترى من
الحق فى رأى عقولهم ﴿ فى قلوبهم ﴾ أى قلوب أنفسهم ﴿ الحمية ﴾ أى
(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : اعتداد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ ؛
انسائط (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لاتبيد (٤) من مد ، وفى الأصل
و ظ : لا يأتهم (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : فى (٦ - ٦) من ظ و مد ،
وفى الأصل : فى الاعراض (٧) زيد من مد .

المنع الشديد والآفة و الإباء الذى هو فى شدة حره و نفوذه فى أشد
الاجسام كالحم و النار . و لما كان مثل هذه الحمية قد تكون موجبة
للرحمة بأن تكون لله ، قال مبينا معظما لجرمها : (حمية الجاهلية) التى
مدارها مطلق المنع أى سواء كان بحق أو باطل ، فتمنع من الإذعان
للحق ، و مبناها التشفى^٢ على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب^٣ تخطى حدود
الشرع ، و لذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرقة لزيارة البيت
[العتيق - °] الذى الناس فيه سواء ، و من الإقرار بالبسلة ، فأتجت
لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى و طاشوا و خفوا إلى الشرك
الذى هو أبطل الباطل .

١٠ و لما كانت هذه الحمية مع الكثرة موجبة و لا بد ذل من تصوب
إليه و لاسيما إن كان قليلا ، بين دلالة على أن الأمر تابع لمشيئته لا لجارى
العادة أنه تأثر عنها ضد ما تقتضيه عادة ، فقال مسييا عن هذه الحمية :
(فازل الله) أى الذى لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء بسبب^٤ حميةهم
(سكبته) أى الشيء اللائق إضافته إليه سبحانه من الفهم عن الله
١٥ و^٥ الروح الموجب لسكون القلب المؤثر للأقدام على العدو و النصر عليه ،
إنزالا كانوا (على رسوله) صلى الله عليه و سلم^٦ الذى عظمت من عظمته ،

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :
الشقى (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلذلك (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى
الأصل و ظ : تسبب (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٨) زيد فى الأصل
و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فهم عن الله مراده في هذه القضية فجري على أم ما يرضيه (وعلى المؤمنين) رضى الله تعالى عنهم^١ العريقين في الإيمان لأنهم أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأنصار دينه فألزمهم قبول أمره الذى [نهمه عن الله و-^٢] خفى عن أكثرهم حتى [نهمتموه-^٣] صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة الفتح وحامهم عن همزات الشياطين، ولم يدخلهم ما دخل هـ الكفار من الحمية ليقاتلوا غضبا لأنفسهم فيتعدوا حدود الشرع (و الزمهم) أى المؤمنين إلزام إكرام أو تشريف، لا إلزام إهانة وتعنيف (كلمة التقوى) وهى كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى وإعلاء كلمة الإخلاص المتقدم فى سورة القتال وهى لا إله إلا الله التى هى أحق الحق، يقتضى التحقق بمدلولها من أنه لا فاعل إلا الله الثبات على كل ما أخبر به رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم / من التوحيد والبسلة والرسالة مع تغيير الكتابة بكل منهما لأجل الكفار فى ذلك المقام الدحض الذى لا يكاد يثبت فيه قدم، وأضافها إلى التقوى التى هى اتخاذ سائر بقى حر النار فجعلها وصفا لازما لهم غير منفك عنهم لأنها سببها الحامل عليها، ويجمع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية وهى لا إله إلا الله^٤ فانها كلمة - ١٥ كما قال الرازى - أولها نفى الشرك وآخرها تعلق بالإلهية، وهذا من أعلام النبوة، فان أهل الحديدية الذين ألزموا هذه الكلمة ماتوا كلهم

(١) زيد فى الأصل: وهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: وحده لا شريك له، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

على الإسلام ﴿ وكانوا ﴾ أى جبلة و طبعاً . ولما كان من الكفار من يستحقها فى علم الله فيصير مؤمناً ، عبر بأفعل التفضيل فقال تعالى : ﴿ احق بها ﴾ أى كلمة التقوى من الكفار و الأعراب و غيرهم من جميع الخلق ، و لمثل هذا التعميم ' أطلق الأمر بمحذف المفضل عليه ' .
هـ ولما كان الأحق بالشئ قد لا يكون أهله من أول الأمر قال تعالى :

﴿ واهلها ﴾ أى ولاتها و الملازمون لها ملازمة العشير بعشيرته و الدائنون لها و الآلفون لها . ولما كان الحكم بذلك لا يكون إلا لعالم قال عاطفاً على ما تقديره : لما علم الله من صلاح قلوبهم و صفاتها :

﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بالكائنات كلها^٢ علماً و قدرة ﴿ بكل شئ ﴾
١٠ من ذلك و غيره ' ﴿ عليماً ﴾ أى محيط العلم^٣ الدقيق و الجلى^٤ ، و الآية

من الاحتباك : ذكر حمية الجاهلية أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، و كلمة التقوى ثانياً دليلاً على ضدها أولاً ، و سره أنه ذكر بجمع الشر أولاً ترهيباً منه و بجمع الخير ثانياً ترغيباً فيه . ولما أقرر سبحانه و تعالى عليه بالعواقب

لإحاطة عليه و وجه أسباب كفه أيدي الفريقين و بين ما فيه من المصالح

١٥ و ما فى التسليط من المفاسد من قتل^٥ من حكم بإيمانه من المشركين وإصابة

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : التمتع (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : علة .

(٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :

غير (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : التام (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :

تقرر عليه سبحانه و تعالى (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : قبل .

من لا يعلم^١ من المؤمنين - وغير ذلك إلى أن ختم بأحاطة علمه المستلزم لشمول قدرته ، أتج ذلك قوله لمن توقع الإخبار عن الرؤيا التي ألقاهم أمرها وكاد بعضهم أن يزلزله ذكرها على سبيل التأكيد : (لقد) .

ولما كان للنظر إلى الرؤيا اعتباران : أحدهما من جهة الواقع وهو غيب^٢ عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، والآخر من جهة الإخبار^٣ وهو مع الرؤيا شهادة بالنسبة إليه سبحانه وتعالى ، عبر بالصدق والحق فقال تعالى : (صدق الله) أى الملك الذى لا كفوء له المحيط بجميع صفات الكمال (رسوله) صلى الله عليه وسلم الذى هو أعز الخلائق عنده وهو غنى عن الإخبار عما لا يكون أنه يكون ، فكيف إذا كان المخبر رسوله (الرؤيا) التى هى من الوحي لانه سبحانه يرى الواقع ويعلم مطابقتها^٤ فى أنكم تدخلون المسجد الحرام آمنين يحلق بعض ويقصر^٥ آخرون ، متلبسا خبره ورؤيا رسوله صلى الله عليه وسلم (بالحق ج) لأن مضمون الخبر إذا وقع فطبق بين الواقع وبينه ، كان الواقع يطابقه لا يخرم^٦ شئ منه^٧ عن شئ منه^٨ ، والحاصل أنك إذا نسبتها للواقع طابقته فكان صدقا ، وإذا نسبت الواقع إليها طابقها فكانت^٩ حقا .

٨٦٣ /

١٥

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : علم له (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : غيبا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : تقصير (٤ - ٥) من مد ، وفى الأصل وظ : منه شئ (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : فى الحقيقة ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها .

و لما أقسم لأجل التأكيد لمن 'كاد يتزلزل'، أجابه بقوله مؤكدا
 ١٤ يفهم القسم أيضا إشارة إلى عظم الزلزال : ﴿ لتدخلن ﴾ أى بعد
 هذا دخولا [قد ^٢] تحتم أمره ﴿ المسجد ﴾ أى الذى يطاف فيه
 بالكعبة ^٣ ولا يكون دخوله إلا بدخول الحرم ﴿ الحرام ﴾ أى الذى
 ٥ أجاره الله من امتهان الجبارة ومنعه من كل ظالم .

و لما كان لا يجب عليه سبحانه وتعالى شيء وإن وعد به، أشار
 إلى ذلك بقوله تأديا لهم أن يقول أحد منهم بعد ذلك : ألم يقل
 أنا ندخل البيت ونحو ذلك، ولغيرهم ^٤ أن يقول : نحن ندخل :
 ﴿ ان شاء الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال، حال كونكم ﴿ امنين ^٥ ﴾
 ١٠ لا تخشون [إلا - ^٦] الله منقسمين بحسب التحليق والتقصير إلى قسمين
 ﴿ محلقين رهوسكم ﴾ ولعله أشار بصيغة التفعيل الى أن فاعل الخلق ^٧
 كثير، وكذا ﴿ ومقصرين ^٨ ﴾ غير أن التقديم يفهم أن الاول أكثر .
 و لما كان الدخول حال الأمن لا يستلزم الأمن بعده قال تعالى :
 ﴿ لا تخافون ^٩ ﴾ أى لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك إلى أن تدخلوا
 ١٥ عليهم عام الفتح قاهرين ^{١٠} لهم بالنصر ^{١١} . و لما كان من المعلوم أن سبب
 هذا الإخبار إحاطة العلم، فكان التقدير : هذا أمر حق يوثق به غاية

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل : كان مزلزلا (٢) زيد من مد (م-م) من
 مد، وفى الأصل و ظ : به بالكعبة (٤) سقط من ظ (ه) من مد، وفى
 الأصل و ظ : لغيره (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأه
 من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقن من ظ .

الوثوق لانه إخبار عالم الغيب و الشهادة، صدق سبحانه فيه، وما ردكم
 عنه هذه الكرة على هذا الوجه إلا لأمور دبرها و شئون أحكمها و قدرها،
 قال عاطفا على " صدق " مسيا عنه أو معللا : ﴿ فلم ﴾ أى بسبب،
 أو لانه علم من أسباب الفتح و موانعه و بنائه^٢ على الحكمة ﴿ ما لم تعلموا ﴾
 أى أيها الأولياء ﴿ فجعل ﴾ أى بسبب إحاطة عليه ﴿ من دون ﴾ ٥
 أى أدنى رتبة [من - '] ﴿ ذلك ﴾ أى الدخول العظيم فى هذا العام
 ﴿ فتجا قرياء ﴾ يقويكم به من فتح خير و وضع الحرب بين العرب
 بهذا الصلح، و اختلاط بعض الناس بسبب^٣ ذلك ببعض، الموجب لإسلام^٤
 بشر كثير تقوون بهم، فتكون تلك السكثرة و القوة سبب هية الكفار
 المانعة لهم من القتال، فتقل القتلى رفقا بأهل حرم الله تعالى إكراما لهذا ١٠
 النبى الكريم صلى الله عليه وسلم عن إغارة قومه و إصابة من عنده^٥ من
 المسلمين المستضعفين من غير علم .

ولما أخبر بهذه الأمور الجليلة الدقيقة المبينة على إحاطة العلم،
 عللها سبحانه و بين الصدق فيها بقوله تعالى : ﴿ هو ﴾ أى وحده
 ﴿ الذى أرسل رسوله^٦ ﴾ أى الذى لا رسول أحق منه بإضافته إليه ١٥

- (١) زيد فى الأصل : الوعد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٢) من
 مد ، وفى الأصل و ظ : بيانه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد .
 (٥) زيد فى الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٦) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : بإسلام (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : عندهم .
 (٨) وقع فى الأصل بعد : « بإضافته إليه » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : رسولا .

٨٦٤ / هـ أهل مكة [و -] العرب عباد الأصنام، الذى يقتضى / إظهاره عليه
 - صلى الله عليه وسلم (بالهدى) الكامل الذى يقتضى أن يستقيم
 به أكثر الناس، ولو أنه أخبر بشيء يكون فيه أدنى مقال لم يكن
 الإرسال بالهدى (و دين الحق) أى الأمر الثابت الكامل فى الثبات
 الذى يطابقه الواقع (ليظهره) أى دينه (على الدين كله) دين
 أهل مكة [و -] العرب عباد الأصنام، الذى يقتضى / إظهاره عليه

دخوله إليها آمناً، وإظهاره على من سوام من أهل الأديان الباطلة بأيدى
 صحابته الأبرار و التابعين^١ لهم بإحسان إظهاراً يتكامل بزول عيسى عليه
 الصلاة و السلام مع الرفق بالخلق و الرحمة لهم، فلا يقتل إلا من
 لا صلاح له أصلاً، و على قدر الجبروت يحصل القهر، فلاجل ذلك هو
 ١٠ يدبر أمره بمثل هذه الأمور التى توجب نصره و تعالى قدره مع الرفق
 بقومه و جميل الصنع لاتباعه، فلا بد أن تروا من فتوح أكثر البلاد
 و قهر الملوك الشداد ما تعرفون به قدرة الله سبحانه و تعالى .

ولما كان فى سياق إحاطة العلم، و كان التقدير: شهد ربه سبحانه
 بتصديقه^٢ فى كل ما قاله باظهار المعجزات على يده، بنى عليه قوله تعالى

(١) ليس فى الأصل (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: انه (٣) زيدت الواو
 فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد لحذفناها (٤) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى
 الأصل: عليهم (٧) زيد فى الأصل و ظ: و اتابى، و لم تكن الزيادة فى مد
 لحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: تعالى (٩) من ظ و مد، و فى
 الأصل: بتصديق .

(و كفى بالله) أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال (شهيداً)
 أى ذارؤية وخبرة بطلية كل شئ ودخلته لما له^٢ الغنا فى أمره ،
 ولا شهيد فى الحقيقة إلا هو سبحانه لأنه^٣ لا إحاطة وخبرة ورقبة^٤
 إلا له سبحانه ، وهو يشهد بكل ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم
 فى هذه الصورة خصوصاً وفى غيرها عموماً .

و لما ختم سبحانه بإحاطة العلم بالحقايا والظواهر فى الإخبار بالرسالة ،
 عينها فى قوله جواباً لمن يقول : من الرسول المنوة باسمه^٥ : (محمد رسول الله)
 أى الملك الذى لا كفوء له ، فهو^٦ الرسول الذى لا رسول يساويه لأنه
 رسول إلى جميع الخلق عن أدرك زمانه بالفعل فى الدنيا ومن تقدمه
 بالقوة فيها وبالفعل فى الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه ، وقد أخذ^{١٠}
 على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه ، وأخذ ذلك الأنبياء
 على أنفسهم ، لا يكتب الرحمة التى وسعت كل شئ إلا لمن وقع العلم
 بالمحيط بأنه يؤمن به : فما عمل عامل عملاً صالحاً إلا كان له مثل أجره ،
 تقدم ذلك العامل أو تأخر ، كان من أهل السماء أو من أهل الأرض ،
 (١) زيد فى الأصل : الجمال والجلال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .
 (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ ؛ فيه (٣ - ٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 الإحاطة وحيره وروته - كذا (٤) زيد فى الأصل : أخبر و ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٥) زيد فى الأصل : قال تعالى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٦) زيد فى الأصل : ورسوله هو ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .

و هذا أمر لا يحصى إلا الله سبحانه و تعالى ؛ و أشار بذلك إلى هذا الاسم
 بخصوصه في سورة الفتح إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الختام - بما
 أشارت إليه الميم التي مخرجها ختام المخرج ، و هي بحيطه بما أشارت
 إليه صورته ، و كررت في الاسم 'بعده غايه' التأكيد ، و هو ثلاث -
 ٥ كما أشار إليه اسمه : أحمد - إلى أنه مع كونه خاتما فهو فاتح بما أشار
 إليه قوله صلى الله عليه وسلم "كنت أولهم خلقا و آخرهم بعثا"
 و اجتمعت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصریح المبشر به عليه الصلاة
 و السلام بالبعدي في قوله "رسول يأتي من بعدى اسمه أحمد" و أشارت
 الميم أوله أيضا إلى بعثه عند الأربعين ، و ما بقى من حروفه و هي حم
 ١٠ يفيد له كمال الحميد بالفعل في السنة الثانية و الخمسين من عمره و هي الثانية
 عشرة من نبوته^١ ببيعة الأنصار رضى الله عنهم ، و قد أشارت هذه السورة
 إلى كلمة الإخلاص تلويحا بما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحاً و بطناً^٢
 سطوة الإلهية^٣ و ظهرت^٤ الرحمة المحمدية - كما أشارت القتال إلى الرسالة
 تلويحا [و صرحت بسطوة الإلهية -^٥] بكلمة الإخلاص و الناشئة^٦ عن
 (١ - ١) من مد ، و في الأصل و ظ : جدد دعائه (٢) من ظ و مد ، و في
 الأصل : عليهم (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : بالتمدية (٤) من مد ، و في
 الأصل و ظ : يتبدأ (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : كما (٦ - ٦) من مد ،
 و في الأصل و ظ : عشر نبوته - كذا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل :
 تطهب (٨ - ٨) من ظ و مد ، و في الأصل : فظهرت (٩) زيد من ظ و مد .
 (١٠) في ظ و مد : الناسبة .

القتال تصريحا ، وقد تقدم في القتال نذرة من اسرار الكلمتين ١٠ . ولما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى : ﴿ و الذين معه ﴾ أى بمعية الصلوة من أصحابه و حسن التبعية من التابعين لهم باحسان . ولما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشمله فقال تعالى : ﴿ اشداء على الكفار ﴾ فهم لا تأخذ بهم راحة بل هم معهم كالابسد ٥ على فريسته ، لان الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿ رحما بينهم ﴾ كالوالد مع الولد : لان الله تعالى أمرهم باللين للؤمنين ، و لا مؤمن فى زمانهم إلا من كان من اهل دينهم ، فهو يحبهم و يحبونه بشهادة آية المائدة .

ولما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجا ، بين الحامل عليه ١٠ بقوله : ﴿ زهم ﴾ أى أيها النذر لهم ﴿ ركعا سجدا ﴾ أى دائمي الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة امرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص و ضير .

ولما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : ﴿ يتبنون ﴾ أى يطلبون بذلك و غيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليا لعقولهم ١٥ على شهواتهم و حظوظهم ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة من الخير ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال و الجمال الذى اعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله و الرقة على أوليائه بما اعطاهم من

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى لفظ و مد فخذناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يمنة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبن .

رحمته التي هيأهم بها للاحسان إلى عياله فتزعوا الهوى من صدورهم فصاروا
يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لا يرون سيده غيره، ولا يحسن سواه .
ولما ذكر عبادتهم و طلبهم الزيادة منها و من غيرها من فضل الله الذي
لا يوصل إلى عبادته إلا بمعونته، أتبعه المطلوب الأعلى فقال: ﴿ ورضوانا ﴾
هـ أي رضا منه عظيما .

ولما ذكر كثرة عبادتهم و أتبعها إخلاصهم فيها اهتماما به لأنه
لا يقبل عملا بدونه، دل على كثرتها بقوله: ﴿ سيام ﴾ أي علامتهم
التي لا تفارقهم ﴿ في وجوههم ﴾ ثم بين العلامة بقوله: ﴿ من أثر السجود ﴾
فهى نور يوم القيامة - زواه الطبراني^١ عن أبي بن كعب رضى الله عنه
١٠ عن النبي صلى الله عليه وسلم^٢ - هذا مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا
من أثر الخشوع و الهية بحيث أنه إذا رثي أحدهم أورث لرائيه^٣ ذكر الله،
و إذا قرأ أورثت قراءته حزنا و خشوعا و إخبانا و خضوعا، و إن
كان رث الحال ردى الهية، و لا يظن أن من السيما ما يصنعه بعض
المرائين من هية أثر مجهود في جبهته، فإذا ذلك من سيما الخوارج،
١٥ و في نهاية ابن الأثير [في تفسير -^٤] الثفن^٥: و منه حديث أبي الدرداء
رضى الله عنه: رأى رجلا بين عينيه [مثل -^٦] فثفة العنز، فقال: لو لم يكن
هذا لكان خيرا - يعنى كان على جبهته أثر السجود، / و إنما كرهها
خوفا من الرياء بها، و قد روى صاحب الفردوس عن أنس رضى الله عنه

/ ٨٦٦

(١) سقط من ظ (٢) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٠٧ (٣) من مد، و في الأصل
وظ: لمرايه (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع ١/ ١٠٥ (٦) زيد من مد و النهاية.

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود^٢.

ولما أتم وصفهم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه أحد إلا من صفاء الله من جميع حظوظه وشهواته، أشار إلى علوه فقال: (ذلك) أى هذا الوصف العالى جدا البديع المثال البعيد المثال (مثلهم فى التوراة عليه السلام) ه فانه قال فيها: اتانا ربنا من سينا وشرق لنا من جبل ساعير، وظهر لنا من جبل فاران، معه ربوات^٣ الاطهار على يمينه، أعظام وحيهم إلى الشعوب وبارك على جميع اطهاره وهم يتبعون آثارك. فظهوره من فاران صريح فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يأت منها - وهى جبال مكة باتفاقهم - بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلى الله عليه وسلم، ١٠ وربوات الاطهار إشارة إلى كثرة أمته، وأنهم فى الطهارة كالملائكة، وأيد ذلك جعلهم من أهل اليمين، ووصفهم بالتحبيب إلى الشعوب، فكل ذلك دال على ما وصفوا به منا من شهادة الوجود - هذا [مع -] ١ ما وجدته فى التوراة بعد تبديلهم لما بدلوا منها وإخفائهم كما قال [الله -] ٧ تعالى لكثير، وروى أصحاب فتوح البلاد فى فتح بيت المقدس ١٥ عن كعب الاحبار أن سبب إسلامه أن أباه [كان -] ١ أخبره أنه ذخر

(١) فى ظ و ان (٢) سقط من ظ (٣) الحديث فى تلخيص مسند الفردوس تحت رقم ٣٧٤١ (٤) من مد، وفى الأصل و ظ : فانها (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: روات (٦) زيد من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى مد: الكثير (٩-٩) من مد، وفى الأصل: فتوح أصحاب، وفى ظ: فتوح أصحاب (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: ادخر.

عنه ورقتين جعلهما في كوة و طين عليهما ، و أمره أن يعمل بهما بعد موته ، قال : فلما مات فتحت عنهما فاذا فيها : محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة و مهاجرة بطنية ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة و يغفر ٥ و يغفر و يصفح ، و إن أمتة المحادون الذين يحمدون الله على كل شيء و على كل حال ، و يذلل أسيئتهم بالتكبير ، و ينصر الله نبيهم على كل من ناواه ، يغسلون فروجهم بالماء ، و يؤثرون على أواسطهم ، و أناجيلهم في صدورهم ، يأكلون قربانهم في بطونهم و يؤجرون عليها ، تراحمهم بينهم تراحم بين الأم و الأب ، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، هم السابقون المقربون و الشافعون و المشفع لهم . و أصله في الصحيح عن نعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و في الدارمي عن كعب هذا ، و لأصحاب الفتح عن سمرة بن حوشب عن كعب قال : قلت لعمر رضى الله عنه و هو بالشام عند انصرافه : يا أمير المؤمنين ! إنه مكتوب في كتاب الله . إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل و كانوا أهلها ١٥ مفتوحة على رجل من الصالحين . رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، سره مثل علانيته ، و علانيته مثل سره ، و قوله لا يخالف فعله ، و القريب و البعيد عنده في الحق سواء ، أتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار ، متراحون متبازلون . فقال عمر : ثكلتك / أمك أحق ما تقول ؟ قلت : أى و الذى

/ ٨٦٧

(١) من مد ، و في الاصل و ظ : مهاجرة (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الاصل : قرانهم .

أنزل التوراة على موسى و الذى يسمع ما نقول^١ إنه لحق ، فقال عمر :
 فالحمد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا و رحمتنا بمحمد صلى الله عليه و سلم
 و رحمته^٢ التى وسعت كل شئ - هذا على أن المراد بالمثل الوصف ،
 و يمكن أن يكون على حقيقته ، و يكون الذى فى التوراة ما ترجمته^٣ "هم على
 أعدائهم كقرن الحديد و فيما بينهم فى النفع و التواصل كاللؤلؤ و الصميد ،
 و لهم كخامة الزرع مع الريح و الصديق النصيح^٤ ، و فى الإقبال على
 الآخرة كالسافر الشاحب و الباكي الناحب " فمرعته فى كتابنا بما ذكر .
 و لما ذكر مثلهم فى الكتاب الاول ، أتبعه الكتاب الثانى الذى
 هو ناسخ ليعلم أنه قد أخذ على كل ناسخ لشريعته^٥ أن به فهم لأمته
 ليتبعوه إذا دعوا فقال : (و مثلهم فى الانجيل^٦) أى الذى نسخ الله^٧
 به بعض أحكام التوراة (كررع) أى مثل زرع (اخرج شطأه)
 أى فراخه و ورقه و ما خرج حول أصوله ، فكان ذلك كله مثله .
 و لما ذكر هذا الإخراج سبب عنه قوله (فازره) أى فأحاط
 به الشطأ ، فقواه و طهره من غير نبتة نبتت عنه فتضعفه و ساراه و حاذاه^٨
 و عاونه ، و يظهر أن قراءة الهمزة بالمد^٩ على المفاعلة أبلغ من قراءة ابن ١٥
 عامر بالقصر ، لأن الفعل إذا كان بين اثنين يتجاذبان به كان الاجتهاد^{١٠}

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : رحمة (ر) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 التصحيح (م) - نقط من ظ و مد (ع) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 بشريته (هـ) من مد ، و فى الأصل : - واه و حده ، و فى ظ : - واه و حاذاه .
 (٦) راجع ثر المرجان ٦ / ٦٥٥ (٧) فى مد : الجهاد .

فيه أكثر، ثم سبب عن المؤازرة قوله: ﴿ فاستغناظ ﴾ أى فطلب المذكور من الزرع و الشطأ^١ الغلظ و أوجده^٢ فتسبب عن ذلك اعتداله^٣ ﴿ فاستوى ﴾ أى وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما [كأنه - ^٤] كان بغاية الاجتهاد و المعالجة ﴿ على سوقه ﴾ أى قصبه، جمع ساق، هـ وهو ما قام عليه الشيء، حال كون هذا المذكور من الزرع و الشطأ ﴿ يعجب الزراع ﴾ و يجوز كونه استغناظا للتعجب منه و المبالغة في مدحه و إظهار السرور في أمره، وإذا أعجبهم^٥ وهم في غاية العناية بأمره و التفقد لحاله و الملابس له و معرفة معانيه كان^٦ لغيرهم أشد إعجابا، و مثل لأنهم يكونون قليلين ثم يكثرُونَ مع البهجة في عين الناظر لما لهم ١٠ من الروق^٧ الذى منشأه نور الإيمان و ثبات الطمأنينة و الإيقان و شدة الموافقة^٨ من بعضهم لبعض، و نقي المخالف لهم و إبعاده، و قد تقدم في هذا الكتاب في آخر المائدة أمثال ضربت في الإنجيل بالزرع أقربها إلى هذا مثل حبة^٩ الخردل فراجعه .

و لما أنهى سبحانه [مثلهم - ^{١٠}]، ذكر الثمرة في جعلهم كذلك

١٥ فقال: ﴿ ليغظ ﴾ معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام و هو جعلهم

(١) زيدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في مد فخذناها (٢) من مد، و في الأصل و ظ: حده (٣) زيد في الأصل: فقال تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٤) زيد من مد (٥) زيد في الأصل: في أمره، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: كما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و في الأصل: حبة (٩) زيد من ظ و مد .

كذلك لأجل أن يغيظ **(بهم)** أى غيظا شديدا بالغ القوة والإحكام
(الكفار^١) وذلك أنهم لما كانوا أول الأمر قليلا، كان الكفار
 طامعين^٢ في أن لا يتم لهم أمر، فكلما ازدادوا كثرة مع تمدد الزمان
 زاد غيظ الكفار منهم، فكيف إذا رأوا مع الزيادة والقوة منهم حسنا
 ونضارة وروقا وبهجة، فهو^٣ في الغيظ بما [لو - °] كانوا في أول
 الأمر كثيرا لأنه كان يكون دفعه ويقصر زمنه، / فن أبغض صحايا
 خيف عليه الكفر لأنهم أول مراد بالآية، وغيرهم بالقصد الثاني واتباع^٤،
 ومن أبغضهم كلهم كان كافرا، وإذا حملناه على غيرهم كان دليلا على
 أن كل^٥ من خالف الإجماع كفر - قاله القشيري .

ولما تم مثلهم وعلّة جملهم كذلك، بشرهم فقال في موضع وعدم^{١٠}
 لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيا في التمسك به وترهيا
 من بجانبه : **(وعد الله)** أى الملك الأعظم **(الذين آمنوا)** ولما
 كان الكلام في الذين معه صلى الله عليه وسلم، وكانت المعية ظاهرة في
 الاتحاد في الدين لم تكن شاملة للناقضين، فلم يكن الاهتمام بالتقييد بمنهم هنا^١
 (١) في مد : عظيما (٢) من مد، وفي الأصل : ذاعين، وفي ظ : طامعين .
 (٣) زيد في الأصل : مع، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من مد،
 وفي الأصل و ظ : وهو (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل و ظ :
 بالتبعية (٧) ليس في مد (٨) من مد، وفي الأصل و ظ : وعدم (٩-١٠) من مد،
 وفي الأصل : بالقصد هنا منهم، وفي ظ : بالقصد هنا .

كالاتهام به في سورة النور، فأخره و قدم العمل لأن العناية [به - ١]
 هنا أكثر، لأنه من سيئات المذكورة^٢ فقال: ﴿ وعملوا ﴾ أى تصديقا
 لدعواهم الكون معه في الدين ﴿ الصالحات ﴾ و لما كان قوله « معه »، يعم
 كما مضى من بعد الصحابة رضى الله تعالى عنهم، وكان الخلل فيمن بعدهم
 كثيرا، قيد بقوله: ﴿ منهم ﴾ أى من الذين معه صلى الله عليه وسلم
 سواء كانوا من أصل الزرع أو فراخه التى أخرجها وهم التابعون^٣
 لهم باحسان .

و لما كان الإنسان وإن اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق له من
 العبادة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ مغفرة ﴾ أى لما يقع منهم من الهفوات
 ١٠ أو الذنوب و السيئات ﴿ واجرا عظيما ﴾ بعد ذلك الستر، وقد جمعت
 هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع
 ما فيها من البشائر^٤ التصريحية باجتماع أمرهم و علو نصرهم، و ذلك أنه
 لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم
 إلى قصدهم من الدخول إلى مكة المشرفة و الطواف بالبيت العتيق،
 ٥ ولم يكن ذلك بسبب خلل آتى من قبلهم كما كان في غزوة أحد على
 ما مضى من^٥ يأنه في آل عمران التى هى سورة التوحيد الذى كلمته

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ : المذكور (٣) زيد فى
 الأصل : يدل و، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) من مد،
 وفى الأصل و ظ : التابعين (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : البشارة .
 (٦) - قط من ظ .

كلمة التقوى عند الآية الثانية لهذه، بشرهم سبحانه بما في هذه السورة من البشار الظاهرة تصريحاً وبما في هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحاً إلى أن أمرهم لا بد من تمامه، واشتداد سلكه وانبرامه، واتساق شأنه وانتظامه، وخفوق أوليته وأعلامه، وافتحها بيمين "محمد" وهي مضمومة، وختمها بيمين "عظيماً" المنصوبة إشارة ٥ بما لليمين من الختام بمخرجها إلى أن تمام الأمر قد دنا جداً، إبانته، وحضر زمانه، وبما في أولها من الضم إلى رفعة دائمة في [حمد - ٢] كثير، وبما في آخرها من النصب إلى تمام الفتح وانتشاره، وقربه واشتهاره، على وجه عظيم، وشرف في علو جسيم، وأوماً تدويرها إلى أنه أمر لا انتهاء له، بل كلياً ختم ابتداءً، وقد ظهر من هذا وما في صريح ١٠ الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين رد مقطعيها على مطلعها بالفتح للنبي صلى الله عليه وسلم والتسكين العظيم [لأصحابه - ٢] رضى الله عنهم، والرحمة والمغفرة والفوز العظيم لجميع أتباعه وأنصاره وأشباعه رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وجعلنا بمنه وكرمه منهم، وهذا آخر القسم الأول من القرآن، وهو المطول، وقد ختم - كما رى - بسورتين ١٥ هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم، وحاصلهما الفتح له بالسيف.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: حمدا (٢) زيد من مد، وفي ظ: محمد.
(٣) زيد من مد (٤) زيد في الأصل: الله تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لخذنها (هـ) من ظ و مد، وفي الأصل: من اتباعهم.

و النصر على من قاتله ظاهرا كما حتم الثاى المفصل بسورتين هما نصره
له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا - 'و الله الهادى
للصواب و إليه المرجع و المآب و صلى الله على سيدنا محمد
و آله و صحبه' . ٢



(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٢) زيد : فى الأصل بعده : و قد تم
الجزء الرابع من المناسبات لاشيخ العالم العلامة انبغى عفا الله تعالى عنه
و نفعنا به و بعلمه فى الدين و الدنيا و الآخرة و رضى الله عن العلماء العاملين
و التابعين لهم اجمعين آمين .

و وافق الفراغ من كتابته فى يوم الأحد سابع عشرى محرم الحرام افتتاح
سنة سبع و تسعين و ألف - بتلوه سورة الحجرات إن شاء الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجرات

مقصودها الإرشاد إلى مكارم الاخلاق بتوفير النبي صلى الله عليه وسلم بالأدب معه في نفسه وفي أمته، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر [ليكون-^٢] دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان [بالله-^٣] يشترط فيه فعل^٤ الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون^٥ بينة على "باطن وحجة شاهدة له" "الم احسب الناس ان يتركوا ه^٥ ان يقولوا 'امنا [و-^٢] هم لا يفشون" فحاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب معه لأنها أول الفصل الذي هو^٦ ملخص

(١) زيد في الأصل بعده: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، الحمد لله رب العالمين والعائبة للظلمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وأهل بيته الطيبين الطاهرين (٢) التسم والأربعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ١٨ بلا خلاف، ومن هنا تراقفتا نسخة مد فقط، وأما نسخة م فانقطعت عنا - كما نبهنا عليه - إلى سورة المجادلة، وأما نسخة ن فهى الأخرى انقطعت من هنا إلى سورة الرحمن (٣) زيد من مد (٤) في مد؛ نقل (ه) من مد، وفي الأصل: لكون (٦) زيد في الأصل: مقصوداته، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها.

القرآن كما كان مقصود الفاتحة التي هي أول القرآن مراقبة الله، وابتدئ
ثاني^١ المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدئ ثاني^٢ ما عداه بالحروف
المقطعة، واسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما^٣ دلت عليه
[آيته -^٤] (بسم الله) الملك الجبار المتكبر الذي من أجل تعظيم
٥ رسوله صلى الله عليه وسلم لم يرض عنه عملا (الرحمن) الذي من عموم
رحمته إقامة الآداب للتوصل إلى حسن المآب (الرحيم) الذي خص
أولى الألباب بالإقبال على ما يوجب [لهم -^٥] جميل الثواب.

لما فوه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح -
في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به، وملا^٦ سورة الفتح بتعظيمه،
١٠ وختمها^٧ باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه بأشراط الأدب معه
في القول والفعل للعد^٨ من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي
الآخلاق، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله صلى الله
عليه وسلم أو مع غيرهما وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظ الآخر،
وغيرهما إما أن يكون داخلا مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجا
١٥ عنها، وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما
أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسبيلها
خمس مرات، كل مرة لقسم منها، وافتتح بالله لأن الأدب معه هو

(١) من مد، وفي الأصل: إي (٢) من مد، وفي الأصل: ثاني (٣) من مد،
وفي الأصل: ما (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي الأصل: النوال -
كذا (٦) من مد، وفي الأصل: ختم (٧) من مد، وفي الأصل: المعتد.

الأصل الجامع للكل و الأس' الذى لا يبنى إلا عليه ، فقال مناديا للتسمين بأول أسنان القلوب تنبيها' على أن سبب نزولها من أفعالهم [لا - ٢] من أفعال أهل الكمال ، فهو هفوة تقال ، وما [كان - ٢] يبنى أن يقال ، و يشمل الخطاب الممهود للأذن - و لو مع النفاق - من فوه من باب الأولى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } اى أفروا بالإيمان { لَا تَقْدُمُوا } / و حذف ٥ / ٢ / المفعول ليعم' كل ما يصح تقديمه فيذهب [الوهم - ٢] كل مذهب ، و يجوز أن يكون حذفه من قصد إليه أصلا ، بل يكون النهى موجها إلى 'نفس التقدمة' أى لا تتلبسوا بهذا الفعل ، و يجوز أن يكون من قدم - بالتشديد بمعنى أقدم و تقدم أى شجع نفسه على التقدم ، و منه مقدمة الجيش ، و هم مقدموه ، و أشار إلى تهجين' ما نهوا عنه و تصوير شناعته ، و إلى أنهم ١٠ فى القبضه " ترهيا لهم " فقال : { بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ } أى الملك الذى لا يطاق انتقامه .

و لما كان السياق للنهى عن التقديم و التقدم ، و كان مقتضى الرسالة إنفاذ الأوامر و النواهى عن الملك من غير أن يكون من المرسل (١) من مد ، و فى الأصل : الامن - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بينهما (٣) زيد من مد (٤) فى مد : تقال (٥) من مد ، و فى الأصل : يعم (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : التقديم (٧) من مد ، و فى الأصل : لا تتلبسوا (٨) من مد ، و فى الأصل : مقدموه (٩) من مد ، و فى الأصل : التهجين (١٠) من مد ، و فى الأصل : العننة - كذا (١١) من مد ، و فى الأصل : له .

إليهم اعتراض^١ أصلا ، وبذلك استحق ان لا يتكلم بحضرة في مهم
ولا يفعل مهم إلا بأذنه . لأن العيد^٢ لما لهم من النقص لا استقلال لهم
بشيء أصلا ، عبر بالرسول دون النبي بعد أن ذكر اسمه تعالى الأعظم
زيادة في تصوير التعظيم فقال : ﴿ ورسوله ﴾ أي الذي عظمت ظاهرة
ه جدا ، ولذلك قرن اسمه باسمه وذكره بذكره ، فهو تمهيد لما يأتي من
تعظيمه ، فالتعبير بذلك إشارة إلى أن النفس إذا خليت و فطرتها الأولى ،
امتلات بمجرد رؤيته هية منه وإجلاله ، فلا يفعل أحد غير ذلك
إلا بتشجيع منه لنفسه و تكليفها ضد^٣ ما تدعو إليه الفطرة الأولى القويمة ،
فالغنى : لا تكونوا^٤ متقدمين في شيء من الأشياء والله يقول الحق ويهدي
السييل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ عنه لا ينطق عن الهوى ، فلي
الغير^٥ الاقتداء و الاتباع ، لا الابتداء و الابتداع ، سواء كان النبي صلى
الله عليه وسلم غائبا أو حاضرا بموت أو غيره . فان آثاره كعبته^٦ ، فمن
بذل الجهد فيها هدى للأصلح^٧ ، ” و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا “ .
و لما استعار للدلالة على قدره التعبير باليدين و صور البيته ترهيا
١٥ من انتقام القادر إذا خولف ، صرح بذلك بقوله تعالى : ﴿ و اتقوا الله ﴾
أي اجعلوا بينكم و بين [غضب - ^٨] الملك الأعظم وقاية ، فان التقوى

- (١) من مد ، و في الأصل : اعراض (٢) من مد ، و في الأصل : الصيد .
(٣) من مد ، و في الأصل : منه (٤) من مد ، و في الأصل : لا يكونون .
(٥) من مد ، و في الأصل : المنبر - كذا (٦ - ٦) من مد ، و في الأصل :
إشارة كهية (٧) من مد ، و في الأصل : للإصلاح (٨) زيد من مد .

مانعة من أن تضيعوا حقه وتخالفوا أمره و تقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه .

ولما كان سبحانه مع كل بعلمه ، و أقرب إليه من نفسه ، فكان مع ذلك غيا محضا لكونه محتجبا برداء الكبر و إزار العظمة و القهر ، وكان الإنسان لما غاب عنه نساء^١ ، ذكره مرهبا^٢ بقوله مستأنفا أو معللا مؤكدا^٣ .
تنبيها على ما في ذلك من الغرابة و العظمة التي يعق للإنسان مجاهدة نفسه لأجلها في الإيمان به^٤ و المواظبة على الاستمرار على استحضاره ، لأن أفعال العاصي أفعال من ينكره : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال . ولما [كان -^٥] ما يتقدم^٦ فيه إما قولاً أو فعلاً قال :
﴿ سمع ﴾ أى لأقوالكم قبل أن تقولوها^٧ ﴿ عليم ﴾ أى بأعمالكم^٨ قبل ١٠
أن تعملوها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه و المخصوصين "بفضيلة مشاهدته"^٩ و كريم عشرته فقال / " محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحما بينهم " "إلى آخره"^{١٠} ، فأتى سبحانه عليهم و ذكر وصفه تعالى بذلك في التوراة و الإنجيل ، و هذه ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل : بسا - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : ترهبا .
(٣) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى مد فخذناها (٤) من مد ، و فى الأصل : بها (٥) من مد ، و فى الأصل : « و » (٦) زيد من مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل : تقدم (٨) فى مد : تقولها (٩) من مد ، و فى الأصل : لأعمالكم (١٠-١١) من مد ، و فى الأصل : بمشاهدته (١١-١٢) ليس ما بين الرقين فى مد .

خصيصة 'افردوا بمزية تكريمها' و جرت على واضح قوله تعالى
 "كتم خيرامة اخرجت للناس" تسمرون بالمعروف "إلى آخره"،
 وشهدت لهم بعظيم^٢ المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية^٣
 قولاً و عملاً ظاهراً و باطناً على أوضح عمل و أخلص نية، و تنزيههم^٤
 عما وقع من^٥ قبلهم في^٦ مخاطبات أنبيائهم كقول نبي إسرائيل "نموسى
 ادع لنا ربك" [إلى - ^٨] ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال
 تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله" الآية [و - ^٩]
 "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له
 بالقرول - إلى قوله : و الله غفور رحيم" فطلبوا بأداب تناسب على^{١٠}
 إيمانهم^{١١} و إن اغتفر بعضه لغيرهم من ليس في درجتهم و قد قيل "حسنات
 الأبرار سيئات المقربين" فكأن قد [قيل - ^{١٢}] لهم : لا تغفلوا ما منح^{١٣}
 لكم في التوراة و الإنجيل ، فانها^{١٤} درجة لم ينلها غيركم^{١٥} من الأمم فقابلوها
 بتنزيه أعمالكم عن أن يتوهم في ظواهرها أنها صدرت عن عدم اكتراث^{١٦}
 في الخطاب، أو^{١٧} سوء قصد في الجواب، و طابقوا بين^{١٨} "ظواهركم و بواطنكم"
 (١ - ١) من مد، و في الأصل : اتقدروا بتكريمها (٢-٣) ليس ما بين الرقيقين
 من مد (٣) من مد، و في الأصل : بتعظيم (٤) زيد في مد : و أخرى (٥) من
 مد، و في الأصل : نزهم - كذا (٦) من مد، و في الأصل : ممن (٧) من
 مد، و في الأصل : من (٨) زيد من مد (٩) من مد، و في الأصل : آدابهم.
 (١٠) من مد، و في الأصل : صح (١١) من مد، و في الأصل : فانهم.
 (١٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في مد فحذفناها (١٣) من مد، و في
 الأصل : اكتساب - كذا (١٤) من مد، و في الأصل : و (١٥-١٥) في
 مد : بواطنكم و ظواهركم.

و'ليكن عنكم' منبأ بسليم سرائركم " ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله اوئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " ثم عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى " ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " ثم أمروا بالنسب عند نزغة الشيطان ، أو تقول ذى بهتان " ياايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق هذبأ " ، الآية ، ثم أمرهم بصلاح ذات بينهم و التعاون فى ذلك بقتال الباغين العتاة^٢ و تحسين العشرة و التزام^٣ ما يشر الحب و التودد الإيماني و التواضع ، و أن الخير كله فى التقوى " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " و كل ذلك محذر لمل صفاتهم التى وصفوا بها فى خاتمة سورة الفتح .

و لما ثبت إعظام^٤ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايفتات عليه ١٠
 "بأن يتأهب" ما هو وظيفته من التقدم فى الأمور و قطع المهمات ، فلا يكلم إلا جوابا أو سؤالا فى أمر ضرورى لا يمكن تأخير ، و كان من يكلمه لذلك ربما رفع صوته رفعا الأولى به غيره مما هو دونه ، و كان من جملة أحواله أن يوحى إليه بالأوامر العظيمة ، و كان رفع الصوت إذ ذاك من المشوشات فى حسن التلقى للوحى مع ما فيه من ١٥
 قلة الاحترام و الإخلال بالإجلال و الإعظام ، قال ذاكرنا لثانى الأقسام ، و هو ما كان النظر فيه إلى مقامه صلى الله عليه وسلم بالقصد الأول ،

(١-١) من مد ، و فى الأصل : اكم عليكم (٢) من مد ، و فى الأصل : العصاة .

(٣) من مد ، و فى الأصل : الزام (٤) زيد فى الأصل : سورة الفتح باعظام ،

و لم تكن الزيادة فى مد لحذفنا (هـ) من مد ، و فى الأصل : ابتهاجوا .

مستتجا بما مضى من وصفه بالرسالة^١ الدالة على النبوة ، آمرا بحفظ حرمة
ومراعاة الآداب في خدمته ، و صحبته بتبجيله^٢ / و تفخيمه ، وإعزازه و تعظيمه ،
مكررا لندائهم بما ألزموا أنفسهم به من طاعته بتصديقه^٣ و استدعاء
لتجديده^٤ الاستنصار و تطرية النذب إلى الإنصات و إشارة إلى أن المنادى
هـ له أمر يستحق أن يفرد بالنداء و يستقل^٥ بالتوصية^٦ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
مكررا للتعبير بالأدنى من أسنان^٧ القلوب للتنبية على أن فاعل مثل هذه
المنهيات و المحتاج فيها إلى التنبية^٨ بالنهى قد فعل من هذا حاله
﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ أى فى شىء من الأشياء ﴿ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾
أى الذى يتلقى عن الله ، و تلقية^٩ عنه متوقع فى كل وقت ، وهذا يدل
١٠ على أن أذى^{١٠} العلماء الذين هيأهم الله لتلقى فهم دينه عنه شديد^{١١} جدا ،
فان تكدير أوقاتهم بمنعهم عن كثير من ذلك .

ولما بين ما فى ذلك لاجل النبوة ، بين ما ينبغى فى نفسه من المزية فقال :
﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ أى إذا كلمته سواء كان ذلك بمثل^{١٢} صوته
أو اخفض من صوته ، فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ، و يوقر^{١٣}

- (١) من مد ، و فى الأصل : بالرسالة (٢) من مد ، و فى الأصل : و تبجيله .
(٣-٢) من مد ، و فى الأصل : استدعاهم بتجديده (٤) من مد ، و فى الأصل :
يستقبل (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .
(٦) من مد و فى الأصل : اسباب (٧) من مد ، و فى الأصل : بقلبه (٨) من مد ،
و فى الأصل : هذا اذا (٩) من مد ، و فى الأصل : شديدا (١٠-١١) من مد ،
و فى الأصل : مثل ذلك (١١) من مد ، و فى الأصل : يوقره .

الكبراء . و لما شمل هذا كل جهر مخصوص ، و هو ما يكون مسقطا للزينة ، قال : ﴿ كجهر بعضكم لبعض ﴾ أى فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق^١ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره . و لما نهى عن ذلك ، بين ضرره^٢ فقال مبينا أن من الأعمال ما يحبط و لا يبرى أنه محبط ، ليكون العامل كالماشي فى طريق خطر لا [زال -^٣] يتوق خطره . و يديم حذره : ﴿ ان ﴾ أى النهى لاجل [خشية -^٤] أن ﴿ تحبط ﴾ أى تفسد قسقط ﴿ اعمالكم ﴾ أى التى [هى -^٥] الأعمال بالحقيقة و هى الحسنات كلها ﴿ و انتم لا تشعرونه ﴾ أى بأنها حبطت ، فان ذلك إذا اجترأ الإنسان عليه استخف به و إذ استخف به واطب عليه ، و إذا واطب عليه أوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر و هو لا يشعر . ١٠

و لما تقدم سبحانه فى الإخلال بشيء من حرمة صلى الله عليه وسلم و نهى عن رفع الصوت و الجهر الموصوف ، أنتج المخافة عنده على سبيل الإجلال ، فبين ما لمن حافظ على ذلك الأدب العظيم ، فقال مؤكدا لأن [فى -^٦] المنافقين و غيرهم من يكذب بذلك . و تنبها على أنه لمحبة الله له ورضاه به أهل لأن يؤكد أمره و يواظب على فعله : ﴿ ان الذين يفضون ﴾ ١٥ أى يخفضون و يلينون لما وقع عليهم من السكينة من هبة حضرته ، قال الطبرى^٧ : و أصل الغض الكف فى^٨ لين ﴿ اصواتهم ﴾ تخشعا و تخضعا

(١) زيد فى الأصل : بينكم ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢) من مد ، و فى الأصل : صوره (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : من (٥) راجع تفسيره ٢٦ / ٦٩ (٦) من مد و التفسير ، و فى الأصل : من .

ورعاية للأدب و توقيرا .

ولما كان المبلغ ربما أنساه اللفظ^١ ورفع الأصوات ما [كان -^٢]
يريد أن يبلغه^٣ إنه بينت لي^٤ ليلة القدر فخرجت لأخبركم بها فتلاحي
رجلان فأنسيتها و عسى أن يكون خيرا لكم، قال: (عند رسول الله)
هـ أى الذى من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام، لأنه 'مبلغ من'
الملك الأعظم و عبر بعند التى للظاهر إشارة إلى أن أمل حضرة الخصوصية
لا يقع منهم إلا أكل الأدب .

٥ / ولما ابتداء ذكرهم مؤكدا / تنبيها على عظيم ما ندبوا إليه ، زاده
إعظاما بالإشارة إليهم بأداة البعد فقال : (اولئك) أى العالمو الرب^٥
١٠ ولما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن أرسله مولاهم^٦ الذى لا إحسان عندهم^٧
إلا منه (الذين امتحن الله) أى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل
المختبر بالخطاة البليغة بالشدائد^٨ على وجه يؤدى إلى المنحة^٩ باللين و الخلوص
من كل درن ، و الانشراح و الاتساع (قلوبهم) فأخلصها (للتقوى)
أى الخوف المؤدى إلى استعداد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه،
١٥ و الامتحان : اختبار يبلغ يؤدى إلى خبر، فالمعنى أنه طهر قلوبهم و تقاها

(١) من مد ، و فى الأصل : اللفظ (٢) زيد من مد (٣ - ٢) من مد ، و فى
الأصل : ان ثبت إلى (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل : شأنه - كذا (٥) من مد ،
و فى الأصل : الرتبة (٦) من مد ، و فى الأصل : مولاه (٧) من مد ، و فى
الأصل : عندكم (٨) من مد ، و فى الأصل : باستداد (٩) من مد ، و فى
الأصل : المسجة .

كما ' يمتحن الصائغ الذهب و الفضة بالإذابة للتقية و التخليص من كل غش ' لأجل إظهار^٢ ما بطن^٣ فيها من التقوى^٤ ليصير معلوما للخلق في عالم الشهادة كما كان معلوما [له سبحانه -^٥] في عالم الغيب ، و هو خروجهم عن العادات البشرية و مفارقتهم لما توجهه الطبيعة ، و هو حقيقة التوحيد ، فان التقوى لا تظهر إلا عند المحن و الشدائد بالتكاليف و غيرها ، و لا تثبت إلا بملازمة الطاعة في المشي و المكره و الخروج عن مثل ذلك .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد في الإحسان محلا للنقصان ، استأنف الإخبار عن جزائهم بقوله ، معريا له من فاء السبب ، إشارة [إلى -^٦] أن ذلك بمحض إحسانه : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لهفواتهم و زلاتهم ﴿ و اجر عظيم ﴾ أى جزاء لا يمكن وصفه على محاسن ما فعلوه . ١٠ و لما نهى سبحانه عن الإخلال بالآداب ، و أمر بالمحافظة على التعظيم ، و ذكر وصف المطيع ، أتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من أخل به ، فقال مؤكدا لأجل أن حالهم كان حال من يدعى عقلا تاما : ﴿ ان الذين ينادونك ﴾ أى يحددون نداءك من غير توبة و الحال أن نداءهم إياك^٧ كان ﴿ من وراء ﴾ إثبات هذا الجار يدل على أنه ١٥ صلى الله عليه و سلم كان^٨ داخلها ، و لو سقط لم يفد ذلك ، بل كان

(١) من مد ، و في الأصل : لما (٢ - ٢) من مد ، و في الأصل : لاظهار .

(٢ - ٣) من مد ، و في الأصل : منها للتقوى (٤) زيد من مد (ه - ه) من مد ،

و في الأصل : نداءك إياهم (٦) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في

مد لحذفها .

يفيد أن نسبة الأماكن التي وراءها الحجرات كلها بالنسبة إليه وإليهم على حد سواء، وذلك بأن يكون الكل خارجها، والوراء: الجهة التي تواريك^٢ وتواربها من خلف أو قدام .

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العظمة في نفسه وفي
٥ تبليغ رسالات الله في هيئتها بمكان^٣ من العظمة بحيث لا يخفى على أحد .
فليس لأحد أن يفتات فيها^٤ عليه ولا أن يعجله عن^٥ شيء، وكان نداؤه
لذلك^٦ من وراء حجرة واحدة كندائه من وراء كل حجرة جمع فقال:
(الحجرات) ولم يضيفها إليه لإجلال له، وليشمل كونه في غيرها
أيضا، والمعنى: مبتدئين النداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك
١٠ وبينهم فتكون موازية لك منهم ولهم منك ، وهي جمع حجرة، وهي
ما حوط من قطع الأرض بمحاط يمنع ممن يكون خارجه من أذى
[من -^٧] يكون داخله بقول أو فعل ، فانه يكون فيما يختص به من
الاجتماع بنسائه أو إصلاح شيء من حاله ، لايتهيا له بحضور الناس فيما
يتقاضاه المروءة . وأسند الفعل إلى الجمع^٨ وإن كان / المتأدى بعضهم
/ ٦ ١٥ للرضى به أو السكوت عن النهي .

ولما كان الساكت [قد لا يكون راضيا قال : (أكثرهم) أي

(١) من مد ، وفي الأصل : خارجا (٢) من مد ، وفي الأصل : او (٣-٢) من
مد ، وفي الأصل : جهة المكان (٤) سقط من مد (٥) من مد ، وفي الأصل :
عل (٦) من مد ، وفي الأصل : كذلك (٧) زيد من مد (٨) من مد ، وفي
الأصل : الجميع .

المنادى والراضى - ' [دون [الساكت - '] لنذر' (لا يعقلون هـ) لأنهم لم يصبروا ، بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله ، والعقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة فكيف إذا كانت رئاسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار .

ولما ذمهم بسوء عملهم ، أرشدهم إلى ما يمدحون به من حسنة هـ
 قال : (ولوانهم) أى المنادى والراضى (صبروا) أى حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم ، والصبر : حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها وهو حبس فيه شدة ، وصبر عن كذا - محذوف الفعل لكثرة دوره ، أى نفسه (حتى تخرج) من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه مما يهيك من واردات الحق ومصالح الخلق ١٠ . ولما كان الخروج قد يكون إلى غيرم من المصالح ، فلا يسوغ فى الأدب أن يقطع ذاك عليه قال : (اليهم) أى ليس لهم أن يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدم فانك لاتفعل [شيئاً - '] فى غير حبه بمقتضى أمر الرسالة (لكان) أى الصبر .

ولما كان العرب أهل معال فهم بحيث لا يرضون إلا الأحسن ١٥
 قال : (خيرا لهم ') أى من استعجالهم فى إيقاظك وقت الهاجرة وما لوقرعو الباب بالأظافير كما كان يفعل غيرم من الصحابة رضى الله عنهم ،
 (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : عذر قال (٣) من مد ، وفى الأصل : الحق (٤) من مد ، وفى الأصل : مقال .

وهذا على تقدير أن يكون ما ظنوا من أن فيه خيرا 'فكانوا
يعقلون'، ففي التعبير بذلك مع الإنصاف بل الإغضاء والإحسان من لهم
[إلى - ١] المعالي وإرشاد إلى ما يتفاخرون به من المحاسن، قال الرازي:
قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه^٢ إلى الدرجات العلى
و الخير في الأولى والعقبى - انتهى . وأخيرة صبر في الدين معروفة،
و أما في الدنيا فانهم لو تأدبوا لرهبهم زادهم النبي صلى الله عليه وسلم في
الفضل فأعتق جميع سيئهم وزادهم، والآية من الاحتباك: حذف التعليل
بعدم الصبر أولا^١ لما دل عليه ثانيا، والعقل ثانيا لما دل عليه
[من - ٢] ذكره أولا .

١٠ ولما كان التقدير تأديبا لنا وتدريباً على الصبح عن الجاهل وعذره
و تعليمه : ولكنهم لم يصبروا و أساؤا الأدب فكان ذلك شرا لهم
والله عليم بما فعلوا حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لإساءتهم الأدب على
رسوله صلى الله عليه وسلم ، عطف عليه استعطافا لهم مع إفهامه الترهيب:
(والله) أى المحيط بصفات الكمال (غفور) أى ستور لذنب من
١٥ تاب من جهله (رحيم) يعامله^٣ معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمة .
ولما تابوا ، أعتبهم الله في عظمتهم^٤ على خير خلقه أن جعلهم أغاظ
الناس على شر^٥ الناس : الدجال ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنهم

(١ - ١) من مد ، وفي الأصل : كانوا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي
الأصل : صاحبه (٤ - ٤) من مد ، وفي الأصل : دايلا (٥) من مد ، وفي
الأصل : معاملة (٦) من مد ، وفي الأصل : خلطهم (٧) من مد ، وفي
للأصل : اشر .

أشد الناس عليه .

ولما أنهى سبحانه ما أراد من النهى عن أذى الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه ، و كان من ذلك أذاه في^١ أمته ، فانه عزيز عليه ما غنتوا و كان من آذاه فيهم فاسقا . و كان^٢ أظلم الأذى فيهم ما أورث كربا فأنار حربا ، و كان ربما اتخذ أهل الأغراض هذه الآداب ذريعة إلى [أذى -^٣] بعض المسلمين فتذفون بالإخلال بشيء منها فوقعوا هم فيها فيما قدفوا به غيرهم من الإخلال بحقه و التقيد / بولائه و رثته ،
و كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الطاهرة و المعالي الظاهرة ما يؤمن معه ان بوقع شيئا في غير محله ، أو يأمر بأمر من غير حله^٤ - هذا مع ما له من العصمة ، قال منها على ما في القسم الثالث ١٠ من مكارم الأخلاق من ترك العجز بالاعتماد على أخبار الفسقة ، مخاطبا لكل من أقر بالإيمان على طريق الاستنتاج بما مضى ، ناديا إلى الاسترشاد بالعقل الذي نقاه عن أهل الآيئة السالفة ، و العفو عن المذنب و الرحمة لعباد الله . ناديا بأداة البعد إشارة إلى أن من احتاج إلى التصريح بمثل هذا التنبيه غير مكتف بما أفاده من قواعد الشرع وضع ١٥ نفسه في محل بعيد ، و تنبيهها على أن ما في حيزها^٥ كلام له خطر عظيم و وقع^٦ جسيم : (يتاياها الذين آمنوا) و عبر بالفعل الماضي الذي هو

(١) من مد ، و في الأصل : من (٢) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في مد فحذفناها (٥) من مد ، و في الأصل : خيرها (٦) من مد ، و في الأصل : رفع .

لأدنى أسنان القلوب، وعبر بأداة الشك إيدانا بقلة الفاسق فيهم وقلة
 مجيئه إليهم بخبر له وقع، فقال: ﴿ان جاءكم﴾ أى فى وقت من
 الأوقات ﴿فاسق﴾ أى خارج من رتبة الديانة^١ أى فاسق كان
 ﴿بنياً^٢﴾ أى خبر يعظم خطبه فيؤثر شراً^٣، أى خير كان مما يكون كذلك؟
 ٥ ﴿فتينوا﴾ أى عالجوا البيان وهو فصل الخطأ من الصواب، استعمالاً
 لغريزة العقل المنقى عن المنادين^٤ واتصافاً بالغفران والرحمة ليرحمكم الله
 ويفرلکم، وهذه القراءة غاية لقراءة حمزة والكسائي^٥ بالمثلثة ثم المثناة
 الفوقية، والسياق مرشد إلى أن [خبر -^٦] الفاسق كاللثام والساعى
 بالفساد كما أنه لا يقبل فلذلك لا يرد حتى يمتحن، وإلى أن خبر العدل
 ١٠ لا وقفة فيه، وإلا لاستوى مع الفاسق، فالتثبت معلل بالفسق، فإذا
 اتقى ولم توجد علة أخرى توجب التثبت وجب القبول، والمعلق على
 شيء بكلمة "إن" عدم [عند -^٧] عدمه، والتين بأحد شيئين: بمراجعة
 النبي صلى الله عليه وسلم إن كان حاضراً، وبمراجعة آثاره من كتاب الله
 وسنته إلى أن تبين الأمر منها [إن كان غائبا، فانه لا تكون أبداً
 ١٥ كاتمة إلا وفى الكتاب والسنة المخرج منها -^٨] .

ولما أمر بالتبين، ذكر علته فقال: ﴿ان﴾ [أى -^٩] لأجل
 كراهة أن ﴿تصيوا﴾ أى بأذى ﴿قوما﴾ أى هم مع قوتهم النافعة

(١) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى مد لغذفناها (٢) زيد فى
 الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى مد لغذفناها (م) من مد، وفى الأصل:
 سره - كذا (٤) من مد، وفى الأصل: المارين (٥) راجع نثر المرجان ٦/٦٦٢.
 (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد.

لاهل الإسلام براه عما نسب إليهم (بجهالة) أى مع الجهل بحال
استحقاقهم ذلك .

و لما كان الإنسان إذا وضع شيئاً في غير موضعه جديراً بالندم ،
سبب عن ذلك قوله : (فتصبخوا) أى قصيروا ، ولكنه عبر بذلك
لأن أشنع الندم ما استقبل الإنسان صباحاً وقت انتباهه وفراغه وإقباله
على لذاته (على ما فعلتم) [أى - ٢] من إصابتهم (تدمين) أى
عريقين في الأسف على ما فات مما ٢ يقع الله في قفوسكم من أمور
ترجف القلوب وتخور الطباع ، وتلك سته في كل باطل ، فانه لكونه
مرزولاً في نفسه لا ينشأ عنه إلا الزلزال والندم على ما وقع من تمنى
أنه لم يقع ، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام بما تدور مادته ١٠
عليه بما يرشد [إليه - ٢] مدن و دمن ، وهوينشأ من تضييع أفعال
الأسباب التي أمر الإنسان بالسعى فيها كما أشار إليه حديث " احرص
على ما ينفعك ولا تتجز فان غلبك أمر قل : قدر الله و ما شاء فعل ،
ولا تقل : [لو أنى - ٢] فعلت كذا ، فان " لو " تفتح / عمل الشيطان " .

٨ /

و الفاسق المذكور في الآية المراد به الجنس ، والذي نزل ذلك بسببه هو ١٥
الوليد بن عقبة ، ولم يزل كذلك حتى أن عثمان رضى الله عنه و لاه
المكوة فضلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال : [هل أزيدكم

(١) من مد ، وفي الأصل : جدير (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) من
مد ، وفي الأصل : بما (٤) من مد ، وفي الأصل : لا يثبت (٥) من مد ،
وفي الأصل : دواما (٦) من مد ، وفي الأصل : قال - كذا .

فنزله عثمان رضى الله عنه .

و لما كان إقدامهم على كثير من الامور من غير -^١ [مشاوره لمن
أرسله الله رحمة لعباده ليعلمهم ما يأتون و ما يذرون عمل من لا يعلم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منه ، و كان الإعراض عنه
ه حيا و عن بذل الجهد فى استخراج الامور من شريعته بعد موته أمرا
مفسدا للبين إن لم يعتبر و يتنبه [له -^١] غاية التنبه ، أخبرهم به منزلا لهم
منزلة من [لا -^١] يعلم أنه موجود معه مشيرا بكلمة التنبه إلى [أن -^١]
من أخل^٢ بمراعاة ذلك فى عداد الغافلين [فقال -^١] : (و اعلوا)
أى أيها الامة ، و قدم الخبر إيداعا بأن بعضهم^٣ باعتراضه أو بإقدامه^٤
١٠ على ما لا علم له به يعمل عمل من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من إنعامه
عليه به صلى الله عليه وسلم ، فهو يفيد توبيخ^٥ من فعل ذلك : (ان فيكم)
[أى -^١] على وجه الاختصاص لكم و ياله من شرف (رسول الله^٦)
أى الملك الاعظم المتصف بالجلال و الإكرام على حال هى أنكم تريدونه
[أن -^١] يتبع أذاكم ، و ذلك أمر شنيع جدا ، فانه لا يليق أن يتحرك
١٥ إلا بأمر من أرسله ، فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة ، فانكم تجهلون
أكثر مما تعلمون ، و لإرادتهم أن لا يطيعهم فى جميع الامور عبر بالمضارع
فقال : (لو بطيعكم) و هو [لا -^١] يحب عتكم و لاشيئا يشق عليكم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : انتحل - كذا (م) زيد فى
الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفنا (٤) فى مد : إقدامه (٥) زيد
فى الأصل : ذلك أى توبيخ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفنا .

(في كثير من الامر) أى الذى زيدوه على فعله من أنه يعمل
 فى الحوادث على مقتضى ما يمن لكم و تستصوبونه ليكون فعله معكم
 فعل المطواع^١ لغيره التابع له ، فيقلب حيثئذ الحال ، ويصير المتبوع
 تابعا و المطاع طائعا (لعنتم) أى لآئمتهم و هلكتم^٢ ، و من أراد دائما
 أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه و سلم تابعا^٣ لأمره فقد زين له الشيطان ه
 الكفران ، فأولئك هم الغاؤون ، و سياق ” لو “ معلم قطعا أن التقدير :
 ولكنه صلى الله عليه و سلم لا يطيعكم لكرهته^٤ لما يشق عليكم لما هو متخلق به
 من طاعة الله و الوقوف عند حدوده و التقيد فى جميع الحركات و السككات
 بأمره ، مع ما له من البصر فى التمييز بين الملبسات و الخبرة التامة بالامور
 المشتبهات ، التى هى سبب هلاك الاغلب لكونها لا يعلمها كثير من الناس ، ١٠
 و التقيد^٥ بالكثير معلم بأنهم يهيئون وجه الرشاد فى كثير من الامور .
 و لما كان التقدير حتما بما هدى إليه السياق : و لو خالفتموه فى
 الامور التى [لا -^٦] يطيعكم فيها لعنتم ، استدرك عنه قوله : (ولكن الله)
 أى الملك الاعظم الذى يفعل ما يريد (حجب اليكم الايمان) فلزمتهم
 طاعته و عشقتم متابعتة . و لما كان الإنسان قد يحب شيئا و هو يعلم ١٥
 فيه عيبا ، فيكون جديرا بأن يترزل^٧ فيه ، نرى ذلك بقوله :

(١) من مد ، و فى الأصل : المطواع (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل : لاعم
 و هلكم - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل : شائعا (٤) فى مد : مع كراهته .
 (٥) من مد ، و فى الأصل : التقيد (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى
 الأصل : يترزل .

(وزيته في قلوبكم) أى فلا شئ عندكم أحسن منه و [لا - ١]
يعادله ولا يقاربه بوجه (وكره اليكم الكفر) وهو تغطية ما أدت
إليه الفطرة الأولى والعقول المجردة عن الهوى من الحق بالوجود
(والفسوق) وهو المروق من ربة الدين، ولو من غير تغطية بل
بغير تأمل (والعصيان) وهو الامتناع من الاقياد عامة فلم تخالفوه،
ورأيتم خلافه هلاكا، فصرتم والمته أطوع شئ للرسول صلى
الله عليه وسلم، فلم [من هذا - ١] أن الله تعالى هو الفاعل وحده
جميع الافعال من الطاعات والمعاصى والعادات والعبادات، لانه خالق
لكل، و مدحوا لفعل الله بهم لأنهم الفاعلون في الظاهر فهو واقع
١٠ موقع: أطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تخالفوه، [وإنما وضع - ١]
فعل الله وهو لا يمدحون عليه موضع فعلهم الذى يمدحون عليه للحث
على الشكر والانسلاخ من العجب .

/ ٩

ولما أرشد السياق إلى متابعتهم على هذا الوجه، أتيح قوله مادحا لهم .
ثانيا الكلام عن خطابهم إلى خطابه صلى الله عليه وسلم ليدل على عظم
١٥ هذه الاوصاف و بينه بأداة البعد على علو مقام المتصف: (اولئك)
[أى - ١] الذين أعلى الله القادر على كل شئ، مقاديرهم (هم) أى
خاصة (الراشدون) أى الكاملون في الرشد وهو الهدى على أحسن
سمت وتقدير، وفي تفسير الاصبهانى: الرشد الاستقامة على طريق الحق

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: عادة (٣) من مد، وفى
الأصل: لم تخالفوا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من مد .

مع تصلب فيه - انتهى . و الذى أتج الرشاد متابعة الحق ، فان الله تكفل لمن تعمد الخير و جاهد نفسه على البر بإصابة الصواب و لإحكام المساعى المنافى للندم ، ” و الذين جاهدوا فإنا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين “ و قد دل السياق على أنهم كانوا فى خبر الوليد صنفين : صنف صدقه و أراد 'غزوة بنى' المصطلق و أشار به ، و صنف توقف ، و أن ه الصنفين سلوا آخر الأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فهدوا^٢ ، فالآية من الاحتباك و هى شبيهة به : دلت الشرطية فى ” لو يطيعكم “ على الاستدراكية ، و الاستدراكية فى ” ولكن الله “ على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة .

ولما ذكر التحيب و التزيين و التكريه و ما أتجه من الرشاد ، ١٠ ذكر علته إعلاما بأنه تعالى لا يجب عليه شئ حثا على الشكر فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة و تطولا و امتنانا عظيما جسيما و درجة عالية ﴿ من الله ﴾ الملك الأعظم الذى يده كل شئ ﴿ و نعمة^٣ ﴾ [أى -] و عيشا حسنا ناعما و خفضا^٤ و دعة و كرامة .

ولما كان التقدير : فانه منعم بفضل ، يده كل ضر و نفع ، عطف ١٥ عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ علیم ﴾ أى محيط العلم ، فهو يعلم أحوال المؤمنين و ما بينهم من التفاضل ﴿ حكيم ﴾ بالغ الحكمة ، فهو يضع الأشياء فى أوفق محالها و أتقنها ، فلذلك وضع نعمته من الرسالة

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غرة - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : مرشد (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : خصيا .

و الإيمان على حسب علمه و حكمته .

و لما كانت النعمة و نقل الاخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا
و أوصلت إلى القتال ، و كان ^٢العليم الحكيم ^١ لا ينصب سميا إلا ذكر مسيه
و أشار إلى دبراته ^٣ ، و كان لا ينهى عن الشيء إلا من كان متهمًا له لما في
هـ جبلته من الداعى إليه ، فكان قد يواقع به و لو في وقت ، قال تعالى مجلها
لنا طريق الحكمة في دفع ما جرت إليه ^٤ الاخبار الباطلة من القتال ،
معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن [ما - ١] في حيزها لا ينبغي أن يقع
بينهم ، و لا أن يذكره إلا على سبيل الفرض : (و ان طائفتين) أي
جماعتان بالفعل أو القوة جدير كل جماعة منهما بأن يجتمع [على - ١]
١٠ ما دهمها ^٥ من الأمير بحيث تصير من شدة مراعاته كالطائفة حوله
و المتعلقة به ، بحيث لا يدري من شدة اجتماعها على ذلك أولها من
آخرها (من المؤمنين) أي من هو معدود في عداد العريقين في الإيمان
سواء كان هو عريقا أو فاعلا ما يطلق ^٦ عليه به الاسم فقط .

و لما كانت الشناعة و الفساد في قتال الجماعة أكثر ، عبر بضمير
الجمع دون ^٧ التثنية تصورا ^٨ لذلك بأقبح صورة فقال : (اقتلوا) [أى - ٣]
فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا كالفرقة الواحدة (فاصلحوا) أي

(١) من مد ، و في الأصل : حكمة (٢ - ٢) في مد : الحكيم العليم (٣) من مد ،
و في الأصل : رواية (٤) من مد ، و في الأصل : الحق (٥) من مد ، و في
الأصل : به (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و في الأصل : دهمها (٨) من مد ،
و في الأصل : ينطلق (٩ - ٩) من مد ، و في الأصل : التبنية .

فأوقفوا الإصلاح ليحصل الصلح . و لما كانت العبرة في الصلح إذا
 وقع بين الطائفتين ما يسكن به الشر وإن تخلف شذان من الجانبين
 لا يعبأ بهم ، عبر بالثنية دون الجمع فقال : (بينهما) أى بالوعظ والإرشاد
 الدنيوى والاخرى ، ولا تظنوا أن الباغي غير مؤمن فتجاوزوا فيه
 أمر الله .

و لما كان البغى من أشنع الأمور فكان ينبغي أن لا يلم به أحد ،
 عبر بأداة الشك إرشادا إلى ذلك فقال : (فان بغت) أى أوقعت
 الإرادة السيئة الكائنة من النفوس التى لا تأمر بخير (احدها) أى
 الطائفتين (على الاخرى) فلم ترجع إلى حكم الله الذى خرجت عنه
 ولم تقبل الحق . و لما كان الإضمار هنا رماؤهم لبسا فتمسك به متعنت ١٠
 فى أمر فساد ، أزال بالإظهار كل لبس فقال : (قاتلوا) أى أوجدوا
 و اطلبوا مقاتلة (التى) . و لما كان القتال لا يجوز إلا بالاستمرار
 على البغى ، عبر بالمضارع إيهاما لأنه متى زال البغى ولو بالتوبة من
 غير شوكه حرم القتال فقال : (تبغى) أى توقع الإرادة و تصر
 عليها ، و أديموا القتال لها (حتى تقبلى) أى ترجع عما صارت إليه من ١٥
 جر القطيعة الذى كأنه حر الشمس حين نسخه الظل إلى ما كانت فيه
 من البر والخير الذى هو كالظل الذى ينسخ الشمس ، وهو معنى قوله
 (١) فه مد : كان (٢) من مد ، وفى الأصل : التى (٣) من مد ، وفى
 الأصل : بالنوصبه (٤) من مد ، وفى الأصل : إليه .

تعالى : ﴿ الى امر الله ج ﴾ أى [التزام - ١] ما أمر^٢ به الملك الذى لا يهمل الظالم ، بل لابد أن يقاصه و أمره ما^٣ كانت عليه^٤ من العدل قبل البنى . و لما كانت مقاتلة الباغى جديرة بترجيحه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فان قات ﴾ أى رجعت إلى ما كانت عليه من التمسك بأمر الله .
 ٥ الذى هو العدل ﴿ فاصلحوا ﴾ أى أوقفوا الإصلاح ﴿ بينهما ﴾ .

و لما كان الخصام يجر فى الغالب من القول و الفعل ما يورث للصالحين أحنة على بعض المتخاصمين ، فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض ، قال : ﴿ بالعدل ﴾ و لا يحملكم القتال على الحقد على المقاتلين فتحيفوا . و لما كان العدل فى مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغان قال ١٠ تعالى : ﴿ واقسطوا^١ ﴾ أى و أزيلو القسط - بالفتح و هو الجور - بأن تفعلوا القسط بالكسر و هو العدل العظيم الذى لا جور فيه ، فى ذلك و فى جميع أموركم ، ثم علله ترغيا فيه بقوله مؤكدا تنبيها على أنه من أعظم ما يتبادر به^٢ ، وردا على من لعله يقول : إنه لا يلزم نفسه الوقوف عنده إلا ضعيف : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى يده النصر و الخذلان

١٥ ﴿ يحب المقسطين^٣ ﴾ أى يفعل مع أهل العدل من الإكرام فعل المحب . و لما أمر بما قد يفضى إلى القتال ، و كان الباغى ربما كان أقرب

إلى الصلح من جهة النسب من المبنى عليه فروعى ، و كان / القتال أمرا شاقا ربما حمل على الإحجام عن الإصلاح^٤ ، علل ذلك سبحانه بما قدم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : اراد (٣-٢) من مد ، وفى الأصل : كان فيه (٤) من مد ، وفى الأصل : فيه (٥) من مد ، وفى الأصل : الصلح .

فيه قرابة الدين على قرابة النسب، وكشف كشفا [تاما - ١] عن أنه لا يسوغ له^١ تركه لما يؤدى إليه من^٢ تفريق الشمل المؤدى إلى وهن الإسلام وأهله المؤدى إلى ظهور الباطل المؤدى إلى الفساد الأعظم الذى لا تدارك له قال تعالى: ﴿انما المؤمنون﴾ أى كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم ﴿اخوة﴾ لانتسابهم إلى أصل واحد وهو هـ الإيمان، لا بعد بينهم، ولا يفضل أحد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان.

ولما كانت الاخوة داعية ولا بد إلى الإصلاح^٤، سبب عنها قوله: ﴿فاصلحوا﴾.

ولما كانت الطائفة قد تطلق على ما هو أصل لان يطاف حوله ١٠ كما يطلق على ما فيه أهلية التحلق والطواف، وكان أقل ما يكون ذلك فى الاثنين، وأن محاصمتها يجر إلى محاصمة طائفتين بأن يغضب لكل ناس من قبيلته وأصحابه، قال واضعا الظاهر موضع المضمهر مبالغة فى تقرير الأمر وتأكيده، وإعلاما بأن المراد بالطائفة القوة لا الفعل بحيث يكون ذلك شاملا للاثنين فافوقهما: ﴿بين أخويكم﴾ أى المختلفين^{١٥} بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب، لإتفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير، بل الأمر كما نقل عن أبى عثمان الحيزى أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، وقرأ يعقوب^{١٦} "أخوتكم"

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٤) من مد، وفي الأصل: إلى - كذا.

(٤) من مد، وفي الأصل: الاصطلاح (٥) من مد، وفي الأصل: المتخفين.

(٦) راجع ثر للرجان ٦/٦٦٨.

بالجمع ، و قراءة الجماعة أبلغ لدلائها على الاثنين فما فوقهما بالمطابقة
 ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذين هم عباده فى الإصلاح يتبهما
 بالقتال و غيره ، لا تفعلوا ما صورته إصلاح و باطنه إفساد ، و أشار إلى
 سهولة الأمور عنده و تقوذا أمره و أن النفوس إنما تشوفها إلى الإكرام
 ٥ لا إلى كونه من معين ، فبنى للفعول قوله تعالى : ﴿ لعلكم ترحمون ﴾
 أى لتكونوا إذا فلتتم ذلك على رجاء عند أنفسكم و من ينظركم من
 أن يكرمكم الذى لا قادر فى الحقيقة على الإكرام غيره بأنواع الكرامات
 كما رحمتم إخوانكم باكرامهم عن إفساد ذات البين التى هى الخالقة ، و قد
 دلت الآية أن الفسق بغير الكفر لا يخرج عن الإيمان ، و على أن الإصلاح
 ١٠ من أعظم الطاعات ، و على وجوب نصر المظلوم لأن القتال لا يباح
 بدون الوجوب ، قال القشيري : و ذلك يدل على عظم وزر الواشى
 و التلم و المضرب فى إفساد ذات البين ، و قال : من شرط الاخوة أن
 لا تنحج أخاك إلى الاستعانة بك و التماس النصرة منك^٢ ، و لا تقصر
 فى تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته^٣ فيحتاج إلى مسألك .
 ١٥ و لما نهى عن الإسراع بالإيقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع ،
 و لحتم بما ترجى به الرحمة ، و كان ربما كان الخبر الذى أمر سبحانه
 بتيهه^٤ صريحا ، نهى عن موجبات الشر التى يخبر بها فتكون سببا للضغائن
 التى يتسبب عنها الشر الذى هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله و توقعا للرحمة منه ،

(١) من مد ، و فى الأصل : يكرمكم - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل :
 بك (٣) من مد ، و فى الأصل : حاجتك (٤) من مد ، و فى الأصل : تتيه .

فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكرنا ما في القسم الرابع من الآداب
والمنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين في حضورهم والإزراء بحالهم
المذهب لسرورهم الجالب لسرورهم: (بأيها الذين آمنوا) أى أوقعوا
الإقرار بالتصديق (لايسخر) / أى يهزا ويستذل.

١٢/

ولما كانت البخرية تكون بحضرة ناس، قال معبرا بما يفهم أن هـ
من شارك أو رضى أو سكت وهو قادر فهو^٢ ساخر مشارك للقاتل:
(قوم) أى ناس فيهم قوة المحاربة، وفي التعبير بذلك مز إلى قيام
الإنسان على نفسه وكفها [عما تريده - °] من النقائص شكرا لما
أعطاه الله من القوة: (من قوم) فان ذلك يوجب الشر لأن أضعف
الناس إذا حرك للاتقاص قوى بما يثور عنده من حظ النفس . ١٠
ولما كان الذى يقتضيه الرأي الاصيل أنه لا يستذل الإنسان إلا
من أمن أن يصير في وقت من الاوقات أقوى منه في الدنيا أو [في - °]
الآخرة، علل بقوله: (عسى) أى لأنه جدير وخلق لهم (ان يكونوا)
أى المستهزا بهم (خيرا منهم) فينقلب الامر عليهم^١ ويكون لهم
سوء العاقبة، قال [ابن - °] مسعود رضى الله عنه^٢: البلاء موكل بالقول ١٥
و [لو - °] سخرت من كلب خشيت [أن - °] أحول كلباء وقال

(١) من مد، وفي الأصل: من (٢) من مد، وفي الأصل: يذل (٣) من مد،
وفي الأصل: وهو (٤) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في مد
لحذفها (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل: عليه (٧) راجع كتاب
الزهد لابن المبارك ص ٢٥٧ .

القشيري: ما استضعف^١ أحد أحدا إلا سلط^٢ عليه، ولا ينبغي أن
تعتبر بظاهر أحوال الناس، فان [في - ٢] الزوايا خبايا، والحق سبحانه
يستر أوليائه في حجاب الظنة، كذا في الخبر، كم من أشعث أغبر ذي
طمرين^٣ لا يوبه له لو أقسم على الله لأبره، .

و لما كان إطلاق القوم لمن كان فيه أهلية المداومة وهم الرجال،
قال معبرا بما هو من النسوة بفتح النون أى ترك العمل: (ولانسآء من نساء)
ثم علل التهمى بقوله: (عسى^٤) أى^٥ ينبغي^٦ أن يخفن^٧ من (ان يكن)
المسخور بهن (خيرا منهن^٨) أى الساخرات .

و لما كانت السخرية تتضمن العيب، ولا يصرح فيها، وكان اللز
العيب نفسه، رقى الأمر إليه فقال: (ولا تلزوا) أى تعيوا على
وجه الخفية (انفسكم) بأن يعيب بعضكم بعضا بإشارة أو نحوها،
فكيف إذا كان على وجه الظهور، فانكم فى التواصل والتراحم كنفس
واحدة، أو يعمل الإنسان ما يعاب^٩ به، فيكون قد لزم نفسه أو يلزم
غيره فيكون لزمه له سببا لأن^{١٠} يبحث عن عيوبه فيلزمه فيكون هو
الذى لزم نفسه (ولا تنازوا) أى يتز بعضكم بعضا، أى يدعو على
وجه التغير والتسفل (باللقاب^{١١}) بأن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه سواء

(١) من مد، وفى الأصل: استغفر (٢) زيد فى الأصل: الله، ولم تكن .
الزيادة فى مد لحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفى الأصل: طريق .
(٥) سقط من مد (٦) من مد، وفى الأصل: ان (٧-٧) سقط ما بين الرقنين
من مد (٨) من مد، وفى الأصل: يعاقب (٩) من مد، وفى الأصل: عن أن .

كان هو المخترع له أولا ، وأما القاب المدح فعم هي كالصديق
والفاروق .

ولما كان الإيمان قيدا لأوابد العصيان ، وكان التبر والسخرية قطعا
لذلك القيد ، علل بما يؤذن بأنه فسق ، معبرا بالكلمة الجامعة لجميع المذام
تفيرا^١ من ذلك فقال : ﴿ بس الاسم الفسوق ﴾ أى الخروج من ربة ه
الدين ﴿ بعد الايمان ج ﴾ ترك الجار إيذاها بأن من وقع فى ذلك أوشك
أن يلزمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاق للنقاى ، ولا سيما ما فيه
استعلاء ، فن فعل ذلك فقد رضى لنفسه أن يوسم بالفسق بعد أن كان
موصوفا بالإيمان .

ولما كان التقدير : فن تاب فأولئك هم الراشدون ، وكان المقام ١٠
بالتحذير أليق ، عطف عليه قوله : ﴿ ومن لم يتب ﴾ أى يرجع عما نهى
الله عنه ، تخفف عن نفسه ما كان شدد عليها ﴿ فأولئك ﴾ أى البعداء
من الله ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظالمون ه ﴾ أى العريقون فى وضع الاشياء
فى غير مواضعها^٢ .

ولما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بلقب له شئ غير قاصد به / عيبه ، ١٥ / ١٣
أو فعل فعلا يتزل على الهزء غير قاصد به الهزء ، نهى تعالى عن المبادرة
إلى الظن من غير ثبت لأن ذلك من وضع الاشياء فى غير مواضعها ،
الذى هو معنى الظلم^٣ فقال غاتما بالقسم الخامس منها على ما فيه من

(١) من مد ، وفى الأصل : تنعيرا - كذا (٢) من مد ، وفى الأصل : لما
كان (٣) من مد ، وفى الأصل : مواضع (٤) من مد ، وفى الأصل : الظالم .

المعالي و النفاس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى اعترفوا بالإيمان وإن كانوا فى أول مراتبه ﴿ اجتنبوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن يتركوا و يبعدوا و يجعلوا فى جانب بعيد عنكم ﴿ كثيرا من الظن ﴾ أى فى الناس و غيرهم فاحتاطوا فى كل ظن و لا تبادوا معه حتى تهزموا^١ به فتقدموا بسببه على
 ٥ ما يقتضيه من الشر إلا بعد التبين لحقه من باطله بأن يظهر عليه أماره صحيحة و سبب ظاهر ، و البحث عن ذلك الذى أوجب الظن ليس بمنتهى عنه كما قلش النى صلى الله عليه وسلم فى قصة الإفك و تثبت حتى جاءه^٢ الخبر اليقين من الله ، و أفهم هذا أن كثيرا منه مجتنب^٣ كما فى الاجتهاد حيث لا قاطع ، و كما فى ظن الخير بالله تعالى ، بل [قد -^٤] يجب كما
 ١٠ [قال -^٥] تعالى ” و لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا “ و قد أفاد التنكير شياع النهى فى كل ظن ، فكان بمعنى ” بعض “ مع الكفالة بأن كثيرا منه^٦ منهى عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره ، و لو عرف لأفهم أنه لا يجتنب إلا إذا اتصف بالكثرة ، قال القشيري : و النفس لا تصدق ، و القلب لا يكذب ، و التمييز بين النفس
 ١٥ و القلب مشكل ، و من بقيت عليه من حظوظه بقية و إن قلت فليس له أن يدعى بيان القلب ، بل هو بنفسه [ما -^٧] دام عليه شيء من بقيته ، و يجب عليه أن يتهم نفسه فى كل ما يقع له من نقصان غيره ،
 (١) من مد ، و فى الأصل : يخرّبوا (٢) من مد ، و فى الأصل : جاء (٣) من مد ، و فى الأصل : متنسجب (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : منهم .

ثم علل ذلك مشيراً إلى أن العاقل من يكف نفسه عن أدنى احتمال من الضرر احتمالاً مؤكداً لأن أفعال الناس عند الظنون أفعال من هو جازم بأنه^١ برىء من الإثم: (أن بعض الظن إثم) أى ذنب يوصل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن فى أصول الدين، وحيث يخالفه قاطع؛ قال الزنجشى^٢ رحمه الله تعالى: الهمة فى الإثم عن الواو وكأنه يتم الأعمال هـ أى يكسرها بإحباطه .

ولما نهى عن اتباع الظن ، أتبعه ما يتفرع عنه فقال: (ولا تجسسوا) أى تمنعوا فى البحث عن العورات ولا يكون ذلك إلا فى المستورين .

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس ، قال: (ولا يقتب) أى ١٠ يعتمد أن يذكر (بعضكم بعضاً) فى غيبته بما يكره ، قال القشيري: وليس تحصل الغيبة من الخلق إلا بالغيبة^٣ عن الحق ، وقال أبو حيان^٤: قال ابن عباس رضى الله عنهما: الغيبة إدام كلاب^٥ الناس .

ولما كان تمزيق عرض الناس كتمزيق أديهم ولا يكون^٦ ذلك سار عظمت^٧ الذى به قوامه^٨ كما أن عرضه^٩ سار عليه ، و^{١٠} كونه لا يرد^{١١} عن نفسه بسبب غيبته كموته^{١٢} وأعمال الفم والجوف فى ذلك كله ،

(١) من مد ، وفى الأصل : به (٢) راجع البحر المحيط ١١٤/٨ (٣) فى مد : من الغيبة (٤) من مد والبحر ، وفى الأصل : كلام (٥) من مد ، وفى الأصل : جمعهم لأن (٦) من مد ، وفى الأصل : عظمهم (٧) من مد ، وفى الأصل : قوامهم (٨) من مد ، وفى الأصل : عرضهم (٩ - ١٠) من مد ، وفى الأصل : كونهم لا يردون عن أنفسهم بسبب غيبتهم كونهم .

و كأن هذا لو تأمله العاقل كان منه على غاية النفرة، ولكنه لحفائه
لا يخطر بباله، جللاه له في قوله تقريراً و تعبيراً بالحب عما هو في غاية
الكراهة لما للفتاب من الشهوة [في الغيبة - ٢] ليكون التصوير بذلك
راداً له عنها / ومكرها فيها : ﴿ ايجب ﴾ و عم بقوله : ﴿ احكم ﴾ و عبر / ١٤
هـ بأن والفعل تصويراً للفعل فقال : ﴿ ان ياكل ﴾ و زاد في التنفير بجعله
في إنسان هو أخ فقال : ﴿ لحم اخيه ﴾ و أنهى الامر بقوله : ﴿ ميتاً ﴾ .
و لما كان الجواب قطعاً : لا يجب أحد ذلك ، أشار إليه بما سبب
من قوله : ﴿ فكرهتموه ﴾ أى بسبب ما ذكر طبعاً فأولى أن تكرهوا
الغيبة المحرمة عقلاً ، لأن داعى العقل بصير عالم ، و داعى الطبع
١٠ أعمى جاهل ، و قد رتب سبحانه هذه الحكم أبداع ترتيب ، فأمر سبحانه
بالثبوت . و كان ربما أحدث ضغينة ، نهى عن العمل بموجه من السخرية
و اللز و التيز و التهادى مع ما ينشره ذلك من الظنون ، فان أبت
النفس إلا تمادياً مع الظن فلا يصل إلى التجسس و البحث عن
المعائب ، فان حصل الاطلاع عليها كيف عن ذكرها ، وسعى في
١٥ سترها ، و فعل ذلك كله لخوف الله ، لا شئ غيره ، فان وقع في
شئ من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب .

(١) من مد ، و في الأصل : تعمله (٢) من مد ، و في الأصل : بما (٣) زيد
من مد (٤) من مد ، و في الأصل : هذا (٥) من مد ، و في الأصل : النفوس .
(٦) من مد ، و في الأصل : الذنب .

و لما كان التقدير: قاتركوه بسبب كراحتكم لما صورته، عطف عليه ما دل على العلة العظمى وهي 'خوف الله تعالى فقال: ﴿ واتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بترك ذلك وإصلاح ذات البين . و لما كان التقدير: فان الله يتوب عليكم إن تركتموه، عطف بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ تواب ﴾ أى مكرر للتوبة، وهي الرجوع عن المصيبة إلى [ما - ٢] كان قبلها من معاملة النائب وإن كرر الذنب، فلا يأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت^٢ ﴿ رحيم ﴾ يزيده على ذلك أن يكرمه غاية الإكرام .

و لما ذكر سبحانه الاخوة الدينيه تذكيرا بالعاطف الموجب للاكرام، ١٠ المانع من الانتقام^٣، ونهى عن أمور يجر إليها الإعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآباء والعراقة فى النسب العالى، أسقط [ذاك - ٢] مينا أن لانسب إلا ما يثمره الإيمان الذى بدأ به من التقوى، و عبر بما يدل على الذنب والاضطراب إشارة إلى سفول رتبة من افتخر بالنسب، وإلى [أن - ٢] من [لم - ٢] يتعظ بما مضى فيعلو عن رتبة الذين ١٥ آمنوا فقد سفل سفولا عظيما: ﴿ يأيها الناس ﴾ أى كافة المؤمن وغيره ﴿ انا ﴾ على عظمتنا^١ وقدرتنا^١ ﴿ خلقنكم ﴾ أى أوجدناكم عن العدم (١) من مد، وفى الأصل: هو (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: وجد الله، ولم تكن الزيادة فى مد لغذناها (٤) من مد، وفى الأصل: « و » . (٥) فى مد: الانتقاص (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من مد .

على ما أتم عليه من المقادير في صوركم وما أتم عليه من الشعب الذي يفوت الحصر، وأخرجنا كل واحد منكم^٢ (من ذكر) هو المقصود بالعزم والقوة (وإش) هي موضع الضعف والراحة، لانهية لأحد منكم في ذلك على آخر، ولا نغر في نسب.

٥ ولما كان تفضيلهم إلى فرق لكل منها تعرف [به - ١] أمرا باهرا، عبر فيه بنون العظمة فقال: (وجعلنكم) أي بعظمتنا (شعوبا) تشعبا من أصل واحد، جمع شعب بالفتح [هو - ٢] الطبقة الأولى من الطبقات الست من طبقات النسب التي عليها العرب (وقبائل) تحت الشعوب، وعمائر تحت القبائل، وبطوننا تحت العمار، ١٠ [و - ٣] أنفاذا تحت البطون^٣، وفصائل تحت الأنفاذ، والعشار تحت

/ ١٥

الفصائل، خزعة شعب، وكنانة / قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن، وعبد مناف نخذ، وهاشم فضيلة، والعاس عشيرة، قال البغوي^٤: وليس بعد العشيرة حتى يوصف به - انتهى. واقتصر على الآواين لأنها أقصى ما يسهل على الآدمي معرفته فما دونه أولى، ثم ذكر علة التشعب ليوقف ١٥ عندها فقال: (لتعارفوا^٥) أي ليعرف الإنسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له، لالتواصفوا وتفاخروا.

ولما كانت فائدة التفاخر بالتواصف^٦ عندهم الإكرام لمن كان

(١) من مد، وفي الأصل. اتى (٢) من مد، وفي الأصل. منهم (٣) في مد: موطن (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي الأصل: به (٦) من مد، وفي الأصل: تشعبوا (٧) في الأصل وم: العمار (٨) في معالم التزليل بهامش لباب التأويل ٦ / ١٩١ (٩) من من مد، وفي الأصل: بالوصف.

أخبر ، فكانت الآية السالفة التي ترتبت عليها هذه آمرة بالتقوى كان التقدير : فتقوا الله في أقاربكم وذوي أرحامكم ، فقال مبطلا للتفاخر بالانساب مبعلا لما أرشد إلى تقديره السياق مؤكدا لاجل ما عندهم من ان الكرم إنما هو بالنسب : (ان اكرمكم) ايها المتفخرون (عند الله) أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ولا كريم إلا من أكرمكم بكرمه ولا هـ كال لأحد سواه (اتقكم) فذلك هو الذكر الذى يصح أصله باقتدائه بأبيه آدم عليه السلام فلم يمل إلى الانوثة وإن كان أدناكم نسباً ولذلك^٢ أكده ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا ، أى علوا^١ بان^٣ كانت لهم ملكة الفقه فعملوا بما علوا كما قال الحسن رحمه الله : إنما الفقيه العامل بعلمه . وقد ١٠ تقدم أن هذا [هو - ١] المراد بقوله تعالى " هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " لما دل عليه سياقها وسبقها ، والاتقى لا يفتخر على غيره لأنه لا يعتقد أنه أتقى ، قال الرازى فى اللوامع : أكرم الكرم التقوى ، وهو يجمع الفضائل الإنسانية ، وألام اللؤم الفجور ، وذلك أن الكرم اسم للأفعال المحمودة ، وهذه الأفعال إنما تكون محمودة إذا كانت عن علم ، وقصد بها الله ، ١٥ وهذا هو التقوى ، فليس التقوى إلا العلم ونحو الأفعال المحمودة - انتهى . وذلك لأن^٤ التقوى تثبت الكمالات وتنفي النقائص فيصير

(١) من مد ، وفى الأصل : رتب (٢) فى مد : أخبركم (٣) من مد ، وفى الأصل : كذلك (٤) فى مد : فعلوا (٥) من مد ، وفى الأصل : فإن (٦) زيد من مد (٧) من مد ، وفى الأصل : إن .

صاحبها بشريا ملكيا .

ولما كان هذا مركوزا في طبائعهم مفروزا في جبلاتهم متوارثا^١
عندهم أن الفخر إنما هو بالانساب، وأن الكرم إنما هو من طاب أصله،
وكان قلع ذلك من نفوسهم فيما أجرى به سبحانه العادة في دار الأسباب
٥ يتوقف على تأكيد، أكد سبحانه معللا قوله لإخباره بالأكرم: ﴿ان الله﴾
أى المحيط علما و قدرة ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم بالظواهر ﴿خبير﴾
محيط العلم بالبواطن والسرائر أيضا، روى البغوى^٢ بسند من طريق عبد الله
ابن حميد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف
يوم الفتح على راحلته ليستلم الأركان بمحجته، فلما خرج لم يجد مناخا
١٠ قزل على أيدي الرجال، ثم قام فخطبهم ثم حمد الله وأثنى عليه وقال:
الحمد لله الذى أذهب عنكم عية الجاهلية وتكبرها بآبائها، [إنما] الناس
رجلان: يرتقى كرم على الله، وفاجر شقي حين على الله - ثم تلا "يا أيها الناس"
الآية، ثم قال: أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، وأخرجه أبو داود^٣
والترمذى^٤ [وحسنه - °] والبيهقى - قال المنذرى^٥، باسناد [حسن، و - °]
١٥ اللفظ له - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال: إن الله عز وجل أذهب عنكم عية الجاهلية ولخرها بالآباء، الناس:
بنو آدم و آدم من تراب، مؤمن تقى وفاجر شقى، لينتهين أقوام يفتخرون
(١) من مد، وفى الأصل: متوازيا (٢) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ١٩٢ .
(٣) راجع السنن ٢ / ٣٥٠ (٤) راجع الجامع أبواب التفسير ٢ / ١٥٩ (٥) زيد
من مد (٦) فى الترغيب والترهيب .

برجال إناهم لحم من لحم جهنم أو^١ ليكون أهون على الله من الجعلان
التي تدفع التن بأقها .

ولما أمر سبحانه بإجلال رسوله صلى الله عليه وسلم وإعظامه ،
ونهى عن أذاه في نفسه أو في أمته ، ونهى عن التفاخر الذي هو سبب
التقاطع والتداخر ، وختم بصفة الخبر ، دل عليها بقوله [مشيراً -^٢] إلى هـ
أنه لا يعتد بشيء مما أمر به أو نهى عنه إلا مع الإخلاص فقال :
(قالت الاعراب) أى أهل البادية من بنى أسد وغيرهم الذين هم معدن
الغلظة [والجفاء -^٣] الذين تقدم تأديهم^٤ في سورة الفتح ، والحق -
الناء في فعلهم إشارة إلى ضعفهم في المزام ، قال ابن برجان : هم قوم
شهدوا شهادة الحق ، وهم لا يملون ما شهدوا به غير أن أنفسهم ١٠
[ليست -^٥] تازعهم إلى التكذيب : (أمنا) [أى -^٦] بجميع
ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به في هذه السورة ولنا النسب الخالص ، فحن
أشرف من غيرنا من أهل المدر .

ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا اطلاع عليه لآدمي إلا باطلاعه
سبحانه فكانوا كاذبين في دعواه ، قال : (قل) أى تكذبوا لهم مع ١٥
مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب : (لم تؤمنوا) أى
لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا^٧ بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع

(١) من مد ، وفي الأصل : « و » (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي
الأصل : تذبذبهم (٤ - ٤) من مد ، وفي الأصل : هم (٥) من مد ، وفي
الأصل : لم تؤمنوا .

ما لله من الكمال الذى منه أنه لو لا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله
 و لرسوله - الذى كان ذلك على يديه - المن و الفضل .
 و لما كان التقدير ما كان 'الأصل في' أن يكون الرد به وهو :
 فلا تقولوا : آمنا ، فانه كذب ، و عدل عنه للاحتراز عن النهى عن القول
 بالإيمان ، عطف عليه قوله : ﴿ ولكن قولوا ﴾ لأنكم أسلمتم للدنيا
 لا للدين ، و عدل عنه لثلاث تكون شهادة لهم بالإسلام 'في الجملة' : ﴿ أسلمنا ﴾
 أى أظهرنا الانقياد في الظاهر للأحكام الظاهرة فأما من أن نكون
 حزبا للمؤمنين و عونا للشركين ، يقال : أسلم الرجل - إذا دخل في السلم ،
 كما يقال : أشى - إذا دخل في الشتاء ، و لم يقل : ولكن أسلمتم ، لما فيه
 ١٠ من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للإيمان المنفى عنه ، فكان يكون تناقضا ،
 و الآية من الاحتباك : نفى الإيمان الشرعى أولا يدل على إثبات الإسلام
 اللغوى ثانيا ، [و الأمر بالقول بالإسلام - ٢] ثانيا يدل على النهى عن
 القول بالإيمان [أولا - ٣] .

و لما كانت "لم" غير مستغرقة ، عطف عليها ما يستغرق 'ما مضى'
 ١٥ من 'الزمان كله ليسكون الحكم بعدم إيمانهم مكتنفا بأمرهم بالاعتقاد على
 الإخبار باسلامهم ، فقال معلما بأن ما يجتهدون في إخفائه 'منكشف لديه'
 "الا يعلم من خلق" : ﴿ ولما يدخل ﴾ [أى - ٢] إلى هذا الوقت

(١ - ١) من مد ، و في الأصل : (٢ - ١) سقط ما بين الرقعين من مد .
 (٣) زيد من مد (٤ - ٤) في مد : ماضى (٥ - ٥) في الأصل : منكشفا يديه ،
 و في مد : منكشفا لديه (٦) زيد في الأصل : الإيمان ، و لم تكن الزيادة في
 مد لحذفها .

(الإيمان) [أى - ١] المعرفة التامة (' فى قلوبكم') فلا يعد إقرار اللسان إيمانا إلا بمواطأة القلب، فعصم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأحببهم أعمالكم، والتعير به لما يفهم أنهم آمنوا بعد ذلك، ويجوز أن يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن فى القلب، لأننى مطلق الدخول بدليل " إنما المؤمنون " [دون " إنما - ١] الذين آمنوا " .

ولما كان التقدير: فإن تومنون^٢ يعلم الله ذلك من قلوبكم غنيا عن قولكم، عطف عليه قوله رغيبا لهم فى التوبة: (وان تطيعوا الله) أى الملك الذى من خالفه لم يأمن عقوبته (ورسوله) الذى طاعته من طاعته على ما أتم عليه من الأمر الظاهرى فتؤمن قلوبكم (لا يلتكم) أى ينقصكم وينحسكم^٣ من لاته يلبته، وهى لغة أهل الحجاز، وقرأ^{١٠} البصريان: يأتكم من الإلت وهو النقص أيضا، وهى لغة أسد وغطفان، وهم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان^٤: قال مجاهد: نزلت فى [بنى] أسد بن خزيمه - انتهى . فذلك اختار أبو عمرو القراءة بها، وعدل عن لغة الحجاز (من أعمالكم شيئا^٥) فلا حاجة إلى إخباركم عن إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال، قال ابن برجان: فعموم^{١٥} الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين، فإن يملوا علم ما شهدوا وعقدوا عليه عقدا^٦ علما ويقينا فهم المؤمنون . وفى الآية احتباك من

(١) زيد من مد (٢ - ٢) ليس ما بين الرقن فى الأصل (٣) من مد، وفى الأصل: لم تومنون (٤) من مد، وفى الأصل: يحبسكم (٥) راجع نثر البرجان ٦٧٦/٦ (٦ - ٦) من مد، وفى الأصل: يلتكم من الإلت وهى (٧) فى البحر المحيط ١١٧/٨ (٨) سقط من مد .

وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على بنحسها ' أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفي أساس الخير أولا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا [عليه - ٢] من الأعمال ثانيا ٢ .

٥ و لما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعظما [لهم - ٢] إلى التوبة ، مؤكدا تنبيهها على أنه مما يحق تأكيده [لأن الخلائق - ٢] لا يفعلون مثله : (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى ستور للبهوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ، ولغيره إذا أراد ، فلا عتاب ١٠ ولا عقاب (رحيم) أى يزيد على السر عظيم الإكرام .

و لما نفي عنهم الإيمان ، وكان ربما غلط شخص فى نفسه : [فظن - ٢] أنه مؤمن ، وليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، وهى أمهات الفضائل : العلم والعفة والشجاعة ، فقال جوابا لمن قال : فمن الذى آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ ١٥ ترغيا فى الاتصاف بوصفه وإيدانا بأن الخير عن نفسه بآية إيمانه لا يريد إلا أنه راسخ : (انما المؤمنون) أى العريقون فى الإيمان الذى هو حياة القلوب ، قال القشيري : والقلوب لا تنجي إلا بعد ذبح النفوس ،

(١ - ١) من مد ، وفى الأصل : بغيرها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) فى مد : توكيده (٥) من مد ، وفى الأصل : قال (٦) فى مد : انه .

والنفوس لا تموت و لكنها تعيش ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى صدقوا معترفين
 ﴿ بالله ﴾ معتقدين جميع ما له من صفات الكمال ﴿ ورسوله ﴾ شاهدين برسالة ،
 وهذا هو المعرفة التى هى العلم ، و غايتها الحكمة ، و هذا الإثبات هنا
 يدل على [أن - '] المنفى فيما قبل الكمال لا المطلق ، وإلا لقال
 " إنما الذين آمنوا " .

و لما كان هذا عظيما و الثبات عليه اعظم ، و هو عين الحكمة ،
 أشار إلى عظيم منزلة الثبات بقوله : ﴿ هم ﴾ أى بعد امتطاء هذه الرتبة
 العظيمة [لم يرتابوا ﴾ أى ينازعوا - '] الفطرة الأولى فى تعمد التسبب
 إلى الشك و لم يوقعوا الشك فى وقت من الأوقات الكائنة بعد الإيمان ،
 فلا يزال على تطاول الأزمنة و حصول الفتن و صفهم^٢ بعدم الريب^٢ ١٠
 غضا جديدا ، و لعله عبر بصيغة الاقتعال إشارة إلى العفو عن حديث
 النفس الذى لا يستطيع الإنسان دفع أصله و يكرهه غاية الكراهة^٣
 و يجتهد فى دفعه ، فاذا ان^٤ المذموم المشى معه و المطاولة منه
 حتى يستحكم .

و لما ذكر الأمانة الباطنة على وجه جامع لجميع العبادات المالية ١٥
 و البدنية قال^٤ : ﴿ وجاهدوا ﴾ / أى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى أن
 ١٨ / تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الإيمان ﴿ باموالهم ﴾
 و ذلك هو العفة ﴿ و انفسهم ﴾ أعم من النية و غيرها ، و ذلك هو

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد ، وفى الأصل : بعد الرقب (٣) من مد ،
 وفى الأصل : الاكراه (٤) فى الأصل و مد : فقال .

الشجاعة ، و قدّم الاموال لقلتها في ذلك الزمان عند العرب
 ﴿ في سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الاعظم بقتال الكفار و غيره من
 سائر العبادات المحتاجة إلى المال و النفس^١ لا الذين يتخلفون و يقولون :
 شغلنا أموالنا و أهلونا ، قال القشيري : جعل [الله -^٢] الإيمان مشروطاً^٣
 ٥ بحصول ذكرها ، و ذكر لفظ " انما " و هى لتحقيق ، تقتضى الطرد
 و العكس ، فن أفرد الإيمان عن شرائطه التى جعلها له فردود [عليه -^٢]
 قوله ، و الإيمان للعبد [الامان -^٢] ، فإيمان^٤ لا يوجب الامان لصاحبه
 بخلافه أولى به .

و لما عرف بهم بذكر أمارتهم على سبيل الحصر ، أنتج ذلك حصراً
 ١٠ آخر قطعاً لاطماع المدعين على وجه أثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به
 عندهم ترغيباً^١ فى مثل^٢ حالهم فقال : ﴿ أو آتاك ﴾ أى العالو الرتبة الذين
 حصل لهم استواء الأخلاق و العدل فى الدين بجميع امهات الأخلاق
 ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الصديقون ٥ ﴾ قالوا و حالا و فعلا ، و أما غيرهم
 فكاذب .

١٥ و لما كانوا كـأنهم يقولون : نحن كذلك ، امره صلى الله عليه و سلم
 بالإنكار عليهم و التوبيخ [لهم -^٢] دلالة على ما أشار إليه ختام الآية
 من إحاطة عليه الذى تميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال :

(١-١) من مد ، و فى الأصل : النفس و المال (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
 و فى الأصل : مخلوطا (٤) من مد ، و فى الأصل : كإيمان (٥) من مد ، و فى
 الأصل : لصاحبه (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : لئىل .

﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الاعراب مجهلاً [لهم - '] مبكثا : ﴿ اتعلون ﴾ [أى - '] أنخبرون إخباراً [عظيماً - '] بليغا ، كأنهم لما آمنوا كان [ذلك - '] إعلاما منهم ، فلما قالوا آمنا كان ذلك تكريرا ، فكان فى صورة التعليم ، فبكتهم بذلك ﴿ الله ﴾ أى الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما ﴿ بدينكم ^١ ﴾ فلذلك تقولون : آمنا ، فى ذلك نوع بشرى لهم لأنه هـ أوجد لهم ديناً وأضافه إليهم - قاله ابن برجان . ولما أنكر عليهم وبكتهم وصل به ما يشهد له ^٢ فقال : ﴿ والله ﴾ أى والحال ان الملك المحيط بكل شيء ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾ كلها على عظمتها وكثرة ما فيها ومن فيها . ولما كان فى سياق الرد [عليهم - '] والتبكييت لهم كان موضع التأكيد فقال : ﴿ وما فى الارض ^٣ ﴾ كذلك . ١٠

ولما كان المقام للتعميم ، أظهر ولم يضمّر لثلايوهم* الاختصاص بما ذكر من الخلق فقال : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ بكل شيء ﴾ أى بما ذكر وبما لم يذكر ﴿ عليهم هـ ﴾ .

ولما كان قولهم هذا صورته صورة المنّة ، قال مترجما له مبكثا لهم عليه معبرا بالمضارع تصورا لحاله فى شناعته : ﴿ يمتنون عليك ﴾ أى ١٥ يذكرون ذكر من اصطنع [عندك - '] صنعة وأسدى إليك نعمة ، إنما فعلها لحاجتك إليها لا لقصد الثواب عليها ، لأن المن هو القطع - قال فى الكشف : لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته [لا غير - '] ، من

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : ذلك (٣) من مد ، وفى الأصل :

لهم (٤) من مد ، وفى الأصل : ذلك (٥) فى مد : ينوهم .

غير أن يعمد لطلب مثوبة ، ثم يقال : من عليه ضيعة - إذا اعتده عليه
منة وإنعاما . ولما كان الإسلام ظاهرا في الدين الذي هو الانقياد
بالظاهر مع إذعان [الباطن - ١] لم يعبر به ، وقال : ﴿ ان اسلموا ﴾ أى
أوقعوا الانقياد للاحكام في الظاهر .

٥ ولما كان المن هو القطع من العطاء الذى لا يراد عليه جزاء ،
قال : ﴿ قل ﴾ أى فى جواب قولهم هذا : ﴿ لا تمنوا ﴾ معبرا بما من
المن إشارة إلى أن الإسلام لا يطلب جزاؤه إلا من الله ، فلا ينبغي
عده ضيعة على أحد ، فان ذلك يفسده ﴿ على اسلامكم ﴾ لو فرض
أنكم كتمتم مسلمين^٢ أى متدينين بدين الإسلام الذى هو انقياد الظاهر
١٩ / ١٠ / مع إذعان الباطن ، [أى - ١] لا تذكره على وجه الامتنان أصلا ،

فالفعل وهو " تمنوا " مضمن " تذكروا " نفسه لامتناه كما تقدم
[فى - ١] " ولتكبروا الله على ما هداكم " ﴿ بل الله ﴾ أى الملك
الاعظم الذى له المنه على كل موجود ولا منة عليه بوجه ﴿ يمن عليكم ﴾
أى يذكر أنه أسدى إليكم نعمة ظاهرة و باطنة منها ما هو^٣ ﴿ ان ﴾

١٥ أى بأن ﴿ هدىكم للإيمان ﴾ أى بينه لكم أو وفقكم للاهتمام وهو تصديق
الباطن مع الانقياد بالظاهر ، والتعبير عن هذا بالمن أحق مواضعه ، فانه
سبحانه غير محتاج إلى عمل فانه لافتح يلحقه ولا ضرر ، وإنما طلب
الأعمال لنفع^٤ العاملين أنفسهم ، ومن عليهم بأن أرسل رسوله صلى الله

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، وفى الأصل : مسلمون (٣-٣) سقط ما
بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : المسلمين او ، ولم تكن الزيادة فى
مد فخذناها .

عليه وسلم فبين لهم فكذبوه بأجمعهم ، فلم يزل يقويه حتى أظهر فيه [آية - ١] مجده وأظهر دينه على الدين كله ، ودخل فيه الناس طوعا وكرها على وجوه من المجد يعرفها من ^٢ استحضرت السيرة ^٣ ولا سيما من عرف أمر بني أسد و غطفان الذين زلت فيهم هذه الآيات ، وكيف كان حالهم في غزوة خيبر ^٤ وغيره ^٥ .

ولما كان [المراد - ٥] بهذا تجهيلهم وتعليمهم حقائق الأمور ، لا الشهادة لهم بالهداية ، قال منها على ذلك : ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا أنتم عريقون فيه ﴿ صدقين ﴾ فى ادعائكم ذلك ، فانه على تقدير الصدق إنما هو بتوفيق الله وهو الذى خلق لكم قدرة الطاعة ، فهو الفاعل فى الحقيقة فله المنة عليكم ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : من لاحظ شيئا ^{١٠} من اعماله و أحواله فان رآها دون نفسه كان شركا ، وإن رآها لنفسه كان مكررا ، فكيف بمن العبد بما هو شرك أو مكر ، و الذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة ، هذا لعمري فضيحة ، و المنة تذكر الصنعة ، إذا كانت من المخلوقين ، و بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله .

١٥

ولما نقي عنهم ما هو باطن ، و ختم جدالهم سبحانه بهذه الشرطية ، فكان ربما توهم قاصر النظر جامد الفكر عدم العلم بما هو عليه ، أزال

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : استحفره .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد .

ذلك على وجه عام ، و أكدّه لذلك فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل
 شىء قدرة و علما ﴿ يعلم ﴾ أى بطريق ثبوت الصفة و تجريد التعلق
 و استمراره كلما تجدد محدث أو كان بحيث ' يتجدد ' ﴿ غيب السموات ﴾
 أى كلها ﴿ والارض ﴾ كذلك .

٥ و لما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر و لم يضر قوله :

﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بذلك و بغيره مما لا تعلمون ﴿ بصير ﴾ أى
 عالم أتم العلم ظاهرا و باطنا ﴿ بما تعملون ﴾ من ظاهر لإسلامكم و باطن
 لإيمانكم فى الماضى و الحاضر و الآتى سواء كان ظاهرا أو باطنا سواء كان
 قد حدث فصار بحيث تعلمونه أتم أو كان مغروزا فى جبلاتكم و هو
 ١٠ خفى عنكم - هذا على قراءة الخطاب^٢ التفات^١ إليهم لاستنفاد من توهم

منهم هذا التوهم ، و هى أبلغ ، و على قراءة ابن كثير بالغيب يكون على
 الأسلوب الأول لما أمر النبي صلى الله عليه و سلم بإبلاغه لهم ، فهو سبحانه
 / ٢٠ عالم بمن انطوى ضميره على الإيمان ، و من هو متكيف بالكفران ، و من

يموت على ما هو عليه ، و من يتحول حاله بإبعاد عنه أو جذب إليه ،
 ١٥ قال القشيري رحمه الله تعالى : و من وقف ههنا تكدر عليه العيش إذ

ليس يدرى ما غيبه فيه ، و فى المعنى قال^٤ :

(١) من مد ، و فى الأصل : يحب^(٢) راجع نثر المرجان ٦/ ٦٨٠ (٣) من مد ،
 و فى الأصل : التفاتا (٤) سقط من مد .

أبكي وهل تدرين ما يبكيني أبكي حذارا أن تفارقيني
و تقطعي حبل^١ و تهجريني

اتتهى . وفي ذلك أعظم زجر^٢ و ترهيب لمن قدم بين [يدي - ^٣]
الله ورسوله ولو أن تقدمه في سره . فانه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم ،
فكانه قيل : لا تقدموا بين يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم و جهركم ، هـ
فقد رجع هذا * الآخر إلى الأول * ، و التف به التفاف الأصل بالموصل .



(١) من مد ، وفي الأصل : جيلي (٢) من مد ، وفي الأصل : زاجر (٣) زيد
من مد (٤) من مد ، وفي الأصل : التفت (ه - ه) من مد ، وفي الأصل :
الأول إلى الآخر .

سورة ق وتسمى الباسقات

مقصودها تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة التي معظمها الإنذار وأعظمه 'الإعلام' يوم الخروج بالدلالة على ذلك بعد الآيات المسبوقة الغنية بإعجازها عن تأييد بالآيات المرتبة الدالة قطعاً على الإحاطة بجميع صفات الكمال، وأحسن من هذا أن يقال: مقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم^١ لئان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد، فتكتف هذه الإحاطة بما يحصل من الفضل بين العباد بالعدل لأن ذلك هو سر الملك الذي هو سر الوجود وذلك هو نتيجة مقصود البقرة، والذي تكفل بالدلالة على هذا كله ما شوهد من إحاطة [مجد - °] القرآن بإعجازه في بلوغه في كل من جميع المعاني وعلو التراكيب وجلالة المفردات وتلازم الحروف وتناسب النظم ورشاقة الجمع وحلاوة التفصيل إلى حد لا تطيقه القوى، ومن إحاطة أوصاف الرسول الذي اختاره سبحانه لإبلاغ هذا الكتاب في الخلق، وما شوهد من إحاطة القدرة بما هدى إليه القرآن من آيات^٢ الإيجاد والإعدام، وعلى كل من الاحتمالين دل اسمها "ق" لما في آياته^٣ من إثبات المجد بهذا الكتاب، والمجد هو الشرف والكرم^٤

(١) التمسون من سور القرآن الكريم مكية وعدد آياتها ٤٥ بالتناق (٢) من مد، وفي الأصل: معظمه (٣) في مد: الانذار (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل: الآيات (٧) في مد: آيته (٨) من مد، وفي الأصل: الاكرام.

و الرفعة و العلو، و ذلك لا يكون إلا و الآتى به كذلك، و هو ملازم
 لصدقه فى جميع ما أتى به، و للقف و حدها أتم دلالة على ذلك،
 أولا بمخرجها فانه من أصل 'اللسان بما يلى الخلق و يحاذيه من الخنك
 الأعلى، فان ذلك إشارة إلى أن مقصود السورة الأصل و العلو، و كل
 منها دال على الصدق دلالة قوية، فان الأصل فى وضع الخبر الصدق، ه
 و دلالته على الكذب و ضعية لاعقلية، و هى أيضا محبطة باسمها
 أو مسماها بالمخارج الثلاث، و الإحاطة بالحق لا تكون إلا مع العلو، و هو
 لا يكون إلا مع الصدق، و لإحاطتها سى بها الجبل المحيط بالأرض، هذا
 بمخرجها، و أما صفتها فانه عظمة فى ذلك فان لها الجهر و الشدة
 و الافتتاح و الاستعلاء و القلقلة، و كل منها ظاهر الدلالة على ذلك جدا، ١٠
 / و أدل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد النخل، لما انفردت به
 عما شاركها من النبات بالإحاطة بالطول و كثرة المنافع، فانها جامعة
 للتفكه بالقلب ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب و بالاقنيات بالتمر و بالحشب
 و الحطب و القطا و الخوص النافع للافتراش و الليف النافع للرجال،
 و دون ذلك و أعلاه من الخلال، هذا مع كثرة ملابس العرب الذين ١٥
 هم أول مدعو بهذا الكتاب الذكر لها و معرفتهم بخواصها. و أدل ما فيها
 الطول مع أنه ليس لعروقتها من الامتداد فى الأرض و التمكن ما لغيرها،
 و مثل ذلك غير كاف فى العادة فى الإمساك عن السقوط و كثرة الحمل
 و عظم الاتقاء و تناضد الثمر، و لذلك سميت سورة الباسقات لا النخل

(١) و من هنا إلى ما سنبه عليه ليست نسخة مد و اضحة .

(بسم الله) الذى من إحاطة حمده يائه ما لنيه صلى الله عليه وسلم
من إحاطة الحمد، ولقدرته سبحانه من الإحاطة التى ليس لها حد
(الرحمن) الذى عم خلقه برحمته حين أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه
وسلم بشرائه، فهو أصدق العباد، وأظهر بعظيم معجزاته أن قدرته
ه ما لها من نقاد (الرحيم ه) الذى خص بالفوز فى دار القرار
أهل الرغاد .

لما ختم سبحانه الحجرات بإحاطة العلم قال أول هذه: (ق ق) إشارة إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علما و قدرة بما له من العلو
والشدة والقوة والقيومية والقهر و نافذ القضاء والفتح لما أراد من
المخلوقات، بما اشارت إليه القاف بصفاتها وأظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه
مساها من المخارج الثلاث: الخلق واللسان والشفاه .

وقد قال الأستاذ أبو الحسن الخراساني فى سر افتتاح المفصل بهذا
الحرف فقال فى آخر كتابه فى هذا الحرف: اعلم أن القرآن منزل مثنائى، ضمن
ما عدا المفصل منه الذى هو من قاف إلى آخر الكتاب العزيز و فاتحة
١٥ ما يختص بأولى العلم والفقہ من مبسوطات الحكم ومحكمات الأحكام
ومطولات الأفاضل، ومتشابه الآيات، والسور المفتحة بالحروف
الكلية للإحاطة لغيبية المتهجى المسندة إلى آحاد الأعداد، فلعلو رتبة
إيراده وطوله ففى الحق سبحانه الخطاب وانتظمه فى سور كثيرة العدد
يسيرة عدد الآى قصيرة مقدارها، ذكر فيها من أطراف القصص والمواعظ
٢٠ والأحكام والثناء وأمر الجزاء ما يليق بسماح العامة ليسهل عليهم

سماعه و ليأخذوا بحظ مما أخذه الخاصة و ليكرر على أسماعهم في قراءة الأئمة
له في الصلوات المفروضة التي لامندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا
ما يعرفهم من مضمون سائر السور المطولات ، فكان أحق ما افتتح به
مفصلهم حرف ق الذي هو وتر الآحاد ، و الظاهر منها مضمون ما يحتوى
عليه مما افتتح بألف لام ميم ، و كذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر
أن يقرأ في خطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة
المفصل الخاص بهم ، و في مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه
في إقامة أمر العامة ما فيه كفاية ، و شفعت بسورة المطهرة تلخصوا بما
فيه القهر و الإنابة ، و اختصرت سورة نون من مقتضى العلم بما هو محيط
بأمر / العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين .

١٠ / ٢٢

ولما كان جميع السور المفتحة بالحروف المتضمنة للراتب التسع ،
و العاشر الجامع قواما و إحاطة في جميع القرآن ، لذلك كانت سورة
قاف و سورة ن قواما خاصا و إحاطة خاصة بما يخص العامة من القرآن
الذين يجمعهم الأرض بما أحاط بظواهرها من صورة جبل قاف ، و ما أحاط
بباطنها من صورة حيوان " نون " الذي تمام أمرهم بما بين مددتي إقامتهما
و لهذه السورة المفتحة بالحروف ظهر اختصاص القرآن و تميزه عن
سائر الكتب لتضمنها الإحاطة التي لا تكون إلا بما للخاتم الجامع ،
و اقترن بها من التفضيل في سورها ما يليق بإحاطتها ، و لإحاطة معانيها

(١) في الأصل : كان (٢) تكرر في الأصل (٣) و من هنا عادت نسخة

مد و اضة .

وإتمامها كان كل ما فسرته به من معنى يرجع إلى مقتضاها، فهو صحيح في إحاطتها ومنزلها من أسماء الله وترتيبها في جميع العوالم، فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجهاً من التفسير لم يخرج عن إحاطة ما تقتضيه، ومهما فسرته به من [أنها من - ٢] أسماء الله تعالى ٥ أو^٢ من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من مثل الأشياء، وصور الموجودات أو^٣ من أنها أقسام أقدم بها، أو فواتح عرفت بها السور، أو^٤ أعداد تدل على حوادث وحظوظ من ظاهر الأمر أو باطنه على اختلاف رتب وأحوال مما أعطيه محمد صلى الله عليه وسلم من مقدار أمد الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهي إليه أمره من ظهور الهداية ١٠ ونحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك، وكل داخل في إحاطتها، ولذلك^٥ أيضاً لا يختص بمحل مخصوص تلزمه علامة إعراب مخصوصة فهما قدر في مواقعها من هذه السورة جراً^٦ أو نصباً^٧ أو رفعاً، فتداخل في إحاطة ترتيبها ولم يلزمها معنى خاص ولا إعراب خاص لما لم يكن لها انتظام، لأنها مستقلات محيطات، وإنما ينتظم ما يتم معنى - كل ١٥ واحد من المنتظمين بحصول الانتظام، وذلك يختص من الكلم بما يقصر عن إحاطة مضمون الحروف حتى أنه متى وقع^٨ استقلال وإحاطة في

(١) من مد، وفي الأصل: وجهها (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل: و (٤) من مد، وفي الأصل: اختتام (٥) من مد، وفي الأصل: احد (٦) في مد: كذلك (٧-٧) من مد، وفي الأصل: وبصلة (٨) من مد، وفي الأصل: وضع.

كلمة لم يقع فيها انتظام .

و لما أشار^١ سبحانه إلى هذه الإحاطة بالقاف، أقسم على ذلك قسماً هو في نفسه دال عليه فقال: ﴿و القرآن﴾ أى الكتاب الجامع الفارق^٢ ﴿المجيد﴾ الذى له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل كلام، والجواب أنهم ليعلمون ما أشارت إليه القاف من قوى وعظمى وإحاطة ه على وقدرتى، وما اشتمل عليه القرآن من المجد باعجازه واشتماله على جميع العظمة، ولم ينكروا شيئاً من ذلك بقلوبهم، ومجيد القرآن كما تقدم فى أثناء الفاتحة ما جربت أحكامه من بين عاجل ما شهد وأجل ما علم بعلم ما شهد، وكان معلوماً بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى، وما شهد من الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من ١٠ أمثاله وأشباهه، وإذا تأملت السورة وجدت آيها منزلة على جميع ذلك، فانه سبحانه ذكرهم [فيها - ١] ما يعلمون من خلق السماوات والأرض [وما فيهما - ١] ومن مصارع الأولين وكذا السورة الماضية ولا سيما آخرها المشير إلى أنه أدخل على الناس الإيمان برجل واحد غلبهم بمجده وإعجازه لمجد منزله^٣ بقدرته وإحاطة عليه - والله الهادى، ١٥ ومن أحاط علماً بمعانيه وعمل ما فيه مجد عند الله وعند الناس .

- (١) زيد فى الأصل : إليها، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٢) من مد ، وفى الأصل : الفاروق (٣) ليس فى مد (٤) من مد ، وفى الأصل : جرت . (٥) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٦) زيد من مد . (٧) من مد ، وفى الأصل : منزله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما كانت سورة الحجرات
 قد انطوت على جملة من الالطاف التي خص الله^١ بها عباده المؤمنين
 كذكره تعالى أخوتهم وأمرهم بالثبوت عند غائلة معتد فاسق^٢ ”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ“ الآية، وأمرهم بغض الاصوات عند فيهم
 ٥ وأن لا يقدموا بين يديه ولا يعاملوه في الجهر بالقول كعامله بعضهم
 بعضا، وأمرهم باجتنب كثير من الظن ونهيمهم عن التجسس والفتنة،
 وأمرهم بالتواضع في قوله ”يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى“
 وأخبرهم تعالى [أن - ٢] استجابتهم وامتثالهم^٣ هذه الأوامر ليست^٤
 بحولهم، ولكن بفضلهم وإنعامه، فقال : ”و لكن الله حبيب اليكم الإيمان
 ١٠ وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والمصيان“ الآيتين. ثم
 اعقب ذلك بقوله ”يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا“ الآية، لين أن ذلك كله
 يده ومن عنده، أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر ولم يجب
 إليه الإيمان ولا زينه في قلبه، بل جملة في طرف من حال من أمر
 و^٥ نهى في سورة الحجرات مع المساواة في الخلق وتماثل الأدوات
 ١٥ فقال تعالى ”والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم“ الآيات،
 ثم ذكر سبحانه وتعالى وضوح الأدلة ”أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم“
 الآيات، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم ”كذبت قبلهم قوم
 [نوح - ٢]“ ليستذكر بمجموع هذا من قدم ذكره بحاله [و - ٢]
 (١) ليس في مد (٢) زيد من مد (٣) في مد : امثال (٤) من مد، وفي
 الأصل : ليس (٥) من مد، وفي الأصل : او .

أمره ونهيه في سورة الحجرات ، و يتأدب المؤمن بآداب الله و يعلم
أن ما أصابه من الخير قائما هو من فضل ربه وإحسانه ، ثم التحمت
الآي إلى قوله خاتمة السورة " نحن أعلم بما يقولون و ما انت عليهم "
الآيات - انتهى .

ولما كان هذا ظاهرا على ما هدى إليه السياق ، بنى عليه قوله دلالة ه
أخرى على شمول عليه : (بل) [أى - ١] أن تكذيبهم ليس لإنكار
شيء من مجده ولا لإنكار^٢ صدقك الذى هو^٣ من مجده بل لأنهم
(عجوا) أى الكفار ، وأضمرم قبل الذكر إشارة إلى أنه إذا ذكر
شيئا خارجا عن سنن الاستقامة انصرف إليهم ، والعجب من تغير
النفس لأمر خارج [عن العادة - ٢] .

١٠

ولما كان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو من عليه بالإسلام أو غيره ، أو لتخويف من أنكر البعث ،
اقتصر على النذارة فقال : (ان جاءهم منذر)^٤ أنذرهم حق الإنذار
من عذاب الله عند البعث الذى هو محط الحكمة ، و عجب منهم هذا
العجب بقوله : (منهم) لأن العادة عندهم وعند جميع^٥ الناس [أنه - ٢]
إذا كان النذير منهم لم يداخلهم فى إنذاره شك بوجه من الوجوه ،
وهؤلاء خالفوا عادة^٦ الناس فى تعجبهم من كون النذير - وهو أحدهم -

١٥

(١) من مد ، وفى الأصل : فى (٢) زيد من مد (م) من مد ، وفى الأصل :
إنكار (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى مد
لحذفها (٦) زيد فى مد : العرب (٧) من مد ، وفى الأصل : عنا داخلا قالعاده.

خص بالرسالة دونهم ، ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم ، فكذلك أنكروا رسالته وفصل كتابه بألسنتهم نقاسة وحسدا لأنهم كانوا معترفين بخصائصه التي رفعه الله تعالى عليهم بها^١ قبل الرسالة لخطهم عجيبهم ذلك إلى الحضيض من دركات السفه وخفة الأحلام ، لأنهم عجبوا أن كان الرسول بشرا وأوجبوا [أن يكون -^٢] الإله حجرا ، وعجبوا من^٣ أن يعادوا من تراب ، وثبت له الحياة ، ولم يعجبوا أن يقدوا من تراب ولم يكن له أصل في الحياة ، ولذلك سبب عنه قوله : (قال) أى بسبب إنذاره بالبعث وعقبه / (الكفرون) فأظهر في موضع الإنذار إيذانا بأنهم لم يخف عليهم شيء من أمره ، ولكنهم^٤ ستروا تعديا بمرأى عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة ، وعبر بما دل على النذارة لأنها المقصود الأعظم من هذه السورة ، وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها : (هذا) أى كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا ، وكون ما أنذر به هو البعث بعد الموت (شيء عجيب) أى يبلغ في الخروج عن عادة أشكاله ، وقد كذبوا في ذلك ، أما من جهة النذير ١٥ فإن أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا إليهم ، وقليل منهم من كان غريبا ممن أرسل إليه ، وأما من جهة البعث فإن أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه وإحياء الأرض [من -^٥] بعد موتها وابتداء الإحياء لجميع موات الحيوان وإخراج النبات والأشجار

(١ -) من مد ، وفي الأصل : عنهم بها (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد . (٤) من مد ، وفي الأصل : لكنه .

/ ٢٤

و الثمار وغير ذلك بما [هو - '] ظاهر جدا .

و لما كان المتعجب منه بجملا ، أوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين
في الإنكار ، بافتتاح إنكارهم باستفهام إنكارى : ﴿ ء اذا متا ﴾ فحارقت
أرواحنا أشباحنا ﴿ و كنا ترابا ع ﴾ لافرق بينه وبين تراب الارض .
و لما كان العامل في الظرف ما تقديره : زجع ؟ دل عليه بقوله و الإشارة ه
بأداة البعد ٢ إلى عظيم ٣ استبعادهم : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر الذى هو فى
تميز ترابنا من بقية التراب ٢ فى غاية البعد ، و هو مضمون الخبر برجوعنا
﴿ رجع ﴾ أى رد إلى ما كنا عليه ٤ ﴿ بيده ﴾ [جدا - '] لانه لا يمكن تميز
ترابنا من بقية التراب . و لما كان السياق لإحاطة العلم بما نعا و ما لانعلم ،
توقع السامع الجواب عن هذا الجهل ، فقال مزبلا لسيده ، مفتحا ١٠
بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ أى بل نحن على ذلك فى غاية القدرة لانا قد
﴿ علنا ﴾ بما اتنا من العظمة ﴿ ما تنقص الارض منهم ع ﴾ أى من أجزائهم
المتخللة من أبدانهم بعد الموت و قبله ، فانه [لو - '] زاد الإنسان
بكل طعام يأكله و لم ينقص صار كالجلبل بل نحن دائما فى إيجاد وإعدام
تلك الاجزاء ، [و - '] ذلك فرع العلم بها كل جزء فى وقته الذى ١٥
كان قصه فيه قل ذلك الجزء ٥ أو جل ٦ ، و لم يكن شئ من ذلك إلا بأعيننا

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد ، وفى الأصل : و هو (٣ - ٣) ليس ما بين
الرفيقين فى مد (٤) زيد فى الأصل : هذا هو ، هذا أمر ، و لم تكن الزيادة
فى مد لحذفها (٥) من مد ، وفى الأصل : عدم (٦) زيدت الواو فى الأصل
و لم تكن فى مد لحذفها (٧) زيد فى الأصل : فى ذلك ، و لم تكن الزيادة
فى مد لحذفها .

بما لنا من القيومية والخبرة النافذة في البواطن فضلا عن الظواهر والحفظ،
الذى لا يصب إلى جنبه عى ولا غلة ولا غير، 'ولكنه' عبر بمن
لان الأرض لا تأكل عجب الذب، فانه كالنذر لأجسام بنى آدم.

ولما كانت العادة جارية عند جميع الناس بأن ما كتب حفظ،
٥ أجرى الأمر على ما جرت به عوائدهم فقال مشيرا بنون العظمة إلى
غناه عن الكتاب: {وعندنا} أى على ما لنا من الجلال الفى عن
كل شىء {كتب} أى جامع لكل شىء {حفيظه} أى بالغ في
الحفظ لا يشذ عنه شىء من الأشياء دق أو جل، فكيف يستبعدون على
عظمتنا أن لا نقدر على تمييز تراهم من تراب الأرض [ولم يختلط
١٠ فى علنا شىء من جزء منه بشىء من جزء آخر فضلا عن أن يختلط شىء
منه بشىء آخر من تراب الأرض - ٢] أو غيرها.

ولما كان التقدير: وهم / لا ينكرون ذلك من عظمتنا لأنهم معترفون
/ ٢٥
بأننا خلقنا السماوات والأرض وخلقناهم من تراب وإنا نحن نزل الماء
فينبت النبات، أضرب عنه بقوله: {بل الذين كذبوا بالحق} أى
١٥ الأمر الثابت الذى لا أثبت منه {لما} أى حين {جاءهم} لما نار
عندهم من أجل تعجبهم من إرسال رسولهم من حظوظ النفوس وغلبهم
من الهوى، حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر، ولا نظر فيه

(١-١) من مد، وفى الأصل: ثم (٢) زيد فى الأصل: أى (٣) زيد من مد.
(٤) من مد، وفى الأصل: فولتا (٥) من مد، وفى الأصل: ليست.
(٦) من مد، وفى الأصل: حظوظى.

ولا تفكر ، فلذلك قالوا ما لا يعقل من أن من قدر على إيجاد شيء من العدم وإيدائه لا يقدر على إعادته بعد إعدامه وإفائه .

ولما تسبب عن اتسائهم في هذا القول الواهي^١ وارتهاهم في عهدته اضطرابهم^٢ في الرأي : هل يرجعون فيفسوا إلى الجهل والطيش والسفه والرعونة أم يدومون عليه فيؤدى ذلك مع كفرهم بالذى خلقهم إلى هـ أعظم من ذلك من القتال والقتل ، والنسبة إلى الطيش والجهل ، قال معبرا عن هذا المعنى : (فهم) أى لاجل مبادرتهم إلى هذا القول السفساف (فى أمر مرجع) أى مضطرب جدا محتط ، من المرج وهو اختلاط البت بالانواع المختلفة ، فهم [تارة - ٢] يقولون : سحر و تارة كهانة ، و تارة شعر ، و تارة كذب ، و تارة غير ذلك ، والاضطراب موجب ١٠ للاختلاف ، وذلك أدل دليل على الإبطال كما أن الثبات والخلوص موجب للاتفاق ، وذلك أدل دليل على الحقيقة^٣ ، قال الحسن : ما ترك قوم الحق^٤ إلا مرج أمرهم - وكذا قال قتادة^٥ ، وزاد : والتبس عليهم دينهم . ولما أخبرهم أنهم قالوا عن غير تأمل أنكر عليهم ذلك موبخا لهم دالا

على صحة ما أنكروه : فساد إنكارهم بقوله ، مسيا عن مجلتهم إلى الباطل ، ١٥ (أفلم ينظروا) أى بين البصر : البصيرة (إلى السماء) أى المحيطة بهم وبالارض التى هم عليها . ولما كان هذا اللفظ يطلق على كل ما علا من سقف وسحاب وغيره وإن كان ظاهرا فى السقف المكوكب

(١) من مد ، وفى الأصل : الهاوى (٢) من مد ، وفى الأصل : اضطرابهم .

(٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : الحقيقة (٥) من مد ، وفى .

الأصل : نوح (٦) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ١٩٤ .

حققه بقوله: ﴿ فوقهم ﴾ فان غيرها إنما هو فوق ناس منهم لا فوق الكل . ولما كان أمرها عجبا، فهو أهل لأن يسأل عن كيفيته دل عليه بأداة الاستفهام فقال: ﴿ كيف بنيتها ﴾ أى أوجدناها على ما لنا من المجد و العزة مبنية كالخيمة إلا أنها من غير عمد ﴿ وزينها ﴾ ه أى بما فيها من الكواكب الصغار والكبار السيارة والثابتة ﴿ وما ﴾ أى والحال انه ما ﴿ لها ﴾ وأكد النفي بقوله: ﴿ من زوج ه ﴾ أى فتوق وطاقات وشقوق، بل هى ملساء متلاصقة الأجزاء، فان كانت هذه الزينة من تحتها فالذى أوقع ذلك على هذا الإحكام الذى يشاهدونه بما فيه من^٢ المناسع والستر الذى لا يختل على مر الجديدين، ١٠ فهو من القدرة بحيث لا يعجزه شئ، وإن كانت الزينة من فوقها فكذلك، وإن كان بعضها من فوق وبعضها من تحت فالأمر عظيم، وهذا يدل على أن السماء كرة مجوفة الوسط مقيمة كالليضة، فان نفى الفروج فيها / على هذا لوجه المؤكد يدل على ذلك دلالة ظاهرة، وأفرد السماء ولم يجمع لأن بناءها على ما ذكر^٣ وإن كانت واحدة يدل على كمال القدرة، فان البناء المجوف لا يمكن بانيه إلا كمال^٤ بنائه من غير أن يكون له فروج، وإن اختل ذلك كان موضع الوصل ظاهرا للرائين ما فيه من فتور وشقوق وفصور وما يشبه ذاك^٥، ولم يمكنه مع^٥ ذلك الخروج منه،

(١) من مد، وفى الأصل: هو (٢) فى الأصل: العالى و، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٣) زيد فى الأصل: كان كذلك، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) من مد، وفى الأصل: الكمال (هـ) من مد، وفى الأصل: لم يمكن فيه بعد .

إن كان داخله لم يقدر على حفظ خارجه ، وإن كان خارجه لم يتمكن من حفظ داخله^١، و هذا الكون محفوظ من ظاهره و باطنه ، فلم أن صانعه منزّه عن الاتصاف بما تحيط به العقول بكونه داخل العلم أو خارجه أو متصلا به أو منفصلا [عنه] ، أو محتاجا في الصنعة إلى إله أو في الحفظ إلى ظهير أو معين ، و جمع الفرج للدلالة على إرادة الجنس بالسماه^٥ بعد ما أفاده إفراد لفظها ، فبدل الجمع مع^٢ إرادة الجنس على^٣ التوزيع ، مع الإيهام إلى أن الباقى لو احتاج في هذا الخلق الواسع الأطراف المتباعد الأكثاف إلى فرج واحد لاحتاج^٤ إلى فروج كثيرة . فإن هذا الجرم الكبير لا يكتفى فيه فرج واحد لمن يحتاج إلى الحركة ، فنزل كلام العليم^٦ الخبير على مثل هذه المعانى ، و لا يظن أنه غيرت فيه صنعة من^{١٠} الصنع لأجل الفاصلة فقط ، فإن ذلك لا يكون إلا من محتاج ، و الله^٧ متعال عن ذلك ، و يجوز - و هو أحسن - أن يراد بالفروج قابلية الإنبات لتكون - مثل الأرض - يتخللها المياه فيمتد فيها عروق الأشجار و النبات و تظهر منها ، و أن يراد بها الخلل كقوله تعالى ” ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور “ أى خلل و اختلاف^{١٥} و فساد ، و هو لا ينفى الأبواب و المضاعف - و الله أعلم .

(١) من مد ، و فى الأصل : خارجه (٢) من مد ، و فى الأصل : بعد (٣) زيد فى الأصل : الجنس ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : احتاج (٥) زيد فى الأصل : الكبير ، و لم تكن الزيادة فى مد . لحذفناها (٦) زيد فى الأصل : المتعال ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها .

ولما دل سبحانه على تمام قدرته و كمال علمه و غير ذلك من صفات الكمال بآية السماء^١، أتبع ذلك الدلالة على أنه لا يقال فيه داخل العالم ولا خارجه لأنه متصل [به] ولا منفصل عنه، فيه على ذلك بالدلالة على آية الأرض، وأخرها لأن السما أدل على المجد الذي هذا ميثاقه، لأنها أعجب صنعة وأعلى علواً وأجل مقداراً وأعظم أثراً، وأن الأرض لكثرة الملاسة لها والاجتناء من ثمارها يغفل الإنسان عن دلالتها، بما له في ذلك من الصنائع والمنافع، فقال: ﴿و الأرض﴾ أى المحيطة بهم ﴿مددتها﴾ أى جعلناها بما لنا من العظمة مبسطة لاسمنة. ولما كان الممدود يتكفأ، قال: ﴿والقينا﴾ بعظمتنا ﴿فيها يرواسي﴾ أى جبالاً ١٠ ثوابت كانت سيا ثباتها، وخالفت عادة المراسي فى أنها من فوق، و المراسي تعالجونها أتم من تحت.

ولما كان سكانها لاغنى لهم عن الرزق، قال بممتنا عليهم: ﴿وابتنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ وعظم قدرتها بالتبويض فقال: ﴿من كل زوج﴾ أى صنف من النبات تزواجه أشكاله بأرزاقكم كلها ﴿بهيج﴾ أى هو ١٥ فى غاية الرويق والإعجاب، فكان - مع كونه رزقاً - متزهاً.

ولما ذكر هذه الصنائع الباهرة، عللها بقوله: ﴿تبصرة﴾ أى

جعلنا هذه الأشياء / كلها، أى لاجل أن تنظروها بأبصاركم، ثم تفكروا بيسائرهم، فتعبروا منها إلى صاندها، فتعلموا ما له من العظمة ﴿وذكرى﴾ أى ولتذكروا بها تذكراً عظيماً^٢، بما لكم من القوى والقدر فعملوا

(١) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه مطبوعة فى مد (٢) فى الأصل: عظمة.

بمعجزكم عن كل شيء من ذلك أن صانعها لا يعجزه شيء، وأنه محيط بجميع صفات الكمال، [لو ألم^١] بجناحه شائبة من شوائب النقص لما قاض عنه هذا الصنع الغريب البديع .

ولما كان من لا يتفنع بالشئ كأنه عادم لذلك الشئ، قصر الأمر على المتفنع فقال: ﴿ لكل عبد ﴾ يتذكر بما له من النقص وبما دل^٢ عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مروب لصانعه . ولما كان الإنسان لما له من النقصان لا يزال كلما أعلاه عقله أسفله طبعه، فكان ربما ظن أنه لا يقبل إذا رجع، رغبه في الرجوع بقوله: ﴿ منيبه ﴾ أي رجاع عما حطه عنه طبعه إلى ما يعليه إليه عقله، فيرجع من شهود هذه الأفعال إلى شهود هذه الصفات إلى علم الذات .

١٠

ولما كان إزال الماء أبهر الآيات وأدلها على أنه أجل من أن يقال: إنه داخل العالم أو خارجه، أو متصل به أو منفصل عنه، مع أن به تكون النبات وحصول الأقوات وبه حياة كل شيء، أفردته تنبيها على ذلك فقال: ﴿ ونزلنا ﴾ أي شيئا فشيئا في أوقات على سبيل التقاطر وبما يناسب^٣ عظمتنا التي لاتضامى بغيب، بما له من النقل و [التبوع^٤] ١٥ و النفوذ فزل دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزالت المفقرة وعادت المنفعة مضرة ﴿ من السماء ﴾ أي المحل العالي الذي لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر إلا بقاهر ﴿ ماء مبركا ﴾ أي نافعا جدا ثابتا لا خيالا محيطا

(١) في الأصل بياض ملائكة من مد لأن جانبها منها يظهر لبعض الحد .

(٢) ليس واحدا في مد (٣) زيد من مد من الجانب الواضح .

بجميع منافعكم .

ولما كان الماء سببا في تكون الاشياء، وكان ذلك سببا في انعقاده
 حتى يصير خشبا و حبا و عبا، وغير ذلك عجبا، قال: ﴿ فأنبتنا ﴾ معبرا
 بنون العظمة ﴿ به جئت ﴾ من الثمر و الشجر و الزرع و غيره مما
 ٥ تجمعهم البساتين فتجن - أى تستر - الداخل فيها . ولما كان القصب الذى
 يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان و ساقه للبهائم، خصه بقوله:
 ﴿ وحب الحصيد ﴾ أى النجم الذى من شأنه أن يحصد من الر
 و الشعير و نحوهما، وأوما بالتقييد إلى أن هذه الحبوب أشرف من حب
 اللآلىٰ الذى ينبت الله من المطر لأنها لقيام النبتة؟ و تلك للزينة، ولما
 ١٠ كان النخل من أعجبه ما يتكون منه مع ماله من المنافع التى لا يساويه
 فيها شجر، و الطباق للزرع بالطول و القصر و الاتساق بالاقنيات للآدميين
 و البهائم، قال: ﴿ و النخل بسقت ﴾ أى عاليات طويلات على
 جميع الاشجار المثمرة ذوات أثمار طيبة ﴿ لها ﴾ مع ييس ساقها
 ﴿ طلع نضيد ﴾ أى مصفوف متراكم بعضه فوق بعض، و هو حشو طلمعه،
 ١٥ و الطلع ذلك الخارج من أعلى النخلة كأنه فعلان مطبقان، و الحمل
 النضيد بينهما، و الطرف محدد، أو الطلع ما يبدو من ثمر النخل أول
 ظهورها، و ذلك القشر يسمى الكفرى لتغطيته إياه على أحكم ما يكون
 و أوثق، و الطلع / يشبه ما للناقة المسبق من اللبا المتكون فى ضرعها

٢٨

(١) فى الأصل: عن عظمة (٢-٢) فى الأصل: لا يساويها، و التصحيح من مد
 (الجانب الواضح) (٣) من مد، و فى الأصل: و (٤) زيد فى الأصل: ما،
 و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها .

قبل^١ التاج، ثم يصير بعد اتحاده في البياض وهو طلع إلى الافتراق حال البتوع إلى أحمر وأصفر وأخضر وغير ذلك من الألوان الغريبة، والأوصاف العجيبة، وهي محيطات المنافع بالنفك على عدة أنواع والاعتبات وغير ذلك، وطلعتها مخالف^٢ لعادة أكثر^٣ الأشجار فإن ثمارها مفردة، كل حبة مفردة عن أختها.

ولما ذكر سبحانه بعض ما له في الماء من العظمة، ذكر له علة هي غاية في المنة على الخلق فقال: ﴿ رزقا للعباد لا ﴾ أى أنبتنا به ذلك لأجل أنه بعض ما جعلناه رزقهم.

ولما كان في ذلك أعظم مذكر للبصراء بالبعث وجميع صفات الكمال، أتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال: ﴿ وحينئذ ﴾ ١٠ أى الماء بعظمتنا ﴿ بلدة ﴾ وسمها بالناء إشارة إلى أنها في غاية الضعف والحاجة إلى الثبات والخلو عنه، وذكر قوله: ﴿ ميتا ﴾ للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها. ولما كان هذا خاصة من أوضح أدلة البعث، قال على سبيل النتيجة: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الإخراج العظيم ﴿ الخروج ﴾ الذى هو لعظمته كأنه محتص بهذا المعنى، وهو بعث^{١٥}

الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا، لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم في الأرض وصار ترابا كما كان من بين أصفره [وأبيضه - ٤] وأحمره^٥ وأخضره^٥ وأزرقه إلى غير ذلك، وبين إخراج

(١) ومن هنا تستأنف نسخة مد (٢ - ٢) في مد ١ لا أكثر (٣) من مد، وفي الأصل: بعض (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من مد.

ما تفتت من الموتي كما كانوا في الدنيا، قال أبو حيان: ذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناء والتزين ونقي الفروج، وفي الأرض ثلاثة: المد وإلقاء الرواسي والإنبات، قابل المد بالبناء لأن المد وضع والبناء رفع، وإلقاء الرواسي بالتزين بالكواكب لارتكاز كل واحد منها - أي على سطح ما هو فيه، والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، فلا شق فيها، ونبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله، وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة، وعلى ما اختلط من جنسين، فبعض الثمار فاكهة لا قوت، وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت.

١٠ ولما وصل الأمر إلى حد لاخفاء معه، فصح أنهم يعلمون ذلك ولم يحملهم على التصريح بالكذب به إلا المبادرة إلى ذلك بغلبة الهوى من غير تأمل لعاقبته، فصار من باب لزوم الغلط، وكان السياق لإنكار البعث الذي جاء به منذر من القوم المنذرين. كان شأنه قبل: إن إنكار هؤلاء أعجب، فهل وقع هذا لأحد قط، فقال تعالى مسليا لهذا النبي الكريم لأن المصيبة إذا عمت هانت، مينا لمجد القران و لمجد آياته تحقيا للانذار وتحذيرا به لا للنصيحة: ﴿ كذبت ﴾ رسم الفعل بالتاء إشارة إلى هوانهم في جنب هذا المجد ولما كان هؤلاء الأحزاب المذكورون لقوتهم وكثرتهم كأنهم أهل المجد قاطبة قد استغرقوا زمانها ومكانها. أسقط الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾.

٢٠ ولما لم تكن لهم شهرة يعرفون بها قال: ﴿ قوم نوح ﴾ وأشار

(١) راجع البحر المحيط ١٢٢/٨.

- ٢٩ / إلى عظيم التسليّة بأنهم / جاءهم منذر منهم ، وكانوا في القوة في القيام فيما يحارلونه والكثرة بحيث لا يسع الأفهام جميع أوصافهم ، فأذوا رسولهم وطال أدام قريبا من عشرة قرون ولما كان آخر أمرهم أنه التقى عليهم الماءان : ماء السماء ، وطلع إليهم ماء الأرض فأغرقهم ، أتبعهم من طائفتهم قصتهم بأن نزل بهم الماء فأوبقهم لما بين حالهم من الطباق^٥ دلالة على عظيم القدرة والفعل بالاختيار فقال : ﴿ واصحاب الرس ﴾ أي البر التي تقوضت بهم تخسفت مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان . ولما كانت آية [قوم - ٢] صالح من أعظم الدلالات على القدرة على البعث ، وكان إهلاكهم مناسبا لإهلاك من قبلهم ، أما لأصحاب الرس فكان بالرجفة التي هي [على - ٢] مبدأ ١٠ الخسف ، وأما لقوم نوح فلأن الرجفة تأثرت عن الصيحة التي حملتها الريح التي من شأنها حل السحاب الحامل للماء ، أتبعهم بهم ، وكانوا أصحاب بئر لم يخسف بهم فقال : ﴿ ونودى ﴾ ولما اتفق قوم هود عليه السلام والقطب بالإهلاك فالريح التي أثرت بها صيحة نود ، أولئك مع الحجارة الرمل وهؤلاء بالماء الذي فرقه الله بالريح عند ضرب ١٥ العصي ، وكان لكل منهما من ضخامة الملك وعز السلطان ما هو مشهور قدم أشدهما أديانا وأوسعهما ملكا لأن إهلاكهم كان أدل دليل على القدرة وأقرب أشباها بهلاك نود فقال : ﴿ وعاد ﴾ وعطف عليه
-
- (١) من مد ، وفي الأصل : عليه . (٢) من مد ، وفي الأصل : الطبقات .
 (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفي الأصل : كانت (٥) سقط من مد
 (٦-٦) من مد ، وفي الأصل : تشبيها بملاك .

أقرب الطائفتين شيها بالهلاك بقوم نوح وأصحاب الرس فقال:
 (وفرعون) نص عليه لأنه ليس في مادة هذا الغرق كافر غيره،
 والنص عليه يفهم غيره، وما تقدم في غير هذه السورة غير مرة من
 وصفه بأنه ملك قاهر وأنه استخفهم فأطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له،
 ٥ وأنه ليوافق ما قبله وما بعده . ولما كان السياق للعزة والشقاق،
 فلم يدع داع إلى إثبات ذى الأوتاد . ولما كان هلاك المؤتفكات جامعا
 في الشبه يهلك جميع من تقدم بالخسف وغمرة الماء بعد القلب في
 الهواء، أتبعهم بهم معبرا عنهم بأخضر من تسميه قبائلهم أو مدنهم لأنها
 عدة مدن، وعبر بالإخوة دون القوم لأن السياق لتكذيب من هو منهم
 ١٠ لأنه أدخل في التسلية فقال: (وإخوان لوط لا) أى أصحابه الذين
 جبروا بينهم وبينه مع المصاهرة بالمناصرة للموكلهم ورعاياهم على من
 نارايم بنفسه وعمه إبراهيم عليهما السلام كما مضى بيانه في البقرة ما
 صار كالأخوة، ومع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من
 الجناية له ولأنفسهم وغيرهم .

١٥ ولما كان الشجر مظنة الهواء البارد والريح، وكان أصحابه قد عذبوا

بضد ذلك قال: (وأصحاب الأيكة) لمشاركتهم لهم في العذاب بالنار،

و أولئك بحجارة / الكبريت النازلة من العلو وهؤلاء [بالنار - ٤] النازلة

من ظلة السحاب، وعبر عنهم بالواحدة والمراد الغيضة إشارة إلى أنها

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قوله .

(٣) سقط من مد (٤) (أزيد من مد .

من شدة التفافها كالشجرة الواحدة . ولما كان " تبع " مع كونه من قومه ملكا قاهرا ، وغالفوه مع ذلك ، و كان لقومه ' فار [فى بلادهم - '] يتحاكون إليها فتأكل الظالم ، ختم بهم فقال : (وقوم تبع ') مع كونه مالكا ، وهو يدعوم إلى الله ، فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا ، بل هو واقع بمن شئت من قوى ه و ضعيف ، لا يخرج شيء عن مرادنا .

ولما لم يكن هنا ما يقتضى التأكيد بما مريانه فى ص قال معريا منه : (كل) أى من هذه الفرق (كذب الرسل) أى كلهم بتكذيب رسولهم ، فإن الكل متساوون فيما يوجب الإيمان من إظهار العجز والدعاء إلى الله (فحق) [أى - '] فتسبب عن تكذيبهم لهم أنه ثبت عليهم ووجب ١٠ (وعيده) [أى - '] الذى كانوا يكذبون به عند إنذارهم لهم إياه ، فجلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الآزل فأهلكناهم إهلاكا عاما كاهلاك نفس واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بأمثاله عناية^٢ و أتبعناه ما هو فى البرزخ وأخرنا ما هو فى القيامة إلى البعث ، باهلاكتناهم على تثنى ديارهم و تباعد أعصارهم و كثرة أعدادهم ١٥ أن لنا الإحاطة البالغة قتل باخوانك المرسلين و تأس بهم ، ونحذر قومك ما حل بمن كذبهم إن أصروا .

ولما ذكر سبحانه القسيلة بتكذيب هذه الأحزاب بعد ذكر

(١) من مد ، وفى الأصل : فى قومه (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : عباده .

تكذيب قريش و إقامة الأدلة القاطعة على ما كذبوا به و بطلان
 تكذيبهم ، و ختم بحقوق الوعيد الذى شوهدت أوائله بأهلا كهم ،
 ثبت صدق الرسل و ثبتت القدرة على كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق
 من الإيجاد و الإعدام أنكر عليهم التكذيب و ونجهم عليه تقرير الحقوق
 ٥ الوعيد ، فقال مسيبا عن تكذيبهم بعد ما ذكر أنه خلق جميع الوجود :
 ﴿ أفمينا بالخلق ﴾ أى حصل لنا على ما لنا من العظمة الإعياء ، و هو
 العجز بسبب الخلق فى شئ من إيجاد و إعدامه ﴿ الاول ﴾ أى من
 السماوات و الأرض و ما بينهما حين ابتدأناه اختراعا من العدم ، و من
 خلق الإنسان و سائر الحيوان مجددا ، ثم فى كل أوان من الاطوار
 ١٠ المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه
 بما ليس له أصل فى الحياة ، و فى إعدامه بعد خلقه جملة كهذه الأمم
 أو تدريجا كغيرهم ليظنوا بسبب العجز بالخلق الاول الذى هو أصعب
 فى مجارى العادات من الإعادة أنا نعجز عن الإعادة ثانيا ، يقال : عبي
 بالامر - إذا لم يهتد الأمره أو لوجه مراده أو عجز عنه ، و لم يلق
 ١٥ لإحكامه .

و لما كان التقدير قطعا بما دلت عليه همزة الإنكار : لم نعى بذلك
 بل أوجدناه على غاية الإحكام للظرف و المظروف و هم يعلمون ذلك
 و لا يشكرونها / و يقررون بتبام القدرة عليه ، [و فى طيه - ٢] الاعتراف
 (١ - ١) سقط ما بين الرقبن من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لم يطلق .
 (٣) زيد من مد .

بالبعث وهم لا يشعرون، أضرب عنه لقولهم الذى يخجل باعتقادهم إياه فقال:

(بل هم فى لبس) أى خلط شديد و شبهة [موجبة - ١] لتكلم بكلام
 مختلط لا يعقل له معنى، بل السكوت عنه أجل، قال على رضى الله عنه:

يا جبار، أنه لللبس عليك، اعرف بالحق تعرف أهله . و لبس الشيطان
 عليهم تسويله لهم أن البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ه

والحكم بطريق الأولى (من) أجل (خلق جديد) أى الإعادة ٢ . و لما
 ذكر خلق الخاقين، أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيها فقال:

(ولقد) أى [و - ١] الحال أنا قد (خلقنا) بما لنا من العظمة
 (الإنسان) وهو أعجب خلقا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما
 فيه من الأنس والطغيان، والذكر والنسيان، والجهل والعرفان، ١٠
 والطاعة والعصيان، وغير ذلك من عجيب الشأن، و وكلنا به من جنودنا
 من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع أحواله (و نعلم) أى والحال
 أنا نعلم بما لنا من الإحاطة (ما توسوس) أى تكلم على وجه الخفاء،
 (به) الآن وفيما بعد ذلك بما لم يتقدح بعد من خزان الغيب إلى

[سر - ١] النفس كما علنا ما تكلم (نفسه على) رهى الخواطر التى تعترض ١٥
 له حتى أنه هو ربما عجز عن ضبطها، فنحن نعلم أن قلوبهم عالة
 بقدرتنا على أكل ما زبد وبصحة القرآن و إعجازه وصدق الرسول
 به صلى الله عليه وسلم و امتيازاه، وإنما حملهم الحسد و النفاسة و الكبر

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: العادة (٣) من مد، وفى
 الأصل: بقدرتها.

و الرئاسة على الإنكار باللسان حتى صار ذلك لهم خلقا و تبادوا فيه حتى غطى على عقولهم ، فصاروا في لبس محيط [بهم - ١] من جميع الجوانب .

و لما كان العالم بالشيء كلها كان قريبا منه كان عليه به ^٢ أثبت و أمكن ^٣ ، قال مثلاً لعله و مصورا له بما نعلم أنه موجه : (ونحن) بما لنا من العظمة (اقرب اليه) قرب علم و شهود من غير مسافة (من جبل الوريد) لأن أبعاضه و أجزاءه تحجب بعضها بعضا ، و لا يحجب علم الله شيء ^٤ ، و المراد به الجنس ، ^٥ و الوريدان عرقان كالحبلين ^٦ مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلات من الرأس إلى الوتين و هو عرق القلب ، و هذا مثل في فرط القرب ، و إضافته مثل مسجد الجامع ، و قد مضى في تفسير سورة المائدة ^٧ عند قوله " و الله يعصمك من الناس " ما ينفع هنا ، قال القشيري : و في هذه الآية هبة و فزع و خوف لقوم ، و روح و أنس و سكون قلب لقوم ^٨ .

و لما كان سبحانه قد وكل باحفظه تحفظ أعمالنا و تضبط أقوالنا ^٩ و أحوالنا ، فكان المعروف لنا أن سبب الاستحفاظ خوف الغفلة و النسيان ، قدم سبحانه الإخبار بكمال علمه فأمن ذلك المحذور ، علق بأقرب أو نعلم

(١) زيد من مد (٢-٢) في مد : أمكن و أثبت (٣) من مد ، و في الأصل : شيئا (٤-٤) من مد ، و في الأصل : الوريدين عرقين (٥-٥) من مد ، و في الأصل : مكتنفين لصفحة (٦-٦) في مد سورة المائدة - و وقع بعده من الناس (٧) من مد ، و في الأصل : لقوم .

قوله تأكيداً لما علم من إحاطة علمه من عدم حاجته، وتخوفاً بما هو أقرب إلى مألوفاتنا (إذ) أى حين (يتلقى) أى بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كل إنسان خلقناه وأبرزناه إلى هذا الوجود (المتلقين) وما أدراك ما هما؟ [هما - ١] ملكان عظيمان حال كونهما

/ (عن اليمين) لكل إنسان [قعيد منهما - ١] (وعن الشمال) ٥ / ٣٢
كذلك (قعيد) أى رصد وحبس مقاعد لذلك الإنسان بأبلغ المقاعدة ونحن أقرب منهما وأعلم علماً، وإنما استحفظناهما لإقامة الحجة بهما على مجارى عاداتكم وغير ذلك من الحكم.

ولما كانت الأفعال اللسانية والقلبية والبدنية ناشئة عن كلام النفس،

فكان الكلام جامعاً، قال مينا لإحاطة علمه بإحاطة من أقامه لحفظ ١٠
هذا الخلق الجامع في جواب من كأه قال: ما يفعل المتلقيان: (ما يلفظ)
أى يرمى ويخرج المكلف من فيه، وعم في النفي بقوله: (من قول)
أى مما تقدم انتهى عنه في الحجرات من الغيبة وما قبلها وغير ذلك
"قل أو جل" (إلا لديه) أى الإنسان أو القول على هيئة من القدرة

والعظيمة هى من أغرب المستغرب (رقيب) من حفظتنا شديد ١٥
المراعاة له في كل من أحواله (عتيده) أى حاضر مراقب غير غافل
بوجه، روى البغوى^١ بسنده من طريق الثعلبي عن أبي أمامة رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كاتب الحسنات على يمين

(١) زيد من مد (٢) في مد: يبلغ (٣-٢) في مد: جل أو قل (٤) راجع معالم

التنزيل بهامش الباب ١٩٥/٦ .

الرجل ، و كاتب السيئات على يسار الرجل ، و كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح^١ أو يستغفر^٢ .

٥ ولما كان مثل إرسال الحافقين ثم الموت ثم النفخ بإرسال الملك في الدنيا إلى الناس لعرضهم فيصير الإنسان منهم ساعيا في التزين للملك بما يعجبه في^٣ مقصود ذلك العرض في الأجل الذي ضربه لهم ، فإذا جاء ذلك الوقت الذي هو كالموت أخذته الرسل فبا أواني؟ كما يفعل حال الموت بالميت ، ومن أحضره منهم حبسوه على باب الملك لتكامل ١٠ المعروضين ، فإذا كل جمعهم و أمر بقيامهم للعرض^٤ زعق لهم^٥ النادى بالبوق الذي يسمى النفير وهو كالصور ، فلهذا قال تعالى ميثا لإحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره : فاضطرب ذلك الإنسان الموكل به في الوقت المأمور بالتردد فيه بما يرضى الله بالقول والفعل على حسب إرادته سبحانه سواء كان موافقا للأمر أو مخالفا إلى أن آن أو أن الرحيل معبرا بالماضى تنيها على أن الموت مع أنه لا بد منه قريب جدا : ١٥ (و جاءت) أى أنت و حضرت (سكرة الموت) أى حاله عند النزاع و شدته و غمرته ، يصير الميت بها كالسكران ، لا يبى و تخرج [بها -^٦] أحواله و أفعاله و أقواله عن قانون الاعتدال ، بحيث ملتبسا^٧

(١-١) من مد و العالم ، وفي الأصل : يستغفر الله أو يسبح (٢) من مد ، وفي الأصل : من (٣-٣) من مد ، وفي الأصل : دق (٤) زيد من مد ، (٥) في مد : ملتبسا .

(بالحق^١) أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع فلا حيلة فى الاحتراس منه من بطلان الحواس و كشف الغطاء عن أحوال البرزخ من فنة السؤال و ضيق المجال^٢ 'أرسعة الحال'، و قيل لبيت بلسان الحال إن لم يكن بلسان القول : (ذلك) أى هذا الأمر العظيم العالى الرتبة الذى يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجد (ما) أى الأمر الذى (كنت) هـ جلة و طبعا . و لما كانت قفرته منه و هربه من وقوعه بحفظ الصحة و دواء الأدواء فى الغاية ، كان كأنه لا ينفر إلا منه ، فأشار الى / ذلك - ٣٣/ بتقديم الجار فقال : (منه تحيده) أى تميل و تنفر و تروع^٣ و تهرب . و لما كان التقدير : فأخذ ذلك الإنسان بالقهر من بين الأهل و الإخوان ، و العشائر و الجيران ، و ضم إلى عسكر الموتى و هم بالبرزخ ١٠ نزول^٤ ، و لا تظار بقيتهم حلول ، و لم يزالوا كذلك حتى تكامل القادمون عليهم و الواصلون إليهم ، عطف عليه قوله مبينا لإحاطة من عالم الملكوت و العز و الجبروت : (و نفخ) أى بأذن إشارة و أيسر أمر (فى الصور^٥) و هو القرن الذى ينفع فيه إسرائيل عليه السلام للوث [العام -^٦] و البعث العام عند التكامل ، و انقطاع أوان التعامل ، ١٥ و هو بحيث لا يعلم قدر عظمه و اتساعه [لا الله تعالى ، و هو عليه الصلاة و السلام التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه و سلم و حتى جبهته و أصفى سمعه ينتظر متى يؤمر ، فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها ،

(١-١) - سقط ما بين الرقين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : تربع (٣) من مد ، و فى الأصل : فرد - كذا (٤) زيد من مد .

و أنسانا لها، و آمننا منها، و المراد بهذه 'فخة البعث' .
 و لما كان ذلك الأثر عن النفخ هو سر الوجود، و أشار إلى عظمته
 بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الوقت الكبير العظيم الأحوال و الزلازل^١
 و الأوجال ﴿ يوم الوعيد ﴾ أى الذى يقع فيه ما وقع الإياد به .
 ٥ و لما كان التقدير: فكان من تلك الفخة صيحة هائلة و رجة
 شاملة^٢، ققام الناس عامة من قبورهم، و حصل ما فى صدورهم، عطف
 عليه قوله يانا لإحاطة العرض: ﴿ و جاءت كل نفس ﴾ [أى -^٣
 مكلفة [كائنا -^٤] ﴿ معها ﴾ سائق ﴾ يسوقها إلى ما هى كارهة للغاية
 لعلها بما قدمت من النقائص ﴿ و شهيد ﴾ يشهد عليها بما عملت،
 ١٠ و الظاهر من هذا أن السائق لا تعلق [له -^٥] بالشهادة أصلا، لئلا تقول
 تلك النفس: إنه خصم، و الخصم لا تقبل شهادته، و يقال حيثئذ للفرط
 فى الأعمال فى أسلوب التأكيد جريا على ما كان يستحقه إنكاره فى الدنيا،
 و تنيها على أنه لعظمه بما يحق تأكيده: ﴿ لقد كنت ﴾ أى كونا كأنه
 جبة لك ﴿ فى غفلة ﴾ أى عظيمة محيطة بك ناشئة لك ﴿ من هذا ﴾
 ١٥ أى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من اقطاع الأسباب، و الجزاء
 بالثواب أو العقاب لأنه على شدة جلالة خفى على من اتبع الشهوات
 ﴿ فكشفنا ﴾ بمظمتنا بالموت ثم بالبعث^٦ ﴿ عنك غطاءك ﴾ الذى كان

(١) من مد، و فى الأصل: هذه (٢) من مد، و فى الأصل: الزلزال .

(٣) من مد، و فى الأصل: شامل (٤) زيد من مد (٥) ليس فى الأصل .

(٦) فى مد « و » (٧) فى مد: البعث .

يحببك عن رؤيته من الغفلة بالآمال^١ في الجاه^٢ والاموال وسار الخلوذ والشهوات، تحقيقا لما له سبحانه من الإحاطة بالتقدير والتعجيز، وعن الراسطى: من كشف عنه غطاء الغفلة أبصر الأشياء كلها في أسر القدرة وانكشف له حقائق الأشياء بأسرها، وهذا عبارة عن العلم بأحوال القيامة.

٥

ولما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام، عبر عنه بقوله:

(فبصرك اليوم) أى / بعد البعث (حديده) أى فى غاية الحدة والنفوذ، فلذا تقر بما كنت تنكر.

ولما أخبر تعالى بما تقوله له الملائكة أو من أراد الله من جنوده،

وكان قد أخبر أن معبوداتهم من الأصنام والشياطين وغيرها تكون عليهم ١٠ يوم القيامة ضدا، أخبر بما يقول القرين من السائق والشهيد والشيطان الذى تقدم حديثه فى الزخرف، فقال [عاطفا - ٢] على القول المقدر قبل "لقد" معبرا بصيغة المضى تأكيدا لمضمونه وتحقيقا: (وقال قرينه) أى الشيطان الذى سلب على إغوائه^٣ واستدراجه^٢ إلى ما يريد - نقله الكرماني عن ابن عباس رضى الله عنهما (هذا) أى الإنسان ١٥

الذى قرئى به . ولما كان الأمر فى كل من الطائع والعاصى فى غاية المعجب، لأن الطائع يباذلهواه فيكون ملكيا مجردا من حظوظه ونوازع قهوسه وما بنيت عليه من النقائص والشهوات، [والعاصى - ٢] طوع

(١-١) من مد، وفى الأصل: بآله (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد، وفى

الأصل: باستدراجه (٤) والشهور عنه أنه الملك - راجع الباب ١٩٦/٦ .

يدى الشيطان، يصرفه في اغراضه كيف يشاء، فيطيعه بغاية الشهوة مع
 عليه بعبادته، وأن طاعته لا تكون إلا بمخالفة أمر الله الولي الودود،
 وكان العاصي أكثر كثرة يكون الطائع فيها بالنسبة إليه كالشجرة
 البيضاء في جلد الثور الأسود، وكان ذلك منابذا للعقل، أشار إلى هذه
 ٥ المناظرة بأداة من لا يعقل وإلى جميع ما في أمره من العجب بلدى فقال:
 ﴿ ما لئى ﴾ أى [الأمر - ١] الذى عدى من الأمر المستغرب جدا
 لكون المطيع عصيان، وهو مطبوع على النقائص والحظوظ التى يرى
 [أنها - ١] حياته ولذته وراحته، والعاصي أطاعى وهو يعلم
 بعقله أنى شر محض، وترك الخير المحض وهو عالم بأن فى ذلك هلاكه
 ١٠ ﴿ عتيده ﴾ أى حاضر مهيا لما يراد منه .

ولما كانت العادة جارية بأن من أحضر إليه شئ تبادر إلى أمره
 بقول أو فعل، وصل بذلك ما هو نتيجة، وبدأ بالعاصي لأن المقام له،
 فقال ما يدل على أنه لا وزن له، فلا وقفة فى عذابه بحسابه ولا غيره،
 مؤكدا خطابا للتأكد بالإلقاء أو خطابا للسائق والشهيد، أو السائق وحده
 ١٥ مثنيا لضميره تنبيه للامر كأنه قال: ألق - تأكيدا له وتهويلا:
 ﴿ القيا ﴾ أى اطرحا دفعا من غير شفقة، وقيل: بل هو تنبيه وأصل
 ذلك أن الرهقة أدنى ما يكون ثلاثه، فجرى كلام الواحد على صاحبه،
 ألا ترى أن الشعراء أكثر شئ قولا: يا صاحبي يا خليلي، والسرفه إذا
 كان المخاطب واحدا لفهامه أنه يراد منه الفعل بمجد عظيم تكون قوته
 (١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: الذى (٣) سقط من مد .
 (٤) من مد، وفى الأصل: الخطاب .

فيه معادلة لقوة اثنين (في جهنم) أى النار التى تطفى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر والعوسة والتكبر والتعصب. ولما كان المقصود تعليل إلقائه بوصف يعم غيره ليكون لطفاً لمن أراد الله عصمته عن^٢ سمع هذا المقال وحجة على من أراد الله^٣ إهائته : (كل كفار عنده^٤)

أى مبالغ / فى ستر الحق^٥ والمعاداة لأهله^٦ من غير^٧ حجة حية وأهنة^٨ نظراً إلى استحسان ما عنده والثبات عليه تبحراً وتكبراً على ما عند غيره ازدياء له كائناً من^٩ كان (مناع^{١٠}) أى كثير المنع (للخير) من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والقال والفعال (معتد^{١١}) متجاوز للحدود (مريب^{١٢} لا) أى داخل فى الريب وهو الشك وإنهية فى أمر الدين ، وموقع غيره فيه ، ثم أبدل من " كل " قوله يانا لمبالغته فى ١٠ الكفر الذى أوجب له كل شر (الذى جعل) كفراً مضاعفاً وعناداً ومنعاً للخير الذى يجب عليه فى قلبه ولسانه وبدنه ، وتجاوزاً للحدود دخولاً فى الشك وإدخالاً لغيره فيه (مع الله) أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ، فليس أمره خفياً عن كل ذى عقل (الها) .

ولما كان ربما تعنت متعنت فتزل الآية على من يدعو الله بغير هذا ١٥

الاسم الأعظم ، صرح بالمراد بقوله : (آخر) وزاد الكلام أنه مأخوذ

- (١) من مد ، وفى الأصل الملقى (٢) من مد ، وفى الأصل : لمن (٣) سقط من مد (٤) وقع فى الأصل بعد « كائناً من كان » والترتيب من مد (٥) من مد ، وفى الأصل : العقل (٦-٧) فى مد : بغير (٧) من مد ، وفى الأصل : ماء . (٨) وقع فى الأصل بعد « المنع » والترتيب من مد (٩) من مد ، وفى الأصل : كانه .

من التأخر الناظر إلى الردأة و السقوط عن [عين - '] الاعتبار بالكلية .
ولما كان هذا قد جحد الحق الواجب لله لذاته مع قطع النظر
عن كل شيء ' ثم ما ' يجب له من [جهة - '] ربوبيته وإنعامه على
كل موجود ، ثم من جهة إدامة إحسانه مع المحصية بالحلم ، وعائده في
ذلك وفي إثباته للغير ما لا يصح ' له بوجه من الوجوه ، سبب عن وصفه
قوله : (فآلقينه في المذابح) [أى - '] الذى يزيل [كل - ']
عذوبة (الشديد) .

ولما كان القرين قد قال ما تقدم مریدا به - جهلا منه - الخلاص
من العذاب باظهار أنه ليس بأوصاف هذه النفس ، بل من كبار المؤمنين ،
١٠ فأجيب مقاله بالقائه تلك النفس معللا للامر بالقائها بما شمل هذا القرين ،
فتشوف السامع إلى ما يكون من حاله ، وكانت العادة جارية أن من
تكلم فى شخص بما فيه مثله ولا سيما إن كان هو السبب فيه أو كان
قد تكلم ذلك الشخص فيه ، فكان قياس ذلك يقتضى ولا بد أن تقول
تلك النفس القول فيها ، وهذا عند الامر بالقائها : ربنا هو أطفانى ، أجب
١٥ تعالى عن هذا التشوف بقوله : (قال قرينه) مناديا باسقاط الاداة
دأب أهل القرب إيهاما أنه منهم : (ربنا) أيها المحسن [إلينا - '] أيتها
الخلائق كلهم (ما أطفيت) أى ما أوقعت فيما كان فيه من الطغيان ، فانه
لا سلطان لى عليه وأنت أعلم بذلك (ولكن كان) بجلبته وطبعه

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، وفى الأصل : بما (٣) من مد ، وفى الأصل :

لا يصلح (٤) فى مد : اينها .

(في ضلل بعبده) محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه ، فذلك
كان يادر إلى كل ما ينضب الله ، وإن حركته إليه أن ' فانه لا يحتاج إلى
أدنى تحريك فيثور له ثورة من هو مجبول مركز في طباعه .

ولما كان كأنه قيل : بم يحاب عن هذا ؟ وهل يقبل منه ؟ قيل :

لا (قال) أى الملك المحيط علما و قدرة الذى حكم عليهم فى الازل : هـ

(لا تختصوا) أى لا توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد (لدى)

أى فى دار الجزاء بهذه الحضرة التى هى / فوق ما كنتم تدركونه من
الأخبار عنها بكثير ، و أعجب بما يدرك حق الإدراك ، فقد أتم انكشاف
ما كان يستغربه الخاصة بل خاصة الخاصة ، فقات بانكشافها تقع

إيمان جديد (وقد) أى و الحال أنه قد (قدمت) أى تقدمت ، ١٠

أى أمرت و أوصيت قبل هذا الوقت موصلا و منها (اليكم) أى

كل ما ينبغي تقديمه حتى لم يبق لبس و لا ترك لأحد حجة بوجه ، و جعلت

ذلك رقفا بكم ملتبسا (بالوعيد) أى التهديد و هو التخويف العظيم على

جميع ما ارتكبتموه من الكفران و العدوان فى الوقت الذى كانت فيه

[هذه - ٢] الحضرة التى هى غيب الغيب و مستورة بستار الكبرياء ١٥

و العظمة ، بل كان ما دونها من الغيب مستورا ، فكان الإيمان به نافعا .

ولما كانت الأوقات كلها عنده سبحانه حاضرة ، عبر سبحانه فى تعليل

ذلك بدما ، التى هى للحاضر دون " لا " التى للمستقبل فقال : (ما يبدل)

أى يغير من مغير [ما كان من - ٢] كان بوجه من الوجوه بحيث يجعل

(١) ليس و انما فى الأصل و مد (٢) من مد ، وفى الأصل : مكتسبا (٣) زيد

من مد .

له بدل فيكون فيه خلف ﴿ القول لدى ﴾ أى الواصل إليكم من حضرتى
التي لا يحاط بأمرها غرابتها بأن من أشرك بي لا أغفر له و أغفر ما دون
ذلك لمن أشاء ، و العفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لأن دلائل
العفو تدل على تخصيص الوعيد ، و أنه مشروط بشرائط ﴿ و ما أنا ﴾
ه و أكد التنى فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ لا القرين ولا
من أطفاه ولا غيرهم ، فأعذب من لا يستحق أو أغفر عنه قلت : إني
لا أغفر له و أمرت جندي فعادوه في . ولو عفوت عنه كنت مع تبديل
القول قد شئتهم باكرام من عادوه في ليس إلا .

- و لما كان هذا التناول مما يهول امرءه و يقطع القلوب ذكره ، صور وقته
١٠ بصورة تزيد في ذلك الهول ، و ينقطع دون وصفها القول ، و لا يطمع
في الخلاص منها بقوة و لا حول ، فقال مامعناه : [يكون - ٢] هذا كله
﴿ يوم ﴾ و لما كان المقصود الإعلام بأن النار كبيرة مع ضيقها ، فهي
تسع من الخلائق ما لا يقع تحت حصر ، و أنها مع كراهتها ان يصلاها
وتجهها لهم تحب تهاقهم فيها و جلبهم * إليها عبر عنه على طريق الكناية
١٥ بقوله : ﴿ قول ﴾ أى على ما لنا من العظمة التي [لا - ٢] يسوغ لشيء
أن يخنى عنها ﴿ للجهنم ﴾ دار العذاب مع الكرامة و العبوسة و التجهم
إظهارا للهول بتصور الأمر المهدد به ، و تقرير الكفار ، و تنبيه من يسمع
(١) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في مد فخذناها (٢) من مد ، و في
الأصل : « و » (٣) زيد من مد (٤) في مد : يدخل (٥) من مد ، و في الأصل :
جلبهم (٦) من مد ، و في الأصل : منها .

هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة : ﴿ هل امتلأت ﴾ فصدق قولنا
 " لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين " وذلك بعد أن يلقي فيها من
 الخلائق ما لا يحيط به الوصف ، فتقول : لا ، ﴿ و تقول ﴾ طاعة لله و محبة
 في عذاب أعدائه و إخبارا بأنها لم تمتلئ لأن النار من شأنها أنها كلما زيدت
 حطبا زادت لها : ﴿ هل من مزيد ﴾ أى زيادة أو شئ من العصاة / ازادة ، ٣٧/
 سواء كان كثيرا أو قليلا ، فأنى أسع ما يؤتى به إلى و لا زال كذلك كما
 ورد فى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها و تقول هل من مزيد حتى يضع
 الجبار فيها قدمه ، أى يضربها من جبروته بسوط إهانة فيزوى بعضها إلى
 بعض و تقول : قط قط و عزتك ، ثم يستمرون بين دولتى الح و الزمهرير ،
 و قد جعل الله سبحانه لذلك آية فى هذه الدار باختلاف الزمان فى الحر ١٠
 و البرد ، فاذا أفرط الحر جاءت رحمة [تعالى بالبرد و بالماء من السماء فامتزجا
 معا فكان التوسط ، و إذا أفرط البرد جاءت رحمة - ٢] بالحر بواسطة
 الشمس ، فامتزج الموجودان ، فكان له توسط ، و كل ذلك [له - ٢] دوائر
 موزونة بأفساط مقسطة معلومة بتقدير العزيز العليم - ذكر ذلك ابن برجان .
 و لما ذكر النار و قدمها لأن المقام للانذار ، أتبعها دار الآرار ، ١٥
 فقال سارا لهم بإسقاط^٢ مؤنة السير و طوى شفة البعد : ﴿ و ازلفت ﴾ أى
 قربت بأيسر أمر مع الدرجات و الحياض الممتلئة ﴿ الجنة للثنين ﴾ أى
 العريقين فى هذا الوصف ، فاذا رأوها تسابقوا إليها و ركوا ما كانوا فيه من
 (١-١) من مد ، و فى الأصل : قليلا أم كثيرا (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
 و فى الأصل : بالاسقاط .

الموقف من منابر النور و كثبان المسك و نحو هذا ، و أما غيرهم من اهل
الإيمان فقد يكون لهم على غير هذا الوصف ، فيساق إليها الذين اتقوا
كما مضى في الزمر . و لما كان التقرب أمرا نفسيا أكد به بقوله : (غير بعيد)
أى إزلافا لا يصح وصفه ببعيد .

٥ و لما كان التقريب قد لا يدرك الناظر ما سيه ، قال سارا لهم : (هذا) أى
الإزلاف و الذى تروونه من كل ما يسركم (ما) أى الامر الذى (توعدون)
أى وقع الوعد لكم به فى الدنيا ، و عبر بالمضارع حكاية الحال الماضية ،
و عبر عن الإزلاف بالماضى تحقيقا لآمره و تصويرا لحضوره الآن ليكون
المضارع من الوعد فى أحكم مواضعه ، و أبهم الامر لأنه أكثر تشويقا ،
١٠ و التعين بعد الإبهام الذى ، فلذلك قال بيانا للتقين ، معيدا للجار لما وقع
بينه و بين المبدل منه من الجملة الاعتراضية جوابا لمن كأنه قال : لمن هذا
الوعد ؟ فقال تعالى : (لكل اواب) أى رجاع إلى الاستقامة بتقوى
القلب إن حصل فى ظاهره عوج ، فبه بذلك على أنه من فضله لم يشترط
فى صحة وصفه بالتقوى دوام الاستقامة (حفيظ) أى مبالغ فى حفظ
١٥ الحدود : سائر العهود بدوام الاستقامة و الرجوع بعد الزلة ، ثم أبدل
من " كل " [تميما - '] لبيان المتقين قوله : (من خشى) و لم يعد
الجار لأنه لا اعتراض قبله كالاول ، و نبه على كثرة [خشيته - '] بقوله :
(الرحمن) لأنه إذا خاف مع استخصار الرحمة العامة للطيع و العاصى
كان خوفه مع استحضار غيرها اولى ، و قال القشيري : التعبير بذلك

(١) من مد ، و فى الاصل : مجازا (٢) زيد من مد .

للاشارة إلى أنها خشية تكون مقرونة بالأنس يعنى الرجاء كما هو المشروع،
قال : ولذلك لم يقل " الجبار " أو " القهار " قال : ويقال : الخشية
اللطيف من الخوف، فكأنها قرية من الهية (بالغيب) / أى مصاحبا له ٣٨ /
من غير أن يطلب آية أو أمرا يصير به إلى حد المكاشفة، بل استغنى
بالبراهين القاطعة^٢ التى منها رآته - [٢] مربوب، فلا بد له من رب، وهو ه
أيضا يان للبلغ خشيته .

ولما كان النافع من الطاعة الدائم إلى الموت، قال : (و جاء)
أى بعد الموت (بقلب منيب ^{دلا}) أى راجع إلى الله تعالى بوازع العلم،
ولم يقل : بنفس، لطفًا بالعصاة لأنهم وإن قصرت نفوسهم لم يكن
لها صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم و صدق الندم . ١٠
ولما كان الإخبار بكونها لهم وإن كان أمرا سارا لا يقتضى
دخولها فى ذلك الوقت، زاد سرورهم بالإذن بقوله معبرا بضمير الجمع
يأنا لأن المراد من « من » جميع المتقين : (ادخلوها) أى يقال لهم : ادخلوا
الجنة . ولما كان المراد استقبالهم بالإلذاد بالبشارة قال : (بسلم)
أى مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن أن يخاف، فأنتج ذلك قوله إنها ١٥
للسرور إلى غاية لا توصف : (ذلك) أى اليوم العظيم جدا (يوم)
ابتداء أو تقرير (المخلوذة) أى الإقامة التى لا آخر لها ولا تقاذ لشيء
من لذاتها أصلا، ولذلك وصل به قوله جوابا لمن كأنه قال : على أى
وجه خلودهم ؟ : (لهم) بظواهرهم وبواطنهم (ما يشآون) أى يتجدد
(١) من مد ، وفى الأصل : كذلك (٢) فى مد : النطعية (٣) زيد من مد .

مشيئتهم أو تمكن مشيئتهم [له - '] ﴿ فيها ﴾ أى الجنة ﴿ ولدينا ﴾ أى عندنا من الأمور التى فى غاية الغرابة وعدم وإن كان كل ما عدم مستغنيا ﴿ مزيدة ﴾ أى مما لا يدخل تحت أوامهم يشاؤه^١، فإن سياق الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم، والتعبير بلدى يؤكد ذلك تأكيداً ٥ يناسبها بأن يكونوا كل لحظة فى زيادة لم يحط بها علم أخص الخواص، فهم فى كل لحظة فى زيادة^٢ على أمانهم عكس ما كانوا فى الدنيا، وبذلك تزداد علومهم، فقدرات الله لا تنحصر، لأن معلوماته لا تنتهى.

ولما ذكر سبحانه أول السورة تكذيبهم بالقدرة على اعترافهم بما يكذبهم فى ذلك التكذيب، ثم سلى وهدد بتكذيب الأمم السابقة، ١٠ وذكر قدرته عليهم، وأتبعه الدلالة على كمال قدرته إلى أن ختم بالإشارة إلى أن قدرته لا نهاية لها، ولا تحصر بحد ولا تحصى بعد، رداً على أهل العناد وبدعة الاتحاد فى قولهم "ليس فى الإمكان أبدع مما كان"، عطاف على [ما - '] قدرته بعد "لحق وعيد" من إهلاك تلك الأمم ما هو أعم منه بشموله جميع الزمان الماضى وأدل على ١٥ شمول القدرة، فقال: ﴿ وكم اهلكنا ﴾ أى بما لنا من العظمة. ولما كان المراد تعميم الإهلاك فى جميع الأزمان لجميع الأمم، نزع الجارىبانا لإحاطة القدرة فقال: ﴿ قبلهم ﴾ وزاد فى دلالة التعميم فأثبتته فى قوله: ﴿ من قرن ﴾ أى جيلهم فى غاية القوة، وزاد فى بيان القوة فقال:

(١) زيد من مد (٢) ليس واضحا فى مد (٣) من مد، وفى الأصل: زيادهم.

- ٣٩/ (م) اى اولئك القرون بظواهرهم و بواطنهم (اشد منهم) أى من قريش (بطشا) أى قوة و أخذوا لما يريدونه بالعنف^١ و السطوة و الشدة، و حذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى منهم، و إثباته فى ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك^٢ مع الاتصاف بالتداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم . و لما أخبر سبحانه بأشدتهم سبب ه عنه قوله: (فقبوا) اى أوقموا النقب (فى البلاد^٣) بأن فتحوا فيها الأبواب الحسية و المغنوية و خرقوا فى أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه و بالغوا فى السير فى النقاب، و هى طرق الجبال و الطرق الضيقة فضلا عن الواسعة و ما فى السهول، بقولهم الواسعة و آرائهم النافذة و طبائعهم القوية، و بحثوا مع ذلك عن الأخبار، و أخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم، و كان ١٠ كل منهم نقابا فى ذلك أى علامة فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر . و لما كان التقدير: و لم يسلموا مع كثرة تقييهم و شدته من إهلاكنا بغوائل الزمان و نوازل الحداث، توجه سؤال كل سامع على ما فى ذلك من العجائب و الشدة و الهول و المخارف سؤال تنبيه للذاهل الغافل، و تقرير و تبييت للعائد الجاهل، بقوله: (هل من محيص ه) أى معدل و محيد ١٥ و مهرب و إن دق، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا . و لما ذكر هنا من المواعظ ما أرقص^٤ الجناد، فكيف بمن يدعى أنه من رؤس النقاد، أتمج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد و عناد المعاند:
-
- (١) من مد، و فى الأصل: بالقوة - كذا (٢) من مد، و فى الأصل: هنا .
(٣) من مد، و فى الأصل: افرض .
(٤) من مد، و فى الأصل: افرض .

(ان في ذلك) أى [الأمر - ١] البديع - من العظمت التى صرفناها هنا على ماترون من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة فى الإهلاك وغيره (لاذكرى) أى تذكيرا عظيما جدا . ولما كان المتذكر بمصارع المهلكين [تارة - ١] بأن يكون حاضرا فى مصارعهم حال الإيقاع بهم أو يرى آثارهم بعد ذلك ، وتارة يخبر عنها ، قال بادئا بالرائى ' لأنه أجدر بالتذكير: (لمن كان) أى كونا عظيما (له قلب) هو فى غاية العظمة والتورانية إن رأى شيئا من ذلك فهو يبحث يفهم ما يراه ويعتبر به ، و [من - ١] لم يكن كذلك فلا قلب له لأن قلبه لما كان غير نافع كان عدما .

ولما كان قد بدأ بالناظر لأنه أولى بالاعتبار وأقرب إلى الادكار ، ١٠ ثم بمن نقلت إليه الأخبار فقال : (أو التى) أى إلقاء عظيما بغاية إصفائه حتى كأنه يرى بشىء ثقيل من علو إلى سفلى (السمع) أى الكامل الذى قد جرده عن الشواغل من الحفظ وغيرها إذ سمع ما غاب عنه (وهو) أى [و - ١] الحال أنه فى حال إلقائه (شهيد) أى حاضر بكليته ، فهو فى غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر ، ١٥ فلا ييب عنه شىء مما تلى عليه / وألقى إليه ، فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما أتجه من القدرة على كل شىء ، ورأى مجد القرآن فلم أنه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول ، وقبل كل ما يخبر به ، ومن سمع شيئا ولم يحضر له ذهنه فهو غائب ، فالأول لعالم بالقوة ، وهو المجبول

/ ٤٠

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .
(٣-٢) سقط ما بين الرقين من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : بالقدرة .

على الاستعداد الكامل فهو بحيث لا يحتاج إلى غير التدبر^١ لما عنده من الكمال المهيى بفهم ما يذكر به القرآن، والثاني القاصر بما عنده من كثافة الطبع فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل^٢ بكليته، ويزيل الموانع كلها، فلذلك حسن جدا موقع "أو" المقسمة وعلم منه عظيم شرف القرآن في أنه مبشر للكمال والناقص، ليس منه مانع^٣ غير الإعراض .

ولما دل على تمام علمه وشمول قدرته بخلق الإنسان إثر ما ذكره من جميع الأكوان، ثم باعدامه لأصناف الإنسان في كل زمان، ذكر بخلق ما أكبر منه في المقدار والإنسان بعضه على وجه آخر، فقال عاطفا على "ولقد خلقنا الإنسان" وأكدته تنبيها لمنكرى البعث وتبكيها،^{١٠} وافتحه بحرف التوقع لأن من ذكر بخلق شيء [توقع الإخبار -^٤] عما هو أكبر منه : ﴿ولقد خلقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يقدر قدرها^٥ ولا يطاق حصرها ﴿السموات والأرض﴾ على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع ﴿وما بينهما﴾ من الأمور التى لا ينتظم الأمر على قاعدة الأسباب والمسببات بدونها ﴿فى ستة أيام قسمة﴾ الأرض فى يومين، ومنافعها^{١٥} فى يومين، والسموات فى يومين، ولو شاء لكان ذلك فى أقل من لمح البصر، ولكنه سن لنا^٦ التأتى بذلك ﴿وما مسنا﴾ لأجل ما لنا من

(١) من مد، وفى الأصل : التدبير (٢) من مد، وفى الأصل : لا يقبل .

(٣) من مد، وفى الأصل : لاتصاف (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى

الأصل : قدرتها (٦) من مد، وفى الأصل : له .

العظمة (من لغوب هـ) أى إعياء فانه لو كان لا تقضى ضعفا فاقضى فسادا، فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه، فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقي، وأتم تشاهدون الامر فى الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتام التصرف، من اللغب^١ وهو الإعياء، والريش اللقاب وهو الفاسد. ولما دل سبحانه على شمول العلم وإحاطة القدرة، وكشف فيهما الامر أتم كشف، . كان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولى، سبب عن ذلك قوله : (فاصبر على ما) أى جميع الذى (يقولون) أى الكفرة وغيرهم . [ولما -^٢] كانت أقوالهم لا تليق بالجناب الاقدس، أمر سبحانه بما يفيد أن ذلك بارادته ١٠ وأنه موجب لتزييه . كآله، لانه قهر قائله على قوله، ولو كان الامر بارادة ذلك القائل استقلالا لكان ذلك فى غاية البعد عنه، لانه موجب للهلاك، فقال : (وسبح) أى أوقع التزييه عن كل شائبة نقص متلبسا^٣ (بمجد ربك) أى باثبات الإحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن / إليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها تفضيلا لك على ١٥ جميع الخلق فى جميع ما (قبل طلوع الشمس) بصلاة الصبح، وما يليق به من التسبيح غيرها (وقبل الغروب^٤) بصلاة العصر والظهر كذلك، فالعصر أصل لذلك الوقت والظهر تبع لها .

ولما ذكر ما هو أدل على الحب فى المعبود لانه وقت الانتشار

(١) من مد، وفى الأصل : التعب (٢) زيد من مد (٣) فى مد : متلبسا .

(٤) فى مد : فى ذلك .

إلى^١ الأمور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية
بالأكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في
الوقت من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ثم نشرهم، أتبعه ما يكون
وقت السكون المراد به الراحة بلذيق الاضطجاع والنام فقال:
(ومن آيل) أى في بعض أوقاته (فسبحه) بصلاتي المغرب والعشاء،
وقيام الليل لأن الليل وقت الخلوات وهي ألد المناجاة - ولما ذكر
الفرائض التي لامندوحة عنها على وجه يشمل التوافل من الصلاة وغيرها،
أتبعها التوافل المقيدة بها فقال: (وإدبار السجود) أى الذي هو أكل
في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلى بعدها من الرواتب والتسبيح
بالقول أيضا، قال الرازي: واعلم أن ثواب الكلمات بقدر صدورها ١٠
عن جنان المعرفة والحكمة وأن تكون عين قلبه تدور^٢ دوران لسانه^٢
ويلاحظ حقائقها ومعانيها، فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور في الوهم
أو يرسم في الخيال أو ينطبع في الحواس أو^٣ يدور في الهواجس،
والحمد يكشف عن المنة وصنع الصنائع وأنه المنفرد بالنعم - انتهى •
ومعناه أن هذا الحمد هو الحقيقة. فإذا انطبقت في الجنان قامت باللسان، ١٥
وتصورت بالأركان، وحل على الصلاة لأنها أفضل العبادات، وهي
جامعة بما فيها من الأقوال والأفعال لوجهي الذكر: التنزيه والتحميد،
وهاتان الصلاتان المصدر بهما أفضل الصلوات فهما أعظم ما وقع

(١) من مد، وفي الأصل: في (٢-٢) من مد، وفي الأصل: بدورات
الإنسان (م) من مد، وفي الأصل: أى .

التسريح بالحمد ، و المعنى - والله اعلم - أن الاشتغال استمطار من المحمود
 المسبح للنصر على المكذبين ، وأن الصلاة أعظم ترياق للنصر وإزالة الهم ،
 ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .
 ولما سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب [و - '] غيره
 ه من الأذى بالإقبال على عليّ حضرته والانتظار لنصرته ، أتبعه تعزية
 الإشارة فيها أظهر بما صورته يوم مصيبتهم وقربه حتى أنه يسمع في وقت
 نزول هذه الآية ما فيه لهم من المثلث وقوارع المصيبات ، تحذيرا لهم
 وبشرى لأوليائهم بتأييده عليهم ونصره لهم في الدنيا والآخرة فقال :
 ﴿ واستمع ﴾ أى اسمع بتعمدك للسمع بغاية جهتك باصفاء سمعك وإقبال
 ١٠ قلبك بعد تسريحك بالحمد ما يقال لهم ﴿ يوم ' ينادى المناد ﴾ لهم في الدنيا
 يوم بدر أول الأيام التى أظهر الله فيها لأوليائه مجده بالانتقام من أعدائه ،
 / ٤٢ / وفى الآخرة يوم القيامة فى صورة^٢ النفخة الثانية وما بعده .

ولما كان المراد إظهار العظمة بتصوير تمام القدرة ، وكان ذلك
 ١٥ يتحقق باسماع البعيد من محل المنادى كما يسمع القريب سواء ، وكان القرب
 ملزوما للسمع ، قال مصورا لذلك : ﴿ من مكان ﴾ هو صحرة بيت المقدس
 ﴿ قريب لا ﴾ أى يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب ، يكونون
 فى البقاع سواء لاتفاوت بينهم أصلا .

ولما عظم هذا المقام بما كساه من ثوب الإجمال أبدل منه إيضاحا

(١) وقع فى الأصل بعد ؛ واستمع والترتيب من مد (ر) من مد ، وفى
 الأصل : الصورة .

وزيادة في التعظيم قوله : ﴿ يوم يسمعون ﴾ أى الذين ينادون ﴿ الصيحة ﴾
أى صيحة أصمتهم المستنفر لهم إلى بدر في الدنيا ، فكانت صيحة قاضية
بصمهم عن جميع تصرفاتهم ، وصيحة النفخة الثانية في الصور في الآخرة
فهما قهقرا حشر إلى القضاء بين الحق والمبطل ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت
الذى كانوا يسمونه سمرا ، وبدونه خيالا ، فيعلمون حينئذ أن الواقع هـ
قد يطابقه ، فكان حقا فانه قد طابقه الواقع ، فكان الإخبار به صدقا .
ولما عظمت سبحانه بأجمال بعد إجمال ، إشارة إلى أن ما فيه من شديد
الآهوال ، يطول شرحه بالمقال ، زاده تعظيما بما أتجه الكلام فقال :
﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم الذى يظهر به المجد و يعلو بضعفاء المؤمنين المجد
﴿ يوم الخروج هـ ﴾ أى الذى لاخروج أعظم منه و هو خروجهم من بيوتهم ١٠
في الدنيا إلى مصارعهم بيد ، و من قبورهم من الأرض التى [خلقوا -^١]
منها إلى مقامهم في النار .

ولما بنيت دعائم القدرة و دقت بشار النصر و ختم بما يصدق
على البعث الذى هو الإحياء الأعظم دالا عليه بما هو مشاهد من أفعاله ،
و أكدته لإنكارهم البعث ، فقال : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نحن ﴾ ١٥
خاصة ﴿ نحى ونميت ﴾ تجدد ذلك شيئا بعد شيء ستة مستقره و عادة
مستمرة كما تشاهدونه ، فقد كان منا بالإحياء الأول البدأ ﴿ والينا ﴾
خاصا بالإماتة ثم الإحياء ﴿ المصيره ﴾ أى الصيرورة و مكانها وزمانها
بأن نحى جميع من أمتاه يوم البعث و نحشرهم إلى محل الفصل ، فتحكم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : نجد .

بينهم وليس المعاد باصعب من المبدأ ، فن اقر به وانكر البعث كان معاندا او مجنوننا قطعاً .

ولما تحقق بذلك أمر البعث غاية التحقيق ، صور خروجهم فيه فقال معلقاً بما ختم به الابتداء مما قبله زيادة في تفخيمه و تعظيمه و تبجيله :
 ٥ ﴿ يوم تشقق الارض ﴾ و عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له ، وحذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل وسرعته ﴿ عنهم ﴾ أى مجاوزة لهم بعد أن كانوا فى / بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء ، حال كونهم ﴿ سراعاً ﴾ إلى إجابة منادياها ، وأشار إلى عظمه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الإخراج العظيم جداً ﴿ حشر ﴾ أى جمع بكره ، وزاد فى بيان عظمة هذا الأمر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار فقال : ﴿ علينا ﴾ أى خاصة ﴿ يسيره ﴾ فكيف يتوقف عاقل فيه فضلاً عن أن ينكره ، و اما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه - انتهى .

ولما أقام سبحانه الأدلة على تمام قدرته و شمول علمه و ختم بسهولة عليه و اختصاصه به ، وصل تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم بتهديدهم ١٥ على تكذيبهم بالعلم الذى هو أعظم التهديد فقال : ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا و لآلهم أنفسهم ﴿ اعلم ﴾ أى من كل من يتوهم فيه العلم ﴿ بما يقولون ﴾ أى فى الحال و الإقبال من التكذيب بالبعث و غيره مع إقرارهم بقدرتنا .

ولما كان التقدير : فحق قادرون على رددهم عنه بما لنا من العلم المحيط ٢٠ و أنت لهم منذر تنذرهم و بال ذلك ، عطف عليه قوله : ﴿ وما أنت عليهم ﴾

ولما أفاد حرف الاستعلاء القهر والغلبة صرح به مؤكداً في النقي فقال :
 (بجبار قه) أى متكبر قهارات تردم قهرا عما تكره منهم من الأقوال
 والأفعال ، إنما أنت منذر . ولما نقي عنه الجبروت ، أثبت لهم ما أفهمه
 واو العطف من النذارة كما قدرته قبله ، فقال مسيباً عنه معبراً بالتذكير
 الذى يكون عن نسيان لأن كل ما فى القرآن من وعظ إذا تأمله الإنسان ه
 وجده شاهداً فى نفسه أو فيها يعرفه من الآفاق (فذكر) أى بطريق
 البشارة والنذارة (بالقرآن) أى الجامع بجمعه لكل خير المحيط بكل
 صلاح (من يخاف وعيد) أى يمكن خوفه ، وهو كل عاقل ، ولكنه
 ساقه هكذا إعلاما بأن الذى يخاف بالفعل فيكشف الحال عن إسلامه
 هو المقصود بالذات ، وغيره إنما يقصد لإقامة الحججة عليه لالده ، ١٠
 ولا يؤسف عليه ولا يتأثر بتكذيبه بل يعتقد أنه عدم لا تضر عداوته
 ولا تنفع ولايته ، وما أذى إلا نفسه وكل من والاه فى الدنيا والآخرة ،
 وهذا هو المجد للقرآن ولمن أنزله ولمن أتى به عنه بتمام قدرة من هو
 صفته وشمول علمه ، فقد انعطف هذا الآخر على [ذلك -] الأول
 أشد انعطاف ، والتفت فروعه بأصله أتم^٢ التفاف ، فاعترفت به [أولو -] ١٥
 براعة وأهل الإنصاف [والاتصاف -] بالتقدم فى كل صناعة
 بالسبق الذى لا يمكن لحاقه أى اعتراف^٢ - والله الهادى للصواب .

(١) زيد من مد (٢) فى مد : أى (٣) فى الأصل ومد : اعترافه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاریات

٤٤ / مقصودها الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحاً وبشرت به
تلويحاً، ولا سيما آخرها من مصاب الدنيا وعذاب الآخرة، واسمها
الذاريات ظاهر في ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع القسم لشدة
الارتباط كآية الواحدة وإن كان خفياً، والتعبير عن الرياح بالذاريات
أتم إشارة إلى ذلك، فان تكذيبهم بالوعد لكونهم لا يشعرون بشيء
من أسبابه وإن كانت موجودة معهم كما أن ما يأتي من السحاب من
الرحمة والنقمة أسبابه موجودة، وهي الرياح وإن كانوا لا يرونها،
والريح من شأنها الذر وهو التفريق، فاذا أراد الله جمعت فكان
١٠ ما أراد، فانها تفرق الابخرة، فاذا أراد الله سبحانه جمعها لحملها ما أوجد
فيها فأوقرها به فأجراها لإجراء سهلاً، فقسم منها ما أراد تارة برقاً وأخرى
رعداً، يصل صليل الحديد على الحديد، أو الحجر على مثله مع لطافة
السحاب، كل ما يشاهد فيه من الأسباب، وآوة مطراً شديداً الانصباب،
ومرة برداً ومرة ثلجاً رجي ويهاب، وحيناً صواعق ونيراناً لها
١٥ أى التهاب، ووقتها جواهر ومرجاناً بديعة الإعجاب، فتكون مرة

(١) الحادية والخمسون من سوره القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ستون

بالاتفاق (٢) من مد، وفي الأصل: آخره (٣) من مد، وفي الأصل: واحدة.

(٤) من مد، وفي الأصل: يشا (هـ-هـ) في مد: ثلجاً وبردًا.

- سرورا و رضوانا، و أخرى غموما و احزاننا، و غبنا و خسرانا، على أنهم
 أخيل الناس في بعض ذلك، يعرفون السحاب الذى يخيل المطر و الذى
 لا يخيله و الذى مطره دان، و الذى لم يأن له أن يمطر - إلى غير ذلك من أشياء
 ذكرها أهل الادب و حملها أهل اللغة عنهم، و كل ذلك بتصرف الملائكة
 عن أمر الله، و لذلك - والله أعلم - سن أن يقال عند سماع 'الرعد': هـ
 "سبحان الله" مباح قدوس، ياتنا لأن المصرف الحق هو الله تعالى
 "رب الملائكة" أى الذين أقيموا لهذا "و الروح" الذى يحمله هذا
 الجسم من مطر أو نار أو غيرهما و الله الموفق (بسم الله) المحيط بصفات
 الكمال فهو لا يخالف الميعاد (الرحمن) الذى عم الخلائق بنعمة الإيجاد
 (الرحيم) الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد . ١٠
 لما ختم سبحانه ق بالتذكير بالوعيد، افتتح هذه بالقسم البالغ على
 صدقه، فقال مناسبا بين القسم و المقسم عليه: (و الدريث) أى
 الرياح التى من شأنها الإطارة و الرمي و التفريق و الإذهاب، و أكد ذلك
 بقوله: (ذررا!) أى بما تصرفها فيه الملائكة، قال الأصمهانى: الرياح
 تحت أجنحة الكروبيين حمله العرش، فتهبج من ثم فتقع بعجلة الشمس ١٥
 ثم تهبج^١ عن عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال، ثم من رؤس الجبال
 (١) سقط من مد (٢) زيد فى الأصل: يقال، و لم تكن الزيادة فى مد .
 فخذناها (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٤) من مد، و فى الأصل:
 و لا (٥-١) من مد، و فى الأصل: للقسم (٦) زيد فى مد: تقع .

تقع في البر، فأما الشمال^١ فانها تمر^٢ تحت عدن فتأخذ من عرف طيها تمر
على أرواح الصديقين، ثم تأخذ حدها من كرسى بنات نش إلى مغرب
الشمس، و تأتي الدبور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع / سهيل، / ٤٥
و تأتي الجنوب حدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، و تأتي الصبا
حدها من مطلع الشمس إلى كرسى بنات نش، فلا تدخل هذه في
حدها [ولا هذه في حد هذه - ٣] .

ولما كانت غاية الذرر التهيئة للحمل، قال مسيبا ومعقبا:
(فالحملت^٣) أي من السحب^٤ التي فرقت الريح أصلها وهو الأنخرة،
وأطارة في الجو أي جهة العلو ثم جمعتها، فانمقد سمحاً فبطه مع الالتئام
١٠ لحمله الله ما أوجد فيه من مراده من الماء والصواعق وغيرها (وقرأوا)
أي حملاً قهلاً، وقد كان قبل ذلك لا يرى شيء منه ولا من محموله،
فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد وإن لم تروا أسبابه، ولا يفرنكم
بالله القروور .

ولما كان الحمل إنما هو^٥ الوضع في^٦ الأماكن التي يراد ضررها
١٥ أو قضمها، و كان سير الغمام بعد الحمل في ساحة الجو وباحة الأفق من غير
مسك يرى أدل على القدوة، ولا سيما إذا كان مع الجرى الذي يضرب
[به - ٣] لسرعة المثل، وكذا جرى السفن في باحة البحر بعد قتلها

(١-١) من مد، وفي الأصل: فان (٢) زيد من مد (٣) وقع في الأصل بالهامش.
(٤) من مد، وفي الأصل: السحاب (٥-٥) من مد، وفي الأصل: منه .
شيء (٦-٦) من مد، وفي الأصل: المواضع .

بالوسق قال: (فالجحرئت يسرا) أى جريا ذا سهولة .

و لما كان فى غاية الدلالة على تمام القدرة بفريق محمولها فى الاراضى
المحتاجه و لا سيما إن تباعدت أماكن صبه و مواطن سكبها ، و كان ذلك
التفريق [هو - ١] غاية الجرى المترتب على الحمل المترتب على الذرو ،
قال مسيا معقبا مشيرا بالتفعيل إلى غراة فصلها لقطراتها و بداعة تفريقها ه
لرحمتها من عذابها^٢ ، و غير ذلك من أحوال الجاريات و تصريف
الساريات: (فالقسنت) أى من السحب^٣ بما تصرفها فيه الملائكة عليهم
السلام ، و كذا السفن بما يصرفها الله به من الرياح اللينة أو العاصفة
من سلامة و عطب و سرعة و إبطاء ، و كذا غيرهما من كل أمر تصرفه
الملائكة بين العباد و تقسمه .

١٠

و لما كان المحمول مختلفا كما تقدم ، قال جامعا لذلك: (امرأ)
أى من الرحمة أو العذاب ، قال الرازى فى اللوامع: و هذه أقسام يقسم الله
بها و لا يقسم بها [الخلق لأن قسم - ١] الخلق استشهدا على صحة قولهم
بمن يعلم السر كالعلاية و هو الله تعالى ، و قسم الخلائق إرادة تأكيد
الخبر " فى قوسهم فيقسم " ببعض بدائع خلقه على وجه يوجب الاعتبار ١٥
و يدل على توحيده ، فالرياح بهبوبها و سكونها لتأليف السحاب و تذرية
الطعام و اختلاف الهواء و عصفها مرة و لينها أخرى و السحاب
بنحو وقوفها مثقلات بالماء من غير عماد و صرفها فى وقت الغنى عنها

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : عداها (م) من مد ، و فى الأصل :
الصحاب (ع) من مد ، و فى الأصل «و» (هـ-هـ) سقط ما بين الرقین من مد .

بما لو دامت لاهلكت ، ولو انقطعت لم يقدر احد على فطرة منها ،
 وبتفريق المطر و إلا هلك الحرث و النسل ، والسفن بتسخير البحر لجرياتها
 و تقدير الريح لها بما لو زاد لفرق ، ولو ركذ لاهلك ، و الملائكة تقسم
 الامور بأمر ربها ، كل ذلك دليل على وجود الصانع الحكيم ، و الفاطر
 ٥ العليم ، القادر الماجد الكريم .

ولما كانوا يكذبون بالوعد ، أكد الجواب بعد التأكيد بنفس
 القسم فقال : ﴿ انما ﴾ [أى الذى - '] ﴿ توعدون ﴾ أى من الوعد
 / للطائع و الوعيد للعاصي ، و إن لم تروا أسبابه . و لما كان ما توعدوا
 به لتحقيق وقوعه و قرب كآنه موجود يخاطبهم عن نفسه ، عبر عن المصدر
 ١٠ باسم الفاعل فقال : ﴿ لصادق لا ﴾ أى مطابق الإخبار [به - '] للواقع ،
 و سترون مطابقته له إذا وقع ، و تعلمون أن ذلك الواقع حق ثابت لا خيال
 لمطابقته للخبر ، قال ابن برجان : و اعلم أن الله عز و جل ما أقسم بقسم إلا
 مطابقا معناه لمعان فى المقسم من أجله بسراج منير يهدى به الله تعالى بمن
 يشاء ، و إنما يعنى عن رؤية ذلك ظواهر اشخاص للحسوسات ، و جسم
 ١٥ عن اسماع ندائها ضوضاء المشاهدات ، و لو لا ذلك لتودوا بها من مكان
 قريب ، و قال البيضاوى : كآنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة
 المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث .

ولما كان أجل وعيدهم ما يتعلق بالجزاء يوم القيامة و كانوا
 ينكرونها ، قال : ﴿ و ان الدين ﴾ أى المجازاة لكل أحد بما كسب يوم

(١) زيد من مد .

البعث، والشرع الذى أرسلت به هذا النبى الكريم (لواقع^٥) لا بد منه وإن أنكرتم ذلك، فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك، ثم نقيم الناس كلهم للحساب .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما ذكر سبحانه المواعيد الاخراوية^٥ فى سورة قى وعظيم تلك الاحوال من لدن قوله ” وجاءت هـ سكرة الموت بالحق “ إلى آخر السورة، أتبع^٥ سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه وصدقه فقال : ” والذاريات ذروا “ [إلى - ^١] قوله ” انما توعدون لصادق وان الدين لواقع “ والدين الجزاء . أى أنهم سيجازون على ما^٢ كان منهم ويوفون قسط أعمالهم ” فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون “ ” انما نملى لهم ليزدادوا اثماً “ . و لما أقسم الله على صدق ١٠ وعده ووقوع الجزاء، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء وازدراؤهم فقال ” يسألون ايان يوم الدين “ ثم ذكر تعالى حال الفريقين و انتهاء الطريقين إلى قوله ” وفى الارض ايت للوقنين “ فربح تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أودع سبحانه فى العالم من العجائب ، واعقب بذكر إشارات إلى أحوال الامم وما أعقبهم تكذيبهم ، و كل هذا ١٥ تنبيه لبسط النظر إلى قوله ” ومن كل شئ خلقنا “ بقوله ” كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحرا او مجنون “ أى إن هذا دأبهم وعادتهم حتى كأنهم تعامدوا عليه وألقاه بعضهم إلى بعض فقال

(١) من مد ، وفى الأصل : الاخوية (٢) من مد ، وفى الاصل : اتبعه .
(٣-٢) من مد ، وفى الأصل : لا .

تعالى "تواصوا به ام هم قوم طاغون" أى عجبا لهم فى جريهم على
التكذيب [و - '] الفساد فى مضار واحد، ثم قال تعالى "بل هم
قوم طاغون" أى أن علة تكذيبهم [هى - '] التى اتحدت فاتحد
معلولها، و العلة طغيانهم و إظلام قلوبهم بما سبق "ولوشنا لأتينا كل
ه نفس هداها" ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد على طريقة تخيره
عليه السلام فى أمرهم من قوله تعالى "قول عنهم فما انت بملوم"
ثم أشار تعالى بقوله "وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين" إلى أن
إحراز أجره / عليه السلام إنما هو فى التذكار و الدعاء إلى الله تعالى،
ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة "انما يستجيب الذين يسمعون"
١٠ ثم أخبر نبيه عليه الصلاة و السلام بأن تكذيبه سينالهم قسطا و نصيب
مما نال غيرهم، من ارتكب مرتكبهم، و سلك مسلكهم، قال تعالى
"و ان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم" إلى آخر السورة - انتهى .
ولما أخبر سبحانه عن ثبات خبره، أتبعه الإخبار عن وهى كلامهم،
فقال مقسما عليه لمبالغتهم فى تأكيد مضامينه مع التناقض بفعله الجليل
١٥ و صنعه الجليل، إشارة إلى أنهم [لم - '] يخلقوا من أخلاقه الحسن بقول
و لا فعل : ﴿ و السماء ذات الحبك لا ﴾ أى الآيات المحتبكة بطرائق النجوم
(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل : عليه لطريقه (هم) من مد،
و فى الأصل : شيء له نظم (٤) من مد، و فى الأصل : غيره (٥) زيد فى الأصل
و مد : من (٦) من مد . و فى الأصل : خبرهم (٧) من مد، و فى
الأصل : بفعل .

المحكمة، الحسنة الصنعة، الجيدة الرصف والزينة، حتى كأنها منسوجة،
الجميلة الصنعة الجميلة الآثار، الجامعة بين القطع والاختلاط والاتفاق
والاختلاف، وأصل الحبك الإحكام في امتداد واطراد - قاله الرازي
في اللوامع - (انكم) يا مشر قریش (لنى قول) يحيط بكم فى أمر
القرآن [و-'] الآتى به وجميع أمر دينكم وغيره مما تريدون به ه
إبطال الدين الحق (مختلف لا) كاختلاف طرائق السماء التى لاتتكاد
تنظم، ولا يعرف أولها من آخرها، واختلاف هذه الأشياء المقسم
بها من أول السورة^٢ واختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع، وإن
كنتم تجتهدون فى تزيينه وتقريره للأنفهام وتحسينه فإنه لا يكاد إذا عرضه
الناقد على الفكر^٣ الناقد ينضبط بضابط ولا يرتبط بباطل، بل تارة ١٠
تقولون: هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق
بالوزن المجرد والروى المتحد، والعذوبة والرشاقة، وتارة تقولون:
هذا سحر فيلزمكم مع الإقرار بالعجز [عنه -'] أنه لاحقائق [له -']
والواقع^٤ أنه لا يتأمله ذو فهم إلا رأى حقائقه أثبت من الجبال، وتارة
تقولون: أضغاث أحلام، فيلزمكم أنه لا ينضبط بضابط، ولا يكون له ١٥
مفهوم يحصل. ولا يعجز أحد عن تلفيق مثله، فقد أبطلتم قولكم: إنه
شعر وأنه سحر. وتارة تقولون: إنه كهانه فيلزمكم أن تعتقدوا منه

(١) من مد، وفى الأصل: الاحساب - كذا (٢) زيد من مد (٣) من مد،
وفى الأصل: السؤال (٤) من مد، وفى الأصل: الكفر (ه) من مد، وفى
الأصل: الوقائع.

ما تعتقدون في أقوال الكهان من الإخبار بالمغيبات وإظهار الحجب، وفصل الحكم، فأبطلتم وما مضى من قولكم أضغاث أحلام وسحر وشعر، وتارة تقولون: إنه جنون، فقد قضتم جميع أقوالكم الماضية وناديتهم على أنفسهم بالمباينة، تقولون في الآتي به: إنه شاعر وساحر ومجنون وكاهن و كاذب، وكل قول منها ينقض الآخر، واتم تدعون أنكم أصدق الناس وأبعدهم عن عار الكذب، وأنكم أعقل الناس وأنصفهم، فقد تباعد أولا ما بين أقوالكم، ثم ما بينها وبين أفعالكم، فكان اختلاف طرائق النجوم دالا على مانع مختار تام العلم كامل القدرة، وكذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك، ١٠ فهما آيتان في الآفاق وفي أنفسكم .

/ ٤٨

/ ولما كان هذا الاختلاف بما لا يكاد يصدق لأنه لا يقع^٢ فيه عاقل، بين سببه بأنهم مغلوبون عليه بقهر يد القدرة فقال: ﴿ يوفك ﴾ أى يصرف بأيسر أمر^٣ وأسهله عن سن الاستقامة، ويقلب من وجهه لقفاه ﴿ عنه ﴾ أى يصدر صرفه عن هذا القول مجازا لما يلزمه من عاره، ١٥ فهو لأجل ذلك يقوله ﴿ من افكك ﴾ أى قلبه قلب قاهر أى تبين بهذا الصرف الذى هو أعظم الصرف أنه حكم فى الأزل حكما ثابتا جامعا، فصار لا يصد عنه قول ولا فعل إلا كان^٤ مقلوبا وجهه إلى قفاه

(١) من مد، وفى الأصل: اختلاط (٢) من مد، وفى الأصل: يقدر .
(٣) زيد فى الأصل: وأسره، ولم تكن الزيادة فى مد لخذفائها (٤) تكرر فى الأصل .

لا يمكن أن يأتي منه شيء على وجهه، فكأنه لا مأفوك سواء لشدة
أفكه وعجيب أمره .

ولما كان الكذب الإخبار بما لاحقيقة له وتعتمد الاقتراء، وكان
الحرص الكذب و الاقتراء والاختلاف وكل قول بالظن، قال معلما
بما لهم على قولهم هذا: قتلوا أو قتلتم - هكذا كان الأصل ولكنه ه
أظهر الوصف الذي استحقوه بقولهم: (قتل الخراصون لا) أى حصل
بأيسر أمر قتل الكذابين ولا محالة من كل قاتل، وللتقولين بالظن
المتقطعين للكلام من أصل لا يصلح للحرص وهو القطع، وهم الذين
يقولون عن غير سند من كتاب أو سنة أو أثاره من علم، وهو دعاء
أو^٢ خبر لانه مجاب: (الذين هم) خاصة (في غمرة) أى أعماق ١٠
من العمى والضلال، غارقون في سكرهم وجهلهم الذي غمرهم، ولذلك هم
مضطربون اضطراب من هو يمشى في معظم البحر فهو لا يكاد ينتظم
له أمر من قول ولا فعل ولا حال (ساهون لا) أى عريقون في السهو
وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب إلى غير ما يهمه، ففاعل
ذلك ذو الوان متخالفة من هول ما هو فيه وشدة كربه ١٥

ولما حكم بسهوم، دل عليه بقوله: (يستلون) أى حيناً بعد حين
على سبيل الاستمرار استهزاء بقولهم: (ايان) أى متى وأى حين
(يوم الدين) أى وقوع الجزاء الذي يخبرنا به، ولو لا أنهم بهذه الحالة

(١) من مد، وليست الكلمة واضحة في الأصل (٢) من مد، وفي الأصل:
الكذابون (٣) من مد، وفي الأصل: و .

لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يث عبده أو أجراه في عمل
من الأعمال إلا وهو يحاسبهم على أعمالهم ، و ينظر قطعا في أحوالهم ،
و يحكم بينهم في أقوالهم و أفعالهم فكيف يظن بأحكم الحاكمين أن يترك
عبده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم و أبدع لهم هذين الخاقين
ه هيا لأجلهم فيها ما لاضرورة لهم في التزود للمعاد إلى سواء فيتركهم
سدى و يوجد هم عبثا .

ولما تقرر أمر القيامة بالتعير بسامون قال : (يوم) أى
تقول يوم (هم على النار يفتنون) أى يرمون فيحرقون و يعذبون
و يصبحون ... من الاختلاف مقولا لهم على سبيل القرع و التوبيخ :
١٠ (ذوقوا فنتكم) ... العقوبة من العنة المحيطة ... و استعجالكم ما
توعدون استهزاء و تكذيبا (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى
تطلبون عجلته (ان المتقين) أى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا
(فى جنت) أى بساتين عظيمة محن داخلها ... (و عيون)
(اخذين ... ما) أى كل شئ (انهم ... بهم) أى المحسن
١٥ إليهم ... بتمام عليه و شامل قدرته و هو لا يدع لهم لذة إلا اعفهم بها
فيقبلونها بغاية الرغبة لأنها فى غاية العاسة . ولما كان هذا أمرا عظيما
يذهب الوهم فى سببه كل مذهب ، علاه بقوله مؤكدا الذنب الكفار لهم
إلى الإساءة : (انهم كانوا) أى كونا هو كالجبل . ولما كان الإنسان

(١) العبارة من هنا زبدت من مد ، و بما أن العبارة مطموسة فيها فلذلك
لم نتأكد من النص الوارد فيها كليا فوضعنا على الكلمات المهمة قاطا .

إما أن يكون مطيعا في مجموع عمره أو في بعضه ... على الطاعة، و كانت الطاعة تجب ما قبلها، و تكون سببا في تدبيل السيئات حسنات فضلا منه سبحانه، فكان كل من القسمين مطيعا في جميع زمانه، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ أى في دار العمل، و قيل: أخذوا ما فرض عليهم بغاية لقبول لأنهم كانوا قبل فرض الفرائض يعملون على المحبة و هو معنى ٥ ﴿ محسنين ﴾ أى في معاملة الخالق و الخلاق، يبدون الله كأنهم يرونه، ثم فسر إحسانهم معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله: ﴿ كانوا ﴾ أى لما عندهم من الإجلال له و الحب فيه بحيث كأنهم مطبوعون عليه، و لغاية التأكيد وقع الإسناد إليهم مرتين ﴿ قليلا من آيل ﴾ الذى هو وقت الراحة و قضاء الشهوات، و أكد المعنى بإثبات ١٠ ماء فقال: ١٠ ﴿ ما يجمعون ﴾ أى يفعلون المجوع و هو النوم الخفيف الثقيل، فما ظنك بما فوقه لأن الجملة ثبت مجوعهم و هو النوم للراحة، و كسر التعب و ما ينفيه، و ذكر الليل لتحقيق المعنى فإن المجوع النوم ليلا، فالمعنى أنهم يحبون أكثر الليل و ينامون أقله . و لما كان المحسن لا يرى نفسه إلا مقصرا، قال دالا على ذلك و على أن تهجدهم يتصل بآخر الليل مؤكدا ١٥ بالإسناد مرتين أيضا: ﴿ و بالاسحار ﴾ قال ابن زيد: السحر: السدس الأخير من الليل ﴿ هم ﴾ أى دائما بطوامرهم و بواطنهم ﴿ يستغفرون ﴾ أى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين و يسألون غفران ذنوبهم لو هو علمهم بالله [و أنهم لا يقدررون على أن يقدروه حق قدره و إن اجتهدوا لقول سيد الخلق " لا أحصى ثناء عليك " و إبراز الضمير دال ٢٠

(١) ليس واضحا في مد .

على أن غيرهم لو فعل هذا ليلة لأعجب بنفسه و رأى أنه لا أحد أفضل منه ، و على أن استغفارهم في الكثرة يقتضى أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتذلل من المصيرين على المعاصي ، فان استغفارهم ذلك على / ٤٩
بصيرة لأنهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق و في أنفسهم من الآيات
و الحكم البالغة التي لا تحصى فعلوا أنه اهل لأن يطاع و يخشى فاجتهدوا
و تركوا المجوع ، و أجروا الدموع ، ثم قابلوا ذلك بنعمه فاذا الاعمال في غاية
التقصير فأقبلوا على الاستغفار عالمين بأنه لا يمكن أن يقدر حق قدره .

و لما ذكر معاملتهم للخالق ، أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا للحقيقة
الإحسان فقال : ﴿ و في أموالهم ﴾ أى كل أصنافها ﴿ حق ﴾ أى
نصيب ثابت . و لما كان السياق هنا للإحسان ، فكان إحسانهم لقرط
محبتهم إلى عباد الله لا يوقفهم عن الواجب بخلاف ما في "سأل" من سياق
المصلين مطلقا ترك وصفه بالمعلومية فقال : ﴿ للسائل ﴾ أى الذى يئنه
على حاجته بسؤال الناس و هو المتكفف ﴿ و المحروم ﴾ و هو المتعفف
الذى لا يجد ما يغنيه ، و لا يسأل الناس و لا يفتن له ليتصدق عليه ،
١٥ و هذه صفة أهل الصفة رضى الله عنهم ، فالمحسنون يعرفون صاحب
[هذا - ٢] الوصف لما لهم ٣ من نافع البصيرة و لله بهم من العناية .

و لما دل إقسامه بالسماء و ما قبلها من الذرات على ما له في
العلويات من الآيات إلى أن ختم بالأموال التي تنبتها الأرض ، فكان

(١) زيد في الأصل : معلوم ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٢) زيد من
مد (٣-٤) من مد ، و في الأصل : بعد .

التقدير : ففى السماوات آيات للمؤمنين دلالات^١ على عظمته واستحقاقه للعبادة
 بغاية الخضوع رغبا ورهبا، عطف عليه قوله : (وفى الارض)
 بما فيها أيضا من الاختلاف بالمعادن الكثيرة المتباينة مع اتحاد أصلها
 والنبات والحيوان والجماد والبر والبحر وغير ذلك من الأسرار الدالة على
 الفاعل المختار ('أنت') أى دلالات عظيمة هى مع وضوحها بعد
 التأمل خفيات (للمؤمنين لا) الذين صار الإيقان^٢ لهم غريزة ثابتة، فهم
 لذلك يفتنون لرؤية ما فيها مع ما يلبسهم منها من الأسباب فيشغلهم
 ولا يرون أكثر أسباب ما فيها من الآيات فأداهم ذلك إلى الإيقان
 بما نهت^٣ عليه الرسل مما لا تستقل به العقول من البعث وغيره، قال
 القشيري : من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء، فكذلك العارف يحمل ١٠
 كل أحد ومن استقل أحد أو تهرم برؤيته أحدا فلفيته عن الحقيقة
 ومطالعة الخلق بعين التفرقة. وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة،
 ومن الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذارة وقامه فتبت كل زهر ونور
 وكذلك العارف يتشرب ما يلقي من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق
 على وشبه زكية .

١٥

ولما اشار إلى آيات الآفاق، أتبعها آيات الانفس فقال :
 (وفى انفسكم^٤) أى من الآيات التى شاركتكم بها الجماد، ثم فارقتموه
 بالنمو ثم بالحس ثم فارقتم الحيوان الحسيس بالعقل الموصل إلى بدائع

(١) من مد، وفى الأصل : دلت (٢) من مد، وفى الأصل : الايمان (٣) من
 مد، وفى الأصل : ثبتت (٤) من مد، وفى الأصل : البعض .

العلوم ودقائق الفهوم . ولما كانت اظهر الآيات ، سبب عن التفيه
 عليها الإنكار عليهم في ترك الاعتار / بها فقال : ﴿ افلا تبصرون ﴾ أي
 ٥٠ / بأبصاركم : بصائركم فتأملوا ما في ذلك من الآيات و تفكروا هل ترون
 أسباب أكثرها ، فان كل هذه آيات دالة على قدرة الصانع على كل ما
 ٥ يريد واختياره ، وأنه ما خلق هذا لخلق سدى ، فلا بد أن يجمعهم إليه
 للعرض عليه ، فالموقنون لا يزالون ينظرون في أمثال هذا بعيون باصرة
 وأفهام نافذة ، فكلما رأوا آية اعتبروا بها ، فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم ، وإيقاناً
 مع إيقانهم ، وأول نظرهم فيما أودعوا من الآيات الحاجة ، فمن تأملها
 علم أنه عبد ، ومتى علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج ، ومن أبصر
 ١٠ ذلك أبصر جميع الصفات والاسماء فنقد فهمه في شفاف الكائنات ، فارتقى
 إلى أعلى الدرجات .

ولما بان بما قدمته في " المقسمات امرا " ما في جهة العلو من الأسباب
 الموجبة للنعمة والعذاب ، قال : ﴿ وفي السماء ﴾ أي جهة العلو ﴿ رزقكم ﴾
 بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبته سبحانه
 ١٥ لمنافع العباد ﴿ وما توعدون ﴾ وجميع ما اتكم به الرسل من الوعد والوعيد
 والصعقة والزلازل وغير ذلك من الأحوال وموجبات النكال ، وكذا
 الرحمة والخير والنعمة وكل ما يتعلق به الآمال ، فكما أنكم تصدقون بذلك
 و أنتم لا تترننه فكذلك صدقوا بالجنة والنار وإن لم تروها ، فانه لا فرق
 بين ما يزيله الله فيكون منه رياض وجنات وشوك وأدواء

(١-١) في مدة من الصواعق والزلازل (٢) من مد ، وفي الأصل : ينزل .

ومرات

[و-'] مرارات، وسموم و'عقارب وحيات'، وحشاش وسباع وحشرات،
 وبين ماء بعيد به الاموات، ثم يحشرهم إلى جنان ويران، فكما أنه
 لامية في إظهار هذا الغيب [فكذلك لا لبس في إظهار ذلك الغيب -']،
 ومن المعنى أيضا أنك لا تشتغل برزق فانه في السماء، ولا سبيل لك إلى
 العروج إليها، واشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففي السماء ه
 الرزق وإليها يرفع العجل، فان أردت أن ينزل إليك رزقك فاصعد
 إليها الصالح من عمك، ولهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق" واصطبرا
 عليها لاستلوك رزقا نحن نرزقك".

ولما أقسم بما له من المقدورات لمن وقف مع المحسوسات
 المشهورات، فترقوا بذلك إلى أعلى الدرجات، وانكشف ما له من ١٠
 الكمال انكشافا تاما، وعلم أن في خزائنه سبحانه كل ما أخبرت عنه
 به الرسل من وعد ووعد، سبب عنه قوله مقسما بنفسه الاقدس لكن
 بصفة مألوفة قال: ﴿فورب﴾ أى مبدع ومدبر ﴿السماء والارض﴾
 بما أودع فيها مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿انه﴾ أى الذى توعدونه
 من الخير والشر والجنة والنار وتقدم الإقسام عليه أنه صادق ١٥
 ﴿لحق﴾ أى ثابت يطابقه الواقع فقد جمع الحق مع 'الصدق' (مثل ما أنكم)
 أى وأتم مساوون لبقية ما فى الأرض من الجمادات وغيرها ﴿تنطقون؟﴾
 نطقا مجددا فى كل وقت مستمرا، لبس* هو بخيال ولا سحر، / أى أن' ٥١/

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، وفى الأصل: حيات وعقارب (٣) من مد
 وفى الأصل: بما (٤) ليس فى الأصل (٥) فى مد: ما (٦-٦) تكرر ما بين
 الرقنين فى الأصل.

ذلك لحق مثل ما ان هذا حق ، فالذى جعل لكم قوة النطق من بين ما فى الارض بأسباب لاترونها ولا تحسونها ، ومع ما عداكم من ذلك بأسباب [مثل ذلك - ٢] قادر على الإتيان بوعده من الرزق وغيره ، ما دتم تحتاجون إلى ذلك بما جعل فيكم من الحياة التى يصح بها العلم

د الناشئ عنه النطق المحوج إلى الرزق من أى جهة أرادوا ، وإن لم تروا أسبابه كما أنه لو أراد لأنطق جميع من فى السماوات والارض من المخلوقات بما يقيمه لها من الأسباب التى أقامها لكم وإن لم تروا ذلك .

ولما بين بما مضى من القسم وما أتبعه من أنه أودع فى السماوات والارض وما بينهما أسبابا صالحة للإتيان بما وعدناه من الخير ، وما توعدنا به من شر وإن كنا لم نرها وهو قادر مختار ، فصار ذلك كالشاهد ، ولا وجه للتكذيب بوعده ولا وعيد ، دل عليه وصوره بما شوهد من أحوال الأمم وبدأ - لأن السياق للحسنين - برأس المحسنين من اهل هذه الأنبا الذى أخبرته الملائكة عليهم السلام بما سيبه معه وإن كان على غير العادة . فتعجبت زوجته من ذلك مع كونها أعلى نساء

د ذلك الزمان . و أتبع قصته قصة لوط ابن أخيه عليها السلام لاتصال ما بين قصتهما فى الزمان ، وللمناسبة عذابهم لما أقدم به فى أول السورة ، فانه سبحانه أسر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم وحلتها كما تحمل السحاب ثم كتبهم فرجتهم ، والارض تخسفت بهم ، والملائكة الموكلة بمثل ذلك ،

(١) من مد ، وفى الأصل : مثل (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : فتعجب (٤) من مد ، وفى الأصل : حلتهم .

فعلوا جميع ما أمروا به وراؤهم في قريتهم وقصودهم^١ بالمكر لأنهم خفي عليهم أمرهم، وأتوا الخليل عليه السلام وهو أعلى ذلك الزمان وهم في ذلك ولم يعلم أول الأمر بشيء من حالهم ولا ظنهم إلا آدميين، فقال مفتخاً لأمر القصة بتخصيص الخطاب لأعلى الخلق وأنفذهم فيها إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه سواء^٢ على طريق الاستفهام على عادة العرب في الإعلام بالأمور الماضية^٣ وإن كان المخبر عالماً بأن المخاطب لا علم له بذلك لأن المقصود ليس إلا التنبيه على أن ذلك الأمر مما ينبغي الاهتمام به والبحث فيه ليعرف ما فيه من الأمور الجليلة؛ قال أبو حيان^٤: تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرأ إذا أردت أن تحدّثه بعجيب فتقرره: هل سمعت ذلك أم لا؟ فكأنك تقتضى بأن يقول: لا، ويستطعمك^٥ [الحديث -^٤] انتهى. (هل اتىك) يا أكل الخلق (حديث ضيف) عبر عنهم بلفظ الواحد إشارة إلى اتحاد كلمتهم (إبراهيم) وهو خليلنا، ودل على أنه لم يعرف شيئاً مما أتوا به دالاً على أنهم جمع (المكرمين) أي الذين هم أهل الكرامة، وأكرمهم إبراهيم عليه السلام بقوله وفعله، ففي حديثه ذلك آية بيّنة على ما بين في هذه السورة من قدرة الله^{١٥} تعالى وصدق وعده ووعيده، مع ما فيه من التسلية لك ولمن تبعك، والشارة بأكرام المصدق وإهانة المكذب، قال القشيري: وقيل: كان عددهم اثني عشر ملكاً، وقيل: جبريل عليه السلام، وكان معه تسعة،

٥٢ /

(١) من مد، وفي الأصل: صدوهم (٢-٢) سقط ما بين الرقين من مد.

(٣) في البحر المحيط ٨/ ١٣٨ (٤) زيد من البحر.

و قيل : [كانوا - '] ثلاثة : (اذ) أى حديثهم حين (دخلوا عليه)
 أى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف (قالوا سلماء)
 أى نحدث ، ثم استأنف الإخبار عن جوابه بقوله : (قال) أى بلسانه :
 (سلم ج) أى ثابت دائم ، فهو أحسن من تحيتهم .

و لما كان ما ذكر من دخولهم و سلامهم غير مستغرب عند المخاطبين
 بهذا ، وكانت القصة قد ابتدئت بما دل على غرابة ما يقص منها ، تشوف
 السامع إلى ما كان بعد هذا فأجيب بقوله : (قوم) أى ذرو قوة على
 ما يحابلونه و يقومون فيه (منكرون ج) أى حالهم لإلباسه أهل لأن
 ينكره المنكر ، و قدم هذا على موضعه الذى كان ألبق به فيما يظهر
 ١٠ بادی الرأى ، و إيضاها لأن السياق لـخفاء الأسباب على الآدمى و بعدها
 و إن كانت فى غاية الظهور و القرب و لو أنه فى غاية العلو فان
 إنكاره لهم كان متأخرا عن إحضار الأكل لكونهم لم يأكلوا ، و هذا
 القول كان فى نفسه و لم يواجههم به .

و لما أشار إلى انه حين إنكاره لهم لم يعرف من أى نوع هم
 ١٥ و لا خصوص ما هم فيه ، رتب على رده لسلامهم أنه أسرع غاية الإسراع
 فى إحضار ما ينبغى للضيف على ظن أنهم آدميون فقال : (فراغ)

(١) زيد من مد (٢) راجع العالم - سورة هود (٣) من مد ، و فى الأصل :
 منه (٤) من مد ، و فى الأصل : خلف - كذا (هـ - هـ) من مد ، و فى الأصل :
 فانكاره (٦) من مد ، و فى الأصل : سلامه .

أى ذهب فى ' خفية و خفة ' و مواضع ستره عن أعينهم كما هو من آداب الضيافة خوفا من أن يمنعه أو يكدر عليهم الانتظار: (الى^١ أهله) [أى - '] الذين عندهم بقرة (لجاء بعجل) أى قى من أولاد البقر (سمين لا) قد شواه و أنضجه (قربة اليهم) و لما أخبر بما ينبغي [الإخبار به - '] من أمر الضيافة إلا الأكل^٢، كان من هـ المعلوم أن التقدير: فكان كأنه قيل: فاذا قال لهم حين لم يأكلوا؟ قيل: (قال) [أى - '] متادبا غاية التأدب ' ملوحا بالإنكار: (الا تاكلون؟) أى منه .

و لما كان كأنه قيل: فلم يأكلوا، سبب عنه قوله: (فأرجس) أى أضمر إضمار الحال فى [جميع - '] سره (منهم خيفة^٣) لاجل ١٠ إنكاره عدم أكلهم فانه لما رأى إعراضهم^٤ عن الطعام ذهب وهمه فى سبب إتيانهم إليه كل مذهب (قالوا) مؤنسين له: (لأتخف^٥) وأعلوه بأنهم رسل الله (وبشروه بغلنم) على شيخوخته و يأس امرأته بالظن فى السن بعد عقمها، وهو إسحاق عليه السلام . و لما كان السياق لخصاء الأسباب كان فى الذروة وصفه بقوله: (عليم^ه) أى مجبول جبلة مهياة ١٥ للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل فى أوانه .

و لما كانا بعيدين عن قبول الولد، تسبب عن ذلك قوله، دالا

(١ - ١) فى مد: خفة و خفية (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل: الأعلى (٤) من مد، وفى الأصل: الادب (هـ) زيد فى مد: عن الأكل، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

على أن الولد إسحاق مع الدلالة على أن خفاء الأسباب لا يؤثر في وجود المسيات : (فاقبلت) أى من^٢ سماع هذا الكلام (امراته) ولما كانت قد امتلأت عجباً ، عبر بالظرف فقال : (في صرة) أى صيحة وكره من الصرير قد أحاط بها ، فذهب وهما في^٣ ذلك كل مذهب ه (فصكت) أى ضربت بسبب تعجبها بأطراف أناملها فعل المتعجب (وجهها) ثلاثى أسباب الولد في عليها / بسبب العادة مع معرفتها / ٥٣ بأن العبرة في الأسباب وإن كانت سليمة بالسبب لا بها ، قال البغوى : وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض (وقالت) تريد أن تستبين الأمر هل الولد منها أم من غيرها : (عجوز) ومع العجز (عقيم ه) ١٠ فهى في حال شبابها لم تكن تقبل الحمل ، قال القشيري رحمه الله تعالى : قيل : إنها كانت يومئذ ابنة ثمان و تسعين سنة .

ولما كان [فى -] هذا أشد تشوف إلى الجواب ، استأنف تعالى الجواب بقوله : (قالوا كذلك ي) أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة (قال ربك) أى المحسن إليك بتأهلك لذلك على ما ذكرت من حالك ١٥ و بتأهلك من قبل الاتصال بخليفه صلى الله عليه وسلم . ولما كان محط تعجبها أن ذلك كان بأيام شبابها أولى ، عللوا إخبارهم تأكيدهم له مؤكدين لأن قولها و فعلها فعل المنكر وإن كانت ما أرادت به إلا الاستنابات : (انه هو) أى وحده (العليم) الذى يضع الأشياء فى أحق مواضعها

(١) من مد ، وفى الأصل : الوجود (٢) من مد ، وفى الأصل : فى (٣) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى مد لغزفتها (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٠٣ (٥) زيد من مد .

فرتب عظمة هذا المولود على كل من عقمك و عجزك ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : (الحكيم هـ) أى المحيط العلم فهو كذلك لا يعجزه شئ . لما تقدم من البرهان فى سورة طه أن إجابة العلم مستلزم شمول القدرة . ولما كان الخليل عليه السلام أعلم أهل زمانه بالأمور الإلهية ، علم أن اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التى يراهم فيها ليس لهذه البشارة هـ فقط ، فلذلك استأنف تعالى الجواب لمن كان كأنه قال : ما كان من حاله و حالهم بعد هذا ؟ بقوله : (قال هـ) أى قال مسييا عما رأى من حالهم : (أفا خطبكم) أى خبركم العظيم (أيها المرسلون هـ) أى لأمر عظيم (قالوا هـ) قاطعين بالتأكيد بأن مضمون خبرهم حتم لا بد منه ، ولا مدخل للشفاعة فيه : (أنا ارسلنا هـ) أى بارسال من تعلم (إلى قوم مجرمين لا) ١٠ أى هم فى غاية القوة على ما يحاولونه وقد صرفوا ما أنعم الله به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله و وصل ما يحق قطعه (لنرسل عليهم) أى من السماء التى فيها ما وعد العباد به و توعدوا (حجارة من طين لا) أى مهياً للاحتراق و الإحراق (مسومة هـ) أى معلقة بعلامة العذاب المخصوص . ولما كان قد^٢ رأوا اهتمامه بالعلم بنجرهم^٣ خشية من أن ١٥ يكونوا أرسلوا للعذاب أحد يعز عليه أمره ، أمنوا خوفه بوصف الإحسان فقالوا : (عند ربك هـ) أى المحسن إليك بهذه البشارة و غيرها (للسرفين هـ)

(١) ومن هنا يتبدئ الجزء ٢٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها .

[أى - ١] المتجاوزين للحدود غير قانعين بما ابيح لهم .

ولما كان من المعلوم أن القوم يكونون تارة في مدر وتارة في
شمر، وعلم من الآيات السالفة أن العذاب مختص بذوى الإسراف،
سبب عن ذلك مفصلاً لحبرهم قوله تعالى معلماً أنهم في مدر: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾
٥ بما لنا من العظمة بعد أن ذهب رسلنا إليهم و وقعت بينهم وبين لوط
عليهم السلام محارلات معروفة لم تدع الحال هنا إلى ذكرها، والملائكة
سبب عذابهم، وأهل القرية المحاولون في أمرهم لا يعرفون ذلك،
وهذه العبارة إن كانت إخباراً لنا كانت خبراً عما وقع لنعبر به، وإن
كانت لإبراهيم عليه السلام كان معناها أن الحكم الأعظم وقع باخراجهم
٥٤ / ١٠ / / بشاره له بنجاتهم ﴿ من كان فيها ﴾ أى قراها . ولما كان القلب عماد
البدن الذى [به - ١] صلاحه أو فساد، فكان عمله أفضل الأعمال لأنه
به يكون استسلام الأعضاء أو جماعها، بدأ به فقال: ﴿ من المؤمنين ﴾
أى المصدقين بقلوبهم لأننا لانسريهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على
قلبتهم وضعفهم وقوة المخالفين و كثرتهم، سبب عن التعبس والستر
١٥ و التعرض للظواهر والبواطن قوله: ﴿ فَا وَجَدْنَا ﴾ أسند الأمر إليه
تسرياً لرسله إعلاماً بأن فعلهم فعله ﴿ فيها غير بيت ﴾ واحد وهو بيت
لوط بن أخى إبراهيم عليه السلام، وقيل: كان عدة الحاجين منهم ثلاثة
عشر . ولما كان الإسلام قد تطلق على الظاهر فقط وإن كان المراد
هنا الأخص آخره فقال: ﴿ من المسلمين ﴾ أى العريقين في الإسلام

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قلة .

الظاهر ، و الباطن لله من غير اعتراض اصلا و هم إبراهيم و آله عليهم السلام قانهم أول من وجد منه الإسلام الأتم ، و تسموا به كما مضى في البقرة و سموا به أتباعهم ، فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الإيمان الذي هو التصديق و الإسلام الذي هو الانقياد ، قال البغوى : وصفهم الله تعالى ' بالإيمان و الإسلام ' جميعا لأنه ما آمن مؤمن إلا و هو مسلم . يعنى لما ه بينها من التلازم و إن اختلف المفهومان ، و قال الأصبهاني : [و - ٢] قيل : كان لوط و أهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر .

[و - ٣] و كان إبقاء آثار المهلكين أدل على قدرة من أهلكهم قال : (و تركنا) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى تلك القرى بما أوقفنا بها من العذاب الذى كان مبدأه أنسب شئ بفعل الذاريات ١٠ من السحاب ' فانا قلنا قراهم كلها و صدت في الجو كالغمام إلى عنان السماء و لم يشعر احد من أهلها بشئ من ذلك ثم قلبت و أتبع الحجارة ثم خسف بها و غمرت بالماء الذى لا يشبه شئاً من مياه الأرض كما أن خبائثهم لم تشبه خبائثه ١١ أحد ممن تقدمهم من أهل الأرض (آية) أى علامة عظيمة على قدرتنا على ما زيد (للذين يخافون) كما تقدم ١٥ آخرق أنهم المقصودون في الحقيقة بالإذار لأنهم المتفعون به دون من

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٢٠٤ / ٦ (٢ - ٢) من مد و المعالم ، و في الأصل : بالإسلام و الايمان (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و في الأصل : فيها . (٥ - ٥) في مد : بالسحاب (٦) من مد . و في الأصل : جثايتهم (٧) من مد ، و في الأصل : جنابة .

قسا قلبه ولم يعتبر (العذاب الالیم لا) ای ان یجل بهم کما حل بهذه
القری فی الدنیا من رفع الملائکة لهم فی الهواء الذاری إلى عنان السماء
و قلبهم و أتباعهم الحجارة المحرقة ، و ضرهم بالماء المناسب لفعلهم بتنه
وعدم نفعه ، و ما ادخر لهم فی الآخرة أعظم .

و لما قدم سبحانه أحق القصص الدالة علی قسمه و ما أقسم علیه
بما فیها من خفاء الاسباب مع وجودها ، ثم ما فیها من إزال ما به
الوعید من السماء بالنار و الماء^۱ الذی أشیر إليه بالمقسمات ، مع الفرق
بین المسلم و المجرم ، أتبعها قصة^۲ من أیده بحاملات فیها مطر و برد و نار
مضطربة ، کما مضى بیانہ فی الاعراف ، ثم بعد ذلك بریح فرق البحر
و نشفت أرضه و دخله فرعون و القبط ، و هو واضح الأمر فی أنه سبب

لهلاكهم و هم لا یשמعون به ، / فقال عاطفا علی المقدر فی قصة إبراہیم
/ ۵۵
علیه السلام أو اظاهر فی " و فی الارض " أو علی " فی " التی فی قوله
" و ترکنا فیها آية للذین یخافون " و هذا أقرب من غیره و أولى :

(و فی موسى^۳) ای فی قصته و أمره آية علی ذلك عظيمة (اذا رسلته)
بعضمتنا (الی فرعون) الذی کان قد أساء الی إبراہیم علیہ السلام
بعد عظیم إحسانهم إلیه^۴ و الی جمیع قومہ بما أحسن إلیهم یوسف علیہ
السلام (بسلطن مبین^۵) ای معجزات ظاهرة فی نفسه منادية من شدة

(۱) من مد ، و فی الأصل : اخر (۲-۲) من مد ، و فی الأصل : بالماء و النار .

(۳) من مد ، و فی الأصل : بقصة (۴) سقط من مد (۵-۵) من مد ، و فی

الأصل : احسانه إلیهم .

- ظهورها بأنها معجزة، فكان فيها دلالة راضية على صدق وعيده ومع ذلك فلم يفهمهم عليها ولذلك سبب^١ عنه وعقب به قوله: ﴿قولى﴾ أى كاف نفسه الإعراض بعد ما دعاء عليها إلى الإقبال إليها، وأشار إلى توليه بقوله: ﴿ركنه﴾ أى بسبب ما بركن إليه من القوة فى نفسه وبأعوانه وجنوده أو بجميع جنوده - كناية عن المبالغة فى الإعراض، هـ
- ﴿وقال﴾ معللا بعجزه عما أتاه به وهو لا يشعر: ﴿سحر﴾ ثم ناقض كناقضتكم^٢ فقال بجهله عما يلزم على قوله: ﴿او مجنون هـ﴾ أى لاجترائه على مع ما لى من عظيم الملك بمثل هذا الذى يدعو إليه ويتهدد عليه. ولما وقعت التسلية بهذا للأولياء، قال تعالى محذرا للأعداء:
- ﴿فاخذنه﴾ أى أخذ غضب وقهر عظمنا بما استدرجناه به وأوهناه به من المذاب الذى منه محاب حامل ماء وردا ونارا وصواعق ﴿وجنوده﴾
- [أى - ٢] كلهم ﴿فتبذنتهم﴾ أى طرحهم طرح مستهين بهم [مستخف لهم كما تطرح - ١] الحصيات ﴿فى اليم﴾ أى [البحر - ١] الذى هو أهل لأن [يقصد - ١] بعد أن سلطنا^٣ الريح ففرقه لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه، فأبيست ما أبرزت^٤ ١٥
- فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك أعدائنا ﴿وهو﴾ أى والحال أن فرعون ﴿مايم هـ﴾ أى آت بما هو بالغ فى استحقاقه الملامة، ويجوز
-
- (١-١) من مد، وفى الأصل: عليهم و- سبب (٢-٢) من مد، وفى الأصل: بالاقبال النهار (٣) من مد. وفى الأصل: مناقضتكم (هـ) زيد من مد.
- (هـ) من مد، وفى الأصل: سلطنا (١) من مد، وفى الأصل: أبرز.

أن يكون حالا من " الیم " بمعنى أنه فعل بهم فعل اللائم من الألامه - إذا بالغ في عدله ، و صار ذا لائمة أى لهم ، من الألام - لازما ، [و-] أن يكون مخففا من لام المهموز فيكون المعنى : فهو مصلح أى قاعل فعل المصلحين في إنجاء الأولياء وإغراق الأعداء^۲ بالالتئام والانتطابق عليهم ،
 ۵ قال في القاموس : اللوم العدل ، لام لوما و الألامه و لومه للبالغة ، و الألام : أتى ما يلام عليه أو صار ذا لائمة ، و لآمه بالهمز كنعته : نسبة إلى اللوم ، و السهم : أصلحه كالألامه و لآمه فالتأيم ، و لا يضر يونس عليه السلام أن يعبر في حقه بنحو هذه العبارة^۳ ، فان أسباب اللوم تختلف كما أن أسباب^۴ المعاصي تختلف في قوله " وعصوا رسله " " وعصى آدم ربه " و بحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم و نفس المعاصي .

و لما أتم قصة من جمع له السحاب و الماء و النار و الريح ، أتبعها قصة / من أتاها ريح ذارية لم يوجد قط مثلها ، و كان أصلها موجودا^۵ بين ظهرائهم و هم لا يشعرون به ، بل قاربت الوصول إليهم و هم يظنونها بما ينفعهم : ﴿ و في عاد ﴾ أى آية عظيمة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ ارسلنا ﴾ بمظمتنا ﴿ عليهم ﴾ إرسال علو و أخذ ﴿ الريح ﴾ فأتتهم تحمل سحابة سوداء و هى تذرو الرمل و ترمى بالحجارة على كيفية لاتطاق ﴿ العقيم ﴾ أى التى لاثمرة لها فلا تالقح شجرا و لا تنشىء سحابا و لا تحمل مطرا و لا رحمة

(۱) من مد ، و فى الأصل : لهم (۲) زيد من مد (۳) من مد ، و فى الأصل : العدا (۴) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سنبينه عليه (۵) من هامش الأصل ، و فى الأصل : اصحاب (۶) فى الأصل : موجود .

فيها ولا بركة فلذلك أهلكهم هلاك الاستبصال ، ثم بين عقمها وإعقامها بقوله : ﴿ ما تذر ﴾ أى تترك على حالة ردية ، وأغرق فى النفى فقال : ﴿ من شيء ﴾ ولما كان إهلاكها إنما هو بالفاعل المختار ، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ انت عليه ﴾ أى إتيان إرادة مرسلها ، استعلاها على ظاهره وباطنه ، وأما من إريدت رحمته كهود عليه السلام ومن هـ معه رضى الله عنهم فكان لهم روحا وراحة لأعليهم ﴿ الا جمعتهم كالرميم هـ ﴾ أى الشيء البالى الذى ذهاته الأيام والليالى ، فصيروه البلى إلى حالة الرماد ، وهو فى كلامهم ما يبس من نبات الأرض ودثر - قاله ابن جريج ، وخرج بالتعبير بـ "نذر" هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين ، فانهم تركتهم على حالة حسنة لم يسهم منها سوء كما أشير ١٠ إلى مثل ذلك بأداة الاستعلاء .

ولما تم ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريح الذارية ، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال : ﴿ وفى ثمود ﴾ أى قوم صالح عليه السلام آية عظيمة كذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قيل لهم ﴾ ممن لا يخلف ١٥ الميعاد : ﴿ تمتعوا ﴾ أى بلبن الناقة وغيره مما مكناكم فيه من الزرع والنخيل والأبنية فى الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الأمور الذى أمرناكم به ولا تطغوا ﴿ حتى حين هـ ﴾ أى وقت ضربناه لآجالكم ﴿ ففتوا ﴾ أى أوقعوا بسبب إحساننا إليهم العتو ، وهو التكبر والإباء ﴿ عن امر ربهم ﴾ أى . ولاهم الذى أعظم إحسانه إليهم فمقرؤا الناقة ٢٠

(١) فى الأصل : رحمة .

و ارادوا قتل بيه عليه السلام ﴿ فحدثهم ﴾ بسبب عتوهم اخذ قهر و عذاب
 ﴿ الصنعة ﴾ اى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح ، فأرسلتها إلى مسامعهم
 بغاية العظمة ، و رجت ديارهم رجة ازالـت أرواحهم بالصفق ، و قوله :
 ﴿ و هم ينظرون ٥ ﴾ دال على أنها كانت فى غمام ، و كان فيها نار ، و يجوز -
 ٥ مع كونه من النظر - أن يكون أيضا من الانتظار ، فانهم وعدوا
 نزول العذاب بعد ثلاثة أيام ، و جعل لهم فى كل يوم علامة و قمت
 بهم فتحققوا وقوعه اليوم الرابع ﴿ فسا ﴾ أى قدسب عن ذلك أنه
 ما ﴿ استطاعوا ﴾ أى تمكنوا ، و أكد النـبى فقال : ﴿ من قيام ﴾ أى
 بعد مجيئها بأن عاجلتهم باهلاكها عن القيام .

١٠ و لما كان الإنسان قد لا يـمكن من القيام لعارض فى رجليه
 و ينتصف من عدوه بما يرتبه من عقله و يدره برأيه قال : ﴿ و ما كانوا ﴾
 أى كونا ما ﴿ متصيرين لا ﴾ أى / لم يكن فيهم أهلية للاتصار بوجه ،
 لا بأنفسهم و لا بناصر ينصرهم فيطاعونه فى النصرة لأن تهيأهم لذلك
 سقط بكل اعتبار .

/ ٥٧

١٥ و لما أتم قصة من أهلكوا بما مر شأنه الإهلاك و هو الصاعقة ،
 أتبعهم قصة من أهلكوا بما مر شأنه الإحياء ، و هو الماء الذى جل
 ما يشتمل عليه الحـلـامـات التى أثارها الذريات ، و قد كانوا موجودين
 فى الأرض و السماء - و أسبابه مهياة - و هم لا يحسون بشئ من ذلك ،

(١) فى الأصل : - اسمهم (٢) فى الأصل : العارض (٣) فى الأصل : الابتصار .
 (٤) فى الأصل : موجودا .

و أما عبادنا المؤمنون^١ فهيأنا لهم أسباب النجاة من السفينة وغيرها،
و أعلنهم بها، فكان كل ما أردنا و قاله عنا أولياؤنا فقال مغبرا للأسلوب
تنبيها على العظمة بنفس الإهلاك لكونه بما من شأنه الإحياء و الإبقاء
و التصرف في الأسباب: ﴿ و قوم ﴾ أى و أهلكننا قوم ﴿ نوح ﴾ على
ما كان فيهم من الكثرة و قوة المحاولة و القيام بما يريدونه، و يجوز
أن يكون معطوفا على ” فيها “ أى و تركناهم آية، و يحسن هذا الإعراب
أنهم هلكوا جميعا و كانوا جميع أهل الأرض، و عم عذابهم جميع
الأرض، كانوا لهم الآية، و يؤيد هذا الإعراب قراءة أبى عمرو و حمزة
و الكسائي^٢ بالجر عطفًا على ضمير ” فيها “ .

و لما كان إهلاكهم على عظمه و انتشاره في بعض الزمان، أدخل ١٠
الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه الأمم كلها، ثم علل إهلاكهم
بقوله: ﴿ انهم كانوا ﴾ خلقا و طبعًا، لاحيلة لغيرنا من أهل الأسباب
في صلاحهم ﴿ قوما ﴾ أى أقوياء ﴿ فسقين ﴾ أى عريقين في الخروج
عن حظيرة الدين .

و لما كان إهلاكهم بالماء الذى نزل من السماء، و طلع من الأرض ١٥
بغير حساب، كان ربما ظن ظان أن ذلك كان لخلل كان فيهما، ثم
أصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ في
إتقانه فيختل^٣، قال عاطفا على ما نصب ” يوم “ مينا^٤ أن فعل ذلك

(١) في الأصل: المؤمنين (٢) راجع نثر المرجان ٤٥/٨ (٣) في الأصل: فيجبل .
(٤) في الأصل: مبيلا .

ما كان بالاختيار ، دالا على وحدانيته لنهام [القدرة-^۱] الدالة على ما تقدم من أمر البعث : ﴿ والسما بينها ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ بايد ﴾ أى بقوه وشدة عظيمة لا يقدر قدرها . ولما كانت السماء ألبق لعظمتها وطهارتها بصفات الإلهية ، قال - وأكد لما يلزم إنكارهم البعث من الطعن فى القدرة : ه ﴿ وانا ﴾ على عظمتنا مع ذلك ﴿ لموسعونه ﴾ أى أغنياء وقادرون ذوسعة لا تنهى ، أى قدرة ، من الوسع وهو اللطافة ، وكذلك أوسعنا مقدار جرمها وما فيها من الرزق عن أهلها فالأرض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الإلهية التى لا يصبَح فيها الشرك أصلا ، ومطبقون لما لا يحصى من أمثال ذلك ، وبما هو أعظم ۱۰ منه بما لا يتناهى ، ومحيطون بكل شىء قدرة وعلما ، وجديرون [و-^۲]

/ ۵۸

حقيقون / بأن يكون ذلك من أوصافنا فوصف به لما يشاهد لنا من القوة على كل ما نريد ، فلسنا كمن يعرفون من الملوك لأنهم إذا فعلوا لا يقدرّون على أعظم منه وإن قدرّوا [كان-^۱] ذلك منهم بكلفة ومشقة ، وسيترون فى اليوم الآخر ما يتلاشى وما تريدون فى جنبه ، ومن اتساعنا جعلها بلا عمد مع ما هى عليه من العظمة إلى غير ذلك من الأمور الحارقة للعوائد : ۱۵

﴿ والارض فرسناها ﴾ كذلك بما لنا من العظمة ، فصارت عمدة جديرة بأن يستقر عليها الأشياء وهى آية على تمهيدنا لأرض الجنة وشقنا لانهارها وغرسنا لأشجارها ﴿ فنعم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال فى وصفنا : نعم ﴿ المهتدون ه ﴾ أى نحن لكالم قدرتنا ، فما نزل من

(۱) زيد ولا بد منه .

السما شيء ولا نبع من الأرض شيء إلا بإرادتنا و تقديرنا و اختيارنا
من الأزل لأننا إذا صنعنا شيئاً علنا ما يكون منه من حين إنشائه إلى
حين إنباته ، ولا يكون شيء منه إلا بتقديرنا ، وذلك تذكير بالجنة والنار ،
فما فوقها من خير فهو آية على الجنة ، وما فيها من جبال و وهاد وعر
و خروبة فهو آية على النار .

و لما كان الأشياء المتضادة من الشيء الواحد أدل على القدرة من
هذا الوجه ، قال : (ومن كل شيء) أى من الحيوان وغيره (خلقنا)
بعظمتنا . و لما كان الفلاسفة يقولون : لا ينشأ عن الواحد إلا واحد ،
قال ردا عليهم : (زوجين) أى مثله شيئين كل منهما يزواج الآخر
من وجه و إن خالفه من آخر ، و لا يتم تقع أحدهما إلا بآخر من ١٠
الحيوان و النبات و غيرها و يدخل فيه الأضداد من الغنا و الفقر ،
و الحسن و القبح ، و الحياة و الموت ، و الضياء و الظلام ، و الليل و النهار ،
و الصحة و السقم ، و البر و البحر ، و السهل و الجبل ، و الشمس و القمر ،
و الحر و البرد ، و السماوات و الأرض ، و أن الحر و البرد من نفس جهنم
آية بينة عليها ، و بناءهما على الاعتدال فى بعض الاحوال آية على الجنة ١٥
مذكورة بها مشوقة إليها .

و لما كان ذلك فى غاية الدلالة على أن كلا من الزوجين يحتاج
إلى الآخر و أنه لا بد أن ينتهى الأمر إلى واحد لا مثل له و أنه لا يحتاج
بعد ذلك التنبيه إلى تأمل كبير قال : (لعلكم تذكرون) فادغم تاء
التفعل الدالة على العلاج و الاجتهاد و العمل فصار (؟) فتكونوا عند ٢٠

من ينظر ذلك حق النظر على رجاء من أن يتذكروا قليلا من التذكر
فيهديكم إلى سواء السبيل .

و لما كان كل شيء مما سواء لا بد له من ضد يضاده أو قرين يسد
مسده ، وأما سبحانه فلا مثل له لأنه لو كان له مثل لنازعه ، فلم يقدر
على كل ما يريد " لو كان فيهما 'الهة' الا الله لفسدتا " و ثبت أنه
أهلك القرون الأولى بمخالفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثبت أن
وراء المكلفين عذابا يحق لهم الفرار منه ، و ثبت أن كل شيء غيره محتاج
إلى زوجه يشقت حاجة الكل إليه ، و أنه لا كفاية عند شيء في كل ما
يرام منه ، ^٢ و جب أن لا يفزع إلا إلى الواحد / الغنى فسبب عن ذلك / ٥٩

١٠ قوله : ﴿ قُورُوا ﴾ أى أقبلوا و الجاؤا . و لما درب عباده في هذه السورة
بصفة الربوبية كثيرا ، فتأهلوا إلى النفوذ في الغيب ، و كانت العبادة لا تكون
خالصة إلا إن علق بالذات لا لشيء آخر ، ذكر اسم الذات فقال :
﴿ الى الله ﴾ أى إلى الذى لاسمى له من مكافئ ، وله الكمال كله ،
فهو في غاية العلو ، فلا يقهر و يسكن احد إلى محتاج مثله فان المحتاج
١٥ لاغنى عنده ، و لا يقهر سبحانه إلا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية
إلى أوج صفاته الروحانية ، و ذلك من وعيده ^٢ إلى وعده اللذين دل
عليهما بالزوجين ، فتقل السياق بالتحذير و الاستعطاف و الاستعداد ، فهو
من باب " لا مارجأ منك إلا إليك أعوذ بك منك " و استمر إلى آخر

(١) في الأصل : يثبت (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد مع بعض النسخ .

(٣) من مد ، و في الأصل : و عيد .

السورة في ذكره إشارة إلى على أمره، ثم علل بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: ﴿إني لكم منه﴾ أي لا من غيره ﴿نذير﴾ أي من أن يفر أحد إلى غيره فانه لا يحصل له قصده .

ولما أقام الدليل العقلي الظاهر جدا بما يعلمه أحد في نفسه على ما قاله في هذا الكلام الوحيد قال: ﴿مبين﴾ فقرار العامة من الجهل ٥ إلى العلم عقدا وسعيا، ومن الكسل إلى التشمير حذرا وحزما، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء، و فرار الخاصة من الخير إلى الشهود، ومن الرسوم إلى الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد، و فرار خاصة الخاصة بما دون الحق إلى الحق إشهادا في شهود جلاله واستغراقا في وحدانيته، قال القشيري: ومن صح فراره إلى الله صح فراره مع الله - انتهى . وهو ١٠ بكمال المتابعة ليس غيره، ومن فهم منه اتحادا بصفة أو ذات فقد ماحد طريق القوم فعليه لعنة الله .

ولما ثبت أنه لا ملجأ إلا إلى الله الواحد المنزه عن الزوج، وذلك هو الله الذي له الكمال كله، وكان ربما وقع في وهم^١ أن [في-] الوجود من غير الزوجين المعروفين من تفزع إليه كما تفزع إلى وزير الملك ١٥ وبوابه ونحو ذلك مما يوصل إليه، قال محذرا من سطواته^٢: ﴿ولا تجعلوا﴾ أي بأهوائكم ﴿مع الله﴾ وكرر الاسم الأعظم ولم يضم تميينا للراد لأنه لم يشاركه في التسمية به أحد وتنبها على ما له من (١) من مد، وفي الأصل: فهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل: سهوانه .

صفات الكمال و تعميما لوجوه المقاصد ثلثا يظن، وقيل "معه" أن
 المراد النهى عن الجعل^١ من جهة الفرار لامن جهة غيرها ﴿الها﴾ .
 ولما كان المراد كمال البيان، [منع -^٢] مجاز التجريد منع تغنت
 من يطعن بتكثر الاسماء كما أشار إليه بقوله "قل ادعوا الله او ادعوا
 ٥ الرحمن"، الآية بقوله: ﴿آخر^٣﴾ ثم علل النهى مع التأكيد لطعنهم
 في نذارته فقال: ﴿انى لكم منه﴾ أى لا من غيره فان غيره لا يقدر
 على شيء ﴿نذير﴾ أى محذر من الهلاك الأبدى بالعقوبة التى لا خلاص
 منها إن فعلتم ذلك ﴿مبين﴾ أى لا أقول شيئا من واضح النقل إلا
 ودليله ظاهر^٤ من صريح العقل . ولما ذكر قولهم المختلف الذى منه
 ١٠ تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبته إلى السحر والجنون وغير
 ذلك من ألقون، ومنه الإثراك مع اعترافهم^٥ بأنه لا خالق إلا الله
 ولا كاشف ضر غيره إلى غير ذلك من أنواع الاضطراب، وأخبر
 بهلاكهم^٦ على ذلك وحذرهم منه . ودل عليه إلى أن ختم بانذار من
 اتخذ إلها غيره / قال مسليا: ﴿كذلك﴾ أى مثل^٧ قول قومك المختلف
 / ٦٠
 ١٥ العظيم الشناعة، البعيد من الصواب، بما له من الاضطراب، وقع لمن
 قبلهم، ودل على هذا المقدر بقوله مستأنفا: ﴿ما آتى الذين﴾ ولما
 كان الرسل إنما كان إرسالهم فى بعض الأزمان الماضية ولم يستفروا

(١) من مد، وفى الأصل: الجهل (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل:
 الظاهر (٤) من مد، وفى الأصل: الاعتراف (٥) من مد، وفى الأصل:
 عدلاهم (٦) زيد فى لأصل: قوله، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .

جميعها بالفعل ، أثبت الجار في قوله : ﴿ من قبلهم ﴾ و عمم النفي بقوله :
 ﴿ من رسول ﴾ أى من عند الله ﴿ الا قالوا ﴾ و لو بعضهم رضا الباقين :
 ﴿ ساحرا و مجنون ﴾ لان الرسول يأتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم
 إليها أهواؤهم ، و الهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء
 كانت " أو " للتفصيل بأن بعضهم قال واحدا و بعضهم قال آخر ، ه
 أو كانت للشك لان الساحر يكون ليلا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من
 الناس ، و المجنون بالضد من ذلك ، ثم عجب منهم بقوله : ﴿ اتواصوا به ﴾
 [أى - ١] أوصى بهذا بعض الأولين و الآخرين بغضا .

ولما ساق هذا فى أسلوب الاستفهام إشارة إلى أنه قول ينبغى
 السؤال عن سببه لما له من الخفاء ، أجاب عنه بأنهم لم يتواصوا به لان ١٠
 الأولين ما اجتمعوا مع الآخرين : ﴿ بل هم ﴾ اجتمعوا فى وصف أدام إلى
 ذلك . و هو أنهم ﴿ قوم ﴾ أى ذور شماخة و كبر ﴿ طاغون ﴾ أى
 عالون فى الكفر مسرفون فى الظلم و المعاصى مجاوزون للقدر ، و أشار
 بالضمير إلى أن الطغيان أمر ذاتى لهم . فهو يمدح منه سبحانه بأنه هو
 الذى قهرهم بسوقهم إلى هلاكهم بقدرته التامة و عليه الشامل . ١٥

ولما كان صلى الله عليه . سلم يكاد يتلف نفسه الشريفة - بأبى
 هو و أمى - غما عليهم و أسفا لتخلصهم عن الإسلام و خوفا أن لا يكون
 و فى بما عليه من التنبيه ، و الإعلام . سبب تعالى عن حالهم قوله :

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : ذو (٣ - ٣) فى مد : المعاصى .
 و الظلم (٤) من مد ، و فى الأصل : البيئة .

(قول عنهم) أى كلف نفسك الإعراض عن الإبلاغ فى إبلاغهم بالمجادلة والصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الإبلاغ (فآ أنت) بسبب الإعراض بعد الإنذار (بعلوم قد) أى بمسحق الملامة بسبب إعراض من اعرض منهم عنك ، فأنى إنما حكمت بذلك لأنى إنما قسمت الناس ٥ إلى مؤمن تنفعه الذكرى ، وطاغ لا ينفعه شىء ، ولذلك قال : (وذكر) أى بالرفق واللين ، ولما أصرروا على التكذيب والإعراض حتى أيس منهم ، أكد ما سببه عن التذكير بقوله : (فان الذكرى) أى التذكر بالندارة البليغة (تنفع المؤمنين) أى الذين قدر الله أن يكونوا عريقين فى وصف الإيمان ولا بد من إكثار التذكير ليغلب ما عديم ١٠ من نوازع الحظوظ وصواف الشهوات ، مع ما هم مجبولون عليه من النسيان .

ولما كان هذا ربما أوهم أن سوام غير مقدور عليهم ، قال مؤكدا بالحصر دالا على أنه هو الذى قسم الناس إلى طاعين ومؤمنين بالعطف على ما تقديره : فاحكم عليهم بذلك الضلال والهدى غيرى ، ٦١ / ١٥ وما أرسلت الرسل / وأزلت الكتب إلا لاستخلاص المؤمنين وإقامة الحجة على الضالين : (وما خلقت الجن والانس) الذين أكثرهم كافرن^١ (الا ليعبدون) أى لينجروا تحت أفضيتى على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضررونها لا شىء يلحقى أنا منه شىء من نفع أو ضرر ، فأنى

(١) من مد ، وفى الأصل : على (٢) فى مد : يصيروا (٣ - ٤) من مد ، وفى الأصل : بوصف (٤) من مد ، وفى الأصل : كافرين .

بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى ، وركبت فيهم غرائز
فهيأتهم لاتباع الهدى ، فن أطاع عقله كان عابداً لى فاراً إلى مع
جريه تحت الإرادة ، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب ، ومن أطاع
الهوى كان عابداً لى مع مخالفته أمرى عبادة إرادية قسرية يستحق بها
العقاب ، وكل تابع لهواه إذا حقق النظر علم أن الخير في غير ما هـ
هو مرتكبه ، فإلزمه ما هـ هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر
إرادتى ، فهذه عبادة لغوية ، وذاك عبادة شرعية ، وقد مر في آخر
هود ما ينفع هنا ، وهذا كله معنى قول ابن عباس : إلا ليقروا لى
بالعبادة طوعاً وكرهاً .

ولما حصر سبحانه خلقهم في إرادة العبادة ، صرح بهذا المفهوم ١٠
بقوله : ﴿ مَا أريد منهم ﴾ أى في وقت من الاوقات ، وعم في النفي
بقوله : ﴿ من رزق ﴾ أى شئ من الأشياء على وجه ينفع من جلب
أودفع ، لأنى منزه عن لحاق نفع أو ضرر ، كما يفعل غيرة من الموالى
بعيدهم من الاستكثار بغلاتهم والاستعانة بقواتهم لأنى الغنى المطلق
وكل شئ مفتر إلى ﴿ وما أريد ﴾ أصلاً ﴿ ان يطعمون هـ ﴾ أى ١٥
[أن - :] يرزقون رزقا خاصا هو الإطعام ، وفيه تعرض

(١) من مد ، وفي الأصل : الثبات (٢) من مد ، وفي الأصل : هواء (٣) من
مد ، وفي الأصل : تحقق (٤) من مد ، وفي الأصل : بما (٥) راجع البحر المحيط
١٤٣/٨ (٦) من مد ، وفي الأصل : شئ (٧) من مد ، وفي الأصل : ينفع (٨) من
مد ، وفي الأصل : عييدهم (٩) زيد من مد (١٠) من مد ، وفي الأصل : وهـ .

بأصنامهم^١ فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها ويحسرون لها الأكل،
 وربما اكلتها الكلاب ثم نالت على الأصنام. ثم لا يصدح ذلك، وهذه
 الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل، والتعبير بالإرادة دال على
 ما قلت إنه مقصود بالعبادة. وهو الجرى تحت الإرادة، تارة بموافقة
 الشرع وتارة بمخالفته.

ولما كان الاهتمام بأمر الرزق - وقد ضخته سبحانه - شاغلا عن
 كثير من العبادة، وكان الإنسان يظن أن الذي حصل له ما حواه من
 الرزق سعيه، قال حاصرا ذلك مؤكدا لإزالة تلك الظنون معللا لافتا
 الكلام إلى سياق الاسم الأعظم الذي لم يقسم به غيره، نصا على المراد
 : وبالفاء من الإرشاد^٢ أقصى المراد : (أن الله) أي المحيط بجميع صفات
 الكمال المنزه عن شوائب النقص (هو) أي لا غيره (الرزاق) أي
 على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت، ثم وصفه بما يبين هوان
 ذلك عنده فقال : (ذو القوة) أي التي لا تزول بوجه (المتين) أي
 الشديد الدائم الشدة.

ولما أقسم سبحانه على الصدق في وعيدهم، ودل على ذلك حتى
 بجميع قصد أحوالهم على إرادته. وختم بقوته التي لا حد لها، سبب عن
 ذلك إيقاعه بالمتوعدين، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : (فإن للذين ظلموا)
 أي الذين أوقعوا الأشياء في غير مواقعها. ولما كان القسم على ما
 (١) من مد، وفي الأصل : لأصنامهم (٢-٣) من مد، وفي الأصل : للإرشاد.
 (٣) من مد، وفي الأصل : ثم قال.

٦٢ /

يوعده ن بما يحمل المطر ، عبر عن نصيهم الذى قدره / عليهم من ذلك بقوله : ﴿ ذنوبا ﴾ أى خطا من عذاب طويل الشر . كأنه من طوله صاحب ذنب وهو على ذنوبهم ﴿ مثل ذنوب اصحبهم ﴾ أى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل وهو فى مشابهة له كالدلو الذى يساجل به دلو آخر ، وذلك دليل واضح على أن ما يوعدهون صادق ، وأن الدين واقع ﴿ فلا يستعجلونه ﴾ أى يطلبوا أن آتيهم به قبل أوانه اللاحق به . فان ذلك لا يفعله إلا ناقص ، وأنا متعال عن ذلك لا أخاف الفوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ، ولا بد أن أوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الأزل ، لأنه أحق الآوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم ، وحيث تكون فباله من تهديد ما أظلمه . ووعيد ما أعظمه وأوجعه ، ١٠ أمرا لا يدفعه دافع ، ولا يمنع من وقوعه مانع . ولذلك سبب عنه قوله : ﴿ فويل ﴾ أى شر حال وعذاب يوجب الندب والتفجع ﴿ للذين كفروا ﴾ أى استروا ما ظهر من هذه الأدلة التى لا يسع عاقلا إنكارها ﴿ من يومهم ﴾ أضاف إليهم لأنه خاص بهم دون المؤمنين ﴿ الذى يوعدهون ﴾ فى الدنيا والآخرة ، وقد انطبق آخرها على أولها بصدق الوعيد ، وثبت بالدليل ١٥ القطعى ذلك القسم الأكيد - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

* * *

(١) من مد ، وفى الأصل : الذى (٢) من مد ، وفى الأصل : انه .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثامن عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ٢٢ / محرم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ = ٢٠ / نوفمبر سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الاعظمي الانصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادما العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء التاسع عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الطور .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسئول لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية